الوردية الثانية

فى

حياة المرأة العاملة

تأليف
أرلى هوكشايلد

ترجمة : عزة عبد الفتاح الجوهرى
مراجعة : د. نيفين غراب



الوردية الثانية
فى حياة المرأة العاملة

الوردية الثانية
فى حياة المرأة العاملة

تأليف

أرلى هوكستشايلد

مع

آن ماشـــنج

ترجمة : عزة عبد الفتاح الجوهرى

مراجعة : د. نيقين غراب



الدار الدولية للنشر والتوزيع

مصر - كندا

الطبعة الأولى
1994م

رقم الإيداع

93/10369

I.S.B.N
977-5107-73-3

ISBN : 0 - 380 - 71157 - 5

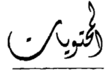
الدار الدولية للنشر والتوزيع

8 إبراهيم العرابى - النزهة الجديدة - مصر الجديدة - القاهرة - ج.م.ع.
ص.ب : 5599 هليوبلس غرب / القاهرة - تليفون / فاكس : 00202 / 2990970

تم صف وإخراج وتجهيز هذا الكتاب بقسم الكمبيوتر بـ «الدار الدولية للنشر والتوزيع»

دار الياس العصرية للطباعة و النشر


الإهداء
إلى زوجي ... آدم



الموضوع	الصفحة

الإهــداء 5

شــكــر وتقــديــر 9

المقدمـــة 13

الفصل الأول : السرعة المتلاحقة فى الأسرة 21

الفصل الثانى : الزواج فى ظل الثورة المؤجلة 37

الفصل الثالث : الغطاء الثقافى 53

الفصل الرابع : مشكلة چوى : نانسى وإيڤان هولت 69

الفصل الخامس : أسطورة الأسرة التى تتسم بالتقليدية :

فرانك وكارمن ديلاكورت 101

الفصل السادس : مفهوم الرجولة وتقديم الشكر: پيتر ونينا تاناجاوا 123

الفصل السابع : الحصول على كل شئ والتنازل عنه: آن وروبرت مايرسون 149

الفصل الثامن : ندرة الاعتراف بالجميل : سيث وچسيكا ستاين 169

الفصل التاسع : الزواج المضطرب ووظيفة تحبها : أنيتا وراى چادسون 191

الفصل العاشر : مشاركته ومشاركتها : جريج وكارول ألستون 209

الفصل الحادى عشر : لا يوجد وقت يقضيانه سوياً: باربارا وچون ليڤينجستون ..231

الفصل الثانى عشر : حسم قضية المشاركة والاتجاه الطبيعى :

نحو السبل المؤدية إلى الرجل الجديد 249

الفصل الثالث عشر : تحت الغطاء تكمن الخطط والتوترات 267

الفصل الرابع عشر : متاعب الزواج فى زمن الطلاق 289

الفصل الخامس عشر : الرجال الإيجابيون والرجال السلبيون 305

الفصل السادس عشر : الزوجة العاملة كفلاحة متمدينة 333

الفصل السابع عشر : الغوص فى أعماق السير الذاتية القديمة

أو تكرار أحداث التاريخ من جديد 357

تعقيب 375

ملحق 383

ملاحظات 395

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر إلى عديد من الجهات التى ساعدتنى فى تقديم هذا الكتاب وأولها المعاهد القومية للصحة العقلية على تمويلها السخى لهذا البحث. كما أتقدم بالشكر إلى إليوت ليبو، Elliot Liebow، رئيس مركز دراسة مشكلات أبناء العواصم لمساعدته الإدارية، وجزيل الشكر إلى تروى داستر، Troy Duster، رئيس معهد دراسة المتغيرات الاجتماعية، وهو صديق قديم، على تهيئته المناخ المناسب من الدعم والتشجيع ومنحى مكتباً خاصاً لدراستى. كما أتقدم بوافر الشكر إلى طاقم المساعدين فى هذا الكتاب وهم: أماندا هاميلتون، Amanda Hamilton، التى عاونتنى فى إجراء اللقاءات المبدئية، وإيلين كابلان، Elaine Kaplan، لقيامها بإجراء اللقاء وتصنيفها، ولينيت أوتال، Lynett Utal، التى ساهمت فى عملية التصنيف والتحليل الإحصائى كما أشكر بازل برونى، Basil Browne، لقيامه بطرح أربعمائة استطلاع للرأى على موظفى إحدى الشركات الكبرى. ولا أنسى أن أشكر بريان فيليبس، Brian Phillips، لقيامه بكتابة البحث على الآلة الكاتبة وعدم توانيه عن تقديم كل التشجيع بالرغم من السيل اللانهائى من المسودات؛ فقد كان دائماً يردد عند استلامه جزء جديد «وهذا أيضاً؟ ولكنى أعجبت جداً بالجزء السابق.» كما لا يفوتنى أن أتوجه بالشكر لكل من ڤيرجينيا مالكولم، Virginia Malcolm، وجوانا وول، Joanna Wool، وبات فروست، Pat Frost، لاهتمامهن بالمشروع وتدوينهن الحريص المتأنى (كما أتوجه

بشكر خاص لبات فروست لإضافتها بعض الصفحات من التعليق الواعى). كما أزجى امتنانى لكل من ويس فورد، Wes Ford، وجريس بنفنيست، Grace Benveniste، لمعاونتهما لى فى الأبحاث المكتبية. كما أشكر سوزان ثيستل، Susan Thistle، لإمداى بالمراجع التاريخية. أما عميق شكرى وامتنانى فأبعثه إلى مساعدتى ومعاونتى آن ماشنج، Anne Machung، التى قامت تقريباً بعقد نصف عدد المقابلات وإحاطتها بكل السرية اللازمة، كما قامت بنصيب الأسد فى التنظيم المعقد جداً للبيانات وإدخالها على الكمبويتر. كما أنها كانت تقوم بإدارة المشروع وتوجيه العون لهذا الحشد المستمر من الباحثين والطلبة الشغوفين والمتطوعين الذين كانوا يتوافدون على مكتبنا بمعهد دراسة المتغيرات الاجتماعية. ولازلت أحتفظ بذكريات غالية لتلك الجلسات التى كنا نعقدها بعد ظهر كل يوم خميس أنا وآن ماشنج وإيلين كابلان ولينيت أوتال وويس فورد وچونكو كونينوبى، Junko Kuninobi، (وهى باحثة زائرة من اليابان). وبالرغم من قيامى بنفس الملاحظات الميدانية وبعملية الكتابة فقد اشتركنا جميعاً فى الأبحاث الأولية للدراسة. ولم تتحول صيغة الجمع «نحن» إلى صيغة المفرد «أنا»، إلا عندما انتهت أعمال المشروع وجلست لأفكر وأكتب وحدى.

كما سأظل مدينة بالجميل لوالدىَّ روث وفرانسيس راسل، Ruth & Francis Russell، لقراءتهما المتأنية للمسودات الأولى ولحبهما العميق لى. وأشكر كذلك كل من تود جيتلين، Todd Gitlin، ومايك روجن، Mike Rogin، وليليان روبن، Lilian Rubin، وآن سويدلر، Ann Swidler، لتقديمهم النصيحة المخلصة. وأتقدم بشكرى أيضاً لكل من أورفيل شل، Orville Schell، وتوم إنجيلهارت، Tom Engelhardt، لمدهم يد العون لى فى وقت الشدة. كما أشكر جين تانك، Gene Tank، التى كان لدعمها وعونها لى فى بداية المشوار معنى عظيم. كما أنى لن أنسى فضل نان جراهام، Nan Graham، من دار نشر «ڤايكنج پنجوين»، Viking Penguin، التى كان لإيمانها بى وتوجيهاتها الخاصة بالنشر - بالإضافة لروحها النبيلة - أكبر الأثر فى

نفسى. كما أشكر أيضاً الإنسانة التى أشرفت على خروج هذا الكتاب إلى النور بشكل لائق - ألا وهى بينا كاملانى، Beena Kamlani.

كما أحب أن أشكر طلبة الدراسات العليا الذين حضروا فى ربيع عام 1986 أولى مناقشاتى حول مفهوم «ملكيته» و«ملكيتها» فى عصر التصنيع.

وكذلك أتقدم بالشكر إلى الأزواج والزوجات محل دراستى تلك الذين - بالرغم من مشاغلهم العديدة، أتاحوا لى دخول منازلهم ومعايشة حياتهم من منطلق اقتناعهم وإيمانهم أنهم بذلك يساعدون أزواجاً آخرين على مواجهة مواقف مشابهة، وفهم أنفسهم بصورة أفضل. وقد قمت بالتعديل فى بعض المواقف وتغيير بعض الخصائص المميزة فيهم حتى لا أكشف شخصياتهم الحقيقية. وقد لا يرى البعض نفسه بنفس الشكل الذى رأيته أنا عليه، ولكنى أتعشم أن يجدوا فى صورتى عنهم مرآة صادقة لتلك النواحى المهمة من تجربتهم فى الحياة كرواد أوائل فى سبيل الوصول لأسرة جديدة.

ولا يفوتنى أن أشكر أيى كويى أرماه، Ayi Kwei Armah، لإيمانها بالمشروع وتذليلها لجميع الصعاب بصبر وحب. وكذلك أشكر إيلين أونيل، Elieen O'Neil، لرعايتها الحنونة لولدىّ جبرائيل، Gabriel، وداڤيد، David.

وأخيراً جزيل شكرى لزوجى آدم، Adam، الذى ألهمنى فكرة هذا الكتاب منذ عشر سنوات أثناء تسلقنا أحد الجبال، حين لاحظ أنى تحدثت كثيراً عن «اليوم المزدوج» فى حياة المرأة، فاقترح علىّ الكتابة عن هذا الموضوع. ولذلك فإنى أدين بالكثير لفكرته وتشجيعه اللطيف وحبه الصادق.

كذلك أشكر ابنى داڤيد، David، الذى كان يطرح جانباً أعماله المدرسية واهتماماته السياسية والبيئية ليستغرق فى قراءة الوردية الثانية ويغرقنى فى الضحك،

وأنا أستمتع بتقليده الساخر من بعض الشخصيات السياسية. كما أشكر جبرائيل، Gabriel ، وهو الآن فى الثانية عشرة من عمره الذى كان يقتطع من وقت فراغه الذى كان يتولى فيه نزهة الكلب أو يقوم بكتابة الشعر وذلك لكى يحضر لى قدحاً من الشاى. ولم يقف به الأمر عند هذا الحد، بل إنه كان يتخيل بعض الشخصيات والحالات التى تصلح لدراستى، والتى كانت مصدر إلهام ووحى لى مثل حالات تيد ومارى، Ted & Mary ـ روبن وبيتر، Robin & Peter ـ ديك وروز مارى، Dick & Rosemary ـ سالى وبيل، Sally & Bill ـ آسيا وفرانك، Asia & Frank، (وبعض هذه الحالات قد يجدها القارئ أكثر حيوية وإثارة من الحالات موضوع دراستى). وقد ترك لى فى أحد الأيام رسالة قصيرة على مكتبى تحت قدح الشاى يقول فيها: «مبروك انتهائك من الكتاب يا أمى». وماذا تطلب الأم أكثر من ذلك.

المؤلفة

المقـــــدمة

عندما كنت فى الحادية والثلاثين من عمرى حانت اللحظة التى بلورت اهتمامى بتقديم هذا الكتاب . وكنت أعمل فى ذلك الوقت أستاذًا مساعداً بقسم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا ، ولدَىَ طفلٌ عمره ثلاثة شهور وبالطبع أردت العناية بطفلى بجانب ممارسة عملى فى التدريس . وكان أمامى عديد من التيسيرات المتاحة للمواءمة بين الدورين ، ولكنى آثرت حلاً فريداً من نوعه وهو اصطحاب طفلى إلى موقع عملى . وفى الواقع كان طفلى ضيفاً مثالياً حتى بلغ عمره ثمانية شهور فقد أحضرت معى صندوقاً صغيراً بأغطية لتكون فرشاً لنومه (وهذا ما كان يفعله معظم الوقت) ، وكذلك مقعداً للأطفال يستطيع منه أن يرنو إلى بعض الطلبة وهم يلوحون له بسلاسل المفاتيح والكراسات الملونة والأقراط والنظارات ، وسعد طفلى باصطحاب بعض الطلاب له عبر ردهات الجامعة ، وحديث آخرين إليه ، حتى أن بعضهم كان يتردد على المكتب مرة أخرى ليراه هو .. وليس ليلقانى أنا . حتى مشكلة رضاعته استطعت أن أحلها بحيلة صغيرة هى أننى كنت أضيف إلى قائمة مواعيدى اليومية اسماً من اختراعى كل أربعة ساعات ليتيح لى ذلك فرصة الاختلاء بطفلى وإرضاعه .

ولقد كان وجود طفلى معى بمثابة اختبار لمن يدخلون مكتبى ، فقد بدا على الرجال كبار السن والطالبات وقليل من الشباب أنهم أحبوه ورحبوا بفكرة وجوده معى، فالمكتب المجاور لمكتبى كان يشغله أستاذ متفرغ فى الرابعة والسبعين من عمره ،

وأصبح من عادته إذا سمع بكاء الطفل أن يأتى إلى مكتبى ليعاتبنى بنوع من المزاح « أتضربين الطفل مرة أخرى ؟ » ولكن لم يكن هذا انطباع الجميع فبعض مرتادى المكتب بملابسهم الوقورة وحقائب أوراقهم الرسمية كانوا يتعجبون - أو يستنكرون - عندما تصطدم آذانهم وأنوفهم بأصوات وروائح غير مهنية بالمرة .كما أن عديدات ممن تخرجن لم يستسغن ذلك ، حيث إن اصطحاب الأطفال إلى مقر العمل لم يكن شائعاً فى السبعينيات ، كما إنهن كن إلى حد ما متخوفات من أن أقلل بذلك من قيمة نفسى كأستاذة ، وكذلك من قيمة النساء بوجه عام وهن بوجه خاص . وشعرت أنا أيضاً بهذا التخوف ، فقبل انجابى كان وقتى مكرساً فى كتابة المقالات ليل نهار ومناقشة الطلبة ، بالإضافة إلى قيامى ببعض مسئوليات القسم مما أكسبنى تفهم واحترام جميع زملائى فى القسم ، وهو ماكنت أحتاجه الآن بالفعل - تفهماً لوضعى وتسامحاً أكبر مع وجود طفلى بضحكاته وصرخاته ، وتأثير ذلك السلبى على جو العمل الجاد .

فلم يكن من بين زملائى من يتحدث عن الأطفال ، فأحاديثهم فى العادة تدور حول الأبحاث والتنافس على المناصب ، وكنت فى هذا الوقت أسعى جاهدة للحصول على ترقية - وهو لم يكن بالأمر السهل خاصة وأنى كنت أريد فى نفس الوقت أن أمنح طفلى نفس الحنان والرعاية التى منحتهما أمى لى ، فقد حاولت أن أحقق المعادلة الصعبة وهى التوفيق بين أسرتى وعملى ولكن فى الواقع فإن هذه المحاولة لم تسفر إلا عن مزيد من الصراعات والتناقضات بين مطالب طفلى والتزاماتى نحو عملى .

فقد حدث ذات يوم أن حضر لمقابلتى أحد طلاب الدراسات العليا مبكراً عن موعده ، وكان طفلى قد نام فى ذلك اليوم فترة أطول من المعتاد ولم يشعر بالجوع وقدّم الطالب نفسه إلى بكل الاحترام والتوقير فازددت أنا إزاء ذلك تكلفاً عن المعتاد . ثم بدأ يعرب عن اهتمامه بالموضوعات الاجتماعية ويتطرق إلى إشرافى على رسالته فى الدكتوراه مشيراً إلى أنه كان طالباً متفوقاً محل ثقة ومطيع و .. و .. إلخ.

وفى غمرة حديثه المستفيض بدأ طفلى يصرخ فأعطيته (المصاصة) لتهدئته ثم إلتفت إلى الطالب مصغية ، إلا أن طفلى ألقى بالمصاصة بعيداً وازداد صراخه فحاولت إطعامه دون جدوى ، فقد ازداد صراخه بشكل لم يسبق من قبل .

شعر الطالب بالحرج وأنا أقف حاملة طفل لتهدئة روعه جيئة وذهاباً ، وتبادلت مع الطالب فى أثناء ذلك حديثاً ودياً عن حياة كل منا الأسرية ، بدأت أنا بالقول : «هذه أول مرة أصطحب طفلى معى هنا لقضاء يوماً بأكمله . إنها مجرد تجربة» .. فمضى هو يقول : « أنا لدى طفلان ولكنهما فى السويد مع أمهما فنحن مطلقان . كم افتقدهما .» وهنا تبادلنا نظرة تفاهم وتعاطف متبادل، ومضى الحديث عن أسرتينا حتى هدأ الطفل .

وفى الشهر التالى عندما حضر الطالب فى موعده الثانى دخل المكتب وجلس يحدثنى بشكل رسمى وكأن شيئاً لم يحدث بالمرة : « كما قلنا المرة الماضية يابروفيسور هوكستشايلد ... » ولم يشر من قريب أو بعيد للموقف المؤلم الذى عشته فى المرة السابقة . ولدهشتى البالغة شعرت أن العلاقة بيننا عادت إلى سابق عهدها : علاقة رسمية بين أستاذة وطالبها . فبرغم كل شيء انتصرت قوة وضعى ومركزى على نقطة ضعفى الإنسانية .

ولكن فى أعماقى كان يختلجنى شعور مختلف كل الاختلاف فقد كنت أشعر بالازدواجية بالضبط مثل تلك الشخصية الخيالية التى ظهرت فى رواية «الدكتور دوليتل والقراصنة» Dr. Doolittle & The Pirates – شخصية الحصان ذى الرأسين الذى يقول ويرى أشياء مختلفة . فأحد رؤوسى الآن كانت تشعر بالغبطة لأن أمومتى لم تبخس من قدر أستاذيتى ، ولكن الرأس الأخرى كانت تتعجب : لماذا لا يعتبر الأطفال جزءاً عادياً مقبولاً من حياة المكاتب – فأين أطفال زملائى من الرجال . فبدأت أحسد زملائى الأساتذة من الرجال الذين لايحضرون أطفالهم معهم ، لأنهم يدركون أنهم فى

أيد أمينة ، ويقوى هذا الشعور عندى عندما أراهم يمارسون بعضاً من الرياضة الخفيفة بينما أرى زوجاتهم يقمن باصطحاب الأطفال إلى الحضانة أو أجد زوجاتهم وأطفالهم فى انتظارهم بالسيارة خارج الجامعة ليعودوا سوياً إلى منازلهم ويبدو أنها أسعد لحظة عندهم فى اليوم .

وهذا المشهد يذكرنى بأمسيات اَلْجُمَع فى أيام الصيف التى كانت تمثل لنا سعادة جمة حيث كانت تصطحبنا أمنا إلى مقر عمل أبى حاملة حقيبة النزهات لنخرج سوياً عقب انتهاء عمله فى نزهة مرحة جميلة ، وكان هذا هو الطابع الغالب على عطلة نهاية الأسبوع . وعندما أرى مشهداً مماثلاً أشعر أن شيئاً ما بداخلى ينشطر إلى نصفين فأنا أقوم بالدورين معاً – ولكنى للأسف لا أنجح فى القيام بهما – دور الأب العملى الذى يكرس وقته لعمله ليعود منه آخر اليوم حاملاً حقيبة أوراقه ، ودور الأم التى تنتظر مع الأطفال فى السيارة ومعها سلة الطعام .

فلايزال التخطيط للجامعة على أنها حكرٌ للرجال بينما المكان الأنسب لزوجاتهم هو البيت . وأتأمل الزوجة التى جاءت لتصطحب زوجها فى السيارة وأتأمل نفسى وأنا أحمل صندوق طفلى فأجد أن هناك خيطاً مشتركاً يربط بيننا ، فكل واحدة منا تحاول أن تحل مشكلة الأسرة العاملة بطريقة ما . وفى كل الأحوال تدفع المرأة الثمن ، فربة البيت تدفع الثمن بمكوثها بعيداً عن تيار الحياة الاجتماعية ، والمرأة العاملة تدفع الثمن بضيق الوقت لديها وضآلة ما تمنحه من طاقة عاطفية لأطفالها . أما الرجل التقليدى فلا يعانى شيئاً من هذا القبيل حيث يلقى بمسئولية تربية الأطفال على كاهل زوجته ، وفى ظل هذا الاتفاق المبرم بين المستقبل الوظيفى والأسرة كانت الأخيرة وكالة رفاهية بالنسبة للجامعة يضطلع بالعمل الجماعى فيها النساء اللائى يقمن بالعمل دون أى مقابل ، وكما ألقى على سمعى عديد من الزوجات العاملات مراراً وتكراراً فى هذه الدراسة : « إن ما نحتاج إليه حقيقة هو زوجات » ربما لايعنين هذا المعنى بالضبط بقدر أن ما يرمين إليه أساساً هو رغبتهن فى الحصول على أعمال أعيدت صياغتها

من جديد لتلائم أدوارهن كزوجات وأمهات ، ومثل تلك الصياغة تعوزها ثورة داخل المنزل أولاً تمتد منه إلى أماكن العمل من جامعات وهيئات وبنوك ومصانع .

إن أعداداً متزايدة من النساء دخلن مجال العمل ، ولكن القليلات هن اللائى استطعن أن يتقدمن ويصلن للقمة فيه . وإذا نقبنا عن السبب لن نجده يعود إلى فتور عزائمهم نتيجة « للتمييز الذاتى » أو لأنهن يفتقدن إلى « القدوة والمثل » ، أو لأن القائمين على الهيئات والمؤسسات يتعصبون ضد النساء، ولكن لأن نظم العمل تعوقهن إذ إنها وضعت لتلائم مجتمع الرجال فى المقام الأول . فإن أحد الأسباب القوية وراء ظاهرة أن نصف عدد المشتغلين بالمحاماة والطب وقطاع الأعمال من الرجال هو أن هؤلاء الرجال لا يشاركون زوجاتهم فى رعاية الأطفال والعناية بالمنزل فالرجال يفكرون ويشعرون من داخل أنماط من العمل ، تفترض أنه ليس لهم شأن بتلك الأشياء . والنساء اللائى يشاركن الرجال فى وظائف وأعمال تقليدية ، ويقمن فى نفس الوقت بمسئولياتهن داخل منازلهم، بمقدورهن منافسة الرجال لهذا السبب ، إذ إن فترة أواخر العشرينات من أعمارهن حتى منتصف الثلاثينات - وهى السنوات الأولى فى حياة أطفالهن - هى ذاتها ذروة متطلبات العمل ، فعندما تشعر السيدات أن قواعد لعبة العمل قد وضعت لخدمة الرجال الذين لا تربطهم أية مسئوليات عائلية فإن معظمهن يصبن بالاحباط . ان مشكلة الطبقة الوسطى الآن هى ساعات العمل الطويلة الصارمة ، وهذا ينطبق على كل من النساء والرجال . فالرجال أيضاً يتعرضون لنفس الضغط فى العمل ويكون لذلك نفس التأثير على حياتهم الخاصة ، ففى الحالتين فإن ساعات العمل الشاقة ومايحتاجه ذلك من مجهود لاستعادة التوازن فيما بعد تكون دائماً على حساب الرعاية والحنان اللذين يفتقدهما الأطفال فى المنزل .

لذلك نجد أن نصف المشكلة يكمن فى ظروف العمل ونظامه، والنصف الآخر يكمن فى البيت .. وتتلاحق الأسئلة : هل بمقدور المرأة العاملة الجديدة أن تستوعب تخمة متطلبات عملها وطفلها ؟ وهل سيكون للعمل الأولوية على طفلها ؟ أو هل سيصبح مألوفاً رؤية الأطفال فى المكاتب ومحال عمل الرجال أيضاً ؟ وماذا سيكون شعور كل

من الرجل والمرأة ؟ وإلى أى مدى سيمتد الطموح فى العمل ؟ وإلى أى حد سيعتمد أحد الزوجين على الآخر ؟

وبعد خمس سنوات من مولد دافيد طفلى الأول ، أنجبت الثانى جبرائيل ورغم أن زوجى آدم لم يصطحب أياً من الطفلين لمقر عمله ، إلا أننا تولينا عموماً العناية بهما بقدر متساو ، وكانت رعاية آدم لهما لاتقل عن رعايتى أنا شخصياً . وبالرغم من أن كل الآباء فى دائرة أصدقائنا المقربين كانوا يقومون بنفس الشىء فنحن كنا نتمتع بظروف خاصة . فقد حبانا الله بوظائف الطبقة المتوسطة ولكن بمواعيد عمل مرنة ومجتمع متفاهم متعاون . مثل هذه الظروف جعلت منى إنسانة محظوظة بالفعل . فعندما كانت زميلاتى فى العمل يتساءلن : « لابد أنك كافحتى طويلاً لتحقيق هذا الوضع» كان الرد أننى لم أفعل بل ببساطة كنت محظوظة .

والآن أصبح ابنى دافيد فى السابعة عشرة من عمره .. أطول منى بثلاث بوصات ويستعد للالتحاق بالجامعة . والسؤال الذى يفرض نفسه الآن : هل تتلقى الأمهات العاملات الآن مساعدة أزواجهن أكثر مما كان عليه الحال فى الماضى ؟ وهل تم حل المشكلة ؟ ومن خلال لقاءاتى مع زميلاتى وطالباتى اتضح لى الإجابة بالنفى فالنساء اللاتى يمنحن أزواجهن يد المساعدة بصورة كاملة يعتبرن أنفسهن « إستثناءً» ، على حين أن الأخريات اللاتى يفتقدن أى مشاركة من أزواجهن يعتبرن أنفسهن « القاعدة » كما أن الطالبات غير المتزوجات لم يكن متفائلات بالمرة بشأن عثورهن على أزواج يشاركهن الأعباء المنزلية .

وبدأت أفكر بروية فى موضوع شعور المرأة بأنها محظوظة بعد لقائى بإحدى الموظفات فى بنك من البنوك وهى فى الوقت ذاته أم لطفلين . واستنتجت منها أنها تقوم تقريباً بمعظم أعمال البيت ، واختتمت حديثها معى كما فعلت عديدات بقولها « كم أنا محظوظة » ولكنها لم تبدو لى كذلك فقد كان عليها أن تبدأ يومها فى الخامسة صباحاً لتنتهى من أعمالها المنزلية سريعاً قبل خروجها للعمل وعند عودتها كانت تطلب

من زوجها المساعدة فى بعض الأمور ولكنه لم يكن يقدم الكثير .

ورحت أتساءل هل تُعد تلك المرأة نفسها محظوظة لانها تتلقى من زوجها مساعدة أكبر من « المعدل السائد لأقرانه من الرجال ؟ واكتشفت بالتدريج أن الازواج لم يتحدثوا أبداً عن كونهم « محظوظين » لأن زوجاتهم عاملات أو لأنهن « يؤدين الكثير» أو « يقتسمن » أعمال المنزل . فهم لم يتفوهوا بكلمة الحظ إطلاقاً . لذلك إذا ما شعرت أنا وأخريات ممن يحصلن على كم ضئيل من المساعدة بأننا محظوظات - فربما يكون هناك أساساً شئ ما خطأ فى نظرة الرجل العادية للبيت ، وفى عالم العمل الذى يساعد ويخلق ويدعم تلك النظرة . ولكن إذا كانت مقاسمة العمل بين الزوجين داخل المنزل - كما سأناقش هذا الموضوع - أمراً يتصل بالتناغم الزوجى ، فهل نعلق شيئاً مهماً للغاية كهذا ونوقفه على الحظ ؟ أو أليس من الأجدى كثيراً أن يعيش الرجال والنساء على حد سواء فى ظروف « محظوظة » من العمل ، ويعتنقون أفكاراً عن الرجال والنساء تأتى إليهم بذلك الحظ ؟

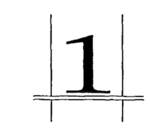
وفى استفتاء طرحته على طالباتى ، وجدت كلهن تقريباً يرغبن مستقبلاً فى الحصول على عمل طوال الوقت بجانب تربية أطفالهن ، ولكن كيف لهن ذلك ؟ وعندما أسأل طالباتى : « هل تناولتن مع أصدقائكن من الشباب موضوع المشاركة فى الأعمال المنزلية ورعاية الطفل ؟ » فالإجابة غالباً ما تكون : « فى الواقع لم نفعل » ولاأعتقد بالطبع أن هؤلاء الشابات المملوءات حيوية وتطلع، لم يفكرن أبداً بشأن هذا الموضوع ولكنى أعتقد أنهن يخشين التحدث فيه مع أصدقائهن فهن ينظرن إليه وكأنه مشكلة شخصية مما يزيد شعورهن بالعزلة . وهن فى هذه السن المبكرة يشعرن بأن مازال لديهن متسع من الوقت ولكن هيهات أن يتوفر لهن ذلك خلال العشر سنوات التالية .

لقد حاولت فى دراستى التى أودعتها هذا الكتاب أن أستكشف خبايا حياة الأسر التى يعمل فيها كل من الأب والأم ، من منطلق الإيمان بأن وضعهم تحت المجهر

من شأنه أن يساعد هؤلاء الشابات فى إيجاد حلول للمستقبل، أكثر رحابة من صندوق نوم الصغير وانتظار الحظ .

الفصل الأول

السرعة المتلاحقة فى الأسرة



الفصل الأول

السرعة المتلاحقة فى الأسرة

عندما تتأمل صورة المرأة العاملة كما تظهر فى المجلات فقد لاتكون نفس المرأة ولكنها تمثل ذات الفكرة . إن لديها مظهر الأم العاملة حين تخطو بخطوات واسعة تحمل حقيبتها فى يد وتمسك بالأخرى طفلها الذى تعلو محياه إمارات السعادة ، منطلقة شكلاً وموضوعاً إلى الأمام . أما شعرها فقد تركته يتهادى على ظهرها إذا ما كان طويلاً ، أو ينسدل على الجانبين إذا ما كان قصيراً . إنها لاتعانى من خجل أو سلبية فى شخصيتها ولكنها واثقة ونشيطة « ومتحررة » وقد ارتدت سترة داكنة حاكها الترزى وقد زينها بانثناءة حريرية أو هُدْب ملون كأن لسان حالها يقول : « أنا حقيقة امرأة تحت تلك السترة » فهى تشق طريقها فى عالم الرجال دون أن تضحى بأنوثتها ، وبشىء من المهارة الخارقة توحى إليك تلك الصورة بأنها نجحت فى أن تسد الفجوة التى أوجدتها الثورة الصناعية على مدى مائة وخمسين عاماً بين الطفل والعمل ، وبين السترة واللمسة الجمالية ، وبين ثقافة المرأة وثقافة الرجل .

وأنا حين أعرض صورة تلك الأم الخارقة على الأمهات العاملات فإن رد فعل عديدات منهن هو الإغراق فى الضحك ، وقد علقت إحداهن وهى أم لطفلين– وهى تلقى برأسها إلى الخلف : « ها ! هذه صورة غير واقعية . فانظرى جيداً إلى شعرى الذى سادته الفوضى ، وأظافرى التى تقصفت ووزنى الذى زاد عشرين رطلاً . إننى أقوم

كل صباح بمساعدة أولادى فى ارتداء ملابسهم وإعداد الطعام وتجهيز قائمة مااحتاجه من مشتروات وإطعام الكلب ، ولكن تلك السيدة التى أراها فى الصورة لابد وأن لديها خادمة » ولكن حتى الامهات العاملات اللاتى يقوم على خدمتهن شغالات لايتخيلن كيفية الجمع بين العمل والأسرة بنفس هذا اليسر . وتعلق سيدة ثانية بقولها : « هل تعلمين ما يصنع الرضيع بحياتك ؟ إنه يكبلك بنظامه ومواعيد تناول وجباته » وتقول ثالثة وهى أم لطفلين « ليتنى من هؤلاء السيدات اللاتى لايعرن للأمر التفاتاً ، وتأخذ الواحدة منهن تصفر وهى ترنو بعدم اكتراث إلى السماء بينما الضوضاء تضج من حولها » ووجدت أن الامهات العاملات يحسدن سهولة الحياة الواضحة التى يستشعرنها فى صورة المرأة المتأنقة ذات الشعر المسترسل ولكن أين هى من حياتهن الواقعية ؟ .

لاحظت أن شعور النساء اللائى قابلتهن من مختلف الوظائف – كمحاميات وموظفات ومصممات أزياء – وكذلك أزواجهن أيضاً مختلف بصدد بعض الموضوعات مثل : مدى صحة اشتغال الأم التى ترعى صغارها طوال الوقت ، أو ما مدى المسئولية التى تقع على عاتق الزوج داخل المنزل . ولكن أقر الجميع بأنه من الصعب على الأسرة أن يعمل طرفاها طول الوقت ويقومان أيضاً بتربية صغارهما .

ولكن كيف يتمكن الزوجان من تحقيق التوازن فى حياتهما بنجاح ؟ وقد اتضح أنه كلما زاد عمل المرأة خارج البيت ، أصبح هذا السؤال فى بؤرة الاهتمام . ومن الملاحظ ازدياد أعداد العاملات بصورة مطردة منذ قبيل بداية هذا القرن ، ولكن منذ عام 1950 أخذ هذا الارتفاع يترنح إذ أن 30٪ من العاملات الأمريكيات كن على قوة العمل سنة 1950 ، ثم أصبحت النسبة 55٪ سنة 1986 ، ولكن فى عام 1950 انخفضت نسبة الأمهات العاملات اللاتى لديهن أبناء بين السادسة والسابعة عشرة من أعمارهم لتصبح 28٪ ثم ارتفعت مرة أخرى إلى 86٪ عام 1986 – وفى عام 1950

بلغت نسبة الزوجات اللائى لديهن أطفال دون السادسة وخرجن لمجال العمل 23٪ وارتفعت النسبة عام 1986 لتصل إلى 54٪ . وإننا لانعرف على وجه التحديد عدد الأمهات اللائى كن يعملن عام 1950 ممن لديهن أطفال تقل أعمارهم عن السنة ، فقد كان هذا أمراً نادراً بحيث أن مكتب العمل لم يقم بأى إحصائيات بشأنه – ولكن اليوم نصف عدد مثل هؤلاء الأمهات لأطفال رضع لديهن وظائفهن ونحو ثلثى الامهات يمثلن فى الوقت الحاضر قوة عاملة ، وفى واقع الأمر فإن عدد العاملات من الأمهات أصبح الآن يفوق عدد غير الأمهات .

ونظراً لحدوث ذلك التغير فى حياة المرأة أصبح مجموع الأسر التى يعمل فيها الزوجان سوياً تمثل نحو 58٪ من مجموع الأسر التى لديها أطفال.[1]

وحيث إن أعداد العاملات اللائى يقمن برعاية صغارهن فى ازدياد مستمر فلنا أن نتوقع زيادة فى الوظائف التى تستغرق جزءاً من اليوم فقط، ولكن فى الواقع فإن نحو 76٪ من الامهات العاملات لديهن وظائف اليوم الكامل – والذى يصل إلى 35 ساعة أو أكثر أسبوعياً وتلك كانت النسبة فى عام 1959 .

وإذا ما قامت أمهات الأطفال الصغار بوظائف اليوم الكامل خارج المنزل ، وإذا لم يستطع معظم الأزواج والزوجات توفير من يقوم بأعمال المنزل ، فإلى أى حد يؤدى ذلك إلى زيادة الأعباء التى يقوم بها الآباء داخل منازلهم ؟

وعندما شرعت فى التنقيب عن إجابة لهذا التساؤل ، وجدت عديداً من الدراسات تركز على عدد الساعات التى يكرسها العاملون من رجال ونساء لأعمال المنزل والعناية بالأبناء . ونعرض هنا لدراسة أجريت عن نموذج عشوائى يتكون من 1,243 أب وأم يعملان فى 44 مدينة أمريكية قام بها عام 1965 – 1966 ألكسندر زالى، Alexander Szalai، وفريق من مساعديه ، وقد تبين أن الأمهات يقمن بثلاث

ساعات من العمل داخل البيت يومياً مقابل 17 دقيقة عمل فقط من قبل الرجال ، وأن النساء يقضين خمسين دقيقة فى اليوم فى العناية بالأطفال مقابل 12 دقيقة من اهتمام أزواجهن بهؤلاء الأطفال . وعلى الوجه الآخر للعملة ثبت أن مشاهدة الآباء للتليفزيون تزيد بواقع ساعة عن زوجاتهم العاملات ، كما أنهم ينامون نصف ساعة زيادة عنهن كل مساء . وقد كشفت المقارنة التى تمت بين هذا النموذج الأمريكى وبين إحدى عشرة دولة صناعية فى شرق وغرب أوروبا عن نفس الاختلاف بين العاملين والعاملات فى تلك الدول أيضاً . وقد أوضحت الدراسة التى تمت عام 1983[2] على أسر الطبقة المتوسطة من البيض فى بوسطن العظمى وجد كل من جراس باروش، Grace Baruch، ور. سى بارنيت، R.C. Barnett، أن الرجال المتزوجين بعاملات كانوا يقضون مع أطفالهم الذين هم فى مرحلة الروضة 3/4 ساعة فقط من كل أسبوع أطول عما يفعله أقرانهم المتزوجون بربات بيوت .[3]

وقد دعمت دراسة زالى البارزة قصة « اليوم المضاعف » للمرأة العاملة ، التى تعتبر الآن شيئاً مألوفاً ولكنها مثيرة للإزعاج . إذ أنها تركتنى متعجبة من ماهية شعور كل من الرجال والنساء حقيقة إزاء هذا كله . فلقد درس هو ومساعدوه كيفية قضاء الناس لوقتهم ولكنهم لم يخبرونا بشعور الأب بشأن الاثنى عشر دقيقة التى يقضيها مع طفله أو شعور الزوجة أيضاً حيال ذلك ، لأن دراسة زالى قد كشفت النقاب عن السطح المرئى لما وجدت أنه يشكل مجموعة من المواضيع العاطفية العميقة ، وهى : بم يجب أن يسهم كل من الرجل والمرأة للأسرة ؟ وما تقدير كل منهم بذلك ؟ وما هى إستجابة كل منهما للتغييرات التى تحدث فى ميزان القوة الزوجية ؟ وكيفية تطوير كل منهما « لأفكاره عن النوع » القابعة فى اللاوعى من أجل الاتفاق على العمل داخل المنزل وعلى الزواج بل وعلى الحياة كلها . تلك هى الموضوعات العميقة التى لم تتناولها الدراسة .

ولكنى آثرت أن أبدأ بموضوع محسوب ألا وهو الوقت ؛ فبجمع الوقت الذى تقضيه المرأة فى وظيفتها مدفوعة الأجر إلى الوقت الذى يستغرقه عمل المنزل والعناية بالأطفال تبين لى من الدراسات التى قمت بها حول هذا الموضوع فى الستينيات والسبعينيات أن النساء كن يعملن نحو 15 ساعة أزيد أسبوعياً من الرجال . وفى العام كن يعملن شهراً إضافيا طوال الأربع والعشرين ساعة فى كل يوم من أيامه ؛ أى إنه بحسبة بسيطة نجد أن نصيب المرأة من العمل على مدى اثنتى عشرة سنة يزيد بمقدار عام كامل من العمل المتواصل 24 ساعة يومياً عن نصيب الرجل . وتبين لى أيضا أن النساء اللاتى ليس لديهن أطفال كن يقضين وقتاً أطول فى العمل بالمنزل عن الرجال . وكما أن هناك « فجوة فى الأجر » فى مجال العمل ، نجد « فجوة فى وقت الفراغ » داخل البيت بين الرجال والنساء ، فمعظم النساء يعملن وردية بمكتب أو بمصنع ، ثم يعملن وردية ثانية داخل المنزل .

وتوضح الدراسات أن الأم العاملة لديها تقدير لذاتها أعلى من ربة البيت كما أنها أقل عرضة للشعور بالاكتئاب . ولكن بالمقارنة لزوجها فهى أكثر إرهاقاً وتعرضاً للمرض .

وفى تحليل قامت به بيجى ثويتس، Peggy Thoits، عام 1985 بعمل مسحين لقطاعين كبيرين اشتمل كل واحد منهما على نحو ألف رجل وامرأة ، وكان السؤال الموجه إليهم عن مدى ما تعرضوا له خلال الأسبوع السابق من أعراض القلق البالغ عددها ثلاثة وعشرين (مثل الدوار والهلوسة) وطبقاً لمعايير الباحثين ، ثبت أن المرأة العاملة أكثر عرضة من غيرها للإصابة بـ (القلق) .

وفى ضوء تلك الدراسات تبدو الصورة الخيالية للمرأة العاملة بشعرها المسترسل وزيها المتأنق كما لو كانت مجرد غطاء يخفى واقعاً كئيباً مثلها فى ذلك مثل صور قائدى الجرارات السوفيت وهم ينظرون إلى المستقبل بابتسام ويفكرون فى

الخطة العشرية بتفاؤل . وبما أن دراسة زالى قد أجريت 1965- 1966 فقد أردت أن أعرف إذا ما كان هذا الفرق فى حجم وقت الفراغ بين الرجل والمرأة مازال موجوداً أو أنه قد تلاشى .

وبما أن معظم الأزواج والزوجات يعملون حالياً ، ومن المنتظر أن يستمر هذا مستقبلاً ، وبما أن معظم الزوجات يعملن هذا الشهر الإضافى كل عام فقد أردت أن أفهم ماذا يعنى هذا الشهر بالنسبة لكل فرد وما تأثيره على الحب والزواج فى زمن ارتفعت فيه نسبة الطلاق .

بحـــثى

بمشاركة كل من إيلين كابلان وآن ماشنج فى بحثى ، قمت بمقابلة خمسين ثنائياً من الأزواج بصورة مكثفة ، كما قمت بالملاحظة فى عديد من المنازل . وقد بدأنا أولاً بمقابلة أصحاب الحرف والطلاب والأساتذة فى بيركلى وكاليفورنيا، وكان هذا خلال ذروة الحركة النسائية فى نهاية السبعينيات حيث كان عديد من المتزوجين يجاهدون بحماس ووعى لتطوير القواعد الراسخة لحياتهم الزوجية ، ومن خلال الاستمتاع بتأدية أعمال تتسم بمرونة جداولها وبالمؤازرة الثقافية المكثفة نجح عديدون منهم فى تحقيق ذلك. ونظراً لأن ظروفهم كانت غير معتادة فقد أصبحوا يمثلون «مجموعة المقارنة» لدينا بينما كنا نبحث عن أزواج أكثر نمطية فى تيار الحياة الأمريكية.

وفى عام 1980 حددنا الأزواج الأكثر نمطية بإرسال استطلاع رأى للحصول على معلومات خاصة بالعمل وحياة الأسرة ، وذلك لكل اسم ترتيبه الثالث عشر، من أعلى إلى أسفل فى جدول مناوبة خدمة الموظفين فى شركة صناعية كبيرة بإحدى المدن. وقد ذيلنا الاستطلاع بسؤال المتزوجين الذين يعملون ولديهم أطفال دون

السادسة ويمتد عملهم طوال الوقت إذا ما كانوا يرغبون فى التحدث إلينا بعمق أكبر. ويعقد مقابلات معهم ومع جيرانهم وأصدقائهم ومدرسى أطفالهم ، والشغالات وجليسات الأطفال فى الفترة من عام 1980 إلى 1988 كونت تلك المقابلات مضمون وفحوى هذا الكتاب.

وعندما طلبنا مقابلة عدد من جليسات الأطفال ، فغالباً ما كان رد هؤلاء السيدات هو: «أتطلبون مقابلتنا؟ حسناً. إذاً نحن نعتبر آدميين أيضاً» أو قد تقول إحداهن: «إننى مسرورة لأنكم تعتبرون ما نقوم به عملاً لأن معظم الناس لا يعتبرونه كذلك». ومن خلال الدراسة اكتشفنا أن عديداً من العاملات فى الحضانات اليومية اللائى تحدثن معنا كن هن أيضاً يعانين من نفس مشكلة الجمع بين الوظيفة ورعاية الأطفال ، ولذلك فقد ناقشنا هذا الأمر معهن أيضاً.

وتحدثنا ايضاً إلى رجال ونساء متزوجين ولكنهم لايعملون سوياً ، وإلى آباء وأمهات انفصلوا بعد مشاحنات مزمنة مرهقة مدعاتها اشتغالهم معاً أثناء الزواج ، كما تقابلنا مع الزيجات النمطية التى يعمل فيها الرجل فقط لنرى إلى أى حد يعتبر الضغط والتوتر الذى نراه فى العائلات التى يعمل طرفاها أمراً مزيداً خاصاً بتلك العائلات فقط .

كما راقبت أيضاً الحياة اليومية فى كثير من المنازل ، من خلال قضاء أمسية مع أفرادها أو قضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم ، أو عن طريق دعوتى لمصاحبتهم فى نزهاتهم أو تناول العشاء أو استضافتى لغرض التحدث فقط . وطالما شاهدت الوالدين المرهقين والصغار الجائعين وهم يخرجون مندفعين من سيارة الأسرة مهرولين إلى منزلهم ، بينما أقف على عتبة الباب فى انتظارهم . لقد تعايشت مع الكثيرين فى مظاهر حياتهم اليومية وحتى وهم يعهدون بأطفالهم إلى من يقوم برعايتهم وغالباً ماكنت أمكث لدى جليسات الأطفال بعد توديع الوالدين لأبنائهم . كما لم أجد حرجاً

فى الجلوس فى منازلهم على أرضية حجرة المعيشة أرسم اللوحات أو ألعب مع الصغار . وكنت أقوم بملاحظة الأطفال خلال أخذ حمامهم وعند إيوائهم إلى فراشهم وإنصاتهم إلى قصص ما قبل النوم ، ثم تبادل تحية المساء مع والديهم والخلود إلى النوم . ومعظم الأزواج حاولوا أن يدخلونى فى جوهم الأسرى وأنا بدورى كنت أستجيب إذا ما تحدثوا إلىَّ أو وجهوا إلىَّ أسئلة من آن إلى آخر ولكنى نادراً ما كنت أبادر بالحوار معهم . وغالباً ما كنت أمكث فى حجرة المعيشة متوارية عن الأنظار ، أدون ملاحظاتى فى هدوء. وأحياناً كنت أتابع الزوجة وهى تصعد للطابق العلوى أو تهبط أو أقوم باصطحاب الطفل لخارج البيت « لمساعدة الأب » فى إصلاح السيارة ، أو أشاهد التليفزيون مع باقى أفراد الأسرة . وأحياناً كنت أهرب من مهمتى الغريبة بالانضمام إلى جو الفكاهات والنكات التى كانت غالباً ما تكون تمثيل « نموذج » لزوجين يعملان . وربما كانت تلك الفكاهة تمثل جانباً ذكياً لمهمتى من حيث تركهم على سجيتهم لكى يبدو التعرف بشكل طبيعى . ولفترة تتراوح بين اثنين وخمس سنوات كنت اتصل بتلك الأسر هاتفياً أو أقوم بزيارتها خلال تحركى لدراسة مظاهر الحياة اليومية لأزواج عاملين أخرين – من السود والشيانو والبيض من مختلف الطبقات والمهن .

ورحت أتساءل عمن يقوم بمهام أكثر فى أعمال المنزل ؟ من يطهو ؟ ومن يكنس بالمكنسة الكهربائية ؟ ومن يرتب الفراش ؟ ومن يحيك الملابس ؟ ومن يعتنى بالنباتات ؟ ومن يرسل بطاقات أعياد الميلاد ؟ كما سألت أيضاً عمن يغسل السيارة ؟ ومن يصلح الأجهزة المنزلية ؟ ومن يدفع الضرائب ؟ ومن يعتنى بفناء المنزل ؟ وقد استفسرت أيضاً عمن يقوم بوضع الخطط للأسرة ؟ ومن يلاحظ أشياء على غرار تقليم أظافر الطفل أو الاهتمام أكثر بأناقة المنزل أو ملاحظة أى تغيير فى مزاج الصغير .

الشهر الإضافى فى العام

لقد بدت السيدات اللاتى قابلتهن أكثر تمزقاً بين متطلبات العمل والأسرة من أزواجهن كما تحدثن بإسهاب وحماس أكبر منهن عن الخلاف المستمر معهن . وغالباً ما ترحب النســاء - بالرغـم من انشغالهن - بفكرة عقد مقابلة أخرى لشعورهن بأن « الوردية الثانية » هى قضيتهن كما وافق معظم الأزواج على ذاك . وعندما اتصلت هاتفياً بأحد الأزواج لعقد مقابلة معه ، شارحة له بأن هدف المقابلة هو معرفة كيفية توفيقــه بين العمـــل وحياة الأسرة ، أجاب بلطف : « أوه، هذا سيستحوذ اهتمام زوجتى » .

وفى الواقع فإن التى أوحت إلىَّ بعنوان الكتـاب « الوردية الثانية » لم تكن إلا امرأة. وبالرغم من أنها قاومت بشدة فكرة أن عمل المنزل يعتبر بمثابة « وردية » أو مناوبة فـأسرتها هى كل حياتها ، وهى ترفض أن تتحول حياتها الأسرية إلى مجرد وظيفة رسمية . ولكنها كما قالت « إنك دائماً تشعرين أنك فى الخدمة » سواء فى مقر عملك أو فى منزلك فبعد ثمانى ساعات تقضيها فى تنظيم طلبات التأمين ، تعود للمنزل لتطهـو الطعـــام ولتعتنـــى بالصغار وليغسل الملابس ، ورغماً عنها تبدو حياتها المنزلية كـ « وردية ثانية » كانت هذه هى القصة الحقيقية وكانت هذه هى المشكلة الحقيقية .

وقد تبين لى أن الرجال الذين كانوا يقتسمون العبء داخل المنزل مع زوجاتهم كانوا يعانون من ضيق الوقت أيضاً مثل زوجاتهم ، كما كانوا ممزقين بين متطلبات العمل ومتطلبات الصغار، وهذا ما سنراه فى قصة مايكل شيرمان وقصة أرت وينفيلد. ولكن أغلبية الرجال رفضوا المشاركة فى أعباء المنزل، والبعض أعربوا عن هذا الرفض صراحة بينما البعض الآخر رفض بأسلوب غير مباشر محاولين إبداء العون المعنوى - أكثر من المادى - لزوجاتهم فى مواجهة الصراع الذى يتفق الطرفان على أنه مشكلة خاصة بالزوجة فقط . وفى البداية بدا لى أن مشكلة المناوبة الثانية تخص

المرأة وحدها ، ولكنى أدركت بعد ذلك أن هؤلاء الأزواج الذين يتطوعون بمساعدة ضئيلة داخل المنزل غالباً ما يتأثرون بصورة عميقة وغير مباشرة تماماً مثل زوجاتهم بالحاجة إلى إنجاز هذا العمل ، وذلك من خلال مشاعر الاستياء التى تظهرها لهم زوجاتهم ومن خلال رغبتهم فى مواجهة هذا التذمر بهدوء. وقد شرح إيفان هولت، وهو بائع فى مستودع لتخزين الأثاث - فى الفصل الرابع - كيف أنه ينجز أعمالاً ضئيلة فى المنزل ويلعب مع ابنه چوى ذى الأربع سنوات كلما سنحت له الفرصة. وقد عانت زوجته كثيراً فى بادىء الأمر للموازنة بين متطلبات العمل واحتياجات الأسرة، وانعكس ذلك على إيفان نفسه فقد عانى كثيراً من الأعراض الجانبية لتلك المشكلة ، إذ إن زوجته كانت تبدو مستاءة للغاية خلال إنجازها لأعمال الوردية الثانية ، وقد ظهر احباطها وحنقها فى صورة فقدان اهتمامها بالناحية الجنسية واستغراقها التام فى الاهتمام بابنهما چوى . وبطريقة أو بأخرى لاحظت أن معظم الرجال الذين تحدثت إليهم كانوا يعانون من الصدى العنيف لما اعتقده مرحلة تقليدية فى حياة الأسرة الأمريكية ، وهناك سبب يجعل النساء أعمق اهتماماً بالمشاكل الخاصة بالتوفيق بين العمل والأسرة ألا وهو شعورهن بأنهن أكثر مسئولية تجاه البيت والأبناء ، حتى لو أن الأزواج يبدون استعداداً للمشاركة ؛ لذا فلاعجب من أن نرى الأمهات أكثر انزعاجاً من الآباء بخصوص ذيل بدلة أحد أطفالهن أو شراء هدية يقدمها الابن لصديق له بالمدرسة . فالنساء أكثر تفكيراً فى الأبناء أثناء مكوثهن فى العمل ويقمن بالاطمئنان على أطفالهن من جليسة الأطفال عبر الهاتف . لأجل هذا فالنساء أكثر عرضة للشعور بالتمزق بين شىء وآخر ، بين رغبتهم فى تهدئة روع أطفالهن خلال تركهن لهم فى الحضانة، وفى الوقت ذاته بين الرغبة فى إظهار « جديتهن » فى العمل لرؤسائهن . والنساء أكثر تساؤلاً من الرجال عن مدى صلاحيتهن كأمهات ، وإن شعرن بعدم الرضا عن أنفسهن فإنهن يتعجبن عن عدم استفسارهن عن ذلك من قبل . وقد تبين أن النساء أكثر تردداً من الرجال فى العيش فى طموحاتهن ، أو العزوف عنها .

ونظراً لأن أعداداً كبيرة من النساء دخلن المجال الاقتصادى ، فقد تأثرت حياة الأسرة بالسرعة المتزايدة المترتبة على ذلك ، فلم يعد هناك متسع من الوقت كما كان عليه الحال فى الماضى ، عندما كانت المرأة قابعة فى المنزل . كما أصبح العمل مضاعفاً وأصبحت النساء تلهث من أجل استيعاب الإيقاع السريع للحياة . وقد تبين لى فى دراستى أن 20٪ من الرجال اقتسموا بالتساوى أعمال المنزل مع زوجاتهم ، وأن 70٪ أنجزوا كَماً لايستهان به (أقل من النصف ولكن أكثر من الثلث) وأن 10٪ قاموا بأقل من الثلث ، كما اتضح لى أيضاً أنه حتى فى حالة اقتسام الزوجين أعمال المنزل مناصفة .. فإن النساء يقمن بثلثى الأعمال اليومية من طهى وتنظيف وخلافه من الأعمال التى تصبهن فى قالب الروتين الصلب . وفى الوقت الذى تقوم فيه معظم السيدات بإعداد الطعام ، يقوم الرجال بتغيير زيت السيارة. ولكن كما أشارت لى إحدى الزوجات فإن طعام العشاء لابد وأن يُعد يومياً ليقدم لأفراد الأسرة فى وقت محدد ، ولكن زيت السيارة لايحتاج للتغيير أكثر من مرة كل ستة شهور وليس له وقت محدد .

كذلك تولى المرأة رعاية أكبر لأطفالها على حين أن الرجل يهتم بإصلاح الأجهزة المنزلية ، ولكن مع الفارق فالطفل يحتاج لعناية يومية بينما إصلاح الأجهزة المنزلية يمكن تأجيله إلى أن « يتيسر وقت » ، ومن هنا يتضح أن الرجال أكثر تحكماً فى التوقيت الذى يرغبونه فى إنجاز المطلوب منهم ، وهو ما لا يتوفر للمرأة ، فالزوج هنا، مثله مثل المدير الذى فى حالة انشغاله باستطاعته أن يطلب من سكرتيرته ألا تحول له أى مكالمات تليفونية، بينما الزوجة مثلها مثل السكرتيرة عليها أن تتلقى المكالمات فى أى وقت .

وهناك سبب آخر نعزو إليه شعور المرأة بالإرهاق أكثر من الرجل ، وهو قيامها غالباً بعملين فى آن واحد، مثل كتابة بعض الشيكات والرد على المكالمات الهاتفية ،

والكنس بالمكنسة الكهربائية ، ومراقبة طفلها ذى الثلاث سنوات ، وطى الملابس ، والتفكير فى قائمة المشتروات . على حين أن الرجل غالباً ما يقوم بعمل واحد كطهى طعام العشاء مثلاً أو اصطحاب طفله إلى الحديقة العامة . فالحقيقة أن المرأة تتقاذفها تيارات ثلاثة : الوظيفة ، والطفل، وعمل المنزل على حين أن الرجل يتقاذفه اثنان : الوظيفة والطفل ، وهكذا فإن نوعين من النشاط قد يقتحمان وقت المرأة مع طفلها ، وليس واحداً فقط .

وبصرف النظر عن أن الزوجة تقوم بنصيب أكبر من العمل بالمنزل ، فبالمقارنة بالرجل نجد أنها تكرس نسبة أكبر من وقتها بالمنزل للأعمال المنزلية ، ونسبة أقل فى رعاية الطفل ، بينما تمثل رعاية الطفل جزءاً أكبر من الوقت الذى يقضيه الزوج فى العمل داخل المنزل، أى إن الزوجة العاملة تقضى وقتاً أكثر نسبياً فى «رعاية المنزل»، بينما الزوج يقضى وقتاً أكثر فى « رعاية الطفل ». وبما أن معظم الآباء والأمهات يفضلون بالتأكيد القيام برعاية أطفالهم عن القيام بتنظيف المنزل .. فإن العمل الذى يؤديه الرجل عادة – وهو رعاية الطفل – هو العمل الذى يحب القيام به ، بينما على الزوجة أن تقوم بغير ذلك من الاعمال التى قد تكون كريهة لنفسها ولكنها مضطرة للقيام بها . حتى عندما يشتركان فى رعاية الطفل فإن الزوج دائما ما يضطلع بالمهام المحببة إلى نفسه مثل اصطحاب الطفل إلى الحدائق أو السينما ، بينما الزوجة تضطر للقيام بالأعمال الحيوية مثل إطعام الطفل واستحمامه ورعايته (وهى وإن كانت أموراً ممتعة للأم فهى بالطبع تقل كثيراً فى متعتها عن الذهاب إلى حديقة الحيوان مثلاً) . فالرجال عادة يقبلون على أداء الأعمال التى يحبونها ، ويعزفون عن الأعمال البغيضة مثل تنظيف المرحاض أو دعك أرضية الحمام بالفرشاة .

ونتيجة لذلك فإن المرأة تميل للتحدث بتركيز أكبر عن شعورها بالإرهاق الشديد والمرض وبأنها مستنزفة « عاطفياً » . ولم أستطع أن أمنع نفسى فى الحديث مع عديد

من النساء عن موضوع النوم وعدد ساعاته، وقد أسِفَتْ بعضهن لاحتياجهن لساعات نوم أطول كقول واحدة منهن « إنى آسفة لاحتياجى إلى ثمانى ساعات من النوم » - كما لو أن ثمانى ساعات تعتبر كثيرة جداً عليها ، لقد تحدثت إليهن عن التأثير الذى يحدث فى نظام نوم الطفل كنتيجة لتغيير جليسة الأطفال التى اعتاد عليها ، أو ميلاد طفل جديد فى الأسرة أو قيام الأم برحلة عمل ، كماتحدثن عن طريقة لتجنب الاستيقاظ الكامل طوال الليل نتيجة لاستدعاء اطفالهن لهن وكيف يخلدن للنوم مرة ثانية ، لقد تحدثت هؤلاء النساء عن النوم كالشخص الجائع الذى يتحدث عن الطعام

وعلى وجه العموم إذا تبين فى هذه الحقبة من تاريخ المجتمع الأمريكى أن الزوجين يعانيان من تزايد إيقاع السرعة فى العمل وفى الحياة الأسرية فإن الأمهات العاملات هن فى مقدمة الضحايا. ومن القسوة أن نجد المرأة غالباً هى المسئولة على أن تكون « خبيرة الوقت والحركة » داخل الأسرة بمعنى أننى لاحظت من خلال مشاهداتى داخل المنزل أنه غالباً ما تكون المرأة هى التى تحث أولادها على إنجاز شىء ما كقولها : « بسرعة ! حان وقت الخروج ! » أو « انتهوا الآن من تناول وجبة الإفطار » أو « يمكن أن تفعلوا هذا فيما بعد » أو « هيا نخرج ». وعندما يتقلص الوقت المتاح لدخول الحمام فى المساء فإنه غالباً ما تكون الأم التى تبادر أولادها بقولها « هيا بنا لنرى من الأسرع فى أخذ حمامه ! » وغالباً ما يندفع الطفل الأصغر مهرولاً ليكون أول من يأوى إلى فراشه بينما يعلق الابن الأكبر معترضاً وأحيانا مستاءً : «ماما دائما ماتتعجلنا». ومن المحزن للغاية أن نجد المرأة غالباً ما تكون وقود المشاحنات التى تسببها السرعة فى العمل وفى حياة الأسرة . إنهن بمثابة « أوغاد » فى عملية يكن فيها هن أول الضحايا . فمعاناة المرأة تتجاوز ساعات العمل الأطول والسهر المستمر والشعور بالتمزق ، وهذا هو أفدح ثمن تدفعه النساء لعملهن هذا الشهر الإضافى فى السنة .

الفصل الثانى

الزواج فى ظل الثورة المؤجلة

2

الفصل الثانى

الزواج فى ظل الثورة المؤجلة

إن كل زواج يحمل فى طياته البصمات البارزة للاتجاهات الاقتصادية والثقافية السائدة التى يتسع مداها خارج نطاق الزواج . إن ارتفاع نسبة التضخم المالى الذى ينخر فى دخل الرجل ، وانفتاح المرأة على العمل فى قطاع الخدمات تحدوها الطموحات الثقافية لتصبح على شاكلة المرأة ذات الشعر المتطاير .. كل هذه التغيرات لاتحوم حول الزواج ولا تنأى عنه بقدر حدوثها بداخله وتغييرها له . إن المشاكل التى تحدث بين الأزواج وزوجاتهم – تلك المشاكل التى تبدو وكأنها مشاكل خاصة وفردية – هى فى أغلب الأحيان لاتعدو كونها ردود فعل على المستوى الفردى للموجات الثقافية والاقتصادية العنيفة التى تحدث فى المجتمع الخارجى ككل .

إن الخلافات التى تثار بين الأزواج كما سنراها فى هذا الكتاب بين إيڤان هولت، Evan Holt، ونانسى، Nancy، وبين سيث ستاين، Seth Stein، وچيسكا، Jessica، وبين راى چادسون، Ray Judson، وآنيتا، Anita، تنجم أساساً من الاحتكاك بين النساء ذواتى الإيقاع السريع فى التغير والرجال ذوى الإيقاع البطئ. ويمكن أيضاً أن نعزو تلك الخلافات إلى معدلات التغير التى تمخضت عن الثورة الصناعية وتأثيرها على حياة الرجل والمرأة على حد سواء.

كذلك أوجد التطور الاقتصادى فى الولايات المتحدة الأمريكية نوعاً من الاستغلال لكل من الرجل والمرأة ، وأصبح هناك حد فاصل بين ما يمتلكه الرجل، وماتمتلكه المرأة . إن العمل الصناعى فى نهاية القرن التاسع عشر قد جذب الرجل أساساً من العمل الزراعى ليدفع به فى تيار العمل الصناعى المربح ؛ مما أثر على نمط حياته وشخصيته.

وعند تلك النقطة يذكر لنا التاريخ كيف أن الرجال أصبحوا أكثر تغيراً عن آبائهم ، على حين لم تتغير شخصية النساء كثيراً عن أمهاتهن. أما اليوم فالسهم يشير إلى أن النساء هن اللاتى ينجذبن لدائرة العمل المربح ويتعرضن للتغيرات فى نمط حياتهن وشخصياتهن، وقد ابتعدن عما كانت عليه أمهاتهن وجداتهن. على حين نجد الرجال أقل منهم فى ذلك*. ولكن الاتجاه الذى أتحدث بصدده - زيادة عدد النساء العاملات فى عام 1900 من 20٪ إلى 55٪ فى عام 1986 - أثر على عدد كبير من النساء.

إن التحاق الرجال المبكر بالمجال الصناعى والالتحاق المتأخر للنساء به أثر على العلاقة بين الرجل والمرأة ، خصوصاً داخل إطار الزواج. وكما أن التزايد السابق فى أعداد الرجال المشتغلين بالعمل الصناعى قد زاد من قوة الرجل، فكذلك النمو الحالى فى أعداد النساء العاملات قد زاد نوعاً ما من قوة المرأة. وإجمالاً تبين أن دخول الرجل مجال العمل الصناعى لم يهز استقرار الأسرة ، بينما واكب ارتفاع عمالة المرأة ارتفاع نسبة الطلاق حتى فى غياب متغيرات أخرى. وإن لدىّ كثيراً مما يقال عن «ملكيته» و«ملكيتها» فى الفصل السادس عشر من هذا الكتاب. أما هنا فسأركز على قصة الاقتصاد الحالى وعلاقته بالزواج ، فوراء صورة المرأة العاملة الحديثة ذات

---

* وهذا يبدو بشكل أكثر وضوحاً بالنسبة للنساء البيض ، واللاتى ينتمين للطبقة المتوسطة فى المجتمع عنه فى حالة النساء اللواتى ينتمين للطبقة الفقيرة حيث كانت أمهاتهن تقمن أيضاً بالعمل خارج المنزل.

الشعر المتطاير والملابس المتأنقة، تغيير حقيقى فى المرأة ذاتها وإن لم تواكبه تغييرات فى أى شئ آخر فى المجتمع.

إن الخروج الجماعى للمرأة إلى مجال العمل والكسب لم يصاحبه فهم حضارى لمعنى الزواج والعمل ، بحيث يكون كفيلاً بجعل هذا التحول يتم بهدوء. لقد تغيرت قوى العمل وتغيرت المرأة، ولكن ظلت ظروف العمل تفتقر إلى المرونة اللازمة لمواجهة المتطلبات الأسرية للعاملين ، وظل الرجل فى البيت غير قادر على التأقلم مع التغييرات التى طرأت على زوجته ، ولذلك فإن ما دعانى إلى الحديث عما أسميته «بالثورة المؤجلة» هو انقطاع الصلة بين التغيير الذى طرأ على المرأة والتغيير المواكب فيما حولها من استياء .

إن المجتمع الذى لايعانى من ذلك التعثر إنما هو مجتمع قد تكيف إنسانياً مع واقع خروج معظم النساء للعمل ليسمح للآباء بالعمل بعض الوقت ، والمشاركة فى عمل المنزل ، والعمل لساعات تتسم بالمرونة والحصول على إجازة للرضع أو لرعاية طفل مريض . وقد قدمت ديلورس هايدن، Delores Hayden، فى كتابها «إعادة تصميم الحلم الأمريكى» ، Redesigning the American Dream، تصوراً لحياة أفضل للأسرة يشارك فيها الرجل بفاعلية فى المنزل ، وتتوفر للأسرة الخدمات المختلفة والمسكن المناسب القريب من موقع العمل. وعلى النقيض نرى الثورة المؤجلة تفتقد إلى الاستعدادات الاجتماعية التى من شأنها تيسير الحياة للزوجين العاملين ، كما تفتقد إلى الرجال الذين يقتسمون مع زوجاتهم فترة العمل الثانية داخل المنزل .

وإذا ما قلت كمية الأعمال التى تنجزها المرأة داخل البيت لضيق وقتها ، وإذا لم تزد مساهمة الرجل بشكل كافٍ لتعويض ذلك ، وإذا ما كانت تربية الأبناء والعناية بالمنزل مازالت تحتاج من الأبوين لنفس المجهود القديم، فإن أسئلة على شاكلة : « من يفعل ذلك ؟ ومالذى يتطلبه هذا الشيء لإنجازه ؟ » تصبح أسئلة حيوية، وما من شك

فى أن أسئلة كتلك ممكن أن تكون سبباً لحدوث توترات عميقة فى الحياة الزوجية .. تلك التوترات التى سأزيح عنها النقاب هنا الواحدة تلو الأخرى .

إن التوترات التى أوجدتها هذه الثورة الاجتماعية أودت بعديدين من الرجال والنساء إلى الابتعاد عن تكوين أسرة يعمل فيها كلا الزوجين . فالبعض قد تزوج ولكنه تشبث بالتقليد القائل بأن الرجل هو ممول الأسرة على حين أن المرأة هى ربة البيت . والبعض الآخر قاوم الزواج نفسه . وفى كتابها «قلوب الرجال» The Hearts of Men، تصف باربارا إيرينريتش، Barbara Ehrenreich، « ثورة الرجل » ضد الأعباء المالية والعاطفية التى تواجهه فى قيامه بدعم أسرته . على حين نجد شير هايت، Shere Hite، فى كتابها «النساء والحب» Women and Love، تصف ثورة المرأة ضد العلاقات الشائكة والمجحفة مع الرجال . ولكن نماذج الزيجات التى تعرضت لها هى لأناس لا يمثلون الاتجاه التقليدى ، ولم يحجموا عن الزواج نفسه وإنما كافحوا وثابروا لتحقيق التوافق بين متطلبات حياتهم كأزواج وزوجات يعملون معاً، وبين حياة أسرية سعيدة . وبتعرضى لقصة التطور الاقتصادى والثورة المؤجلة حالياً أردت أن أعرف مدى التقدم الذى أحرزته الأسرة التى يعمل فيه كلا الزوجين .

وأثناء جولاتى المتعددة بين الناس فى بيركلى والضواحى المتطرفة الصغيرة ، والمدن الداخلية المطلة على خليج سان فرانسيسكو لملاحظة حياة الأزواج العاملين داخل منازلهم وتوجية الأسئلة لهم ، كنت أعود إلى السؤال الأول : « من يفعل ماذا ؟ » مما يزيح الطريق لسيل من الأسئلة العميقة لكى تتوالى : ماذا يدفع بعض الأمهات العاملات للقيام بكل العمل بمفردهن داخل المنزل ؟ – متتبعة ما أسميته بسياسة « الأم الخارقة » – وما الذى يدفع بالأخريات للضغط على أزواجهن لاقتسام المسئولية والعمل بالمنزل ؟ ومالدافع وراء إقبال بعض الأزواج على مشاركة زوجاتهم بينما يضطر البعض الآخر إلى أن يقوم بتلك المشاركة ، على حين أن آخرين يقاومونها بشدة ؟

كذلك كان من بين الأسئلة التى أثيرت : كيف أن فكرة كل رجل عن معنى الرجولة تدفعه إلى أن يفكر فى « ماذا يجب أن يشعر به » بخصوص ما يؤديه من عمل داخل المنزل وخارجه ؟ وما هو شعوره الحقيقى بالفعل ؟ وهل هناك صراع بين ما يشعر به بالفعل وما يجب أن يشعر به ؟ وما كيفية حل هذا الصراع ؟ وتنطبق نفس الأسئلة على الزوجات . كذلك كان من بين الأسئلة : ما تأثير « السياسة » المترتبة على توجيهه لأفعاله ومشاعره – إزاء فترة المناوبة الثانية – على عنايته أو عنايتها بالأطفال والوظيفة والزواج ؟ ومن خلال هذا الخط من التساؤلات قادنى تفكيرى إلى نسيج معقد من الربط بين احتياجات الأسرة والمطالبة بمبدأ المساواة، ومفهوم السعادة فى الزواج الحديث ، وكل هذا يشكل الموضوع الرئيسى لهذا الكتاب .

ونحن إذا ما وصفنا زوجين يعملان إما بالثراء أو بالفقر فإن هذا يخبرنا بكثير عن زواجهما ، وإذا ما استطردنا فى الإشارة إلى عقيدتيهما الدينية ولدينهما وجنسيهما فإن هذا سيخبرنا بما هو أكثر . وإذا ما استفاضت معرفتنا بالمستوى الاجتماعى للزوجين وشخصيتهما فإن هذا سيقودنا إلى فهم أعمق عمن يعمل أو لايعمل خلال الوردية الثانية ، وإذا ما كانت المشاركة فى العمل داخل المنزل بالأمر الذى يجعل الزواج أكثر سعادة أم لا .

وعندما عكفت على عقد مقارنة بين نموذج لزوجين يقتسمان عمل المنزل ، وثلاثة نماذج آخرين من الأزواج الذين يفتقدون إلى ذلك ، اتضح لى أنه بالرغم من أن بعض الإجابات قد تبدو واضحة – مثل وجود دخل كبير للزوج أو مكوثه ساعات عمل أكثر خارج المنزل ، أو أن أمه كانت ربة منزل أو أن والده كان لايشارك كثيراً فى عمل المنزل – إلا أن كل هذه العوامل لم تفسر صراحة سبب قيام بعض النساء بالعمل هذا الشهر الإضافى فى السنة على حين لاتفعل أخريات . كما أن تلك العوامل لم تفسر سبب تقبل بعض النساء العمل هذا الشهر وسبب تعاسة أخريات به . وعندما عقدت

مقارنة بين زوجين سعيدين ينعمان بالمشاركة فى المنزل معاً وبين زوجين تعيسين بالرغم من قيامهما بالمشاركة أيضاً معاً ، اتضح أن الإجابات التى تمس النواحى الاقتصادية والنفسية البحتة ليست بشافية . وبالتدريج شعرت بالحاجة لاكتشاف مدى عمق فكرة كل منهما عن النوع فقد أردت تعرف الأساليب التى يلجأ إليها بعض الرجال والنساء للظهور بمظهر المؤمن « بالمساواتية » من « على السطح » على حين أنه يخفى فى الأعماق « النمط التقليدى »، كما أردت أن أتعرف بدقة الفرق بين المذاهب السطحية (وهى التى تتعارض مع المشاعر العميقة والمذاهب العميقة التى تفرضها تلك المشاعر) . وقد اكتشفت أن كل فرد يوائم بين ما يؤمن به من أفكار وبين تصرفاته وتصرفات شريك حياته وبين حقائق الحياة الأخرى . لقد احتجت إلى دراسة ماأسميته على وجه العموم بـ« مفهوم النوع »

القمة والسفح لمفهوم النوع

إن استراتيجية النوع عبارة عن خطة للعمل يحاول الفرد من خلالها حل مشاكله ، فى ضوء الأفكار الحضارية الشائعة عن النوع . وفى اتباعه لاستراتيجية النوع فإن الرجل يعتمد على المعتقدات الخاصة بالرجولة والأنوثة التى درج عليها فى طفولته المبكرة واستقرت فى عمق مشاعره، فهو يربط بين نظرته لرجولته وما توجبه من مشاعر وأفعال تتفق وتلك النظرة ، ونفس الشىء يحدث للمرأة ومفهومها عن الأنوثة. فأما بالنسبة للمرأة فإن نظرتها للنوع تحدد لها أى المجالات ترغب فى الانتماء له أكثر: المنزل أم العمل كما تحدد لها درجة السلطة التى تريد أن تتوفر لها فى زواجها (هل تود أن تكون قوتها أقل من قوة الرجل أم مساوية له أم أكثر منه).

وقد قسمت شخصية المرأة إلى ثلاثة أنماط وفقاً لمفهومها عن الأدوار الزوجية : تقليدية وانتقالية ومساواتية (مؤمنة بمبدأ المساواة بين البشر) ؛ فالشخصية التقليدية « الخالصة » برغم من تقلدها لوظيفة، إلا إنها تريد أن تتكيف مع أنشطتها المختلفة

داخل المنزل كزوجة وأم، كما تريد لزوجها أن تبرز شخصيته بقوة فى عمله ، بينما تتطلع هى إلى سلطة أقل . والرجل التقليدى يريد نفس الشىء ، أما المرأة المساواتية التى تطمع إلى المساواة الخالصة ، فهى تريد أن تتواءم مع نفس المجالات التى يخوضها زوجها، وأن تكون لها سلطة مساوية له فى الزواج ، وبعض الزوجات اللائى ينتمين لهذا النمط المساواتي يتمنين لو أن الزوجين قد وجها معظم جهودهما للمنزل ، بينما يرغب البعض الآخر فى أن توجه هذه الجهود أكثر للعمل . أما البعض الثالث فيأمل أن يتمكن الزوجان من تحقيق نوعاً من التوازن بين المجالين . وبين الشخصية التقليدية والشخصية المتحررة تقف الشخصية الانتقالية (وهى خليط من الاثنتين السابقتين) ؛ فعلى النقيض من الشخصية التقليدية ترمى الشخصية الانتقالية إلى التوفيق بين دورها فى العمل ودورها فى المنزل . وعلى العكس الشخصية المساواتية تريد الشخصية الانتقالية أن يثبت زوجها شخصيته فى عمله أكثر منها . وهى بذلك تريد الجمع بين عدة أهداف وهى : التوفيق بين العناية بالبيت ومساعدة زوجها فى كسب رزقه كما تريد من زوجها التأكيد على هذا الهدف . أما الرجل التقليدى فيكون متحمساً قلباً وقالباً لعمل زوجته ، ولكن يتوقع أن تكون مسئولية العمل الرئيسية داخل المنزل منوطة للزوجة وحدها . إن معظم من تحدثت إليهم من رجال ونساء يمثلون النمط « الانتقالى » ، وهذا ما تعرفه من خلال أفكارهم .

وفى واقع الأمر وجدت تناقضات واضحة بين مفهوم هؤلاء الناس عن أدوارهم فى الحياة الزوجية وشعورهم الحقيقى تجاه تلك الأدوار ، فقد يبدو شخص ما على أنه يؤمن بالمساواة ، بينما هو فى أعماقه تقليدى والعكس صحيح[1] . وتفسير ذلك هو أنه غالبا ما يكون مفهوم النوع لدى الشخص مصبوغاً بمشاعره التى ترسخت بعمق فى نفسه كرد فعل لما سمعه فى طفولته من قصص العظات والعبر ، أو كرد فعل لموقفه أو موقفها الحالى .

وأحياناً ما تدعم تلك المشاعر مفهوم النوع ظاهرياً لدى الشخص . ولنضرب بذلك مثالاً : مشاعر الخوف التى اعترت نانسى هولت من أن تصبح مثل أمها خائفة ذليلة تقبل المهانة « كممسحة الباب »، غرست فى أعماقها الاعتقاد بأنها إن كانت تريد تجنب ذلك المصير فعليها أن تدفع زوجها إيفان لمشاركتها فى المناوبة الثانية .

ومن ناحية أخرى فإن شعور « آن مايرسون »، Ann Myerson's، بالانفصال عن حياتها الوظيفية الناجحة أضعف ولاءها لكل من وظيفتها ومن عملها فى الوردية الثانية بالمنزل . فقد كانت آن فى ظاهرها « مساواتية » : فقد كانت ترغب فى أن تشعر بنفس درجة الارتباط بالعمل التى يشعر بها زوجها . وكانت تعتقد أنها « يجب » أن تحب عملها و« يجب » أن تشعر بأهميته . ولكن فى واقع الأمر - كما اعترفت لى بتردد - فهى لم تكن تحب هذا العمل أو تؤمن بأهميته . ولذلك فقد كانت تعانى من الصراع بين ما تعتقد أنه يجب عليها أن تؤمن به (فى ضوء مبادئها المعلنة فى المساواة)، وهو الولاء الكامل للعمل، وبين ما تشعر به بالفعل وهو عدم الولاء له . وهكذا فإن استراتيجية النوع عند «آن» كانت تهدف أساساً لحل هذا الصراع .

يبدو أن النساء والرجال الذين أتناولهم فى هذا الكتاب قد طوروا أفكارهم عن مفهوم النوع فى اللاشعور لديهم بدمج توليفة من الافكار الثقافية المعينة مع مشاعرهم الخاصة بالماضى ، مع أخذ عامل الفرصة فى الاعتبار ؛ فأحياناً ما كانوا فى أثناء فترة مراهقتهم يعقدون المقارنات بين إمكانياتهم وظروفهم الشخصية والفرص المتاحة لغيرهم من الرجال والنساء ، ويحاولون الوصول إلى أفضل نظرية للنوع فى ضوء ظروفهم الخاصة . وغالباً ما كانوا يعتنقون مفهوماً معيناً للرجولة أو الانوثة يتمشى مع هذه الظروف، فعلى سبيل المثال فإن امرأة ما تقوم بقياس كل إمكانياتها، وتعليمها ، وذكائها وسنها وجاذبيتها وطموحاتها ، وتحاول المواءمة بين هذه الامكانيات وبين ماتراه يتحقق حولها لمثيلاتها من النساء فى سوق العمل أو سوق الزواج . فهى هنا

تسأل نفسها : « ما الوظائف التى يمكنها أن تحصل عليها ؟ وما نوع الزوج ؟ وما هى فرصها فى تحقيق زواج متكافىء أو زواج تقليدى أو زواج سعيد أو أى نوع من الزواج ؟ » فدون وعى منها تقوم هذه المرأة بتقييم فرصها فى العمل والزواج - آخذة فى الاعتبار عوامل مثل فرصها المحدودة فى الحصول على وظيفة مجزية ومسلية فى نفس الوقت ، أو فى الزواج من رجل غير تقليدى .. إلخ. وعلى ضوء ذلك فإنها تبدأ فى اعتناق نظرية معينة فى النوع - لنقل النظرية التقليدية ، فهى هنا تعتنق النظرية التى تتفق مع رؤيتها لفرصها فى الحياة ، وتؤمن بفكرة معينة عن الأنوثة مثل فكرة «زهرة البنفسج الذابلة» مثلاً فتحاول أن تتواءم مع عادات تلك الفكرة (مثل ضرورة أن يقوم الرجل بفتح الباب للمرأة) أو مع رموزها (مثل الملابس الناعمة والشعر الطويل واللمسات الرقيقة والعيون المطرقة فى حياء) وتحاول أن تحقق الصورة المثالية لتلك الفكرة (محترمة وخاضعة) ليس لأن ذلك ماتعلمته من أبويها ، أو لأن ذلك يتفق مع طبيعتها ، ولكن ببساطة لأن هذه العادات هى التى تناسب مواهبها وإمكانياتها ووضعها العام فى ظل هذه الثورة المحبطة . ونفس المبدأ ينطبق على الرجل ، فبوجه عام فإن استراتيجية النوع عند أى شخص تسعى غالباً للتواؤم مع ظروف هذا الشخص ووضعه .

استراتيچيات النوع

إن مفهوم الرجل عن النوع يرسم له الخطوط العريضة لمسار حياته ، وأى عمل يقوم به يتم فى إطار استراتيجية معينة للنوع[2] . فقد يصبح الأب « أباً خارقاً » يعمل الساعات الطوال، ومع هذا يلزم أبناءه بانتظاره حتى لو عاد متأخراً فى المساء ليمكث معهم بعض الوقت ، أو قد يقتطع من ساعات عمله أو يقبل على المناوبة الثانية بحماس.

ولنا أن نقول إن مفهوم النوع يستتبعه « استراتيجية » ، وهى كلمة

تعنى خط العمل والترتيبات العاطفية المصاحبة للسير على نهج تلك الخطة . فربما يقلص الرجل مثلاً من بعض طموحاته الوظيفية من أجل أن يكرس نفسه أكثر لأطفاله، أو على النقيض من ذلك فقد يقلل من استجابته لمطالبهم فى خضم انشغاله بعمله .

لقد حاولت خلال دراستى لحياة الأسر التى سأعرضها عليكم أن أكون متيقظة تماماً للتناقض الذى قد يظهر بين ما يعتقده الشخص (سواء رجل أم امرأة) عما يجب أن تكون عليه مشاعره وبين واقع ما يشعر به ، كما حاولت أن أتفهم الجهد العاطفى الذى يبذله كل من الطرفين من أجل التواؤم مع نظريته المثالية عن النوع تحت ضغط الظروف والاحتياجات الملحة للأسرة .

ويمضى هذه الثورة الاجتماعية فى طريقها فإن مشاكل الأسرة التى يعمل طرفاها لن تختفى أو تقل ولكنها ستزداد . وحيث إنه ليس ممكناً أن نعود مرة أخرى للنمط التقليدى للزواج أو أن نصرف النظر عن الزواج بوجه عام.. فقد أصبح من الحيوى هنا أن ننظر للزواج على أن به قوة مغناطيسية لجذب توترات الثورة المتوقعة، وعلينا هنا أن نفهم استراتيجيات النوع على أنها المحرك الرئيسى للزواج .

اقتصاد الاعتراف بالجميل

إن التفاعل بين مفهوم النوع لدى الرجل مع مثله لدى المرأة ، ينطوى على تفاعل أعمق بين شعوره بالامتنان تجاهها وشعورها بالامتنان تجاهه ؛ لذلك فقد نجد رجلاً يعتقد أن حصول زوجته على دخل أعلى منه شيئاً يخدش كرامته ويتعارض مع مفهومه عن « الرجولة » ، ومن ثم فهو يعتقد أن « صبره » على ذلك نوعاً من الهبة التى يمنحها لزوجته . على حين أن رجلاً آخر عبر عن فرحته وسعادته بأن زوجته تكسب أكثر منه بقوله إنه قد عثر على كنز ، ففى هذه الحالة يصبح مرتب الزوجة هو « الهبة » الحقيقية وليس تقبل الزوج لهذا المرتب . ومن هنا نرى أنه عندما يختلف الزوجان ويتنازعان ..

فإن السبب لايكمن ببساطة فى من يفعل ماذا بقدر ما يكون حول منح وتلقى الشعور بالامتنان .

الخــرافات الأســرية

عندما راقبت الأزواج فى منازلهم بدأت أدرك أن الزوجين يلجئان فى بعض الأحيان إلى بعض « الخرافات الزوجية » - وهى نوع من تعديل للحقيقة لإخفاء جوهر الأشياء بهدف السيطرة على التوترات الزوجية[3] . فنانسى هولت وزوجها إيفان استطاعا السيطرة على منازاعاتهما التى لاحل لها بخصوص توزيع عمل المنزل بما حاولت أن تتخيله من أنهما حقيقة يشاركان بعضهما البعض الآن بصورة متساوية. وزوجان آخران وجدتهما مؤمنين بأن الزوج مشغول من قمة رأسه إلى أخمص قدميه فى عمله ، وعندما نقبت فى باطن الأشياء وجدتهما فى الحقيقة يحاولان تبرير تجنبهما لبعضهما البعض، بالتخيل بأن الانغماس فى العمل بالنسبة للزوج هو السبب فى بعدهما عن بعضهما البعض . وليس كل الأزواج بحاجة للجوء إلى تلك الخيالات أو الأساطير ، وإن حدث فإن مدعاة هذا هو الرغبة غالباً فى السيطرة على المشاكل التى تثيرها الثورة المعاقة والتى لها اليد الطولى فيها . وبعد قيامى بعقد عدد من المقابلات مع أزواج وزوجات كثيرين ، اعتدت على تقديم تفسيراتى للأسر التى احتاجت لمشورتى بشأن مقارنة وضعهم بوضع غيرهم من الأسر التى قمت بمقابلتها، وطرح رؤيتى للاستراتيجيات التى يعتنقونها بخصوص إنجاز أعمال المناوبة الثانية ، والحقيقة أن سمة الارتياح كانت تبدو غالباً على هؤلاء الأزواج لشعورهم بأنهم ليسوا بمفردهم . وكان هذا يحثهم ايضاً على البوح بالأسباب الداخلية والخارجية لمشكلاتهم .

فعديد من أزواج والزوجات فى هذا الكتاب كانوا يعملون لساعات طوال ، وكان أولادهم صغاراً جداً، وهم لذلك يتجشمون كثيراً من الصعاب ، إلا أنهم فى جانب ما تبدو حياتهم أسعد حالاً من معظم المتزوجين العاملين فى أمريكا : إذ إن غالبيتهم

ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، كما ان عديداً منهم يعملون بشركات تعتنق سياسات تقدمية تجاه عامليها ، وتمنحهم فوائد ومرتبات مجزية ، فإذا كان هؤلاء مع ماينعمون به من مميزات يجدون صعوبة فى الموازنة بين ظروف العمل والأسرة ، فإن هناك أسراً كثيرة يعمل فيها كلا الزوجين بمرتبات ضئيلة ولساعات طويلة ، وفى ظروف تفتقد إلى المرونة، وتجعلهم يعيشون حياة أكثر قسوة .

وقد شرعت أنا وآن ماشنج فى عقد المقابلات عام 1976 وانتهينا من معظمها فى مطلع الثمانينات، ثم فرغت من العمل ككل عام 1988 . وكانت نصف لقاءاتى الأخيرة مع أزواج وزوجات تحدثت إليهم من قبل ، والنصف الآخر لآخرين جدد .

ترى ما حجم الاختلاف الذى حدث بين 1967 ، 1988 ؟ للأسف الاختلاف محدود جداً . فمعظم النساء اللاتى قابلتهن فى الثمانينات لايزلن يقمن بنصيب الأسد فى عمل المنزل وإدارة دفة الأمور به ، مع وجود اختلاف بسيط هنا وهو رغبة كثير من الأزواج فى مشاركة زوجاتهم وتخيلهم بأنهم يفعلون هذا بالفعل . وقد أوجزت دوروثى سيمز، Dorothy Sims وهى مديرة شئون عاملين بإحدى الشركات . هذا الخلط بين الفكرة والحقيقة بوصفها المتحمس لمشاركة زوجها دان، Dan، لها فى المنزل، وفى تربية طفلها تيموثى ذى التسعة أشهر من عمره . وكان زوجها وهو مندوب مبيعات لثلاجات كهربائية يمتدح عملها وكان مرتبها المرتفع مصدر سعادة ، أكثر منه مصدر تهديد ، و كذلك كان يحثها على زيادة كفاءتها فى عملها كالإطلاع على خرائط المحيط وحساب نسب الفائدة (التى كانت لحد بعيد تقاوم تعلمها) لأنه واجب على المرأة فى هذه الأيام تعلمها .

ولكن حدث ذات مساء أن كنت مدعوة لتناول العشاء مع دوروثى وزوجها ؛ فقد ناولت دوروثى طفلها لأبيه بينما كانت هى مشغولة فى إعداد الطعام . وبالتدريج بدأ الطفل يغفو على حِجْر والده فسألها : «متى تريدينى أن أضع تيموثى فى فراشه ؟».

ومضت فترة صمت طويلة جعلت دوروثى وزوجها دان يشعران بأن هذا السؤال الذى يبدو بأنه ألقى على غير ذات بال أفهمنى بأنها (هى) وليس (هو) أو (هما) التى عادة ما تقرر تلك الأمور . فنظرت الىّ دوروثى بسرعة ووضعت مرفقيها على المنضدة متساءلة : « حسناً ماذا ترانا نعتقد نحن الاثنان ؟! » وكان هذا الموقف البسيط مؤشراً موحياً لـ « حقيقة » المشاركة بين الزوجين.

وعندما بدأت دوروثى ودان يسردان علىّ نظام « حياتهما النمطى »، تقلص لدىّ الاقتناع بأنهما حقيقة يتقاسمان العمل مع بعضهما البعض . فهى تعمل نفس عدد الساعات التى يعملها زوجها وهى تسع ساعات ، ولكنها تعود للمنزل لتعد طعام العشاء وتعتنى بطفلها ، بينما زوجها يمارس لعبة الإسكواش ثلاث ليال فى الأسبوع لمدة ساعة فى كل مرة ومعدل قراءته للصحف أكبر من زوجته ، كما أن ساعات نومه أطول من ساعات نومها .

وبالمقارنة بين مقابلاتى الأولى لبعض النساء ومقابلاتى الأخيرة .. اتضح لى أن أحد أسباب الطلاق – إن لم يكن هو السبب الأوحد – هو « عدم مشاركة الزوج نهائياً فى أعمال المنزل أو قيام الزوجة بالعمل هذا الشهر الإضافى فى السنة » . وقد رددت إحدى المطلقات صدى هذا الموضوع بقولها : « أنا أعمل خَزَّافة وكنت متزوجة بنحات منذ ثمانى سنوات ، لم أكف خلالها عن عمل كل شىء من طهى وتنظيف وتسوق ، لأن « فنه كان يأخذ وقتاً أكثر » وكان يعتقد أن قيامى بكل أعمال المنزل عدل لأنه كان يعتقد أنه يتعب أكثر منى ، ولكن بما أننا نحن الاثنين كنا نقوم بعملنا فى المنزل فقد كان بإمكانى أن أحكم أينا يعمل ساعات أطول – وكنت أنا بالطبع هذا الشخص . ولكنى كنت أكسب أقل منه بأعمالى الخزفية . ولذلك لم أحتمل هذا الوضع طويلاً وانتهت العلاقة بيننا » .

وقد توصلت إلى أن بعض النساء العاملات فى بداية الثمانينات قد تخففن قليلاً

من أعباء المنزل بالمقارنة لنظيراتهن فى أواخر السبعينيات . وبعقد مقارنة بين الزوجات العاملات وبين أزواجهن فى مسح ، قام به ف . ت. چاستر تبين أن شريحة الرجال فى المناوبة الثانية قد ارتفعت من 20٪ عـام 1965 إلـى 30٪ عـام 1981 وربما تمثل دراستى انعكاساً محلياً لهذا الاتجاه القومى البطىء[4] .

ولكن تلك السيدات من نوعية دوروثى سيمز اللائى - بالإضافة لقيامهن بالعمل شهراً إضافياً كل عام - يعشن فى وهم بأنهن لايفعلن ذلك، بل يستمتعن بحقوق وواجبات متساوية مع أزواجهن ، تلك السيدات يعتبرن بديلاً مؤسفاً للصورة الخيالية للمرأة العاملة تلك، التى تظهرها وسائل الإعلام المختلفة بشعرها المتطاير، بديلاً لايدرك وضعه الحقيقى .

الفصل الثالث

الغطاء الثقافى

3

الفصل الثالث

الفضـــاء الثقـــافي

فى المنزل المقابل لمكتبى تلفت انتباهى دائماً نافذة كبيرة، يطل منها تمثال عرض (مانيكان) نسائى بالحجم الطبيعى، وقد ارتدت مريلة مطبخ ووقفت بلا حراك، عاقدة ذراعيها، واتخذت هذا الوضع لسنين طويلة وكأنها تحرس المكان وتنتظر عودة أصحابه. ولقد وضع هذا التمثال ليذكرنى أنا وغيرى من المارة بأن لا أحد موجود بالمنزل. وربما كانت هذه المانيكان دليلاً على الحنين إلى الماضى - إلى الأم التى كانت موجودة فى الخمسينات - الأم التى كانت تطل من النافذة انتظاراً لعودة الأبناء وقد أعدت لهم اللبن والبسكويت - الأم التى اختفت من حياتنا منذ بدء عصر الأسرة التى يعمل طرفاها

وربما كانت هذه المانيكان دعابة من أصحاب المنزل، قصد بها السخرية من الواقع المرير الذى تخفيه صورة المرأة العاملة كما تظهر فى وسائل الإعلام بشعرها المسترسل وقد أمسكت بحقيبة أوراقها فى يد، وبطفلها فى اليد الأخرى. وكأن هذه المانيكان تعلن للجميع أنه ليس هناك أحد فعلاً بالمنزل - فهى مجرد أم زائفة، وكأنها دعوة للجميع أن يعيدوا النظر فى الصورة الشائعة للأم العاملة، وفى ما تخفيه هذه الصورة. وقد ظهر غلاف مجلة نيويورك؛ تايمز، الصادرة يوم 9 سبتمبر 1984، وعليه صورة أم عاملة فى طريقها للمنزل ومعها طفلتها. الأم شابة حسنة المظهر ومبتسمة

والطفلة أيضاً تبتسم، وقد حملت حقيبة أوراق أمها، وكأنها تتطلع لتصبح مثل مثلها الأعلى. فهى بالفعل صورة مصغرة لهذه الأم الخارقة. وكأن لسان حال هذه الصورة يعلن أن «المرأة تستطيع الجمع بين العمل والأطفال». ولكنه لم يذكر شيئاً عن الرجال، أو عن الشهر الإضافى الذى تعمله المرأة فى السنة، فتلك أشياء يجب أن تستتر.

ولا يبدو على هذه المرأة أى علامة من علامات الضغط أو الحاجة إلى المساعدة من الآخرين، فهى ليست متعبة بقدر ما هى مشغولة ... وكم هو مثير أن يكون الإنسان مشغولاً . حقاً إن صورة الأم العاملة الدؤوب تشبه إلى حد كبير الصورة الساحرة لسكرتيرة ناجحة نشيطة مشغولة بعملها ، كما أن وقت الأم العاملة يماثل فى ندرته وقت السكرتيرة ولكن مع الفارق المطلق فى وضعيهما . فالسكرتير أيا كان رجلاً أو امرأة يدرك جيداً أن وقته يساوى كثيراً ، كما أنه يكون دائماً على عجلة من أمره فى البيت لأنه يعمل ساعات طويلة فى المكتب ، على حين تقف المرأة العاملة على النقيض ، فهى تتعجل العودة للمنزل لأن وقتها فى العمل لاتجنى من ورائه دخلاً كبيراً ، كما أنه لا يوجد من يساعدها فى المنزل. ولكن هذه المقارنة بين الأم العاملة المشغولة والسكرتيرة المشغولة تغفل فرقاً جوهرياً بينهما، ألا وهو الفارق الكبير بين أجريهما والفارق الكبير بين ماتحصلان عليه من العون فى المنزل .

لو نظرنا إلى مقالة التايمز لوجدناها تعطى انطباعاً بأن الأم العاملة تتقدم فى عملها بسبب كفاءتها الشخصية ، وليس بسبب تنظيمها المتقن لحياتها الاجتماعية، فخصائصها الشخصية تبدو كما لو كانت تعتم على افتقارها للعون من مجتمعها . وهنا تبدو صورة الأم العاملة اليوم تحوى شيئاً ما مشتركاً مع صورة المرأة السوداء، التى كانت تعيش بلا عائل فى الستينيات ، فإذا كانت ثقافتنا الآن تحتفى بمثل هذه الصورة للمرأة كدليل على قوتها الشخصية فهى بذلك تخلق صورة ساخرة للبطولة؛ إذ إنها تضفى على امرأة الطبقة الوسطى البيضاء مفهوم المرأة الذى كان ينطبق على امرأة الطبقات الدنيا الملونة .

وفى الحديث عن الأم السوداء غير المتزوجة، يستخدم المعلقون والباحثون فى بعض الأحيان مصطلح « الأم الرئيسة » وهو مصطلح محط للقدر فى الثقافة الأمريكية. وأول من استخدمه هو دانيال پاتريك موينيهان، Daniel Patrick Moynihan، فى تقريره إلى الحكومة بعنوان الأسرة الزنجية : قضية للتحرك القومى. وفى جزء من هذا التقرير بعنوان : «تشابك علم الأمراض» يوضح أن الفتيات من السود العاملات يحصلن على دخل أعلى من أزواجهن ، بينما يقابلهن فى ذلك 18٪ من الزوجات البيض . وقد أودع موينيهان فى تقريره تعليقاً لعالم الاجتماع دونكان ماك انتاير، Duncan Mac Intyre، ورد فيه : «اجتث انخفاض نسبة العمالة بين الرجال الزنوج وما يقابله من ارتفاع نسبة العمالة بين النساء الزنجيات من دور الرجل، وجعل عديداً من الأسر الزنجية تعتمد أساساً فى دخلها على الأم. وحوَّلها لأسر تحكمها المرأة »[1]. ومضمون هذا أنه إذا ما كان الحال كذلك فلابد وأن تطمح النساء الزنجيات فى أن تعيش فى نفس المستوى الذى تنعم به النساء البيضاوات ، اللائى يحققن نتائج أسوأ فى الاختبارات التعليمية ، ويكسبن أقل من أزواجهن . وبقراءة هذا علقت عالمة الاجتماع السوداء إيلين كاپلان على ذلك بقولها : «إن المرأة السوداء مُدانة» إذا ما ساعدت أسرتها « ومُدانة إن لم تفعل » إنها تتحاشى بقدر الإمكان أن توصم بأنها رئيسة الأسرة . ولكن اضطرارها لمساندة زوجها يجعلها تشعر بأنها ضحية للعمل البسيط الذى يقوم به زوجها، فهى تأخذ على عاتقها مسئولية الأسرة، ليس من منطلق رغبتها فى حب السيطرة ، ولكنها إن لم تقم بإنجاز كل شىء من دفع للإيجار وشراء الطعام وطهيه .. إلخ، فلن تجد من ينوب عنها فى ذلك ، وكم ستكون النساء السوداوات سعيدات إذا ما اقتسمن العمل وصُنْع القرار مع أزواجهن . ولكن يرى موينيهان فى تقريره أن « سيطرة النساء من السود على حياة الأسر تبدو كما لو كانت المشكلة ذاتها أكثر من كونها نتيجة لمشكلة » .

وبالمثل فإن الصورة الشائعة للمرأة العاملة تظهرها كإنسانة «مفعمة بالحيوية»

و«الكفاءة».. وكأن هذه هى خصائصها الشخصية وليست سمات اضطرتها إليها الظروف. فما يختفى فى الحالتين هو العبء الإضافى الملقى على كاهل المرأة. والفرق الوحيد بين صورة موينيهان للأم السوداء العاملة كرئيسة للأسرة، وبين الصورة الحديثة للأم البيضاء الخارقة هو مجرد فرق عنصرى فى اللاوعى. ففى الوقت الذى تصور فيه الأم البيضاء فى شكل خيِّر وبطولى فإن الأم الحاكمة السوداء كانت تبدو دائماً فى صورة مثيرة للازدراء والنفور.

وفى الاتحاد السوڤيتى الذى يعتبر بمثابة أمة صناعية كبيرة، نجد نفس العبء الاضافى الملقى على كاهل النساء، اللاتى دخل 80٪ منهن مجال العمل ويعملن شهراً إضافيا فى السنة . ونرى ذلك فى قصة قصيرة لـ نتاليا بارانسكايا، Natalya Baranskaya، بعنوان « أسبوع مثل بقية الأسابيع »، A Week Like Any Other.

تحكى هذه القصة عن امرأة فى السادسة والعشرين من عمرها تدعى «أولجا» وهى تعمل فنية فى أحد معامل البلاستيك فى موسكو، وهى - فى نفس الوقت - أم لطفلين. ففى الوقت الذى يصفها رئيسها بأنها «مثال للمرأة السوڤيتية» وأنها أم خارقة.. نجد أن «أولجا» نفسها تقول عن هواياتها «إن هوايتى الحقيقية هى الجرى هنا وهناك...» وهكذا نرى أنه فى حالة «المرأة السوڤيتية الحقيقية» - كما هو الحال بالضبط فى حالة الأم الحاكمة السوداء أو الأم البيضاء الخارقة - فإن المشكلة الاجتماعية العامة تتحول إلى مجرد عوامل شخصية خاصة.

إن الصورة الحديثة للأم الخارقة لا تشمل قطاعاً كبيراً من العاملات مثل عاملة الرعاية اليومية وجليسة الأطفال والشغالة ، فهذه امرأة تنتمى الى الطبقة الأدنى حالاً ، ويوكل إليها بكثير – إن لم يكن كل – عمل الوردية الثانية فى المنزل ، فالأم الخارقة فى صورتها الخيالية دائما بيضاء وتنتمى الى الطبقة الوسطى ، ولكن مثل هذه العاملات فى الواقع – سواء أكن عاملات نظافة أم جليسات اطفال أم مدبرات منزل – يشكلن

بالطبع جزءاً من هذا القطاع من الزيجات التى يعمل طرفاها . وهذا الجيش من النساء العاملات يباشر « مهام الأم » التى انكمش دورها بخروجها إلى العمل . وإذا وضعنا فى الاعتبار أن 46٪ من مجموع النساء العاملات يحصلن على أقل من 10,000 دولار سنوياً، على حين أن خمس النساء العاملات لكل الوقت يتقاضين أقل من 7,000 دولار فى السنة ، وأن الغالبية العظمى من النساء اللاتى يقمن بأعمال الدورية الثانية مقابل أجر يشكلن جزءاً من هذه النسبة ، فإنه يمكننا معرفة أن معظم هؤلاء النساء ليس بمقدورهن استئجار آخرين لتنظيف منازلهم ، وبالرغم من ذلك .. فمازالت الأم العاملة البيضاء ، التى تنتمى للطبقة الوسطى ، هى التى تمثل هذا القطاع العريض من الأمهات العاملات .

وفى عالم الإعلانات نرى أن الشغالة حل محلها عديد من الأجهزة الحديثة كالغسالة ، وأصبح بإمكان المرأة العاملة حفظ طعامها فى الثلاجة أو طهيه فى دقائق فى فرن الميكروويف ، وقد تفتقد الزوجة مساعدة الزوج ، ولكن هناك دائماً هذه الأجهزة لتعاونها ؛ لذلك نجد أن تلك الأجهزة تكون مع الزوجة فريقاً[(2)] لا ينفصل. ومع هذا ظهر أن تلك الأجهزة لا توفر الوقت دائماً . وفى دراسة مقارنة على ربات البيوت فى العشرينات والستينيات قامت بها عالمة الاجتماع چوان ڤانيك، Joan Vanek، اكتشفت أنه حتى مع وجود تلك الاجهزة الحديثة .. إلا أن النساء يمكثن نفس الوقت فى عمل المنزل مثل نظيراتهن فى الماضى . فإذا كانت سيدات الستينيات تقضين وقتاً أقل فى نظافة ومسح أرضيات المنزل لمساعدة الأجهزة الحديثة لهن ، فهن تقضين وقتاً أطول فى التسوق وإصلاح الأجهزة وغسل الملابس « حيث إن مقاييس النظافة قد ارتفعت كثيراً » .كما اتضح أن 85٪ من الازواج وزوجاتهم العاملات لا يعتمدون بشكل منتظم على أى شكل من أشكال المعونة فى الأعمال المنزلية ، بل يعتمدون تماماً على أنفسهم ومعاونيهم من الآلات .

والصـورة الحديثة للأم الخارقة ذات الشعر المتطاير لا تشمل أيضاً عنصراً مهماً : الزوج . فمع عدم وجود شغالة تصبح معونة الزوج أساسية، حتى مع وجود الآلات المنزلية التى لاينكر فضلها ولكنها لاتزال تحتاج لوقت. وبالرغم من العون الكبير الذى يقدمه بعض الأزواج فما زالت المفاهيم الحضارية الشائعة تغفل دوره، وبالتالى تغفل نقطة مهمة ، وهى فكرة المشاركة فى الأعمال المنزلية . وبالطبع يترتب على ذلك محاولة طمس بعض الحقائق مثل الصراعات والخلافات الزوجية بشأن عدم المشاركة . فإن إحدى الصور الإعلانية تظهر المرأة وقد عادت لتوها من العمل وتقوم بإعداد وجبة سريعة من أرز « انكل بن » بينما اقتصر دور الزوج على الاستمتاع بهذه الوجبة .

وفى دراسة عن إعلانات التليفزيون قام بها أوليف كيرتنى، Olive Courtney، وتوماس ويبل، Thomas Whipple، عام 1978 وجد أن الرجال قد يعرضون على شاشة التلفزيون المنتجات التى تساعد فى عمل المنزل، ولكننا فى العادة لانشاهدهم وهم يستعملونها . فالسيدات غالباً ما يظهرن وهن يخدمن الرجال ونادراً ما يظهر الرجال والاولاد ، وهم يخدمون النساء والبنات .

وفى عالم الكتب أيضاً ، وجدت أن الكتب التى تتناول دور الرجل فى مشاركة زوجته العاملة وقد اختفت تقريباً ، فمئات من الكتب تسدى نصائحها للأم العاملة عن : « كيفية تنظيم حياتها » و « عمل قوائم » للأعمال المختلفة و « ترتيب الأولويات » ولكنى لم أجد نظائر لتلك الكتب موجهة للآباء مسدية اليهم النصح أيضاً . وفى كتابها : «تحقيق كل شىء»، Having It All، تصف الكاتبة هيلين چيرلى براون، Helen Jurley Brown، وهى مخترعة فكرة « فتاة الكون »، كيفية جمع المرأة بين نجاحها الوظيفى مع احتفاظها بصفة الأنوثة وحياتها الزوجية. إنها تسدى إلى المرأة نصيحة مفرطة التنميق فى هذا الشأن ، ولكنها مرت مرور عابراً على كيفية أن تكون المرأة أما جيدة أيضاً . وهى ترى أن المرأة ربما تمتلك الثروة والشهرة والملابس الثمينة الغاية فى الأناقة ، ولكن الشىء التى ربما لاتستطيع الحصول عليه هو رجل يقاسمها

مسئوليات الحياة داخل المنزل ، فكما تقول الكاتبة نقلاً عن إحدى صديقاتها : « إن تأثير الأم على ابنها يحدد لدرجة كبيرة مدى تعاونه مع زوجته فى المطبخ . أما زوجى أنا فهو لايساعدنى بالمرة . حتى لو أرسلته الى السوق فهو عادة ما يعود بما لا أحتاجه ويتجاهل تماماً احتياجاتى الفعلية . إن الرجال عادة ما يفعلون أشياء يعوضون بها البله المنزلى على غرار أن دليل الحب هو دفع كثير من الفواتير »[3].

وفى كتاب آخر من كتب إرشاد المرأة ونصحها نجد : «أعراض المرأة الخارقة»، The Superwomen Syndrome، لمارجورى هانزن شافيتز، Marjorie Hansen Shavitz، تعترف بصراحة عن عجزها فى حث زوجها ليشاركها فى عمل المنزل، وقالت : « لقد قضيت وقتاً كبيراً فى معاناتى النفسية بسبب تمرد زوجى الواضح على مساعدتى فى المنزل وتماديت فى الاعتقاد بأنه إذا ما كان يحبنى حقيقة فسيلمس مدى مشقة العمل الذى أقوم به ، ومدى التعب الذى يعترينى وسيهرع إلى إنقاذى مما أعانى بإيجابية ومرح ، وهو مالم يحدث أبداً »[4].

ثم تستطرد شافيتز قائلة بأنها أصبحت مثقلة جداً ومنهكة جداً وفاقدة لأعصابها. والمشكلة هنا تتمثل فى أنها يجب أن تتعلم كيف تعد قوائم الطلبات المنزلية، وأن تقدم الأولويات وتستأجر خادمة، وهى تقترح تأجيل الإنجاب ليتسنى للزوجين تتبع أنشطتهم وتطوير مستقبلهم ، وعند الإنجاب يكون من الأفضل إنجاب عدد قليل من الأولاد . كما أنه بالإمكان أن تنعم الزوجة بالراحة إذا ماكان زوجها يحب الأطفال . ولكن عديدات من النساء لايحظين بمثل هذا الترف، ثم تتساءل شافيتز : « ماالتغيرات التى من شأنها مساعدة الأم العاملة ؟ » إنها ستضطر بحكم ظروف حياتها إلى اللجوء إلى الأصدقاء للحصول على خدمات تطوق عنقها بالجميل على حين ستقدم هى خدمات أقل للغير ، وهى تعد مبدأ « تبادل المجاملات » للمرأة العاملة فى حد ذاته مشكلة، فـ « المرأة العاملة» لاتشعر بالتوتر بسبب لجوئها لمساعدة الآخرين لها ، بل لإدراكها

الداخلى أيضاً أنه من الضرورى أن ترد مثل هذه المساعدات بصورة مضاعفة ، وهذا من شأنه أن يجعل لديها صعوبة فى السيطرة على الحياة[5] . فعليها هنا ألا تضطر لقبول بعض المواقف كإصغائها الى شكاوى صديقاتها اللاتى يقدمن لها بعض الخدمات، عن أزواجهن وأطفالهن .

إن « شاڤيتز » بالتأكيد ليست ضد المشاركة ، وكل ما فى الأمر أنها تشعر أن المرأة لن تحصل أبداً على هذه المشاركة . وقد قدمت لنا صورة لامرأة كانت تسعى لتحقيق تلك المشاركة بعنوان « المثال الفورى للمشاركة المتساوية »، حيث نقرأ قصة سكرتيرة فى وكالة سياحية كبيرة ، كانت تقوم بجميع الأعباء المنزلية ولكنها فجأة احتجت على هذا الوضع غير العادل، مما أثار زوجها جداً وأنتهى الأمر بخروجه غاضباً من البيت . وكانت هذه هى النهاية » .

وتعرض لنا المؤلفة فى ختام كتابها[6] فى أربع صفحات حواراً غريباً مع زوجها مورت :

مارچورى : إننى أعتقد ان الزوجين فى وقتنا هذا يواجهان كثيراً من المشاكل طالما أن الرجال يحجمون عن المشاركة القليلة (لاحظ أننى أقول قليلة) فى الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال ، وأنا لا أعتقد أن المرأة الأنيقة الكفء المتعلمة ستتحمل العيش مع رجل رفض مبدأ المشاركة . ولاحظ هنا أننى أقول (المشاركة) فقط، ولست أقول (المشاركة المتساوية)، وأن عديداً من النساء أخبرتنى برغبتهن فى وجود الرجل فى حياتهن ، ولكنهن لايردن أن تكون الواحدة منهن هى التى تعطى فقط فى تلك العلاقة ، كما أنهن لايقبلن الارتباط برجال، يريدون من تقوم على خدمتهم فقط، ففى هذه الحالة تكون الحياة أكثر سهولة وبهجة بلا رجل .

مورت : يا مارچورى إن هذا استفزازاً حقيقياً لمعظم الرجال، فمن الواضح أن الرجال يفعلون أكثر من ذى قبل ، وأن هذا الاتجاه يتزايد الآن . ولكن ما لا يتقبله الرجل بسهولة هو الاستهانة بما يقدمه ، وتقديم قائمة لاتصدق من الشكاوى مما لايقوم بإنجازه . فالرجال والنساء ربما يقومون بتقديم عطائهم بطرق مختلفة . ولكن المنتقد حقاً هو استمرار وضع المرأة لقواعد ثابتة لما تتوقعه ولما تريده وكيفية تقديمه ، ولكنى أستطيع أن أجزم أن صفوة الرجال الناجحين فى أعمالهم – وهو النوع الذى تبحث عنه معظم النساء – لن يتقبلوا تلك القيود ببساطة .

مارچورى : أتدرى نتيجة أن يترك الزوج زوجته تصنع كل شىء، سوف يعتريها الشعور بالكراهية والغضب وربما أصابها المرض .

مورت : إن كلا الزوجين فى حاجة إلى معرفة ما يختفى وراء إشارة الزوجة لزوجها بأصبع الاتهام ، وإدراك أن هذا غير مجد أيضاً . وأنى أعتقد أن عديداً من الرجال سيسرهم « طلاق تلك الزوجة»، «والبحث عن شخص آخر يعتنى بهم[7] » .

إن مارچورى تتحدث عن « عديد من النساء » ومورت يتحدث عن « معظم الرجال »، ولكن من الواضح تماماً أن الصراع بينهما قد ترك بصماته على حديثهما معاً إلى حد كبير . وفى النهاية يشير مورت بغموض إلى فكرة سعى المرأة للحصول على المساعدة من كل شخص : زوجها وأطفالها والمجتمع ، ولكن فى الواقع ينتهى بها الأمر بأن تشق طريقها بمفردها بخطوات واسعة وسط حشد غير محدد الملامح . والحقيقة أن كتابى : «تحقيق كل شئ» و«أعراض المرأة الخارقة» ينصحان المرأة بالاستغناء عن إحداث تغيير فى الرجل، وكيف تكون امرأة مختلفة تماماً عن أمها وتتعايش مع رجل لم يختلف كثيراً عن والدها . فقد حاول الكاتبان من خلال إضافة

كلمة « الخارقة » لوصف المرأة فى عنوان الكتاب الثانى « أعراض المرأة الخارقة » وحذف أى معنى من كلمة «كل» فى عنوان الكتاب الأول « تحقيق كل شىء » إرشاد المرأة لكيفية التأقلم مع ظروف الثورة المؤجلة .

وهناك نوعان من رد الفعل الحضارى لما يواجه الأم العاملة من مشاكل :

الأول يضحك منها ويدعو فيه المؤلفون المرأة للتكيف بظرف مع الثورة المؤجلة ، وهو رد فعل فكاهى ينتقد المرأة العاملة المتفوقة ويجعلها فى صورة ساخرة ، وهذا ما نراه فى كتب الفكاهة والنكات والمذكرات وعلى سلاسل المفاتيح والطفايات وفى محلات الهدايا فى عيد الأم، إذ تتوالى الصور الساخرة عن الأم العاملة . ففى أحد كتب النكات بعنوان « كتاب المرأة العاملة » ، Working Woman Book، لمؤلفيه «باربارا»، Barbara، و « جيم ديل »، Jim DAle، نجد نصيحة ساخرة للأم : « إن الخطوة الأولى لتحقيق علاقة ناجحة مع أولادك هى أن تتذكرى أسماءهم » . وفى أحد فصول كتاب « أعراض المرأة الخارقة » تقوم الكاتبة بإسداء بعض النصح للأم :

(أ) تحدثى مع طفلك .

(ب) العبى معه .

(ج) احضرى مبارياته .

وفى فصل آخر بعنوان « أظهرى مشاعرك لطفلك » ينصح نفس الكتاب الأم بأن :

(أ) تحتضن طفلها .

(ب) تقبله ... إلخ[8] .

إن كل هذه النصائح – وإن بدت جادة – تنطوى على سخرية مريرة من الأم العاملة . وعلى أحد الأكواب نجد الصورة التقليدية الحديثة للأم العاملة بحقيبتها

المألوفة التى تحملها فى يد وتمسك فى الأخرى بطفلها ، ولكن ما من مكان هنا لحث الخطى والابتسامة ولا الشعر المتأرجح على الظهر ، بل تظهر الصورة هنا فمها وهو مطبق، على حين يظهر شعرها أشعث ، وهى ترتدى فردتى حذاء إحداهما حمراء والأخرى زرقاء ، وطفلها يبكي وتتطاير الأوراق من حقيبتها وتحت تلك الصورة كتبت عبارة : «أنا أم عاملة إذاً أنا مجنونة». فكأن الصورة على هذا الكوب توحى بتعاسة وارتباك حياة الأم العاملة . وهذا فى حد ذاته ينطوى على نقد للأم الخارقة نفسها ، وليس نقداً لظروف عملها الصارمة أو مشاكل أعمالها اليومية ، أو لبطء التطور الذى يحدث لمفهومنا عن « الرجل الحقيقى » . إن مجموع الاختيارات المتاحة لها جيدة، ولكن مايبدو مجنوناً ومضحكاً هو قرارها بالعمل . وهكذا يتحول الشهر الإضافى الذى تعمله المرأة العاملة فى السنة لمجرد نكتة ، وبتلك الطريقة تتضمن النظرة التجارية للأم العاملة سيلاً من النقد المستمر ، وتبعث على الضحك .

وهناك أيضاً رد الفعل الجاد .. فإن التناول الجاد لمشكلة الأم الخارقة فى صحافة الثمانينات لايقل أهمية عن التناول الساخر لهذا الموضوع . وقد بدأ الاتجاه الجاد فى الصحافة فى أواخر الثمانينات يشحذ عدداً كبيراً من الأقلام الصحفية . وفى عملين لهيلارى كوزيل، Hilary Cosell، وهما «المرأة... بين الحاضر والماضى»، Woman on a Seesaw، و «فترات ازدهار واندحار الأداء»، The Ups and Downs of Making It، تأسف الكاتبة بشدة على تركيزها الوحيد على عملها الذى أتاح لها بالكاد وقتاً للزواج أو لإنجاب الاطفال وتصف حالها بقولها :

« عند عودتى للمنزل بعد عناء متواصل يربو على عشر أو اثنتى عشرة ساعة من العمل أقوم بتلك المحاكاة المدهشة ببساطة لهؤلاء الآباء الناجحين، الذين أتذكرهم منذ طفولتى، حيث يأوون إلى منازلهم بعد عناء العمل فيلتهمون طعامهم ويحتسون شرابهم المفضل، ثم يسقط الواحد منهم على الأريكة

مستريحاً تماماً ، لايصلح للقيام بأى عمل يزيد عن الحديث اليومى المعتاد العابر[9] » .

وتستهجن كوزيل « قرارها الخاطىء » بدخول سباق الفئران وعدم استفسارها عن القواعد غير المكتوبة لهذا السباق . وهى تبدو متقبلة للوضع الراهن، المتمثل فى نظم العمل وصيغة الحياة التى يعيشها الرجل ، وتشير كل من المقالات الساخرة والجادة بأن « الأشياء ليست على ما يرام » ولكن – مثلها مثل صورة المرأة العاملة التى ينتقدانها – لا يقدمان أى بديل وكأن هذا واقع المرأة المحتوم .

أما أصحاب الاتجاه الثقافى الثانى فيقدمون للمرأة الخارقة اقتراحاً بأحد البدائل وهو : الرجل الجديد . فقد تزايدت أعداد الكتب والمقالات والأفلام التي تمتدح الرجل الذى يرى بأن قضاء وقته مع طفله ، وفى مشاركة زوجته أعباء المنزل لايتعارض مع كونه « رجلاً بحق ». وقد كتب بوب جرينى، Bob Greene، فى عموده بإحدى الجرائد النقابية سلسلة من المقالات عن تجربته فى السنة الأولى لإنجابه لطفلته أماندا . وقد تم جمع تلك المقالات فى كتاب يحمل اسم «صباح الخير أيتها الشمس المبهجة». وجرينى بحكم عمله ككاتب لايحتاج للتنقل بين البيت ومقر العمل ، فهو يؤدى عمله بالمنزل مرتدياً قميصاً بأكمام قصيرة على سجيته بدلاً من التقيد بالبدلة وربطة العنق، إذ إنه ليس بحاجة إلى التعامل مع العالم الوظيفى خارج بيته . وبحكم شهرته يقف أمام كاميرات التصوير مبتسماً فى غبطة حاملاً طفلته التى تضحك على ذراعه. وهو بالفعل رجل ناجح فهو مازال يكتب فى عموده ويتناول موضوعات « تخص الرجل » مثل انتخابات بلدية شيكاغو . ولكن بالرغم من كونه أباً محبًا لابنته مهتماً بها، فهو ليس بالزوج المنزلى الذى يظهر فى فيلم مثل « السيد ماما » الذى يتبادل الوظائف مع زوجته، وهذا موضوع طالما كان مصدراً للسخرية والفكاهة فى الأدب والسينما . إن «جرينى» لايتبادل الأماكن مع زوجته «سوزان » فهى تقوم بدورها هى الأخرى تجاه

ابنتهما أماندا ؛ فهو إذن لايحل محلها فى المنزل ولكن ينضم إليها . فكما كتب لنا فى يومياته :

« بدأت عملى اليوم مبكراً وانهمكت فى كتابة مقالة عن انتخابات بلدية شيكاغو، وكان علىَّ أن أذهب إلى أقصى شمال المدينة لإجراء مقابلة مع شخص ما . وعند عودتى كان لدى عديد من المكالمات التليفونية لأجريها . وبعد كتابة المقال احتاج لعديد من التعديلات ولم أنته من ذلك قبل حلول الظلام . وعند عودتى إلى المنزل كانت كل عناصر الموضوع قد اختمرت فى ذهنى . ولكن عندما أعلنت سوزان أن ابنتنا أماندا « تعلمت اليوم كيف تشرب من الكوب بمفردها » نسيت كل شىء عن عملى ، ولم يعد يهمنى سوى مشاهدة أماندا وهى تشرب من كوبها[10] » .

فالرجل الحديث يحاول « تحقيق كل شىء » مثله فى ذلك مثل الأم الخارقة ، فهو الصورة المذكرة للمرأة الخارقة ذات الشعر المتطاير . فقد نجح « بوب جرينى » فى الجمع بين الدورين : دوره كأب يرى ابنته وككاتب ناجح في مجاله . ومن خلال كتابته عن تجربته الخاصة غير التقليدية يحاول « جرينى » أن يبين كيف أنه من السهل على الرجل أن يجمع بين أداء وظيفته ورعاية طفله .

ولكن في الواقع .. فإن معظم الرجال الذين يتقاسمون المسئولية كاملة فى العناية العاطفية والبدنية بالاطفال يواجهون صعوبة كبيرة . فطالما أن المنظور الاجتماعى « لعمل المرأة » داخل البيت يحقر من شأن الرجل الذى يقوم به ، وطالما أن هذا العمل تم تصنيفه على أساس أنه من اختصاص المرأة وحدها ، وطالما أنه عمل يومى « منتظم » فإن من يشارك فيه من الرجال يكون عرضة للسخرية ، وسرعان مايأخذ هولاء الرجال نفس صورة المرأة الحديثة كما تظهر على الأكواب : بفمها المطبق وشعرها الأشعث . فالصورة التى يحاول البعض تقديمها للرجل الحديث تحاول –

مثلها فى ذلك مثل صورة الأم الخارقة – أن تخفى التوتر والضغط الذى يتعرض له الرجل .

وقد أعطى القائمون على الإعلانات سواء فى التلفاز أم فى المجلات انطباعاً بأن المرأة تصنع كل شئ فى الأسرة .. وكتب الصحفيون عديداً من المقالات عن الأم العاملة، وتبعتها كتب تبثها النصائح، وأخيراً جاءت الكلمة العلمية ببطء ولكن بإمعان تتحدث عن « التغيرات فى الأسرة »

إن ما تجده المرأة العاملة فى مرآة الثقافة له علاقة وطيدة بما تدفعها الحيرة فى حياتها للتطلع اليه. إن صورة المرأة الخارقة فى نظر النساء هى صورة غير عادية لإنسانة كفء ومنظمة ونشيطة ومشرقة وواثقة .إنه لشيء طيب حقاً أن تبدو المرأة متفوقة ، وإنه لمجاملة لطيفة أن يطلق عليها هذا اللقب « المرأة الخارقة » ، وهى إن لم توجد على أرض الواقع إلا أنها تعتبر مثالاً. ونجد سيدة عاملة فى المجال الاجتماعى وهى نانسى هولت وهى أيضاً أم لطفل يدعى چوى، قد وجدت أن فكرة المرأة الخارقة مفيدة الى حد بعيد ، إلا أنها رأت نفسها فى مواجهة مخيفة مع اختيارها بين الزواج المستقر أو الزواج المتكافيء ، وكان عليها أن تختار زواجها المستقر ، كما كان عليها أن تجاهد بشدة لتخمد صراعها مع زوجها ولتحقق نوعاً من الغطاء العاطفى. لقد استهوتها صورة المرأة الخارقة لأنها أعطتها الغطاء الثقافى الذى يتمشى مع مفهومها العاطفى ، كما أنها كست حلها الوسط للأمور بغطاء من الحتمية ، وحجبت الأزمة التى واجهتها مع زوجها بخصوص المناوبة الثانية ، وما صاحبتها من محاولات من قبلها لإخماد هذه الأزمة حفاظاً على زواجها ، لتحل محلها صورة وهمية خافتة للمرأة ذات الشعر المتطاير.

الفصل الرابع

مشكلة چوى: نانسى وإيڤان هولت

4

الفصل الرابع

مشكلة چوى :

نانسى وايڤان هولت

عادت نانسى هولت، Nancy Holt، من عملها تمسك ابنها چوى، Joey، بإحدى يديها ، بينما تحمل بالأخرى حقيبة بها مشترواتها من البقالة . وما إن فتحت باب شقتها وبدأت تتخفف بما فى يدها .. وقعت عيناها على خطابات متناثرة فى الردهة ، وبقايا قطعة من خبز القرفة ملقاة على المنضدة هناك ، على حين كان جهاز تسجيل مكالمات التليفون يبعث ومضات حمراء، وكل هذه مؤشرات ذكرتها بحالة التعجل ، التى تمر بها كل صباح حتى يخرج كل أفراد الأسرة . انحنت نانسى بسرعة وحملت الخطابات المبعثرة دفعة واحدة ووضعتها على منضدة الردهة ، ثم توجهت مباشرة للمطبخ وهى تفك أزرار معطفها خلال سيرها . أما چوى فقد سار خلفها مباشرة شارحاً لها باهتمام كيف أن شاحنة النفايات تقوم بعملها جيداً . ثم دخل إيڤان، Evan، المنزل بعد أن أوقف سيارته الحمراء التى اصطحب فيها زوجته بعد خروجها من العمل وعادا سوياً ، ويبدو واضحاً أنه ليس على استعداد لمواجهة هرج ومرج المطبخ ، وفى الوقت نفسه ليس مخولاً له الحق تماماً ليسترخى ليقرأ الجريدة فى غرفة المعيشة ، ولذلك وقف يتفحص ببطء الخطابات .

إن إيڤان الذى يبلغ الثلاثين من عمره يعمل مندوب مبيعات فى مستودع للأثاث ويتسم بشعره الأشقر الشاحب الخفيف وبأنه ربع القامة قصير وممتلىء مع ميله للانحناء على ساق واحدة . ويبدو من أسلوبه أن هناك شيئاً من دماثة الخلق فى تصرفاته وإن كان يشوبها التردد . أما چوى فهو صبى فى الرابعة من عمره ممتلىء الوجنتين مفعم بالحيوية ، ويضحك فى سره بسهولة على الأشياء التى تبهجه .

وأما نانسى هولت فهى امرأة رشيقة الحركة ، شقراء فى الثلاثين من عمرها تعمل فى الحقل الاجتماعى تتحدث وتتحرك بسرعة . ومنذ البداية وصفت نانسى نفسها بأنها متحمسة بشدة للحركة النسائية ـ وتنشد المساواة التامة مع زوجها . وقد بدأت حياتها الزوجية مع إيڤان ترنو إلى ترسيخ شخصيتهما سوياً فى التقدم فى العمل وفى الوقت نفسه العناية بالبيت والأطفال ، وإن كانت العناية بالطفل تأتى لها فى المقام الأول. أما إيڤان فقد شعر من ناحيته شئ جميل أن يكون لنانسى مستقبلها الوظيفى إذا استطاعت أن توائم بينه وبين أسرتها.

وبينما كنت أقوم بملاحظة حياتهما فى المنزل ذلك المساء شعرت بموجة صغيرة تهتز على سطح حياة تلك الأسرة . فوسط جلبة المطبخ جاء صوت نانسى « إيڤان » من فضلك أعد المائدة . وجاءت كلمة من فضلك ثقيلة تنبض بالتوتر والغضب فوسط هرولتها فى المطبخ بين الثلاجة والفرن وچوى الذى كان يلاحقها، كانت نانسى تريد من إيڤان أن يساعدها . لقد طلبت هذا منه رغم أنفها فهى تكره أن تطلب شيئاً ، وقد أفضت إلىَّ بهذا بعد ذلك قائلة : « لماذا أطلب ؟ إنه نوع من الاستجداء » . ورفع إيڤان عيناه من فوق الخطابات ، وأطلق نظرة حانقة تجاه المطبخ ملسوعاً بصيغة الطلب التى وجهت إليه وهى خالية تماماً من نبرة التقدير والاحترام . ثم بدأ يُعد السكاكين والشوك وسألها إذا ما كانت هناك حاجة للملاعق أيضاً . ثم دق الباب فذهب ليفتح ووجد الطارق صديق ولده چوى جاء ليسأل إذا ما كان چوى سيلعب

فأجابه بالنفى ، وقد تلاشت لحظة الغضب .

وفى مقابلة تالية مع نانسى وإيڤان، كل على حدة ، وصفا حياتهما الأسرية بأنها سعيدة للغاية ، ولا يوجد فيها ما يؤرقها سوى « مشكلة چوى » فى حثه على أن ينام فى موعده . وتبدأ المحاولة بوضعه فى سريره فى الساعة الثامنة ، ويحاول إيڤان أن يساعده على النوم ، ولكن چوى يأبى بجفاء . ولكنه يستجيب لنانسى، وهذا ليس قبل أن يلهو قليلاً هنا وهناك ، ومن الممكن أن نراه لايزال يطلب أن يشرب أو يلعب أو ينسل ليفتح زر النور، وهذا يستمر من التاسعة والنصف حتى العاشرة والنصف . وفى الحادية عشر يشكو چوى من شعوره بالخوف وهو ينام بمفرده، وأن باستطاعته النوم فقط فى فراش والديه . ومن شدة الإنهاك والتعب ترضخ نانسى لهذا الطلب . ولاتستطيع نانسى أو إيڤان أن يخلدا إلى النوم قبل منتصف الليل أو ربما بعد ذلك ، وقد غلبهم التعب والإرهاق ؛ مما انعكس على علاقتها الزوجية الخاصة التى أصبحت تفتقر إلى الحرارة كنتيجة لمشكلة چوى .

إن التاريخ الرسمى لمشكلة چوى بدأ بالتصاقه الشديد بنانسى والتصاقها القوى هى الأخرى به . ففى نزهة بعد الظهيرة فى حديقة «البوابة الذهبية»، تكرس نانسى نفسها لكل حركة وسكنة تصدر عن چوى . وبعيداً عن رأى الجيران وجليسة الأطفال فى أن نانسى أماً رائعة ، فهى تبدو إلى حد كبير « أيضاً » «كأم غير متزوجة».

أما إيڤان فاحتكاكه محدود بچوى فلديه نظامه الروتينى المسائى اليومى فهو يعمل بأدواته الخاصة بالبدروم . ويبدو چوى من ناحية أخرى سعيداً بتواجده مع نانسى مبتعداً قليلاً عن إيڤان . وإيڤان بدوره لايعتبر ذلك مشكلة ويفسر هذا بفلسفته الخاصة قائلاً : « إن الأبناء الصغار يحتاجون لأمهاتهم أكثر من احتياجهم لآبائهم وكل الأولاد يمرون بمرحلة أوديب « وكثيراً ما يعمد چوى إلى جذب اهتمام نانسى على مائدة العشاء بشتى الطرق كمقاطعة الوالدين أو طلب عصير أو إطعام نانسى له

بنفسها، أو انتقاء حساء الكرفس مما بها من العيدان، فتقوم نانسى بتقطيعها. وتعلق نانسى وكذلك إيڤان على ما يحدث من مواقف بأن « هذا طبيعياً عندما يكون هناك أطفال ». وفى نهاية كل وجبة ما من أحد ينكر انتصار چوى.

وأحياناً عندما يدق إيڤان باب جليسة الأطفال ليصطحب چوى فإن الطفل ينظر تجاه والده باحثاً عن وجه ما خلفه متسائلاً: « أين ماما ؟ » ، ويصل الأمر فى بعض الأحيان بأن يرفض العودة مع والده للمنزل. وأحياناً ما يصفع چوى والده بشدة على وجهه « بلا سبب » ، وهذا يجعل من الصعب الاعتقاد بأن العلاقة بين چوى وإيڤان علاقة « طبيعية تماماً » وخصوصاً أن نانسى وإيڤان بدأ يناقشان بجدية « مشكلة الصفع ».

وقد قرر إيڤان أنه يسعى لإيجاد طرق يعوض بها بعده العاطفى عن چوى حيث يحضر له مفاجأة كل أسبوع كلعبة مثلاً ، أو يحول عطلة نهاية الأسبوع الى أوقات ، تخصه هو وچوى كأن يقترح اصطحابه إلى حديقة الحيوان ، إلا أن چوى عندما كان يقبل أحياناً متردداً ، نجد نانسى تقحم نفسها فى تلك النزهة مفسدة محاولة الأب للتقرب إلى ابنه – دون وعى منها - بحجة « المساعدة إذا ما اقتضى الأمر ».

إن إيڤان كان يجد دلائل قليلة على حب چوى له ، ويشعر بالعجز تجاه ذلك. وبالرغم من افتخاره بأن لديه ابناً جميلاً سعيداً كچوى ، إلا أن شعوره بالأبوة يصيبه بالألم الذى يكتنفه الغموض.

إن التاريخ الرسمى لمشكلة چوى يبدأ بالتصاقه « الأوديبى الطبيعى » كطفل ذكر بوالدته ، كما أن لديه المشاكل العاطفية المصاحبة لنموه التى من الممكن أن يتوقعها أى أب أو أم. ولكن ما زاد مشكلة چوى تفاقماً هو الصعوبات التى واجهت إيڤان فى أن يكون أباً فعالاً ، والتى تمخضت عن الطريقة التى كان والده ـ الذى كان

رجل أعمال عصامياً منفصلاً عاطفياً عن إيڤان - يعامله بها . ومن هنا كانت محاولة إيڤان بألا يكرر ما حدث له بالتقرب أكثر لولده كمشاركته لعبة من الألعاب أو اصطحابه للصيد.

وبينما كنت أسجل هذه الأحداث حول مشكلة چوى - من خلال المقابلات والملاحظات - بدأت الشكوك تعترينى حولها . وهذا ما اتضح لى بربط تفسير بآخر من خلال تتبع نموذج عمل إحدى الأمسيات لدى تلك الأسرة . فقد كانت نانسى فى حركة دؤوبة هنا وهناك كالزجزاج بين المنضدة والثلاجة والموقد . كما كانت هناك خطوات چوى الأخف والأكثر سرعة مهرولاً خلال المنزل وهو يتنقل بين لعبه . وبعد العشاء اختلطت خطوات إيڤان ونانسى فى المطبخ حيث يتعاونان فى عملية التنظيف سوياً . ثم تبدأ خطوات نانسى تُسْمَع وحدها مابين البدروم منشغلة بالغسيل وما بين الطابق الأول ثم تتوجه لتعد حمام چوى ، وتعود لحجرة چوى لتصطحبه الى الحمام . أما إيڤان فهو يتحرك بصورة أقل، من مقعده بحجرة المعيشة الى نانسى فى المطبخ ثم إلى حجرة المعيشة ثانية ، وبعد تناوله العشاء يذهب إلى المطبخ ليساعد نانسى فى عملية التنظيف ، ثم يتوجه إلي البدروم لممارسة هواياته فى تصنيف أدواته ، ثم يصعد ليحتسى شراباً ويعود ثانية . إن وقع الخطوات يوحى بما يجرى ، وهو أن نانسى تقوم تقريباً بكل أعمال الوردية الثانية .

ما وراء الخطـوات

إن كلاً من نانسى وإيڤان يظلان بعيداً عن المنزل يعملان طوال الوقت أو بالأحرى يقومان « بالوردية الأولى » بين 8:05 صباحاً حتى 6:05 مساءً . أما باقى الوقت فينجزان فيه متطلبات الوردية الثانية من تسوق وطهى ودفع للفواتير والعناية بالسيارة والحديقة والفناء، وإشاعة جو من الانسجام مع والدة إيڤان، كذلك الاهتمام بچوى والجيران وجليسة الأطفال الثرثارة، وببعضيهما البعض . وإذا ما تأملنا حديث

نانسى نجده يعكس أفكار الوردية الثانية، مثلاً جوى يحتاج إلى بدلة ... السيارة تحتاج إلى التنظيف ـ وهكذا. وبدقة أكثر نجد نانسى تعبر عن مايمكن أن نسميه «حساسية الوردية الثانية» ومحاولة التوافق المستمر بالعزف على أوتار التوازن بين الطفل والزوج والمنزل والعمل الخارجى .

عندما قابلت تلك الأسرة لأول مرة وجدت نانسى تستوعب كثيراً من أعمال الوردية الثانية ، وقدأخبرتنى بأنها تقوم بنحو 80٪ من العمل المنزلى و 90٪ من العناية بالطفل ، على حين قال إيڤان أنها تؤدى 60٪ من عمل المنزل ، و70٪ فى العناية بجوى، الذى بدوره قال : « أنا أقوم بتنظيف البساط الصغير بالمكنسة وأطوى فوط السفرة » خاتماً حديثه بقوله : « ماما وأنا نقوم بكل شيء » . كانت « فجوة الفراغ » تظهر بوضوح بين نانسى وإيڤان ، الذى كان ينعم بوقت فراغ أوفر من نانسى . وقد سألت كلا منهما على حدة فى لقاءات منفصلة عن كيفية تعاملها مع العمل فى المنزل ورعاية الطفل منذ بداية زواجهما.

قالت لى نانسى فى إحدى أمسيات العام الخامس لزواجهم عندما كان عمر جوى شهرين : « لقد ناقشت هذا الموضوع بجدية مع إيڤان قائلة : انظر ياإيڤان إنى أؤدى عملى فى المنزل وأتولى رعاية جوى وأقوم بوظيفة لكل الوقت . وإن هذا منزلك أيضاً وجوى ابنك أيضا، وليس من مسئوليتى وحدى رعايتهم جميعاً ، فلن أستطيع الاستمرار فى ذلك » .

« وعندما هدأت، رحت أرتب معه أمور حياتنا قائلة له : ما رأيك فى أن أطهو الطعام أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، وتتولى أنت الطهى أيام الثلاثاء والخميس والسبت، أما أيام الآحاد فنقتسمها سوياً أو نقضيها خارج المنزل » .

وطبقاً لنانسى ، قال إيڤان بأنه لايطيق « الجداول الصارمة » فهو لايتفق

بالضرورة مع تقسيمها لعمل المنزل ، ويكره أى نظام مفروض عليه ، ولكنه وافق على الفكرة من حيث المبدأ . وأوضحت نانسى أن الأسبوع الأول من الخطة الجديدة سار على النحو التالى : قامت هى بالطهى يوم الاثنين ، خطط إيڤان يوم الثلاثاء لإعداد وجبة تحتاج لشراء بعض المكونات ، ولكن فى طريقه للبيت نسى شراءها. وعندما عاد إلى المنزل ، ولم يجد ما يستخدمه فى الثلاجة أو المطبخ ، اقترح على نانسى الخروج لتناول طعام العشاء فى أحد المطاعم الصينية . وفى يوم الأربعاء طهت نانسى الطعام. وفى صباح يوم الخميس ذَكَّرتْ نانسى إيڤان بأن هذا المساء هو دوره فى إعداد الطعام، فأعد ايڤان وجبة سريعة من الهمبورجر والبطاطس المقلية وسارعت نانسى بامتداحه والثناء عليه . ثم قامت نانسى بالطهى يوم الجمعة ، على حين نسى إيڤان أن يقبل هذا يوم السبت.

وبتكرار نسيان إيڤان أصبحت تذكرة نانسى له تتسم بالحدة ، وكلما زادت حدتها زاد نسيان إيڤان . وبمرور الوقت زاد بالتدرج إحكام تلك الدائرة من الرفض السلبى وزاد الشعور بخيبة الأمل والغضب لدى نانسى . ولم يمض وقت طويل حتى امتد الصراع إلى مهمة غسيل الملابس، حيث ترى نانسى أنه من العدل أن يقاسمها إيڤان عملية الغسيل ، وهو وإن قبل مبدأ المشاركة فى بادىء الأمر فهى تشك بأنه سيلتزم بذلك . فنانسى تريد اتفاقاً صريحاً واضحاً مما دعا إيڤان أن يعقب على هذه الخطة قائلاً بأنها بمثابة قيد حول عنقه . لذلك وبعد الاختلاف حول هذه النقطة ولعدة أسابيع .. ظل الغسيل ملقى على أريكة حجرة المعيشة كضيف أشعث .

ولإصابة نانسى بالإحباط ،فقد بدأت توجه بعض الوخزات العاطفية لإيڤان كأن تقول بتنهيدة : « لا أدرى ماذا هناك من طعام للعشاء » أو « أنا لا أستطيع أن أطهو الآن فأمامى تل من الغسيل » . وكان يصيبها التوتر تجاه أدنى نقد يوجهه إيڤان بخصوص الفوضى التى تضرب فى أنحاء البيت ، فهى ترى أنه برفض إيڤان

مساعدتها فى عمل المنزل ، إذن فليس من حقه توجيه أى نقد لها بصدده ؛ إذ إنها ستندفع فى تلك الحالة غاضبة فى وجهه وهى تقول : « بعد العمل أشعر بأن قدمى متعبتين كقدميك ، كما أشعر بالإرهاق يعترينى مثلك تماماً فإثر عودتى للمنزل أطهو طعام العشاء، و أغسل و أنظف، وها نحن نخطط لإنجاب طفل آخر بينما لا أستطيع تدبير أمر واحد فقط »

وبعد عامين من بداية زياراتى لأسرة الهولتز بدأت أرى مشكلتهم فى ضوء جديد، كنوع من الصراع بين مفهوم النوع عند كلا الزوجين . فنانسى تريد أن تكون من النساء اللاتى يحظين بالتقدير فى البيت والعمل معاً ، فهى تريد من إيفان أن يقدرها لكونها امرأة عاملة وزوجة مسئولة وأما رائعة . ولكنها أيضاً تريد أن تشعر بالتقدير تجاه زوجها ليس فقط لتدعيمه لاسرته مادياً بل أيضاً لمشاركته فى أعمال المنزل، لأنها ستكون فخورة إذا ما وصفت لصديقاتها كيف أنها متزوجة من احد هؤلاء النادرين من « الرجال العصريين »

إن مفهوم النوع غالباً ما يضرب جذوره فى أعماق الخبرة المبكرة وتزيده الدوافع المبكرة أيضاً اشتعالاً . وفى الغالب يمكن تتبع تلك الدوافع فى قصة تحذيرية فى مقتبل الحياة كما حدث مع نانسى، فهى تصف والدتها قائلة :

« إن والدتى كانت سيدة رائعة تتسم بارستقراطية حقيقية ، ولكنها كانت مصابة بالإحباط بصورة مخيفة لكونها ربة بيت ، فقد كان والدى يعاملها كممسحة الباب وكانت تفتقد ثقتها بنفسها . وكلما تقدم عمرى زاد إدراكى لتلك الحقيقة ، فزاد بالتالى إصرارى بألا أكون مثلها وألا أتزوج رجلا مثل والدى . وبرفض إيفان القيام ببعض أعمال المنزل ، أشعر أنه سيكون على شاكلة والدى الذى كان تو عودته للمنزل يصيح فى أمى لتأتى لخدمته . كان هذا هو خوفى الأعظم الذى كان تأثيره يمتد إلى أحلامى» .

وتعتقد نانسى أن صديقات عمرها اللائى تزوجن زواجاً تقليدياً كان مصيرهن أيضاً الفشل . فهى تتحدث عن صديقتها مارثا، Martha، بأنه لم يكن لديها اهتمام بتعلم أى شىء ، وعاشت حياة تعيسة مع زوجها مندوب المبيعات طيلة تسع سنوات كانت خلالها تغسل ملابسه بيديها وتشعر بالكراهية لحياتها .إن نانسى تعتبر مارثا صورة مصغرة لأمها : محبطة وتفتقد تقدير الذات . إن تلك القصة التحذيرية مدلولها هو : « إذا ماكنت ترغبين فى أن تكونى سعيدة ، تقدمى فى عملك ، واجعلى زوجك يقاسمك أعباء المنزل ». إن الإلحاح المستمر على إيڤان ليشارك فى المنزل «عمل شاق»، ولكنه جوهرى لترسيخ دورها كامرأة عاملة .

أما إيڤان فهو يرى الأشياء بصورة مختلفة تماماً ، وذلك لأسبابه الخاصة . فهو يحب زوجته نانسى وفخور وسعيد بتأييده لها فى عملها ، ولكنه من ناحية أخرى لايرى مبرراً لإجباره على تغيير حياته كثمن لاختيارها هذا العمل . فلماذا يستتبع قرارها الشخصى بالعمل خارج المنزل ، أن تطلب منه أن يقوم بالمزيد داخل المنزل ؟ إنه لاينكر أن دخل نانسى كبير ، ويعتبر دعماً رئيسياً فى المنزل ، ولكن – كما قالت لى نانسى نفسها – « فى أسوأ الظروف – يمكننا الاستغناء عن دخلى تماماً » . وإذا كانت نانسى تقوم بعملها كباحثة اجتماعية فذلك لأنها تحب هذا العمل. كما أن المساواة فى أعمال الوردية الثانية، من وجهة نظره تعنى فقدانه لمستوى معيشته . إنه يسعد بتقديم مساعدة لنانسى فى وقت تحتاج فيه لذلك ، وهذا يكون مبعث سرور له . أما ما يعتبر بحق عبئاً ثقيلاً على نفسه فهو شعوره « بالإلزام » فى مقاسمة العمل معها.

وهناك اعتقادان آخران قد يكونان أيضاً مسئولان عن إشعال مقاومته لموضوع المشاركة ، الأول يتمثل فى شكه أن تكون مقاسمته للوردية الثانية حافزاً لنانسى « للسيطرة عليه » وتوجيه الأوامر له بأن يفعل هذا وذاك ، فقد كان إيڤان يشعر بأن نانسى قد انتصرت عليه فى أكثر من موقف ، وعليه الآن أن يوقفها عند حد ، إذ إن

لها شخصية تعلن عن نفسها . وقد اعترفت نانسى بأن والدة إيڤان جلست إليها ذات مرة ، وأوضحت بأن ابنها فى حاجة لأن تكون له سلطة أكبر . والعامل الثانى هو أن شعور إيڤان بمستقبله وبنفسه أقل استقراراً من شعور نانسى بمستقبلها وبذاتها ، فقد مر بفترات بطالة لم تمر بها نانسى . كما أن إيڤان يشعر بأن اقتسام أعباء المنزل يعنى قلب ميزان القوة الصحيح فى المنزل ، فهو يمسك بخيوط النواحى المالية ، وهو صاحب القرار الأول بخصوص المشتروات الضخمة (كشراء منزلهم الحالى) لأنه «يعلم أكثر عن النواحى المالية» ، ولأنه كان قد ورث بعض المال عند زواجهما . وبالرغم من أن الصعوبات التى واجهها فى عمله وفترات استسلامه لتعاطى الخمور قد أثرت سلبياً على احترامه لنفسه فإنه استطاع مع زوجته أن يحقق نوعاً من التوازن – فى صالحه فى أغلب الأحيان – فلو أنهما حاولا الآن تصحيح هذا التوازن لتصبح أعباءهما متساوية فذلك سيؤدى إلى تخليه عن الكثير . وقد أدى قلق نانسى والحاحها لكى يتفاوضا من جديد بشأن توزيع الأعباء إلى شعور « إيڤان » ان الوصول إلى أى اتفاق سيعتبر استسلاماً من جانبه . وكلما زاد إحساسه بعدم الرضا عن وظيفته تضاعف خوفه من فكرة سيطرة زوجته عليه فى المنزل .

وتحت غطاء تلك المشاعر يبدو أن إيڤان ربما كان يخشى أن تتقاعس نانسى عن الاهتمام به كما فعلت والدته التى كانت تحتسى الخمور ، وشيئا فشيئاً تنصلت من أمومتها تجاهه وتركته وشأنه . وربما جعله ذلك الدافع الشخصى يتجنب نفس الحدث فى زواجه – وهذا تخمين من جانبى، والتزامه الصمت إزاء هذا الموضوع يفسر لى مقاومته السلبية ، وهو ليس بمخطىء تماما لشعوره بذلك التخوف . وفى الوقت الذى كان يحس فيه أنه « يقدم » لنانسى فرصة المكوث بالمنزل أو اختصار ساعات عملها وبأنها ترفض تلك « النعمة »، كانت نانسى تشعر بأن تركها لعملها من الصعب اعتباره نعمة .

وفى العام السادس من الزواج عندما كشفت نانسى من ضغطها على إيڤان

ليضطلع بمشاركة متساوية معها فى العمل داخل المنزل ، قال لها إيڤان : « لماذا لاتختصرين ساعات عملك إلى نصف الوقت ، وبذلك تستطيعين إنجاز كل ماتحتاجين» فكان رد نانسى : « إن العمل ضرورى بالنسبة لى وإنى لأجاهد لأحصل على درجة الماچستير . لماذا إذاً أتخلى عن طموحاتى ؟ ». وقد فسرت ذلك لإيڤان ولى بعد ذلك قائلة : « إنى أعتقد أن حصولى على درجتى العلمية ونجاحى فى عملى هما طريقى لكى أؤكد لنفسى بأن مصيرى لن يكون كوالدتى » . وبالرغم من ذلك فإنها لم تنل التأييد المعنوى الكافى لحصولها على الماجستير سواء من جانب والديها أو والدى زوجها (فقد كانت أمها دائماً تتجنب الحديث عن رسالة الماچستير، كما أن أهل زوجها لم يحضروا حفل تخرجها – رغم دعوتها لهم – وادعوا فيما بعد أنها لم تقم بدعوتهم) .

وبالإضافة لذلك .. فإن نانسى كانت تجد نوعاً من الإثارة فى عملها ولقاءاتها مع عملائها فى الأحياء الماجنة من المدينة ، الأمر الذى لم يكن يتحقق لإيڤان فى تعاملاته مع مندوبى المبيعات . ولكنها لم تستطع أبداً فهم ازمة زوجها ؛ فقد كانت دائمة التساؤل : لماذا لايحاول إيڤان التأقلم مع ظروف عمله والتوفيق بينها وبين وقت فراغه كما تفعل هى ؟ فهى لاتفهم وجهة نظره بالضبط، كما عجز هو عن تفهم وجهة نظرها .

وخلال السنوات التى شهدت تناوب الصراع والوفاق ، رأت نانسى تعاوناً إيجابياً من إيڤان ، خصوصاً فى أثناء مرضها ولكنه لايلبث أن يتوارى عندما تتحسن صحتها .

وبعد سبع سنوات من زواج الحب .. وصل أخيراً كل من نانسى وإيڤان إلى طريق مسدود فظيع ؛ فالمستوى العاطفى لحياتهما قد تراجع بعنف، وبدأ كل منهما ينتقد الآخر ويتصيد له الأخطاء ، ويشعر أن الطرف الآخر يستغله : إيڤان لعدم قبول

نانسى لتنظيمه الذى يعتبره جيداً لحياتهما ، ونانسى لإحساسها أن إيڤان لايفعل ماتعتقد هى بشدة أنه « عدل » .

ووجد هذا الصراع طريقه إلى علاقتهما الزوجية الخاصة ، فقد كانت نانسى دائماً تحتقر أى صورة من صور الرغبة أو الاستمالة الأنثوية ، وتنظر باستعلاء إلى الطرق التى تمارسها النساء التقليديات للاستحواذ على اهتمام الرجل . وتستطرد نانسى وهى مستغرقة فى التأمل : « عندما كنت فى سن المراهقة أقسمت ألا أستخدم الجنس لأكسب قلب الرجل ، فهذا لايتفق مع احترام النفس ، إنه بمثابة انحطاط لها». لكن عندما رفض إيڤان أن يتحمل مسئوليته فى المنزل لجأت إلى الجنس بأنها كانت تفسر لزوجها عزوفها عن الجنس ، بأنه نتيجة إرهاقها فى العمل طول النهار ، وشعرت أنها استخدمت تكتيكاً قديماً يجعل أفكارها الحديثة تخجل منه ، ولكن لم يكن أمامها غير هذا الأسلوب .

ثم برزت فكرة الانفصال على السطح ، وأصبح كل من نانسى وإيڤان يخافانها، وبدأت نانسى تتأمل فى حالات الزواج الفاشل والطلاق الحديث لبعض الأزواج الذين لديهم أطفال ، فقد كان من معارف نانسى وإيڤان زوج تعيس ، انتهى به الحال إلى الانفصال عن زوجته ، ولا أحد يدرى على وجه التحديد إذا ما كانت تعاسته جعلته بعيداً عنها ، أو أن افتقاده إلى الشعور بالمسئولية جعل زوجته غير سعيدة لدرجة أنها تركته . وفى حالة أخرى شعرت نانسى أن الزوجة « ظلت تؤنب فى زوجها تأنيباً مستمراً » لدرجة اضطرته إلى هجرها إلى امرأة أخرى . وفى كلتا الحالتين كان الزوجان أكثر تعاسة بعد الطلاق ، وتولت كلتا الزوجتين رعاية الاطفال وكافحتا لتستطيعا الإنفاق على المعيشة . كل هذه الأمثلة جعلت نانسى تعيد التفكير وتسأل نفسها : « لماذا أدمر زواجى بسبب بعض الأوانى المتسخة ؟ هل الأمر يستحق فعلاً ؟ ».

« الطابق العلوى والطابق السفلى »

الحل الخرافى للمشكلة

لم يمض وقت طويل على حدوث هذه الأزمة فى زواج أسرة الهولتز، حتى انخفضت حدة التوتر حول موضوع الوردية الثانية ، وكسب إيڤان الجولة ، وكان لزاماً على نانسى القيام بمعظم مسئولياتها وحدها . وقد عبر إيڤان عن شعور غامض بالذنب ، ولكن أكثر من هذا لم يكن لديه مايُقال . وأصاب نانسى الإنهاك من تكرار تصعيد الموقف دون التوصل إلى حل. والآن فى تعب الهزيمة تريد للصراع أن ينتهى . إن إيڤان لديه جوانب أخرى « جيدة جداً » فلماذا تضعف من زواجها بالشجار المستمر . وبجانب هذا قالت لى : « *إن النساء يتحملن أكثر . أليس كذلك ؟* » .

وعندما سألتها ذات يوم عن دور كل منهما فى قائمة العمل المنزلى ، قاطعتنى قائلة : « أتولى أنا الطابق العلوى ، على حين يتولى إيڤان الطابق السفلى . فسألتها : « وماذا يعنى هذا ؟ » فأجابتنى : « إن الطابق العلوى يحوى حجرة المعيشة وحجرة الطعام والمطبخ وحجرتين للنوم وحمامين ، والطابق السفلى يعنى الجراج ومكاناً يستخدم كمخزن ولممارسة إيڤان لهواياته . وقد وصفت هذا بأنه تنظيم «للمشاركة» ولم يكن فى نبرتها أى نوع من السخرية أو التهكم، وقد اعتبرت هى وإيڤان هذا أفضل الحلول لنزاعهما . فعلى إيڤان العناية بالسيارة والجراج وكلب الأسرة وقد علقت نانسى عليه قائلة : « إن إيڤان عليه أن يتولى تماماً شئون الكلب ، أما أنا فليس لى شأن به ». أما نانسى .. فعليها بقية الأمور .

وهنا نرى أنه لغرض التكيف مع الوردية الثانية ، ارتفع الجراج ـ عند أسرة الهولتز ـ لمرتبة كاملة متساوية عملياً مع بقية المنزل . وأصبح لكل من نانسى وإيڤان مايسمى « بالطابق العلوى والطابق السفلى » و« الداخل والخارج » وهى صيغ

يكتنفها الغموض فى وصفها، كنوع من التقسيم العادل للعمل بينهما . وهذا مايعتبره الزوجان حلاً لمشكلتيهما يمكن أن نطلق عليه « خرافة أسرية » فهو نظام وهمى. والسؤال الآن : « وإن كان كذلك فلماذا يعتقدان فيه ؟ » والاجابة : « لأنهم فى حاجة لأن يعتقدان بأنه حل لمشكلة خطيرة . فقد أتاح لنانسى أن تستمر فى الاعتقاد بأن زوجها يحترمها ، وهذا فى حد ذاته يعنى كثيراً بالنسبة لها ، كما أنه منع الصدام مع الحقيقة الصعبة وهو رفض إيڤان بسلبيته وعناده التعاون مع نانسى ، بالإضافة إلى أنه أبعد شبح الطلاق عن نانسى التى اعتراها الخوف منه أكثر من إيڤان. وقد توصلا سوياً لهذه الفكرة الوهمية كنوع من الغطاء لحياتهم الأسرية الحقيقية . إنها محاولة للاتفاق على أنه لايوجد خلاف بينهما حول الوردية الثانية ، كما لايوجد توتر بينهما حول مفهوم الرجولة والأنوثة ، وأن الأزمة القوية التى ظهرت كانت مؤقتة وعابرة .

إن الرغبة فى تجنب مثل هذا الصراع لأمر طبيعى للغاية ، ولكنه فى نفس الوقت كان متمشياً مع الجو المحيط؛ خاصة الصورة الشائعة للمرأة العاملة ذات الشعر المتطاير، فتلك المرأة الخارقة – مثلها مثل نانسى – تقوم بأعمال الطابق العلوى وحدها ودون أى صراعات مع زوجها . وبعد وصول نانسى وايڤان لحل « الطابق العلوى والطابق السفلى » انتهت مشاجراتهما وأصبحت فى طى النسيان تقريباً . ولكن عند وصف نانسى لحياتها بعد هذا الاتفاق بشهور ، بدا أن استياء نانسى لايزال حياً .
ومثال ذلك قولها:

> انتهينا أنا وإيڤان بشأن تقسيم العمل بحيث أتولى أنا الطابق العلوى وهو الطابق السفلى ، بالإضافة إلى العناية بالكلب . فالكلب إذن هو مسئولية زوجى. ولكن أثناء انهماكى كل صباح فى عديد من الأعمال : إخراج الكلب وإعداد ابنى للذهاب لحضانته وتنظيف مكان طعام القطة واعداد الغذاء، فى وسط كل هذا شعرت فجأة بالحنق والثورة. فأنا أقوم بكل شىء ، وكل مايفعله إيڤان هو أن يستيقظ من نومه ثم يحتسى قهوته ويقرأ الصحف ويقول : « حسناً يجب ان أخرج الآن » وغالبا ما ينسى الغذاء الذى تعبت فى إعداده .

وذكرت نانسى كذلك أنها قد اعتادت أن تضع چوى فى فراشه بطريقة معينة : فهو يطلب منها أن تؤرجحه بين ذراعيها ثم تضعه فى الفراش ليستكين فى دعة ، وهى تضمه إلى صدرها وتهمس فى أذنه ، فهو ينتظر عنايتها واهتمامها الذين دونهما لاينام. ولكن بالتدريج بدأت محاولات نانسى فى أن تجعله ينام فى الثامنة أو التاسعة تفشل بل على العكس جعلته يزداد تنبهاً ، وبدأ يعرب عن رغبته فى النوم فى فراشها . وبدأ فعلاً ينام فى سريرها ويتعدى على حقها هى وإيڤان فى حياتهما الخاصة كزوجين. وشعرت فى نهاية زيارتى لأسرة هولتز أن نانسى تتعمد التأخر فى موعد نوم چوى كما لو أنها تقول لإيڤان : « إنك حقا كسبت الجولة ، وسأستمر فى عمل المنزل ، ولكنى غاضبة بخصوصه وسأجعلك تدفع الثمن ». وطبقاً للخرافة الأسرية التى يؤمنان بها : كل شئ على مايرام فالصراع قد خمد بحل المشكلة فيما يسمى بـ « الطابق العلوى والطابق السفلى » ولكنه استمر يضطرم فى منطقة واحدة من زواجهما ، وهى مشكلة چوى ومشكلتهما معاً .

« برنامج » نانسى لتدعيم الخرافة

أعتقد أنه حانت لحظة ما قررت فيها نانسى أن تكف عن الاستياء من إيڤان . وسواء واجهت النساء الأخريات أم لا لحظة كتلك .. فمن المؤكد أنهن على الأقل يواجهن الحاجة إلى التعامل مع المشاعر التى تعتمل فى صدورهن من جراء الصدام الناجم بين عالم المثل والواقع الذى لامفر منه . وفى زمن الثورة المؤجلة نجدها مشكلة تواجه عدداً كبيراً من النساء .

ولكن بالرغم من هذا القرار .. فإن نانسى « أحياناً » كانت تنسى نفسها وتشعر بالغضب من زوجها ؛ فهذا التصميم كان بحاجة إلى مجهود للحفاظ عليه والالتزام به. ودون وعى منها كانت « نانسى » مستعدة لتقبل أى شىء فى سبيل الحفاظ على هذا الوضع ، فهى تستطيع أن تخبرنى الآن بعد عام من اتخاذ القرار - المتمثل فى تقسيم

العمل إلى «الطابق العلوى والطابق السفلى» - وبطريقة خالية من النقد: «إن إيڤان يحب أن يعود للمنزل ليتناول وجبة ساخنة، ولا يحب أن ينظف المائدة أو يرفع الأطباق. إنه يحب أيضاً أن يشاهد التلفزيون كما يحب أن يلعب مع ابنه چوى ، عندما يرغب فى ذلك وليس مجبراً عليه ». إن نانسى تبدو مستسلمة، وكل شئ كان «على ما يرام » ، ولكن الأمر تطلب كماً غير عادى من العمل العاطفى المعقد الذى يعنى محاولة الشعور «بالشعور الصواب»، الذى تريد أن تشعره من أجل جعل كل شئ «على ما يرام». وفى هذا الوقت بالتحديد من تاريخ الأمة الأمريكية، يقف عمل العاطفة غالباً بين الثورة المتوقفة من ناحية والزواج الفاشل من ناحية أخرى.

كان من اليسير على نانسى أن تفعل مثلما تفعل قريناتها من النساء ، وهو أن تتمسك بمشاركة زوجها لها فى الوردية الثانية ، أو تصب سخطها وغضبها عليه ، أو تسقط فى هاوية الإحباط التام مثل والدتها، ذلك الإحباط الذى يتخفى فى صورة الانشغال الزائد أو الإفراط فى الشراب أو الشراهة فى تناول الطعام. ولكنها لم تفعل شيئاً مما سبق، بل فعلت ما هو أكثر تعقيداً، فقد أصبحت رقيقة ولطيفة ومتساهلة.

ولكن كيف تسنى لنانسى أن تتكيف برقة ولطف؟ بتفسير أشمل وأعم نجدها وقد دفعت بنفسها إلى الاعتقاد فى عدالة أسطورة الطابق العلوى والطابق السفلى ، وأنها بذلك قد حلت مشكلتها مع إيڤان. كان عليها أن تتقبل تنظيماً لحياتها تعتقد هى فى قرارة نفسها أنه غير عادل ، وفى الوقت نفسه لم تتخل عن إيمانها العميق بحقها فى العدالة.

ولقد بدا أن نانسى تتجنب كل تداعيات الأفكار والخواطر ، التى تذكرها بما يؤلمها : كالربط بين عناية إيڤان بكلبه وعنايتها بالمنزل وبابنها ، والربط بين مشاركتها فى عمل الأسرة والمساواة وكذلك بين المساواة والحب . لقد حاولت نانسى أن تتجنب فى عقلها الواعى الاعتراف بسلسلة التداعيات الكاملة ، التى تجعلها تشعر أن هناك

شيئاً ماخطأ. إن برنامج « صيانة » علاقتها مع زوجها ، والذى صممته لتتجنب التفكير فى تلك الأشياء ، يبدو من ناحية كنوع من الرفض ، ولكنه من ناحية أخرى ينبى عن عبقرية فطرية .

لقد عملت نانسى نوعاً من الفصل بين عدم المساواة فى أعمال الوردية الثانية ، وبين عدم المساواة فى زواجها وفى الزيجات الأخرى ككل . وقد رأينا اهتمام نانسى وسعيها بأن يكون زواجها « زواج مساواة » ، وهذا مرجعه كما ذكرنا سالفاً إلى رغبتها فى تجنب إحباط أمها وصورتها المرسومة فى ذهنها « كممسحة الباب » ، وإلى طموحها لتحقيق شخصية مستقلة كامرأة متعلمة تنتمى للطبقة المتوسطة ، فتحت لها فرص المستقبل أبوابها فى بداية الثمانينيات . إن المساواة كمفهوم ، جعل لسيرة حياتها ولظروفها معنى. ولكى تؤكد على أن اهتمامها بالمساواة لم يجعلها تستاء فى زواجها من رجل، يبدو بوضوح مقاوماً للتغيير ، فقد « قلصت » مساحة الأسباب المثيرة للغضب لديها : فبما أن مسئولية إيڤان أصبحت الكلب فقط ، فليس من حقها الاستياء إلا فى حالة إهماله لهذه المهمة ، وهى لم تعد بحاجة إلى أن تحزن على عملها المتواصل بوجه عام . إنها لازالت تؤيد الحركة النسائية ، وتؤمن بمبدأ المساواة فى تحمل أعباء المنزل ، ولاتزال تؤمن بأن المساواة هى تعبير عن الاحترام، وأن الاحترام هو أساس الحب ، ولكن هذه السلسلة من التداعيات أصبحت الآن ترتبط بأمر ثانوى للغاية ، وهو مدى رعاية واهتمام إيڤان بواجباته نحو الكلب .

وبالنسبة لإيڤان أيضاً أصبح الكلب بالنسبة له يرمز إلى كل أعمال الوردية الثانية ، فقد أصبح مخرجاً سحرياً له . وأثناء دراستى اكتشفت أن رجالاً آخرين يتخــذون لهم مثل هذا المخرج السحرى من أعمال الوردية الثانية ، فعندما سألت أحدهم : ماذا يشارك من أعمال فى المنزل ، كان رده بأنه يصنع الفطائر ، وليس عليه بعد ذلك أن يقتسم مسئولية أكبر فى المنزل . ووجدت آخر يشوى السمك فقط، وغيره

يخبز الخبز . ومثل هؤلاء الرجال يحولون عملاً واحداً منفرداً إلى بديل كافٍ لأعمال منزلية كثيرة ، يزخر بها جدول الوردية الثانية . وهكذا فكل ماكان على « إيڤان » أن يقوم برعاية الكلب .

وقد لجأت نانسى إلى وسيلة أخرى لتخمد غضبها ، وهى التفكير فى عملها بطريقة مختلفة . فمن منطلق شعورها بالإخفاق فى المواءمة بين متطلبات عملها وبيتها .. استطاعت بشىء من المشقة أخيراً أن تنظم جدولاً لعملها مع رئيسها، يستغرق نصف الوقت . وإن كان هذا الحل قد خفف عنها العبء بعض الشىء ، إلا أنه لم يحل المشكلة المعنوية غير الملموسة القائمة بين نانسى وإيڤان ، والمتمثلة فى اعتبار عمل نانسى ووقتها أقل قيمة من عمل إيڤان ووقته . ومن ثم لجأت إلى تقسيم كل أعمالها فى الجدول الجديد إلى فترات . وهى تعبر عن ضيقها فى الفترة السابقة : « كنت أشعر بالاستياء وبسوء المعاملة ، والآن وبعد أن عملت لنصف الوقت من الثامنة حتى الواحدة بعد الظهر، أعود لبيتى فأجد متسعاً من الوقت للعناية بجوى وإعداد طعام العشاء فى الخامسة ، وكل هذا يدخل فى نظام فترة واحدة ، أما فى الماضى .. فقد كنت مضطرة لإعداد الطعام مساء ، وهذا ما كان يثير تذمرى وضيقى لاعتبارى أنه يأتى بعد مناوبتى الأولى » .

وهناك مبدأ أساسى آخر فى برنامج « صيانة الزواج » الذى وضعته نانسى، وهو عدم عقد أى مقارنة بين ساعات فراغها وساعات فراغ إيڤان ، وهما يتمسكان بقوة بتصورهما أنهما ينعمان بزواج متكافىء ، ويرفضان عقد أى ربط بين هذا الزواج المتكافىء والتساوى فى وقت فراغ كل منهما . فقد اتفقا على أنه لا معنى للإفصاح عن أن إيڤان لديه وقت فراغ أكبر من نانسى ، أو أن شعوره بالتعب أهم من شعورها هى بالتعب ، أو أنه ينعم بحصافة وفطنة أكثر فى استغلال وقته ، أو أنه يعيش حياته كما يحلو له ، فمثل تلك المقارنات من شأنها أن تعطى إيحاء بأن إيڤان أكثر قيمة من نانسى ، وبالنسبة لنانسى فقد يجعلها تنزلق إلى هاوية الشعور بأن إيڤان لا يحبها أو

يقدّرها بقدر حبها وتقديرها له .

إن نانسى لم تنظر أبداً للفارق بين حجم وقت الفراغ لديها ولدى زوجها على أنه يعنى مجرد تحملها لحجم أكبر من التعب . فلو كان الأمر بهذه البساطة لشعرت بالتعب ، ولكن بلا أى غضب . وفى هذه الحالة كان مجرد تحولها إلى العمل نصف الوقت كفيلاً بأن يحل المشكلة بشكل رائع .

ولكن ما كان يؤرق نانسى حقاً هو موضوع " القيمة " كما قالت لى ذات يوم : «إن ما يعنينى ويجعلنى ليس العناية بچوى فأنا أحب ذلك ، ولا يرهقنى أيضاً موضوع الطهى أو الغسيل ، بقدر ما هو شعورى فى بعض الأحيان أن إيڤان يعتقد أن وقته وعمله أكثر أهمية من وقتى وعملى ، فهو لا يحاول حتى أن يرد على التليفون وكأن وقته مقدس .»

كذلك أوضحت نانسى: «أنا وإيڤان مختلفان فى التعبير عن الحب ، فهو يشعر بالحب عندما يمارسه ، والجنس مهم جداً بالنسبة له. أما أنا.. فإننى أشعر بالحب عندما يعد إيڤان طعام العشاء أو يقوم بعملية التنظيف.» وكما نرى أن الشعور بالحب لدى نانسى مقترناً بتقدير زوجها لاحتياجاتها واحترامه لمبدأ المشاركة والمساواة . وبالنسبة لإيڤان فهو يعتقد أن « المساواة » والاحترام مفاهيم أخلاقية وأفكار معنوية دخيلة على الحب ، وهو يعتقد أنه يعبر عن احترامه لنانسى بالإنصات إليها جيداً فى شتى الموضوعات الخاصة بعملها ، وأخذ مشورتها فى مشتروات البيت . أما اعتبار غسيل الأطباق مرتبطاً بالعدل أو مؤكداً للحب فهذا غير صحيح . وفى مقابلاتى أعرب عدد مدهش من السيدات عن رأيهن فى أن مشاركة آبائهن لأمهاتهن كانت « بدافع الحب » أو التقدير، كما قالت لى إحداهن : « كان أبى يساعد كثيراً فى أعمال المنزل لأنه كان يحب أمى حقاً ». ولكن فى احاديثى مع الرجال .. لم يربط أى منهم بين حب والده لوالدته ، وبين معاونته لها فى أعمال المنزل .

قمع سياسة المقارنة

كانت نانسى فى الماضى تعقد المقارنة بين مسئولياتها فى المنزل وشخصيتها وحياتها، وبين إيڤان ومسئولياتها وشخصيته وحياته . كما كانت تعقد المقارنة بينه وبين الرجال الذين يعرفونهما سوياً . والآن لكى تتجنب الشعور بالاستياء والضيق ، يبدو أنها تعقد المقارنات بينها وبين أمهات عاملات أخريات ، من ناحية تنظيمهن وحيويتهن ونجاحهن . وبهذا المقياس .. شعرت بنجاحها التام فـ «چوى» يتفجر حيوية ونضارة ، وزواجها أصبح على ما يرام ، ووجدت فى عملها كل ماكانت تتطلع إليه . كما كانت نانسى تقارن نفسها أيضاً بغيرها من النساء غير المتزوجات، واللاتى حققن نجاحاً وتقدماً أكثر منها فى عملهن ، ولكنهن فى نظرها ينتمين لفئة مختلفة . فالنساء من وجهة نظر نانسى نوعان : المتزوجات وغير المتزوجات ، فالمرأة غير المتزوجة يمكنها التقدم بسرعة فى عملها ، بينما لدى نظيرتها المتزوجة واجبات أخرى كزوجة وأم. وبالطبع فإن هذا التميز لا يوجد فى عالم الرجال .

وعندما أوقفت نانسى المقارنة بين إيڤان والرجال الآخرين الذين يقدمون يد المساعدة لزوجاتهم بصورة أكبر داخل المنزل ، كان عليها أن تكبت بداخلها عديداً من الأسئلة مثل : كيف تستطيع أن تحكم بأن إيڤان يقدم أكثر أو أقل من غيره من متعلمى الطبقة الوسطى ؟ وما « المعدل السائد » الذى يمكن أن تعتمد عليه كمعيار لحكمها ؟

وقبل الوصول لإجابة، لاحظت نانسى أن جارهم بيل بومونت، Bill Beau-mont، يقوم بنصف أعمال المنزل دون أى إلحاح من زوجته ، على حين اعتبره إيڤان حالة استثنائية ويرى إيڤان نفسه متعاوناً أكثر من معظم الرجال ، وهذا يبدو صحيحاً إذا كانت عبارة « معظم الرجال » تعنى أصدقاء إيڤان القدامى ، ونانسى تعتبر نفسها محظوظة جداً بالمقارنة لزوجات هؤلاء الرجال اللاتى اعتدن النظر إلى إيڤان على أنه

نموذج مثالى، على أزواجهن أن يحذوا حذوه، مثلما تفعل هى عندما تنظر إلى الزوجات اللاتى يقوم أزواجهن بأعمال أكثر من إيڤان.

وقد روت نانسى أن أحد أصدقائهم وهو رجل شرطة أيرلندى محافظ ، كان متزوجاً بسيدة لاتعمل، تقوم بكل شىء فى المنزل حتى بعد إنجابها. ولم يدر هذا الرجل شيئاً عن الاتفاق الذى أبرم فى البداية بين نانسى وإيڤان. وكان إيڤان يقوم بموجبه بطهى الطعام بعضاً من أيام الأسبوع وغسل الأطباق والملابس ، وحدث أن حظر هذا الرجل عليهما دخول منزله لفترة ، حينما قال لإيڤان : « فى كل مرة تأتى زوجتك وتتحدث مع زوجتى تحدث بيننا أزمة ». فقد كان هذا الرجل ينظر إلى نانسى على أنها تفور حماساً بشأن المساواة وهذا مالم يتقبله، واعتبرها مبعث خطر على زواجه .

نفس الموقف كان يحدث مع زوجين آخرين : چو كولينز، Joe Collins، وزوجته، فعندما كانت الزوجة تشكو من أن چو لا يقاسمها المسئولية ، كان هو يسارع بالدفاع عن نفسه مشيراً إلى قائمة الأزواج المتعاونين وأنصاف المتعاونين وغير المتعاونين (حسب تصنيف زوجته) ويركز على أقل هؤلاء تعاوناً ، ويعلن لزوجته بثقة : «على الأقل فإن ما أقدمه من العون يفوق بكثير ما يقدمه هو.» بينما تشعر الزوجة بتقصيره، لأنها دائما تقارنه بزوج آخر من معارفهم ، يضطلع بنصف مسئولية المنزل والأطفال. إن مثل هذا الرجل - فى نظر چو - ليس إلا إنسانا خالياً أو ثرياً بشكل لايحتاج معه إلى العمل.

وأنا بدورى بدأت أتخيل مثل هذه المناقشة الروتينية ، وهى تدور كل مساء فى كل بيت من بيوت تلك المجاورة الأيرلندية ، وتمتد عبر المدينة كلها لغيرها من المدن والولايات، حيث تشير الزوجات بالبنان إلى الأزواج الذين يقومون بمسئولية أكبر ، على حين يشير الأزواج إلى هؤلاء الذين يقومون بدور أقل . إن مقارنات كتلك بين إيڤان

وغيره من الرجـال، وبين نانسـى وغيرها من النساء لتعكس شعوراً نصف واعٍ لمفهوم « المعدل السائد » للموقف أو السلوك المرغوب فيه فى شخص آخر، سواء من نفس الجنس أو من الجنس الآخر (رجلاً أم امرأة)، بمعنى أنه إذا كان معظم الرجال على سبيل المثال فى دائرة أصدقاء نانسى وإيفان - ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة - مدمنين للشراب أو يضربون زوجاتهم أو لديهم علاقات نسائية ، ففى هذه الحالة ستعتبر نانسى نفسها « محظوظة » لزواجها بإيفان لأنه لايفعل مثل هذه الأشياء. ولكن بما أن معظم الرجال من دائرة معارفهم وأصدقائهم لايفعلون تلك الأشياء ، فإن نانسى لا تعتبر أن إيفان يتفوق على « المعدل السائد » مع استثناء واحد، وهو أن إيفان يبز هؤلاء الرجال فى تشجيعه الحماسى لتقدم نانسى فى عملها ، مما يجعلها تشعر بأنها « محظوظة » فى هذه الناحية.

وكلما كان الرجل « نادراً » فى سلوكه واتجاهاته بالمقارنة الى « المعدل السائد » من الآخرين ، فإن زوجته بالفطرة ستشعر بالامتنان له والاعتراف بفضله.

ومن الملاحظ أن فكرة « المعدل السائد » تعتبر أداة فى الصراع القائم بين الزوجين وتميل كفته لصالح الرجل. فإذا ما استطاع إيفان أن يقنع نانسى بأنه يفعل مثل أو أكثر مما يفعله « معظم الرجال » فإن على نانسى ألا تتوقع منه أن يقدم أكثر من ذلك. فإيفان ينظر إلى نفسه على أنه « نموذج معيارى » للرجال الذين لايشاركون زوجاتهم عمل المنزل، وبالتالى على نانسى أن تعتبر نفسها « محظوظة ».

أما نانسى فتعتقد أن بعض الأزواج يقومون بكثير من الأعمال المنزلية ، ولكن حياءهم يمنعهم من الإفصاح عن ذلك فرأيها فى مايفعله «معظم الرجال الآخرين» يختلف عن رأى إيفان ؛ ولذلك فشعورها بالامتنان لم يكن بنفس الدرجة التى كان إيفان يتوقعها منها. كما أنها ترى أن «الندرة الخالصة» ليست بمثابة المقياس الأمثل، وأن مشاركة إيفان لها يجب أن تتم مقارنتها بالقياس إلى المشاركة المثالية ،

وليس بالقياس إلى النماذج غير العادلة فى حياة الآخرين .

إن عقد المقارنات بين إيڤان والمعدل السائد للمساعدة التى يزجيها غيره من الرجال ، كانت أحد أسس الثناء والإطراء على مايقدمه إيڤان لزواجهما ومبعث الشعور بالامتنان تجاهه ؛ فكلما كان الشى نادراً ، زاد الاعتزاز به .كذلك شكلت مفاهيمهم عن الرجولة والأنوثة أساساً آخر فكلما اقتربت هذه المفاهيم من المستوى الأمثل ، زادت قيمتها . ونظرا لأن إيڤان ونانسى لم يريا المعدل السائد بنفس الطريقة ، كما اختلفا فى مثليهما، بالإضافه إلى أن إيڤان لم يبد حقيقة مزيدا من الجهد لكى يتغير . إزاء هذا كله .. لم تشعر نانسى فحسب بالامتنان نحوه بالقدر الذى كان يرجوه وينتظره منها، بل إنها كانت أيضاً تشعر بالاستياء والغضب نحوه.

والآن ، وتحت بند « برنامج صيانة الزواج » من أجل تدعيم الوهم اللازم لإقناع نفسها بانها تنعم بالمساواة فى زواجها .. فقد تخلت نانسى عن الفكرة المعقدة لتبادل الفضل بين الزوجين . وأخذت تفكر بطريقة المقارنات ، بين نساء ونساء ، ورجال ورجال. وكان هذا هو الأساس الذى بنت عليها شعورها بالامتنان لزوجها . وحيث إن المعدل السائد لم يكن فى صالح المرأة فقد شعرت « نانسى » بأن عليها أن تبدى امتناناً أكثر لما يقدمه إيڤان [حيث إن هذا أمراً نادراً] أكثر حتى من تقديره هو لما تقدمه له [لأن ذلك أمراً عادياً] فشعور نانسى بالامتنان لم يكن سببه تضحية إيڤان بمفهومه عن الرجولة ، بقدر ما كان تأييده القلبى لعملها، فهذا هو الأمر الذى لم يكن معتاداً ومن ناحيته لم يتحدث إيڤان كثيراً عن شعوره بالامتنان لنانسى ، فهو يشعر حقيقة بأنها لا تقوم بكثير بخصوص المنزل ، ولكنه أفصح عن رأيه هذا بطريقة غريبة ، قصد منها تجنب عقد المقارنة بينه وبين نانسى . فقد اختفت من حديثه كلمة «أنا» لتحل محلها كلمة « نحن » فى محاولة لطمس أى تمييز بين مايقوم به « هو » وما تقوم به «هى» ، ومثالاً لذلك فإنه عندما سألته إذا ما كان يقوم بدوره داخل المنزل بالقدر

الكافى، ضحك واندهش فى نفس الوقت لأخذه على غرة بهذا السؤال المباشر ، ولكنه انبرى بهدوء يقول : « لاأعتقد ذلك . فأنا أعترف « بأننا » ربما نستطيع أن نفعل الأكثر» .ثم استطرد قائلا مستخدما مرة أخرى ضمير الجماعة « نحن » «ولكنى أعتقد أيضا أن باستطاعتنا تأدية المهام المنزلية المختلفة بشكل أفضل مما تقوم به بالفعل ، فنحن نهمل كثيراً من الأمور ». ولكن كان من الواضح هنا أن استخدامه لـ «نحن » فى هذا السياق ، يختلف فى الاستخدام السابق لها.

ثم نجد نانسى وقد كفت عن مقارنة إيڤان بـ «بيل بومونت»، أو بأى مقارنات «للمعدل السائد » غير مرغوب فيها ، فدون هذا كله تبدو صورة إيڤان « طيبة » والتعامل معه يتسم « بالعدل » . إن هذا لا يعنى أن نانسى تخلت عن الاهتمام بالمساواة بين الجنسين، بل على العكس إننا نراها تهتم بالمقالات التى توضح الرخاء الاجتماعى الذى يرفل فيه الرجال ، ويصلون إليه بصورة أسرع من النساء ، وهى تنتقد الطريقة التى يعامل بها الأطباء النفسيون من الذكور النساء العاملات فى الحقل الاجتماعى. وبهذا الشكل .. فإن نانسى تستطيع أن تطلق العنان لآرائها ومثلها كإنسانة تؤمن بالحركة النسائية فى العالم الخارجى - عالم العمل - بعيداً عن عالم المنزل ؛ بحيث لا تهدد هذه المثل والآراء الاتفاق بينها وبين إيڤان بخصوص « الطابق العلوى والطابق السفلى » .

ونحن نرى الآن نانسى وهى تلقى باللوم على السبب فى تعبها « على كل شىء يجب عليها أن تقوم به ». وعندما تتحدث عن الصراع من آن لآخر فهى تقصد بذلك الصراع بين عملها وچوى ، أو بين چوى وعمل البيت . وأما إيڤان فقد انزلق خارج هذه المعادلة ، وعندما تتحدث عنه نانسى الآن لا تجد له دوراً فى هذا الصراع .

ومن منطلق إدراك نانسى الآن بأنهما حقيقة غير متساويين ، فإنها قد تركت لإيڤان حرية التحدث عن عمل المنزل بطريقة « الرجل » على أساس أنه شىء

« سيفعله » أو « لن يفعله »، وأصبحت مثل معظم النساء عندما يتحدثن عن عمل المنزل ، فهن يتحدثن ببساطة عما يجب عمله . إن الطريقة المتباينة التى يتحدث بها كل من إيڤان ونانسى لتؤكد أن الاختلاف بين وجهتى نظرهما أمر طبيعى ، وهذا بدوره ساعدهما على عدم التفكير فى المشكلة .

إن عديداً من الأزواج يتبادلون المسئوليات وفقاً لظهور الاحتياجات ، فالذى يعود إلى المنزل أولاً لايجد غضاضة من أن يجهز طعام العشاء . وقد كان إيڤان فى الماضى يعمد إلى طريقة المرونة فى أداء أعمال الوردية الثانية للتمويه على انسحابه ، وللتملص من دوره فى عمل المنزل : فهو كان يكره « الجدوال الجامدة » ، ومن رأيه أن من لديه الوقت مثلا للعناية بچوى أو القيام بأعمال التنظيف فليفعل . وهو هنا يندد بإحدى الجارات التى كانت تضع «جداول صارمة » وتتسم بأنها « إلزامية جبرية » ، فهو يعتقد أن الزوجين يمكنهما أن يكيفا حياتهم كما يحلو لهما ، فالعشاء مثلاً يمكن أن يكون فى أى وقت، ولكن الآن وبعد أن انتهى الصراع المحتدم بينه وبين نانسى ، لم يعد يتحدث عن تناول العشاء فى أى وقت ، وأصبح موعده الآن بالتحديد الساعة السادسة.

إن برنامج نانسى للمحافظة على (إذعانها واستسلامها المشرف) يشمل خطة أخرى ، فهى تركز على مزايا هزيمتها فى هذا الصراع بينها وبين إيڤان ؛ فهى لم تعد ملتصقة بالطابق العلوى ، ويبدو الآن أنها ترأسه كمنطقة سيطرة بالنسبة لها « تخصها وحدها » فهى تشير مثلاً إلى حجرة المعيشة بصيغة « الملكية » ؛ فهى دائمة الحديث عن « مطبخى » و « ستائرى ». حتى فى حضور إيڤان فإنها لا تتحفظ فى قولها : « ابنى .... » فى حديثها عن چوى، وكذلك عندما تتحدث عن الأجهزة المنزلية لديها ، وتشير إلى الصراع الأسرى حول عمل المنزل على أنه يخصها وحدها . ولماذا لا تكون هى؟ فهى تشعر أنها اكتسبت هذا الحق ؛ فحجرة المعيشة تعكس بلونها البيج ذوق نانسى ، وتربية چوى تعكس أفكارها فى عدم منح الصغير الاختيار المطلق بل المنظم والمسيطر ،

ومايتبقى فى المنزل فهو فى سلطة إيڤان . فكما تقول نانسى: « أنا لا ألمس الجراج قط، فعلى إيڤان تنظيفه وتنظيمه ، فهو إحدى هواياته ، كما أن لديه جهاز تلفاز خاصاً به، أما أنا فالجزء الوحيد الذى يدخل فى إطار سلطتى بالجراج فهو غسالة الملابس .»

إن نانسى تعد نفسها الآن هى « الرابحة » ، وهى التى حققت هدفها ، وحققت سيطرتها على كل شيء : المطبخ وحجرة المعيشة والطفل ؛ فمن وجهة نظر معينة .. فإن هذا الاتفاق يعتبر أكثر من عادل بالنسبة لها .

وكزوجين.. شرح لى إيڤان ونانسى نظام تقسيم العمل فى الوردية الثانية بينهما بأسلوب ، لا ينم عن أى صراع ؛ فهما ينظران إلى الأمر بشكل أكثر تعقلا على أنه نتيجة لاختلاف شخصياتهم .وبالنسبة لإيڤان - على وجه الخصوص - لم يكن للأمر أى علاقة بالفارق بين وقت فراغهما ، بل كل ما فى الأمر هو أنه نتاج التفاعل بين شخصيتيهما . فإيڤان يقول : « أنا كسول ، وأحب أن أفعل ما أريد أن أفعله فى وقتى أنا .أما نانسى فهى ليست بكسولة مثلى ، فهى ملتزمة ومنظمة جداً ». إن المقارنة بين عمله وعملها ، وتعبه وتعبها ، ووقت فراغه ووقت فراغها لم تعد مؤشراً لوجود مشكلة بينهما ، ولكنها أصبحت مجرد مؤشر لاختلاف شخصيتيهما : هو بكسله وهى بالتزامها ونشاطها.

إن نانسى تتفق الآن مع وصف إيڤان لها ، وهى تصف نفسها بأنها « شخصية مفعمة بالطاقة ومنظمة جداً لدرجة مثيرة للدهشة ». وعندما سألتها إذا ما كانت تشعر الآن بوجود أى صراع بين عملها وحياة الأسرة .. اعترضت بقولها :«إننى أقوم بعملى جيداً كل مساء ، وكم قضيت من ليال أيام دراستى منكبة على دروسى ، لذلك كان سهلاً علىّ القيام بواجباتى المنزلية فى المساء- وبعد أن ينام الجميع أحتسى القهوة ، ثم أمضى الليل فى كتابة التقارير ، ولا أشعر بوجود أى صراع بين العمل والبيت على الإطلاق » .

أما إيڤان ، فهو منظم جداً ونشيط فى عمله. أما فى المنزل - فكما تقول لنا نانسى - فإنه لا يبدى هذه الخصائص ، وفى نفس الوقت لا يفتقدها ؛ فكل ما فى الأمر أنه لامجال لمثل هذه الصفات فى المنزل . إن هذا الازدواج فى معايير القيم والصفات يؤكد فكرة مهمة ، وهى أنه لامجال لمقارنة الرجل والمرأة فهما مختلفين تماماً بطبيعتهما .

إن كلاً من الزوجين يؤمن أن مفهوم التكيف مع الاعمال المنزلية قد نقش فى أعماق إيڤان منذ الطفولة ، وكيف لأحد أن يغيّر ما حفر فى الطفولة ككل ؟ وكانت نانسى غالباً ماتردد : « لقد ربتنى امى على أن أقوم بعمل المنزل ، أما إيڤان فلا.» ولكن الملفت للنظر هو أن كثيراً من الرجال الذين مروا بنفس ظروف طفولة إيڤان - أى إنهم لم يعتادوا المعاونة فى اعمال المنزل - ليس لديهم الآن نفس الإيمان بحتمية تأثرهم بظروف نشأتهم ؛ لأنهم ببساطة قد تأقلموا مع ظروفهم الجديدة ، ويقومون بعديد من الأعمال المنزلية . ولكن هذه الفكرة عن تأثر الإنسان الحتمى بظروف طفولته كانت مفيدة جداً لتعطى نانسى احساساً بأن استسلامها لعناد إيڤان هو موقف ، ليس فيه أى إقلال من شأنها . فهى على الأقل تشعر أنه لا بد لها من العمل هذا الشهر الإضافى فى السنة ، حيث إن هذا هو قدرهما المحتوم منذ طفولة إيڤان المبكرة ، وبذلك نرى أن لجوء نانسى إلى تلك المجموعة « من الخدع العقلية » جعلها تتكيف مع حياتها ، وتعالج مشكلاتها ، وتوفق ما بين ماتؤمن به وماتضطر للتعايش معه .

ما عدد الهولتز ؟

لقد بدت عائلة هولتز نمطية إلى حد بعيد ، وممثلة لأغلبية عظمى من الأزواج الذين يعملون سوياً ؛ فحياتهما الأسرية قد امتصت صدمات الثورة المؤجلة التى تنبع من ظروف خارج إطار الأسرة تماماً، فهى تنبع من الاتجاهات الاقتصادية والثقافية التى تؤثر بأشكال مختلفة على الرجال والنساء . فقد كانت نانسى تقرأ الكتب

والصحف والمقالات ، وتشاهد برامج التليفزيون التى تتناول الدور المتغير للمرأة. أما إيڤان فلم يفعل وشعرت نانسى أنها استفادت من تلك التغييرات ، أما إيڤان فلا. وكانت نانسى فى مثلها وحقيقتها أكثر اختلافاً عن أمها من اختلاف إيڤان عن والده ، إذ إن التيارات الثقافية والاقتصادية كانت تفرض تغيراً على النساء أكثر سرعة منه على الرجال ، مثل إيڤان. فقد ذهبت نانسى إلى الجامعة ، ثم أصبح لها عملها الوظيفى ، أما أمها فلم يتاح لها ذلك أبداً. وكانت لنانسى فكرتها عن حتمية مساواتها مع زوجها ، على حين لم تخطر تلك الفكرة أبداً على خاطر أمها فى يوم ما. كذلك شعرت نانسى أن عليها أن تقاسم زوجها فى نفقات المعيشة ، وأن عليه بالتالى أن يقاسمها فى مسئوليات البيت ، وهذا ما لم يدر فى مخيلة أمها على الإطلاق. أما إيڤان .. فقد ذهب إلى الجامعة كما فعل والده وأقرانه من الأولاد. وكان العمل يعنى شيئاً مهماً لشخصية إيڤان ، كرجل ، مثلما كان يعنى لوالده سلفاً . كما كانت فكرته عن توزيع الأدوار فى الاسرة تطابق تماماً أفكار والده. لذلك نرى أنه وإن كانت فرص العمل الجديدة والحركة النسائية التى ظهرت فى الستينيات والسبعينيات قد غيرت من نانسى .. إلا أنها لم تؤثر قط على إيڤان. ومن ثم نرى أن الاحتكاك الذى خلقه هذا الاختلاف بين نانسى وإيڤان ، انجذب بهما إلى موضوع الوردية الثانية ، كما ينجذب المعدن إلى المغناطيس. وفى النهاية .. كان إيڤان يقوم بعمل أقل فى المنزل وفى العناية بالطفل ، مما يقوم به معظم الرجال المتزوجين بنساء عاملات ، ولكنه على أى حال ليس قليلاً جداً. كما أن نانسى وإيڤان يمثلان نموذجاً نمطياً لحوالى 40٪ تقريباً من الزيجات ، التى درستها ، من حيث اختلاف مفهومهما حول النوع ، وحول ما يمثل «التضحية» وما لا يمثلها. فإلى حد بعيد كان النمط الشائع من عدم التوافق ، مثل ما رأينا بين نانسى المساواتية وإيڤان الانتقالى ، ولكن التوتر الناجم لم يمتد عن اختلاف سياسة كلا الزوجين بهذه السرعة والقوة إلى موضوعات المنزل والأطفال ، مثلما حدث فى حالة نانسى وإيڤان ؛ فقد بذلت نانسى جهداً مضنياً أكبر من معظم النساء ؛ لتدفع

بزوجها إلى مقاسمتها العمل داخل المنزل ، ولكن خسارتها كانت أفدح من خسارة معظم النساء فى هذه الحالة . أما إيڤان .. فقد استمر فى سياسة المقاومة السلبية بتشبث ، أكثر هدوءاً عن معظم الرجال وسمح لنفسه أن يكون أكثر هامشية فى حياة ابنه عن معظم الآباء أيضاً . إن وهم « التنظيم المتساوى » لدى أسرة الهولتز بدا لحد ما أكثر غرابة عن الأسر مثيلتها التى تغلف الصراعات القوية .

وبعيداً عن خرافة الطابق العلوى والطابق السفلى .. أخبرتنا تجربة عائلة الهولتز بكثير عن الطرق الماهرة ؛ لتجنب التوتر الناجم عن الصراع حول الوردية الثانية ، دون التوصل إلى حل حقيقى للمشكلة أو اللجوء إلى الطلاق . ومثل نانسى هولت .. نجد عديدات يكافحن لتجنب أو إخماد أو تعتيم هذا الصراع المخيف بشأن الوردية الثانية. ودافعهن فى هذه الحالة ليس هو شعورهن بحتمية الصراع ، أو بحتمية هزيمتهن فى هذه المعركة ، ولكنهن يكافحن ببساطة لشعورهن أن عليهن أن يخترن بين تحقيق المساواة أو الحفاظ على زيجاتهن، وهن يخترن الزواج بطبيعة الحال. وفى استطلاع حول مفهوم « العلاقة المثالية » بين الرجل والمرأة من وجهة نظرهن ، وماذا يردن لبناتهن أن يحققن مستقبلاً ، ومايطمحن أن يحققنهن شخصياً فى زواجهن .. أعربت معظم النساء العاملات عن رغبتهن فى أن يقاسمهن الرجال أعمال البيت .

وها أنا ذا أقول بأن عديدات « رغبن » ذلك ، بدلاً من « أردن » ذلك ؛ إذ إن أهدافاً أخرى ، مثل الحفاظ على أمان وسلام البيت أتى فى المقدمة . وفى حالة نانسى .. نجدها قد تحملت ضغطاً عاطفياً غير عادى ، حتى تحول بين وقوع الصدام بين مثلها وزواجها . وفى النهاية نجدها وقد سجنت أفكارها عن المساواة وقلّصت مساحتها فى عقلها ونفسها بنجاح ، مكّنها بالتالى من تحقيق شيئين : الأول شعورها كإنسانة تؤمن بحقوق المرأة ، والثانى العيش فى أمان مع زوجها ، الذى لايؤمن بهذه الحقوق . و« نجح » برنامجها وانتصر إيڤان فى حقيقة الموقف ؛ لأن نانسى قامت

بالوردية الثانية ، على حين أن نانسي نجحت ظاهرياً ، وهذا يبدو في حديثها كما لو أنهما يقتسمان معاً أعمال البيت .

لقد ارتدت نانسي خرافة الطابق العلوى والطابق السفلى كعباءة ، تحمى أفكارها من التناقضات التى وجدتها فى زواجها ، ولتحميها أيضاً من القوى الثقافية والاقتصادية ، التى تضغط على هذا الزواج ، فنانسى وإيفان يؤيدان وجهتى نظر متعارضتين بشأن « ثورة الجنس » ، التى كانت تدور حولهما فى هذا الوقت . لقد شهدت فترة الستينيات والسبعينيات والثمانينيات دخول أعداد غفيرة من النساء ساحة العمل ، ولكن هذه المساواة فى الفرص اقتصرت على السلم الوظيفى ، ولم تمتد للحياة الأسرية ، حيث حاولن تحقيق المساواة في زواجهن ، ولم يكن هذا أمراً يسيراً ؛ فأزواجهن يريدون منهن العمل بمكاتبهن وشركاتهن ، ولكنهم لايرغبون فى مشاركتهن أعمال الشهر الإضافى فى السنة . وقد أدى فشل الناس فى تحديد ماهية المرأة العاملة الحديثة إلى حدوث فجوة ثقافية فى السبعينيات والثمانينيات ، لم يملأها إلا ظهور فكرة الأم الخارقة ؛ فهذه الصورة الخيالية التى ساعدت على إظهار توقف الثورة كما لو كان أمراً طبيعياً وسعيداً . ولكن وراء هذه الصورة السعيدة للمرأة الخارقة ذات الشعر المتطاير تتوارى الزيجات الحديثة (مثل زيجة أسرة هولتز) ، وهى جميعا تعكس خيوطاً دقيقة متشابكة من الصراع والتوتر ، كما تعكس الثمن العاطفى الفادح الذى يدفعه النساء والرجال والأطفال على حد سواء ، لعدم تحقيق المساواة والمشاركة .ولكن على السطح تبقى دائما الصورة المشرقة لنانسى ، وهى تخطو بثقة خارج منزلها كل صباح ، تحمل حقيبة أوراقها فى يد ، وتمسك بالأخرى يد ابنها جوى. ولن نسمع إلا حديث نانسى وإيفان عن زواجهما ، وكيف أنه زواج سعيد طبيعى وحتى «متساو » .. كل هذا لأن المساواة كانت تعنى كثيراً لنانسى .

الفصل الخامس

أسطورة الأسرة التى تتسم بالتقليدية:
فرانك وكارمن ديلاكورت

5

الفصل الخامس

أسطورة الأسرة التى تتسم بالتقليدية :
فرانك وكارمن ديلاكورت

فى مقابلتى الأولى مع فرانك ديلاكورت، Frank Delacorte، كان يوجه لى الحديث وهو جالس فى مقعده الشخصى بغرفة المعيشة المتواضعة ، وهو المقعد الوحيد بالغرفة ، الذى له ذراعان ، كما أن حجمه وشكله يوحى بالسلطة وهو يتوسط مركز الحجرة . على حين أن بعض الرجال الذين قابلتهم كانت مقاعدهم موجهة إلى جهاز التلفاز موحية برغبتهم فى العزلة . وجلست أتحدث إلى هذا الرجل الذى يحمل افكاراً أكثر تقليدية عن المرأة والرجل بالمقارنة لإيفان هولت ، ولكنه فى الوقت ذاته يقوم اكثر بأعمال المنزل مع صراع أقل إلى حد بعيد .

إن فرانك رجل نحيف فى التاسعة والعشرين من عمره ، وذا عضلات طويلة مفتولة ، وشعر داكن صفف بعناية وعيون بنية اللون مفكرة ، وهو يصف نفسه وزواجه بطريقة متواضعة متمهلة : « إننى أنظر إلى نفسى على أنى تقليدى إلى حد كبير، وهى نفس الطريقة التى أشعر بها من الداخل ، فأنا أرى أن الرجل يجب ان يكون سيد المنزل وله الكلمة الاخيرة . ولايعنى هذا أنه يجب أن يستأثر بالكلمة وحده ، فوالدى كان سيد البيت ، ولكن والدتى كانت كثيراً ماتدير الأمور بطريقتها . وأنا مقتنع بأن

هذا يجب أن يكون دورى فى هذه الحياة ، ولاأرى أى سبب لاحتياجى لتغييره . »
وسكت فرانك قليلاً وهز كتفيه بطريقة توحى بتواضعه .

إن فرانك يعمل فى أحد المصانع ويبلغ دخله حوالى 12,000 دولار سنوياً .
ويتلخص عمله فى قيامه بلصق الورق المقوى لصنع العلب، وهو ليس بالعمل الذى يحبه بالضبط .كما أنه يكره رائحة الصمغ القوية ، ويخشى أن تكون خطرة على الصحة .
لقد كان فرانك أصلاً صانع موبيليا، وكان يعمل مع والد زوجته فى ورشته . ولكن بعد فشل هذا المشروع اضطر للعمل فى وظيفته الحالية فى المصنع . ورغم أنه دائم المتابعة لإعلانات الوظائف فى الجرائد ، وأنه قام بالفعل بإجراء المقابلة لإحدى هذه الوظائف إلا أنه لم يوفق إلى شىء بعد . وبالرغم من ذلك فقد كان دائماً سعيداً جداً بزواجه ويحمد الله عليه، فقد تزوج من كارمن، Carmen، منذ ست سنوات – وهى الآن تجلس فى غرفة النوم تشاهد قصة حب فى التليفزيون .

لقد نشأ فرانك فى نيكاراجوا فى أسرة متوسطة ، وكان ترتيبه الثالث بين ستة أشقاء ، وكان والده يعمل بالتجارة فى عديد من الموانى، ولذلك فقد كانت الأسرة دائمة التنقل بسبب ظروف عمل الأب . وعندما تعود به الذاكرة إلى الوراء فهو يتحدث عنهما «معاً» كأبوين صارمين باردى العواطف إلى حد كبير . إنه لايشكو ، ولكنه يشعر أن المحيط العاطفى الذى نشأ فيه لم يكن كافياً ، ولعل هذه مرجعه إلى الحياة الصعبة التى عاشها مع والديه . لذلك أراد أن يوفر الدفء العائلى لأسرته ، وهذا ماحققه بزواجه من كارمن .

إن فرانك ديلاكورت كان يعتنق أفكار معظم الرجال الذين قابلتهم، ممن ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ، والذين غالبا مايتوقعون من زوجاتهم « المساعدة » لمساندة الأسرة مادياً ، بينما هم أنفسهم ينتظر منهم المساعدة فى المنزل . وهم يؤيدون عمل زوجاتهم ، ويعتقدون غالبا أن هذا « مفيد لها »، كما أنه « حق » للمرأة إذا ما أرادته .

كذلك يؤمن رجال الطبقة المتوسطة « بالمساواة » مع زوجاتهن مع اختلاف بسيط فى الأدوار. وبالرغم من أن مرتباتهم - التى عادة ما تزيد عن مرتبات زوجاتهم - تعطيهم قوة ومكانة أكبر فى الاسرة، إلا أنهم يشعرون أن الرجولة تحتم عليهم ألا يحاولوا دائما تذكير زوجاتهم بهذه الميزة الاقتصادية . وبالرغم من أن بعضهم قد يطلق أحياناً النكات عن كيف أنه باستطاعته أن يترك زوجته « حافية » أو أن يأمرها بأن تأتيه «بالشبشب والغليون» فهذه النكات لا تهدف لأكثر من تأكيد حقيقة أن هذا الوضع المتدنى للمرأة لم يعد أكثر من تاريخ غابر .

وعلي النقيض من هذا.. نجد هنا أن فرانك وغيره من رجال الطبقة المتوسطة ينظرون إلى « سماحه لزوجته بالعمل » على أنه موضوع يتعلق بكرامة الرجل ، ليظهر تقديره وحبه للإنسانة التى منحها الله دوراً ثانوياً فى الزواج. ولكن لاحتياج أسرته إلى دخلها فى المعيشة فهو حقيقة يتولى سلطة اقتصادية أقل من معظم رجال الطبقة المتوسطة . ومع هذا أو بالأحرى بسبب هذا يريد كل من كارمن وفرانك ان يكون هو «رجل البيت» وأن تكون له « الكلمة الاخيرة » بخصوص عملها من عدمه . ففى هذه الأيام، يصبح من الصعب جداً على « فرانك» أن يتمسك بمثله التقليدية ، فهذا أمر يفوق طاقته المادية .

إن فرانك لم يربط بين رغبته فى أن يكون « سيد البيت » باحتياجه إلى تعويض التمييز العنصرى الذى يشعر به ، ذلك الارتباط الذى شعرت به فى لقاءات أخرى مع رجال آخرين . فإذا كان وضع الألمانى أو الأيرلندى أفضل منه فى سوق العمل ، إلا أنه كمعظم اللاتينيين يعانى من انخفاض دخله ، ولكنه لا يطلب من علاقته بكارمن من أن تعوضه عن الظلم العنصرى الذى يعانيه .

لقد توقع فرانك صراعاً بين « حافظة نقوده » ومبادئه التقليدية حتى قبل زواجه من كارمن. وبشئ من الجهد ليبدو لطيفاً قال موضحاً :

« لم أكن مستعداً حقيقة للزواج . وفى بادىء الأمر كنت أشعر بالنقص لأنى لم أجد نوع العمل الذى أتمناه . أعتقد أنى لست الشخص الأكثر طموحاً فى العالم (وأطلق ضحكة عصبية خفيفة). أما كارمن فقد كانت تميل للزواج أكثر منى ، على حين كنت متردداً بعض الوقت خشية من أن يصيبها زواجنا بالإحباط مادياً . وقد كانت كارمن تعمل فى ذلك الوقت وشجعتنى بقولها « إن الحياة ستكون يسيرة اذا ما ضممنا مرتباتنا إلى بعضها البعض . فداخل نطاقنا نحن الاثنين لن تكون هناك مشاكل. » ثم يعلق قائلاً : وكان هذا حقيقياً! واستسلمت فى النهاية . لقد طلبت منى بالأحرى أن أتزوجها أكثر من طلبى أنا منها ذلك (وأطلق ضحكة خفيفة) .

إن فرانك تزوج كارمن عندما أرادت هى ذلك ، وتقبلت ببشاشة احتياجها للعمل بالرغم من رغبتها فى المكوث بالبيت «لتعد الطعام والحلوى» . إن التراضى والتسوية هنا لم تحدث بعد الزواج كما كان الحال مع عائلة هولتز ، ولكن قبل الزواج كمقدمة له. كما أن هذه التسوية لم تكن كما كان الحال مع الهولتز بين مفهوم النوع الخاص بكلا الزوجين ، فقد اتفق آل ديلاكورت على ذلك . وإنما كان الاتفاق بين المثل التقليدية التى يتقاسمانها من ناحية ، ودخلهم المتواضع الذى لم يسمح بتحقيق هذه المثل من ناحية أخرى .

لذلك كان من المفهوم فى البداية أنه إذا ما فقد فرانك عمله وانخفض مرتبه بسبب التقلبات فى سوق العمل ، فإن كارمن لن تلقى باللوم على فرانك، وإنما سيواجهان تلك الظروف مع بعضهما سوياً . والأكثر أهمية أن عجز فرانك عن كسب كل النقود – أو عن أن يكون « الرجل » بهذا المفهوم المادى – لن يكون بمثابة عبء أخلاقى يقع على كاهله وحده . وفى هذه الحالة لن تتقاعس كارمن عن العمل ، ولن تستاء من اضطرارها إليه كما تفعل بعض (الزوجات التقليديات) . إن شقيقة كارمن

وابنة عمها تعملان « رغم أنفيهما » ونتيجة لذلك حولا حياة زوجيهما إلى جحيم. ولكن كارمن لم تكن من هذا النوع من النساء . وهى أيضا كانت تختلف تماماً عن إنسانة مثل « نانسى هولت » تؤمن بمبادىء الحركة النسائية. فنانسى كانت « تريد » أن تعمل ويجب أن « تريد ذلك ». ولم يدر بخلدها أن تحتفظ بحق الاستياء إزاء اضطرارها للعمل . وإنما كانت تصر على حق مختلف ، وهو أن تكرم فى وقت فراغها تبجيلاً لها على قيامها بالعمل خارج البيت . أما كارمن فكانت تشعر بقوة أن العمل «الحقيقى» الوحيد هو داخل البيت . ونظراً لاختلاف وجهات النظر بين نانسى وكارمن حول مفهوم الأنوثة فقد اختلفت مفاهيمهما حول المشاعر الصائبة والخاطئة بصدد العمل والعناية بالاطفال أيضاً ، كما اعتنقتا أفكاراً مختلفة حول المزايا النفسية الملائمة لكل من الزوج والزوجة .

كذلك اختلفتا فى « القواعد الشعورية » لكل منهما ، فعلى حين كانت كارمن تعتقد بوجوب كراهيتها لعملها والتقليل من شأنه ، ترى نانسى وجوب استمتاعها بعملها وشعورها بأهميته . وعلى حين شعرت كارمن بوجوب إحساسها بالامتنان إزاء أى مساعدة إضافية يقدمها لها فرانك فى المنزل ، كان من العسير على نانسى شعورها بذلك الإحساس تجاه إيڤان ، وهى ترى وجوب قيامه بنحو 50٪ من أعمال الوردية الثانية ، وهو مالم يحدث على الإطلاق .

إن كارمن سيدة عاملة فى التاسعة والعشرين من عمرها ، ذات شعر أسود جميل، دخلت مجال الرعاية اليومية الشاقة . وهى تتحدث إلىّ بصوت مفعم بالحيوية وبتعبيرات يديها لتجعلنى أفهم أنها لاتعمل لرغبتها فى العمل – وهذا مبعث افتخارها – ولكنها كما شرحت : « إن السبب الوحيد وراء اشتغالى هو الازدياد المستمر فى فاتورة البقالة . فأنا لا أعمل لأطور نفسى أو لاكتشاف شخصيتى أبداً ! » فهى ليست ذلك النمط الجديد من النساء اللاتى يبحثن عن ذواتهن فى مكاتب تقبع فى ناطحات السحاب. والساخر فى الأمر أنه بالرغم من أن كارمن لم ترد أن تحب عملها ، إلا أنها

وجدت نفسها تحبه بالفعل . وهى تضحك فى سرها بسعادة واضحة وهى تصف كل طفل تعنى به ، على حين أن بعض النساء المحترفات يعانين من الأزمة العكسية . فكما اعترفت لى إحدى الكاتبات المطالبات بحقوق المرأة بنبرة يائسة : « أنا بالفعل » «أريد» أن أحب عملى ، ولكنى أكرهه» . ولكن المفارقة كانت فى أن كارمن كانت تنظر إلى « اضطرارها » للعمل على انه نعمة بالرغم من أن هذا لم يكن مفترضاً فيها .

وتشير كارمن إلى أن عملها لايربكها لكونها « جليسة أطفال » ولكنها تدرك وهى متألمة ضآلة التقدير الذى تحظى به اللائى يقمن بالعناية بالأطفال فى أمريكا. وعندما التقيت بها لأول مرة ، وشرحت لها الدراسة التى أقوم بهاكان أول تعليق بادرتنى به : « إنهم لايعتقدون أنك شيئ إذا ماكنت جليسة أطفال » فى حين أن هذه النقطة – نقطة تقدير الذات – لم تثر أبداً فى حديثى مع غيرها من النساء ، واللائى يقمن بأعمال الطبقة المتوسطة من الرجال .

أما فرانك فقد حفظ كرامته بتبريره للناس عمل كارمن بأنها « كانت أماً حقيقية فى بيتها » . إن هذا لم يكن وهماً تماما بقدر ما كان نوعاً من التمويه الخفيف لوصف الموقف . فأحياناً كان يشعر بالرغبة فى ترديد هذه العبارة فى حضور أصحابه . فشخص مثل بيل، Bill، رئيس فرانك فى العمل ، استطاع أن يجعل زوجته ربة منزل فقط ، وهو يؤكد مراراً وتكراراً على صواب ما فعل بنوع من الثقة الحاسمة والقاطعة . وبحكم عمل فرانك مع بيل كانت مناقشة موضوع ارتفاع الأجور مقترناً بالحديث عن زوجتيهما غالبية الوقت . وقد علق فرانك على هذا الحديث قائلاً : « كنا نتحدث عن الاحتياج لنقود إضافية ، وأخبرته عن العمل الذى تقوم به كارمن ، وقلت له : « أتدرى شيئاً. أن لك منزلاً، وزوجتك يمكنها أن تقوم بعمل كالذى تقوم به كارمن . إنه ليس سيئاً للغاية » فكان رد بيل : « لا ! لا ! لا ! لا أريد لاحد أن يقول إنها تعتنى بالأطفال.» فهو يشعر بأنه يعيش بالطريقة التى يجب أن يعيشها معظم الناس – الزوج

يعمل والزوجة تمكث فى *البيت* » . إن فرانك يثق بأن بيل عارض فكرة عمل زوجته ؛ ليس لأنه مهين جدا بالنسبة لها ، ولكن لأنه مهين جداً بالنسبة له ، إذ إنه سيسلبه الترف الذى يحظاه من زوجته المتفرغة للبيت طوال الوقت ، ويميزه عن أحد عماله . وعندما سألت فرانك عن شعوره تجاه ملاحظة بيل أجاب : « شعرت بالتحديد أنه أحط من قدرى » .

وبينما كانت كارمن تعتنى بتربية ابنتها داليا، Delia، كانت فى نفس الوقت تتقاضى 5,000 دولار فى العام نظير رعايتها لأربعة من الاطفال ، يبلغون الثانية من عمرهم لجاراتها العاملات . إنها واحدة من عديدات ، ممن ينتمين إلى «الطبقة الدنيا»، وتشمل جليسات الاطفال والشغالات واللائى يعملن فى الخدمات المنزلية ومرافقى كبار السن .. وكل هؤلاء يتقاضين أجراً زهيداً مقابل أعمال كانت فى الماضى من صميم عمل المرأة داخل البيت . والمفارقة.. إن كارمن كانت تطمح إلى أن تعيش ذلك الدور المتقهقر ، ألا وهو دور ربة البيت وهى فى الوقت ذاته أيضاً فخورة بعملها «فى المنزل». إن فرانك لم ينكر أبداً على كارمن كسبها دخلها من العمل بالمنزل، ولكن قوله : « إن كارمن موجودة بالبيت » ساعده على أن يحتفظ لنفسه بصورة الممول وسيد البيت ، تلك الصورة التى من الصعب استمرارها هذه الايام .

إن كارمن « امرأة تقليدية صميمة » ، و« قد كانت إحدى السيدات فى سياق دراستى تلك متشوقة جداً لأن تكون زوجة تقليدية ، لدرجة أنها حاولت أن تكون « حاملاً » بالصدفة حتى لا تواصل دراستها الجامعية وتتزوج وتلتزم بكلمة « الطاعة » للزوج، حتى عندما خرجت إلى العمل كان ذلك استجابة. ولكن حتى تقليدية تلك المرأة كانت أقل توقداً من مثيلتها فى كارمن » .

إن كارمن كانت ترمق بعين الإعجاب والتقدير نانسى ريجان، Nancy Regan، على حين كانت تنظر بازدراء إلى جلوريا ستينيم، Gloria Steinem، وحتى بالرغم

من شعور كارمن الداخلى بأنها امرأة عاملة لاتينية الأصل ، كاثوليكية تتقاضى أجراً زهيداً ، وتمارس عملا ليس به مجال للترقى ، إلا أنها كانت مقتنعة إلى حد بعيد برغبتها فى المكوث بالمنزل والخضوع لزوجها . إن النساء اللائى فى وضعها غالباً مايطمحن إلى أعمال تستغرق ساعات أقل وتتسم بالمستوى الأفضل ، ولكن معظم هؤلاء العاملات « يردن » مع هذا أن يعملن . ولنا من منطلق هذا أن نعتبر نحو 10٪ من نساء تلك الدراسة « تقليديات » بمعنى عدم رغبتهن فى الاستمرار فى العمل ، وأنا أشك فى أن النسبة أكبر من ذلك على نطاق الشعب الأمريكى كله . إن ما طاب وراق لكارمن من سمات المرأة التقليدية هو « تبعيتها » لزوجها . وكما ذكرت لى كارمن بانفعال : « أنا لاأريد ان اكون نداً لفرانك ، ولا أريد أن أكون نداً فى العمل . أنا أريد فقط أن أكون أنثى لها اهتماماتها ، ولا أريد منافسة الرجال» ! .

وتستطرد قائلة : « أنا أريد من فرانك أن يعرف أكثر منى ، ولا أريد لأبنائى أن يشبوا وهم يعتقدون أنى أعرف كل شىء وأن أباهم مجرد صورة . وأنا لفخورة بأن معرفة فرانك تفوقنى ، ربما هذا خطأ ولكنى أتيه بذلك » .

إن كارمن لم تستكمل تعليمها الجامعى ، ومارست بعض الأعمال الكتابية ، ولكن لم يحظ بارتياحها سوى قيامها بالعناية بالأطفال . وهى تعتبر عدم استكمال تعليمها « فضيلة » جعلت منها أقل معرفة من فرانك « الذى يعرف أكثر » بالرغم من أنه هو الآخر أنهى تعليمه بالحصول على دبلوم المدارس الثانوية . كما كانت كارمن تطبق نفس المبدأ فى الفراش بقولها : « لاأريد أن أكون نداً له فى الفراش ، بل أريده ان يمتلكنى ويسيطر علىّ ولا أريد أن أسيطر أنا عليه » .

إن كارمن تعتقد أن النساء المسيطرات يقترفن إثما مبيناً كالقتل وتوجيه الشتائم للأطفال ، وهى تعتبر أن إحدى الطرق المحفوفة بالمخاطر التى تسلكها المرأة المسيطرة هو « العمل الناجح » . ثم زمت شفتيها امتعاضاً وهى تقول : « إن أخت

زوجى حصلت على درجة الدكتوراه فى الطب البيطرى وترأس عدداً من الناس، ولكنها لم تتزوج حتى الآن » .

إن كارمن تكره النساء الطموحات لحد ما لشعورها بأنهن يدفعن بنوعيتها من النساء خارج دائرة الضوء ، كما انها تمقت ارتفاع الأسعار الذى أجبر كثيرات على العمل ، وأسوأ ما فى الموضوع هذا ظهور عديدات على شاشة التلفاز بصورة تسلب ربات البيوت فتنتهن فى عيون أزواجهن . إن نوعية النساء اللائى على شاكلة كارمن تصور اليوم كسيدات بدينات ، مكتئبات ومنعزلات وهن بذلك خاسرات ، ولذلك ترى كارمن أن ربات البيوت أصبحن عملة نادرة عرضة للانقراض. فالسيدات الطموحات للعمل أصبحن الغالبية ، ولذلك فإن كارمن تنظر إلى الحركة النسائية كبدعة ابتدعتها الطبقة العليا ، وهى تبرر هذا بقولها : « إنكم تقولون إن بيتى فورد، Betty Ford، تساهم فى تحرير المرأة . أحقاً هذا ؟ ولكن هل قامت أبداً بمسح البلاط ؟ انظروا جيداً إلى أظافرها الجميلة ووجها المشدود بلا تجاعيد وشعرها المصفف بعناية بينما أظافرى مكسرة وشعرى أشعث ». فعندما أنظر إليها أشعر أن من حقها أن تتحدث عن حقوق المرأة ومساواتها للرجل .. فهى لاتعرف شيئاً عن واقع المرأة . فبدلا من قيام امرأة مثل جلوريا ستينيم بالاستعراض هنا وهناك ، لماذا لاتشاهد مسلسلات التليفزيون التى تظهر الواقع كما هو . عليها أن تخلع نظارتها الوردية لترى الحياة على حقيقتها ».

وبناء على وجهات النظر السابقة لكارمن ، تبدو لأول وهلة أنها بطبعها شخصية اعتمادية ، وهذا ما تفتقده كارمن فعلاً ويمثل جزءاً من مفهومها عن النوع ، وما قامت بتطبيقه وسارت عليه بالفعل . وربما يعود ذلك لخوف « كارمن » من أنه فى غياب هذا النوع من القيد الثقافى عليها المتمثل فى صورتها كإنسانة تحتاج دائما لرعاية الرجل فقد يؤدى بها الأمر إلى السيطرة على « فرانك » (وهو مالاتريده أبداً) . و«كارمن» هنا تذكرنى بإحدى طالباتى التى كانت دائمة الحديث فى الفصل ، وظلت تطاردنى بعد

المحاضرات وفى الساعات المكتبية ، محاولة إقناعى بأن أرفع تقديرها فى الامتحان من جيد جداً إلى امتياز . ولكن عند سؤالها عن نوعية العلاقة التى تأمل ان تحققها مع صديقها أجابت بصوت أنثوى ناعم : « أتمنى أن يحتوينى فى قبضة يده » .

إلا أن هناك سبباً آخر ساهم فى تمسك كارمن بمفهومها عن النوع وهو سبب اقتصادى . وقد عبرت كارمن فى حنق وسخط عن هذا قائلة : « لم أكن مهيأة للخروج إلى العمل . حقيقى كنت أعرف كيفية الكتابة على الآلة الكاتبة ، ولكنى لم أتقنها لدرجة كتابة خمسين كلمة فى الدقيقة . إن والدى منحنى تعليماً جيداً ولكنى لم أستفد منه. فماذا عسانى أن أفعل ؟ هل أمسح البلاط ؟ » لم يكن بمقدور كارمن أن تعزز نفسها بمفردها دون السقوط فى هاوية الفقر ، لذلك كان من الأفضل لها ان تعزز نفسها من خلال الزواج . وإذا ما كانت رغبة زوجها فى أن تعمل .. فلتفعل حيث إن العمل أصبح قاعدة لتلك الأيام . ومن المثير للدهشة أننى وجدت سيدات أخريات متعلمات تعليماً عاليا فى سياق هذا البحث وقعن فى أحبولة الأعمال الزهيدة الأجر، ولكنهن كن يطمحن إلى تقلد وظائف مناسبة ، وأزواج لايسيطرون عليهن وفى الوقت نفسه يشاركونهن العمل داخل البيت . وعلى ذلك فإننا لانستطيع دائماً أن نستنتج مفهوم المرأة عن النوع من مدى توفر – أو عدم توفر – فرص العمل لديها .

إن هناك أيضاً دافعاً داخلياً بدا أيضاً فى الاعتبار ألا وهو : التشابه بين نانسى هولت، وكارمن ديلاكورت حيث رغبة كل منهما لتجنب مصير أمها . فإذا ما كانت نانسى تحمست للحركة النسائية كرد فعل لتقليل أمها من شأن نفسها كربة بيت ، فإن كارمن أصبحت « تقليدية » كرد فعل لحياة أمها الصعبة « كامرأة مستقلة » تمثل نموذجاً للمرأة القادرة على صنع مستقبلها بيديها ، ولكن كارمن كانت تنظر إليها كمثال خطير. فوالدة كارمن كانت سيدة شجاعة موهوبة ، تزوجت فى سن الثامنة عشر ، وحملت فى سن العشرين ، وتم طلاقها وهى فى الثانية والعشرين ، وكان هذا الزواج

كما وصفته لها أمها بعد ذلك « كارثة »، ولم يرسل لها والدها أبداً أى نقود ، بل المرة الأولى التى دعاها ليراها فيها خلال 30 سنة كانت يوم وفاته بالسرطان ليطلب صفحها . ووصفت كارمن موقف والدتها بتقمص وجدانى : « إن المرأة عندما يتم طلاقها فى هذا المجتمع أو تترمل .. عليها أن تعتزل الناس فهى تقضى بقية عمرها كراهبة ليس من حقها الزواج مرة أخرى أو الخروج مع الرجال » . وقد تولى جد كارمن رعايته ابنته ، ثم غامرت بعد ذلك بالرحيل إلى الولايات المتحدة مصطحبة كارمن معها وتدرجت فى الوظائف حتى وصلت إلى مركز رئيسة حسابات فى إحدى شركات التأمين ، وكانت تعيش كارمن مع أمها فى إحدى الشقق الصغيرة ، وتقطن فيها امرأتان مطلقتان أيضاً ومعهما أولادهما . وظل الحال كذلك حتى تزوجت أمها من نجار موبيليا سكير ، وكانت كارمن فى السادسة عشر من عمرها .

ثم انبرت كارمن تقول بوضوح : « لم أرد أبداً حياة أمي . أبداً ! أبداً ! ولاأتصور أن أكون مثلها بلا عائل أوسند ».

ولو كانت امرأة أخرى مثل « جلوريا ستينيم فى مكان « كارمن » هنا لخرجت من تجربة امها بعبرة مختلفة تماماً ، ولكانت أشارت لهذه المعاناة كمثال حى لما يحدث فى المجتمع ، عندما يعجز عن حماية المرأة وتأمين مستقبلها بعد الطلاق بإرغام مطلقها على الاستمرار فى تقديم الدعم المالى والعاطفى لأطفاله . ولكن كارمن – التى تدرك تماماً موقفها وتنقصها الثقة الكافية بنفسها – استخلصت عظة مختلفة تماماً من قصة أمها ، فلو أن أمها كانت قد خضعت أكثر لزوجها (والد كارمن) وأخفت ذكائها وراجعت خطواتها الأولى .. ربما ظل والدها معها . وبناء عليه ترى كارمن الحياة من خلال تلك المعادلة : « إنه عالم بارد للنساء دون زواج ، لذلك على المرأة أن تتزوج ، وإذا ما أرادت النجاح لزواجها .. فعليها أن تبعد عن السيطرة ، ولتجنب السيطرة .. عليها أن تشعر بأنها تابع وتتسم بالوداعة والرقة وتخفف من الإفراط فى إظهار المعرفة.

ولذلك فهى كانت تقنع نفسها بأن فرانك سيظل دائماً إلى جانبها ، لو أنها نجحت فى أن تشعر أو على الأقل تبدو بهذه الصورة ؛ فهى تعتقد أن المرأة بطبيعتها قد لاتقل ذكاءً أو قوة عن الرجل ، ولكن من واجبها أن تخفى هذا الذكاء وهذه القوة لتظهر في الصورة التقليدية للمرأة التابعة أو « زهرة البنفسج الذابلة » فهذه التبعية من وجهة نظر كارمن هى درعها الواقى ضد ما عانته امها .

ومن هذا المفهوم عن النوع الذى تؤمن به « كارمن » ينبع عديد من الأفكار، إحداها تتعلق بعلاقتها مع « فرانك » والأخرى تتعلق بالوردية الثانية ، فهى تؤمن بأن المرأة يجب أن تكون لطيفة وجميلة وهادئة ينخفض صوتها عند الحديث ، ولكننا فى الحقيقة نجد لدى كارمن « الشخصية الخطأ » المتعارضة مع ماتؤمن به. فهى معظم الوقت عالية الصوت ، محمرة الوجنتين من الانفعال ، مشغولة ونشيطة ، وفى مناقشتها مع فرانك يسمع جيرانها الذين يقطنون فى الطابق الأسفل صوتها ، وهو يعلو بنبرة خطابية تلوح بشيء من التهديد ثم ينخفض رويداً رويداً، وهى تستطرد فى شرح متواصل لشيء ما . ثم يسمعون صوت فرانك منخفضاً ، معتدلاً ومسترضياً . وفى السوبر ماركت .. نجد فرانك يتبع بأدب القواعد الإرشادية غير المعلنة عن المرور بداخله على حين أن كارمن تضرب بها عرض الحائط. وهى أحياناً تبدأ الهجوم فى مشاجراتهم العائلية . فعندما عنّف والد « فرانك » ابنه لتفريطه فى وظيفة واعدة فى أحد البنوك فإن « كارمن » دفعت « فرانك » للدفاع عن نفسه فى مواجهة أبيه . ولكنها دائماً تؤنب نفسها بعد كل موقف من هذا النوع .

كما أن كارمن كانت فى مقتبل شبابها على وشك الزواج بأحد الرجال إلا انه تركها عندما شعر بشخصيتها المسيطرة ولذلك فإن أمها كانت دائماً تحذرها « تذكرى ويليام وتجربتك معه » .

وعندما تزوج فرانك بكارمن عاشا معاً حياة يسودها الانسجام طيلة الثلاث

سنوات الأولى إلى أن جاء يوم اشتكى فيه فرانك من أن كارمن قررت شراء كرسى (وهذا قرار يمكن تأجيله) قبل دفع الايجار (الذى لايمكن تأجيله)، وقد شعرت «كارمن» يومها وكأن فرانك يريد أن يقول : « نظراً لمساهمتى بدخل أكبر فى أعباء المنزل ، فعلىَّ وحدى اتخاذ معظم القرارات. » وهنا ردت عليه قائلة : « ماذا ؟ انتظر قليلاً . ماذا ؟ أقلت بدخل أكبر . انس هذا ! إن سعيك للحصول على مال أكثر لايعنى أى شىء فأنا لازلت أعمل . ألا تعتقد هذا حقاً ؟ فابتسم قائلاً : « حسناً . إن هذا ليس كذلك حقاً » .

وإجمالاً.. فإن فرانك يعتقد أن القشرة الثمينة الخارجية لخضوع كارمن له ستقوم بدورها فى بث التفاهم بينهما ، فجرأتها فى بعض الأحيان ليست بالأمر الخطير ولاتثير التهديد لديه . فتحقيق التوافق بين شخصية كارمن وأفكارها لم يكن مشكلته ، بل مشكلتها هى .

استخدام جانب واحد من التقليدية للتغلب على الجانب الآخر

أرادت كارمن أن تكون خاضعة وكان هذا جانباً من تقليديتها ، كما أرادت أن يسعى فرانك للحصول على دخل الأسرة بينما تعنى هى بشئون البيت ، وكان هذا هو الجانب الثانى . وعندما سألتها عما ستفعله إذا كان لديها مليون دولار، ضحكت وبدأت تسرد قطع الأثاث التى ستقتنيها والشقة المتسعة التي ستشتريها لوالدتها . ثم أخذت تشرح بتمهل كيف أن المال لايؤثر على الفصل بين عالمى الرجل والمرأة، بل سيتيح الاستمتاع بالحياة . وعندما سألتها هل سيمكث فرانك بالمنزل إذا ما حصلا على مليون دولار أجابت « بالقطع لا ! فالأولاد لن يحترمونه وسيكره نفسه ، وبعد فترة سيكرهنى أنا الأخرى، فلو أننى فى أحد الأيام لم أرغب فى أداء الأعمال المنزلية فقد

أطلب منه القيام بها . فعلى الأقل يجب عليه أن يمارس لعبة الجولف ساعتين ، وأن يفعل شيئاً ما خارج المنزل .

والسؤال الذى أطرحه الآن : كيف استطاعت كارمن أن تنجز كل مايتطلبه العمل فى الوردية الثانية ؟ فبعد إنجاب كارمن لابنتها بتسعة أشهر، بدأت تعنى بالأطفال الآخرين فى منزلها مرة ثانية . وبالرغم من أفكارها عن دور المرأة داخل البيت ومسئولياتها الأساسية تجاهه ، إلا أن احتياجاتها لم تختلف عن نفس احتياجات الأمهات العاملات : حيث تاقت إلى مساعدة فرانك لها فى البيت ، ولكن هذه الحاجة أثارت مشاعر متناقضة قوية لديها.

إنها من ناحية ما كانت بالفعل تحتاج المساعدة فى المنزل مثلها مثل أى أم عاملة أخرى، ولكنها من ناحية أخرى ترى المنزل « كحلبة سباق » تخصها وحدها ، وهى لاتهتم كثيراً بمشاركة فرانك لها فى الوردية الثانية ، فمساعدته لها ربما تكون شيئاً لطيفاً ، ولكنها ليست بالقضية المهمة التى تستحق كل هذا الاهتمام من المؤمنات بالحركة النسائية . كما أنها تشعر أنها لو طلبت من « فرانك » أن يساعدها فى المطبخ فقد يكون هذا نوع من السيطرة . فهى على العكس من ذلك تماماً كلما غاب «فرانك» عن المطبخ ، زادت سعادتها وزهوها بنفسها . وحتى عندما تحدثت معى عن تقسيم العمل مع زوجها فكأنها كانت تخجل من اعترافها بالعون الذى يقدمه « فرانك »، فهى ترى فى هذا العون نوعاً من التقصير من جانبها . وهى بذلك تختلف كل الاختلاف عن المرأة المساواتية التى تفخر بمساعدة زوجها له ، فكارمن تؤمن بمخاطرة المساواة بين الجنسين، وتعتبرها قفزة متوحشة نحو المنافسة » تستتبعها قفزة طويلة أخرى نحو التنافر ثم الطلاق .

إذاً السؤال هو كيف تتمكن كارمن من الجمع بين المتناقضين، وهما : رغبتها فى إبعاد فرانك عن المطبخ واحتياجها فى الوقت نفسه لوجوده فيه ؟ فبادىء ذى بدء

نراها تحتفظ بشخصيتها الخاضعة المستسلمة بكاملها بالاعتراف المستمر بأن فرانك هو « سيد البيت » ولكنها حلت مشكلتها باستعارة عادة المرأة فى الماضى وتوظيفها لاستخدام جديد ، وهى : الظهور بأنها تحتاج إلى المساعدة ، وهو ضرب من ضروب الذكاء ، مكنها من البقاء كزوجة مذعنة على الباب الامامى ، بينما جعلت فرانك يدخل المطبخ من الباب الخلفى ، وربما كان الثمن الوحيد لتلك السياسة هو فكرة الاخرين عن مدى كفاءتها ، ولكن هذه لم تكن المشكلة . لقد كانت مسرورة بظهورها كإنسانة ضعيفة ، ولم تطلب من فرانك قط مساعدتها بصورة مباشرة ، لذلك فعندما بدأ يساعدها فى عمل ما ، لم يكن هذا من منطلق أن هذا دوره ، ولكن بسبب عدم استطاعة كارمن القيام به . وبتلك الطريقة حصدت كارمن كثيراً من مساعدة فرانك : فإذا ماكان فرانك يطهو الأرز عقب عودته من العمل ، فهذا لايرجع إلى رغبته فى ذلك، وإنما لأنه يستطيع طهيه بصورة أفضل من كارمن. وعندما يقوم بدفع الفواتير أيضاً فهذا مرجعه إلى خطأ ارتكبته كارمن ، عندما كانت تقوم بهذا العمل من قبل . كذلك يقوم فرانك بحياكة الملابس (بعد امتناع حماته عن الحياكة لهم) لأن كارمن لاتستطيع القيام بذلك أيضاً . وفرانك أيضاً هو الذى يقوم بقيادة السيارة خلال جولات الشراء ، وذلك لعدم مقدرة كارمن على القيادة ، وهكذا نرى أن باستجابة فرانك لنقص كفاءة كارمن فى ناحية تلو الأخرى أصبح يقوم بنصف مهام الوردية الثانية تقريباً .

وطبقاً لما يقولان تؤدى كارمن « تقريباً كل شيء » من عمل المنزل ورعاية الأطفال ، وأن فرانك « يساعدها فقط » ، وهذا صحيح من منظور أن كارمن مازالت مسئولة عن ذلك فى « عالم النساء » ، ولكنه ليس بصحيح أنها تؤدى « تقريباً كل شيء». إن خرافة «ضعف كارمن وحاجتها للعون » حفظت لفرانك كبرياء الرجل القديم: فهو يستطيع الآن دخول المطبخ كعمل من أعمال الفروسية « لمساعدة امرأة» كما حفظت لكارمن « كبرياء المرأة » القديم فى التماسها مساعدة زوجها لها ، دون الإقلال من شأنها عن أى امرأة أخرى . وكانت تلك الطريقة مفيدة لكل من فرانك وكارمن ،

وإن كانت لاتفلح مع كل الرجال التقليدين وربما تكون مرعبة للرجال المساواتيين .

سياسة عدم الكفاءة

إن سياسة عدم الكفاءة هى إحدى الطرق لدفع الرجال التقليديين إلى المشاركة فى أعمال الوردية الثانية ، والمرض إحدى هذه الطرق ايضاً ، فكارمن كانت تعانى من التهاب المفاصل الذى كان يهاجمها من آن لآخر ، ويمنعها من حمل الأشياء الثقيلة ، ولكن لم يكن واضحاً إذا ما كانت تستخدم «المرض» مثل استخدامها « للحاجة للمساعدة ». ولكن للغرابة أن نساء أخريات تقليديات تحدثت إليهن ، كن يصبن بالمرض أكثر من قريناتهن المساواتيات وهن عندما يصبن بالمرض فهن دائماً يتبعن نفس السياسة ؛ إذ تصر الواحدة منهن أن أعباء المنزل مسئوليتها هى ، وتظل تعمل ببطولة حتى تسقط من كثرة الإرهاق . وفى هذه الحالة لاتتوقف الواحدة منهن عن العمل ، ولكن يوقفها المرض ، سواء أكان هذا المرض التهاباً رئوياً أم صداعاً أم آلاماً بالظهر أم التهاب المفاصل . وهنا فإن الأزواج « يمدون يد المساعدة لزوجاتهم » فى هذه الأحوال الطارئة ، وعندما يتم الشفاء ، تعود الزوجات مرة أخرى إلى معاناة تحمل العبء المضاعف ليسقطن مرة أخرى صريعات المرض . إن الإصابة بالمرض تشترك مع سياسة « عدم الكفاءة » فى أن كلتيهما طريقتان للحصول من خلال سياسة غير مباشرة (لإعادة التفاوض بشأن الأدوار) على ما تحصل عليه الأخريات المناديات بالمساواة من خلال سياسة مباشرة – وهو عمل الرجل فى الوردية الثانية . إن 11٪ من نساء هذه الدراسة اللائى وصفن أنفسهن بأنهن تقليديات ، أشرن جميعاً إلى إصابتهن بالمرض أكثر غالبا من أزواجهن ومن النساء الأخريات .

ومثل عديد من الأزواج التقليدين يعتبر آل « ديلاكورت » خليطاً غريباً من القديم والحديث . ففرانك وكارمن يفكران ويتحدثان ويشعران بطرق قديمة ، ولكن عليهما أن يعيشا مع الحقائق العنيدة للحياة الاقتصادية الحديثة ، فهما يتطلعان لتحقيق نمط

الحياة الذى يحكم فيه الرجل و، لكنهما اضطرا لقبول نمطاً أكثر ديمقراطية . ففرانك أراد أن يكون من هؤلاء الرجال الذين لاتحتاج زوجاتهم للعمل ، ولكنه فى واقع الأمر كان يحتاج لمرتبها . وأردات كارمن أن ترعى شئون البيت وحدها ، ولكنها فى الحقيقة احتاجت إلى مساعدة فرانك . وبالرغم من اعتقاد فرانك أن لكل من الرجل والمرأة مجاله ، وأن المطبخ من مسئولية كارمن ، إلا أنه غالباً ما كان يجد نفسه بجانبها يلتقط المعلبات من على الأرفف فى السوبر ماركت ، أو يقوم بالحسابات فى المنزل ليقف على مدى الصراع بين دخليهما المتواضع والارتفاع المستمر فى الاسعار . كذلك أرادت كارمن أن تجرد عملها من أى مغزى عدا المنفعة المالية ، إلا أنها فى الحقيقة أحبت عملها الذى منحها القوة التى استخدمتها للمفارقة «لتمنح» فرانك سيطرته ، و« لتوظفها » فى خضوعها له ، ولكن طالما أنهما احتاجا لمرتب كارمن ، فلابد أن قوتها المثيرة للمتاعب ستهدم المفاهيم التقليدية للأنوثة والرجولة لديهما .

لقد اتبعت كارمن سياسة الخضوع كجزء من استراتيجيتها التقليدية عن طريق التشكك فى المثل الثقافية لتأكيد المرأة لذاتها ، وتقييد ميلها للسيطرة على عالمها كامرأة ، وبتذكير نفسها دائما بتجربتها مع ويليام ، ووضع فرانك فى مكانة عالية ، وبهذا تخلت عن أى تحقيق لذاتها خارج المنزل على حين ضخمت مشاعر الاعتمادية لديها ، وهذا كله يشكل الخطوات النفسية التى جعلت روحها تسير بتوافق مع استراتيجيتها .

إن التقليدية لم تلائم الحقيقة الخارجية والداخلية لحياتهما ، فأما الحقيقة الخارجية .. فإنها تتمثل فى احتياج فرانك إلى مرتب كارمن واحتياجها هى الأخرى إلى مساعدة فرانك فى أعمال المنزل وتربية الأبناء. وأما الحقيقة الداخلية فتتمثل فى أن فرانك لم يكن فى واقع الأمر مسيطراً ، وإنما كان بالاحرى « سلبياً جداً » وأن كارمن لم تكن خاضعة ولكنها كانت بالأحرى « حازمة جداً » . وأما ما حوى كلا المتناقضين

هو الوهم الأسرى بأن « فرانك يقوم بالقليل داخل المنزل » .

وقد اقتسم آل ديلاكورت بعض السمات المشتركة مع آل هولتز ؛ ففى الحالتين اتفق الزوجان فى رؤيتهما لكيفية تقاسمهما للعمل فى المنزل ، وفى الحالتين كانت هذه الرؤية مجرد وهم . فبينما اعتقد آل هولتز أن نظام « الطابق العلوى والطابق السفلى » يعتبر تقسيماً متساوياً للعمل بينهما فإن آل ديلاكورت يعتبرون تقسيمهما غير متساو. فالزوجان فى كلا الفريقين اعتقدا ما أرادا أن يعتقداه ، وإن تصادم مع بعض الحقيقة فى حياتهما، مما خلق توتراً كان مختفياً أسفل السطح . فالبنسبة للهولتز كان التوتر بين المفهوم المساواتى لنانسى والمفهوم التقليدى لإيفان . وبالنسبة للديلاكورتس كان التوتر قائماً بين تقليدية الزوجين المشتركة وحقيقة دخليهما وشخصتيهما .

وعموماً .. فإن الزوج التقليدى الذى أراد لزوجته المكوث فى البيت يمنح زوجته مساعدة أكثر قليلاً من ذلك الزوج التقليدى الذى يؤيد فكرة عمل زوجته ، ولكنه يصر على أن العناية بالمنزل من اختصاصها، أما ألازواج المؤمنون بالمساواة بقوة ، فهم فعلياً يشاركون زوجاتهم فى أعمال المنزل .

وهكذا يمكننا القول إن مفهوم النوع فى حد ذاته لايفهم منه كثير عن مدى العون الذى يقدمه الزوج لزوجته العاملة . فبوجه عام .. نجد ان الزوج التقليدى (الذى يتمنى أن تبقى زوجته فى المنزل) عادة مايقوم بالمساعدة أكثر من الزوج التقليدى الذى يؤيد فكرة عمل زوجته ، ولكنه مازال يشعر أن عليها أيضاً أن ترعى شئون المنزل. وأكثر الرجال مشاركة فى أعمال المنزل هم أكثرهم إيماناً بالمساواة .

إن التفاعل بين مفاهيم النوع لدى الزوجين ، والحقائق الاقتصادية لحياتهما والاستراتيجيات التى يطبقانها بوعى منها أم لا لتحقيق التوافق بين هذا كله ، ليخبرنا بالكثير عن مدى المساعدة التى يقدمها الزوج لزوجته العاملة بالمنزل . لقد كانت كارمن

مدافعة عن التقاليد ، واجهت الصراع بين تقليديتها واحتياجها لمساعدة فرانك وجذبه لمجالها بالمنزل . وعن طريق تظاهرها بالضعف والحاجة للعون .. استطاعت أن تظل امرأة تقليدية ، وتحقق فى نفس الوقت نتيجة غير تقليدية وهى مساعدة الزوج . على حين بدت نانسى كامرأة مساواتية حصلت على نتيجة تقليدية، وهى رفض زوجها لمساعدتها ، كما ظهر إيفان بمظهر من تعوزه المساعدة .

إن « فرانك » يختلف تماماً عن « إيفان » فى أنه لم يحاول الفصل بين مفهوم « العدل » وبين مشاركة زوجته فى أعمال الوردية الثانية ، فهو لم يحاول أن يكون «عادلاً» بمفهوم نانسى . ولم يحاول أن يتملص من هذه المسئولية بأن « يتظاهر » بالمشاركة، كما يفعل بعض الرجال الذين يلزمون أنفسهم بالمشاركة التامة فى أعمال المنزل . ولم يلجأ للإدعاء بأنه مشغول تماماً بعمله ، أو يتعرض لضغط شديد ، فدون أى مظاهر أو دعاية كان يقوم بنصيبه من العمل ببساطة. وكانت سياسة نانسى تهدف إلى السعى لتغيير الأدوار ، وعندما فشلت فى ذلك لجأت إلى اختصار ساعات عملها ، ولكن دون وعى منها، جعلت حياتها صعبة مع إيفان لرفضه المشاركة ، وظهر هذا فى إهمالها للناحية الجنسية واستغراقها التام مع جوى وكأن هذا بمثابة تذكرة لإيفان عن الثمن العاطفى ، الذى عليه أن يدفعه من جراء رفضه لمساعدتها .

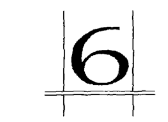
إن تجربة نانسى تخبرنا كيف أن المرأة تحاول أن تطرح سياستها الفاشلة وراء ظهرها دون أن يؤثر ذلك عليها . أما كارمن فلم تكن لديها هذ التجربة ، ولكن كلتا القصتين توضحان كيف أن خبراتنا بالحياة تصبغ مفهوم الأنوثة والرجولة لدى البعض منا بصبغة معينة . كما تظهر هاتان القصتان أيضاً طرق المحافظة على المظهر الخارجي لهوية النوع ، الذى يتعرض جوهره للخطر بفعل أشياء على غرار مقاومة الزوج أو الزوجة أو حدود ميزانية الأسرة .

وكما أنه من الطبيعى والعادى الآن أن نرى الضغوط الاقتصادية تدفع بقوة

بعض السيدات – اللائي يرفضن العمل ويجعلن بيوتهن فى بؤرة اهتمامهن – إلى قبول اعمال منخفضة الدخل ، يصبح من العادى أكثر أن نجد أزواجاً وزوجات على شاكلة الديلاكورتس ، يلجأون إلى عقد مصالحة بين معتقداتهم التقليدية والحياة العصرية ، ونجد الواحد منهم يحمد الله على وظيفة زوجته ، كما فعل فرانك فى مواجهة حظه العاثر ، عندما اختلف مع رئيسه فى العمل وفقد وظيفته .

الفصل السادس

مفهوم الرجولة وتقديم الشكر: پيتر ونينا تاناجاوا



الفصل السادس

مفهوم الرجولة وتقديم الشكر :
پيتر ونينا تاناجاوا

عند لقائى مع « پيتر تاناجاوا » ، Peter Tanagawa، وهو رجل داكن الشعر فى الثالثة والثلاثين من عمره ، ذو عينين عسليتين لامعتين يشعان حيوية وحماس، كان يجلس فى مكتبه الصغير فى أحد محال بيع الكتب . وفى هذا اللقاء أفضى لى بهدوء بأمر قد يبدو بسيطاً ، ولكنه فى الواقع محورى ؛ إذ قال لى : « إن نينا، Nina، زوجتى تطالبنى بأن أعاونها أكثر فى شئون الأولاد ، أن أهتم بهما وبتعليمهما ونموهما بشكل أكبر . إنها باختصار تريدنى أن أصبح « رجل أسرة » ، وأنا هذا الرجل بالفعل ، و لكن بالطبع ليس بنفس درجة زوجتى .»

إن هذه القضية ، قضية التزام « پيتر » بالأسرة ، ليست بالجديدة بالنسبة له. فمنذ بدء علاقته بنينا ، عندما كان يطارحها الغرام وهما يجوبان هنا وهناك بدراجاتيهما كثيراً ما كانا يناقشان سوياً مفهوميهما عن « الرجل » و« المرأة ». فقد أرادت « نينا » أن تكرس نفسها أساساً لبيتها ثم يجىء عملها خارج البيت فى المنزلة الثانية . وهى فى هذا تتخذ موقفاً وسطاً بين « كارمن ديلاكورت » (التى كانت تريد أن تمكث بالبيت وأن تدفع بفرانك إلى العمل) وبين « نانسى هولت » (التى كانت تسعى لتحقيق التوازن بينها وبين إيفان بالتساوى فى التعاون داخل المنزل وخارجه).

فعندما التقى « بيتر » و« نينا » لأول مرة انجذب كلاهما لطريقة تفكير الطرف الآخر بخصوص الأدوار المختلفة للرجل والمرأة فى الحياة . وقد اتفقا معاً على أن يأتى عمل « بيتر » فى مبيعات الكتب في المقام الأول ، قبل أى عمل تبدأ فيه « نينا » فيما بعد – رغم شعورها بأنها ستحب بالطبع أن تعمل . وهكذا فقد كانا طرفين متوافقين تماماً ، يؤمن كلاهما بالأفكار الانتقالية.

وقد حدث مع أسرة التاناجاوا ما حدث مع أسرة الهولتز من تطور التوترات بين الزوجين حول مفهوم النوع لديهما . ومثلما فعلت نانسي، لجأت نينا إلى الضغط على بيتر ليقوم بمزيد داخل البيت ، ومثل ايفان قاوم بيتر. ولكن نظراً لان نينا بدأت بداية أكثر تقليدية ، كان عليها أن تتشبث بعرض العمل المجزى الذى لايقاوم « كسبب » يزج بها إلى العالم الخارجى بصورة أكبر، وفى الوقت ذاته يدفع بيتر إلى عالم البيت. وبالنظر إلى قصة التاناجاوا نجدها – أكثر من الهولتز والديلاكورتس – تظهر كيف أن تقليدية الزوجين جعلت نينا تشعر بأنها محظوظة، ذلك الشعور الذى كان له تأثيره على الوردية الثانية ، وعلى ماحدث لابنتهما ألكسندرا ، Alexandra، فى نفس الوقت .

كان « بيتر » قد شب فى مجتمع يابانى مترابط فى « هاواى »، وكان أثيراً لدى والدته ولكنه كان يشعر بشىء من الجفوة مع والده الذى كان يعمل ساعات طويلة ويعود بعدها إلى المنزل منهكاً ومشتت الذهن . والآن .. بعد أن أصبح « بيتر » نفسه أباً لطفلتين فى الخامسة والثالثة (ألكسندرا وديانى، Diane) فهو يجد نفسه أكثر انشغالا بطفليه – وكأنه أم لهما – وأقل اقتناعاً بعمل فى مجال الكتب بشكل ، لايتفق مع مفهومه عن النوع . ولذلك فإنه كان يحتاج لتدخل « نينا » بينه وبين طفلتيه ، حتى تعود الأمور إلى نصابها الطبيعى .

أمـا نينا فهى امرأة رائعة رشيقة ، شقراء ، ذات عينين زرقاوتين ، فى الثالثة والثلاثين من عمرها ، وتتسم بالحياء قليلاً فى تصرفاتها . وعندما قابلتها فى المساء

فى منزلها كانت ترتدى تنورة تنورة بيضاء وجاكت ازدان بدبوس أحمر أنيق ، فكانت كحورية جميلة فى سترة العمل . وهى تشابه أباها فى أنها واسعة الحيلة وعملية وتحسن تدبير أمور حياتها . أما أمها فقد ظلت طوال حياتها ربة منزل ، ولكنها كانت دائمة التوتر بسبب رفض زوجها المستمر السماح لها بالعمل. ولذلك فقد صممت « نينا » أن يكون لها عمل « يعطيها نوعاً من الرضا والسعادة » ولكنها تريد أيضاً أن تكون دائماً مركز البيت . ولكن الآن ، دون أن تدرى ، وجدت نفسها منجذبة أكثر وأكثر بنجاحها وطموحاتها فى العمل . وهكذا فهى بالتدريج تتخلص من كيانها الأنثوى الذى كانت تتمسك به وهى فى العشرينات، إن كان هذا التمسك حقيقياً .

سياسة بيتر :

المساندة العاطفية بدلاً من التورط

اعتقد بيتر أن نينا لابد أن ترعى شئون البيت ، وهذا ليس بحكم قدرها كامرأة ، أو لأن الله أراد للرجال أن يسيطروا على النساء ، أو لأن بيتر يكسب نقوداً أكثر ، ولكنه اعتقد أن نينا لابد أن تنزع إلى البيت لأنها أكثر اهتماماً وأكثر جدارة . كما أنها اختارت بإرادتها أن تضع وقتها وطاقتها فيه ، وتتفق معه « نينا » فى هذا . وطبقاً لهذا .. فهى تقوم بنحو 70٪ من العناية بالاطفال و 80٪ من شغل البيت (وقد اتفقا على هذا التقدير) . ولاتتوانى نينا عن أن تمكث فى المنزل ، إذا مرضت إحدى ابنتيها ، وتقوم باسترداد معطف إحداهما إذا نسيته فى منزل صديقتها ، كما أنها تنتظر وصول الأريكة الجديدة لتتسلمها . وبالرغم من أن بيتر وصف ابنتيها (كبنات أبيهم) كما أنى شعرت أنه يقوم بعديد من الأعمال فى المنزل ، إلا أنه هو وزوجته أكّدا لى أن دوره في الرعاية اليومية بالطفلتين محدود للغاية .

وعندما كنت فى زيارة لتلك الاسرة فى إحدى الأمسيات اصطحبت نينا ابنتيها إلى الطابق العلوى لكى تأويا إلى فراشهما ، هناك همس بيتر إلىّ قائلاً : « إنهما الآن

تحظيان (بوقت متميز) مع والدتهما . ولم أتبين إذا ماكان فى حقيقة الأمر يرمى إلى عدم استطاعته منح طفلتيه (وقتاً متميزاً) . ولكن من الواضح أنه كان يرى دوره الأبوى على أنه مساندة لنينا : حيث كان يقوم بدور « الأم » *بالنسبة لنينا والتى* بدورها تغمر ابنتيها بأمومتها .

وهذا لايعنى أن بيتر كان أباً عاجزاً غير عابىء بابنتيه ، فهو وإن كان بعيداً عنهما بعض الشىء إلا أنه كان مهتما بهما إلى حد كبير ، كما كان يتمتع بحدس أكبر نحوهما ، فهو مثلاً سريعاً ما يستشعر الغيرة الحقيقية التى تعترى الكسندرا إذا ماأظهر اهتماما بديانا. وهو غالباً ما يتحدث إلى نينا بخصوص تلك الناحية لترعى الاحتياجات المادية والنفسية لابنتيهما وتنظم حياتهما الاجتماعية بعطف وحنان ، فلأن « نينا » نفسها قد حرمت من دفء العلاقة الحميمة مع أمها ، فهى شديدة الحرص على أن تكون أماً مثالية ، ولذلك فهى ترحب بأى تقدير يبديه « بيتر » لجهودها ، وهو بدوره يقدر أمومتها .

وعندما تحدثت مع بيتر عن نفسه وجدته يتذكر تفاصيل صغيرة كثيرة عن حياة أسرته اليومية ، مختلفاً بذلك عن عديد من الرجال. وعندما كان يصف لى يوماً عادياً فى حياته ، بدا لى وكأنه ينظر إلى عمله كمجرد فاصل بين الأوقات المشحونة بالعواطف التى يقضيها مع أسرته .كما كان يستخدم كلمة « نحن » على غرار «نحن نستيقظ فى السادسة صباحاً »:

وتكون نينا هى البادئة بالاستيقاظ أولاً ، ثم اتبعها عندما تذهب لتأخذ حماماً ، ويكون صوت انغلاق الباب الإشارة لى لأنهض من فراشى. ثم أذهب للطابق الأسفل لأعد القهوة ، وبينما تصل الجرائد فأخطف نظرة سريعة على الصفحة الأولى وصفحة الرياضة ، فصفحة الأعمال ، ثم أصنع القهوة وأحضر الجريدة وفنجانى القهوة للطابق العلوى ، حيث تكون نينا قد خرجت من الحمام

فنحتسى القهوة سوياً ، ثم تحضر لى نينا ابنتنا الصغرى ديانى فأبدأ فى تغيير ملابسها وأساعدها على قضاء حاجتها . ثم ألبس ألكسندرا ملابس المدرسة ، وهى فى الواقع تحتاج لإظهار الاهتمام بها أكثر من مساعدتها ، وخصوصاً عندما ترانى أهتم بديانى ، وهذا ما أفهمه وأعمل على أساسه.

وعلى النقيض من استفاضته فى الحديث عن أسرته ، نرى حديث پيتر عن يوم من أيام عمله، وقد جاء موجزاً وعابراً : « أصل إلى مقر عملى بين الثامنة والنصف والتاسعة وهنالك يبدأ الروتين اليومى ، ويظل كذلك إلى أن أنصرف فى الخامسة أو الخامسة والنصف » (وتو عودته للمنزل يرتدى الچينز بينما تبقى نينا فى حلة العمل البيضاء) . إن پيتر يصف تفاصيل حياته مع أسرته بتلقائية وحب وتقدير مثل وقت تناول الوجبات ووقت الحمام ، ويسترجع بالضبط ما تضعه « نينا » فى صندوق الغذاء الخاص بألكسندرا من مأكولات أو ماتعده من ملابس لـ « ديانى » .

أما نينا فعندما تصف لى يوماً نمطياً من أيام حياتها ، فإنها تتحدث باختصار عن الصباح حيث تنجز الأعمال الروتينية بحب وكفاءة ، ولكن تبدأ التفاصيل بعد وصولها إلى مقر عملها ، حيث تتوإلى المقابلات والاتصالات التليفونية وتحديد المواعيد، ثم يبطأ حديثها ويطول حول الموضوعات المهمة ، التى سيتم طرحها أمام إحدى اللجان الأسبوع القادم ، والمنافسة الحامية بين اثنين من الموظفين . وهكذا نرى أنه بينما نشعر أن پيتر لايستغرق في عمله بالقدر الذى كان يوده ، فإن « نينا » تنهمك فى عملها أكثر بكثير مما كانت تعتزم .

إن پيتر يستبصر بوضوح معنى المشاركة فى المنزل ، فهو يستعيد ترتيبات عيد ميلاد ابنته ألكسندرا لبلوغها سن الخامسة ، ويسرد قائمة طويلة من الخطوات التى «لم يقم» بها لهذا الإعداد :

« لم افعل شيئاً للإعداد لهذه الحفلة سوى لف بعض الهدايا وتعليق الزينات ونفخ البالونات ونثر النشارة فى كل مكان ، وإعداد حوالى 22 ساندويتشاً . ومقابل إنجازى 30٪ مما يجب عمله ، قامت نينا بالـ 70 ٪ الأخرى .. فهى التى قامت بكتابة بطاقات الدعوة ، وطلبت كعكة عيد الميلاد واشترت جميع الهدايا وفكرت فيما يجب أن نعمله ، وفيما يجب أن نعده للغذاء . لقد قامت « بكل » هذا وحدها ، وأعتقد أنها كانت تحب أن أعاونها بشكل أكبر فى هذا . »

وكما هو الوضع فى حالة « فرانك ديلاكورت » ، ربما كان مايقوم به « بيتر » هنا لإسعاد أطفاله أكثر مما يشعر أنه يتفق مع صورته لنفسه كرجل البيت .

وقد حدث فى إحدى الأمسيات عندما كنت أتناول طعام العشاء معهم ، أن أخذت ديانى تتشنج ثم فجأة تقيأت ، وبتلقائية فورية اندفع بيتر إلى ديانى على حين هرعت نينا إلى المسحة . وأثناء ذلك أخذ بيتر يهدىء من روع ابنته قائلاً : « حسناً ديانى إن معدتك على مايرام. » وبعد مسح الأرض أخذت نينا ثياب ديانى لتغسلها . لقد كانت نينا تقوم بدور « الشغالة » فى المنزل - تجمع الملابس المتسخة وتغير لمبات الكهرباء وتعبىء الطعام فى أكياس وتستدعى جليسة الاطفال . على حين كان بيتر بمثابة « مربية للأطفال » يفهم ويريح . ومن أجل المصالحة بين مذهبيهما عن النوع والحقيقة الداخلية لشخصيتهم .. فقد توصلا إلى نوع آخر من الوهم الأسرى ، وهو أن نينا كانت بطبيعتها أفضل مع الأطفال ، أكثر اهتماماً بهما من « بيتر » .

مسلك نينا المتضارب

لذا نستعرض معاً تاريخ حياة نينا منذ البداية وبالتحديد عام 1973 ، حيث كانت نينا إحدى خمس سيدات فى كليتها ، تقدمن للحصول على درجة الماچستير فى إدارة الأعمال . وكانت قد التحقت بالعمل فى شئون العاملين بشركة Telfac وهى

شركة كبيرة تعمل فى مجال الكمبيوتر ، وكان العمل ممتعاً وجريئاً فى شركة كبيرة ومتسعة النشاط كتلك ، كما ان راتبها كان كافياً ليتيح الفرصة لبيتر ليلتحق بكلية إدارة الأعمال .

قفزت نينا بسرعة مذهلة خلال المناصب الإدارية الواحد تلو الآخر ، حتى أنه فى عام 1982 كانت تتلقى راتباً يجعلها على قمة نسبة الـ 1٪ من النساء اللائى يحصلن عليه على مستوى الدولة كلها. كما كانت تصغر أصغر موظف فى مستواها بالشركة بنحو خمس سنوات . بالإضافة إلى ذلك كانت إحدى ثلاث سيدات كن يشغلن مراكز القمة فى كل الشركة، مع ملاحظة أن الاثنتين الأخريين لم يكن لديهما أطفال . وعموماً على مستوى الرجال والنساء على السواء .. نجدها قد حققت نجاحاً يفوق الوصف .

وبعد مكوثها بالشركة خمس سنوات .. أنجبت نينا ابنتها (ألكسندرا) وأخذت سنة أجازة لتمكث مع ابنتها فى المنزل . وحينما تُقَيِّمْ نينا هذا الآن تشعر أن قرارها هذا كان صائباً . فقد كانت تجد الفرصة للعناية بابنتها والغناء لها وحياكة ملابسها ، ولكنها كانت أيضاً تشكو من شعورها بالملل لاعتنائها بطفلتها وحدها فى المنزل . وشعورها بأنها أصبحت هى أيضاً مملة لزوجها « بيتر ». لذلك كان قرار عودتها للعمل كما قالت: «لأكون زوجة أفضل.» وعندما استدعاها رئيسها فى العمل ليعرض عليها العمل لبعض الوقت هرعت فوراً إليه، بعد أن استأجرت مدبرة منزل وجليسة أطفال .

ثم حدث أن أصاب الهبوط سوق مبيعات أجهزة الكمبيوتر ، وزادت أعباؤها كما زادت ساعات عملها. وبعد نوم طفلتها فى المساء كانت تعكف على كتابة التقارير وإعداد المذكرات ، وللحفاظ على صورتها كمديرة كانت تذهب مبكرة في الصباح ساعة عن بقية موظفيها وتمكث ساعة إضافية بعد انتهاء العمل فى المساء . وظلت ساعات عملها تتزايد وهى تتذكر هذا قائلة : « رجعت لأعمل ثلاثة أيام فى الأسبوع ، ثم أربعة

أيام ، ولكن العمل كان يزداد بسرعة مذهلة ، وكنت أجرى هنا وهناك حتى أسقط منهكة على سريرى فى المساء ؛ لأدرك أننى كنت أعمل لسبع عشرة وثمان عشرة ساعة يومياً » .

وبعد عامين من ذلك .. ولدت نينا ابنتها الثانية ديانى ، وهذه المرة مكثت بالمنزل ستة شهور ، قبل اتصال رئيسها بها وقطعها لأجازتها لتعود لعملها . وقد وصفت نينا هذه الفترة من حياتها قائلة : « أصبحت الفوضى تضرب فى أنحاء المنزل ؛ فقد ازدادت كميات الملابس المتسخة الآن مع وجود طفلتين ، وكانت الحالة تسوء أكثر عند إعداد طعام العشاء ، وما كان يتخلله من جلبة وضوضاء الصغيرتين .

ثم استأجرت مدبرة منزل أصرت على عدم تنظيف النوافذ والأرضيات ، والانتهاء من عملها فى الخامسة والنصف . ولذلك فإن نينا بعد سلسلة طويلة من حصار العمل لها خلال الأسبوع .. تصبح ربة بيت وأماً كاملة أيام السبت . وفى صباح الآحاد تغسل شعر ابنتها وتقلم أظافرها ، وتنظف المنزل بينما يلعب بيتر التنس.

وفى شركة الكمبيوتر التى تعمل بها « نينا » ، كان كل أصحاب المناصب العليا مدمنى عمل ، وكان معظمهم غير متزوجين . وفى بادىء الأمر حاولت « نينا » أن تتظاهر بأنها تكرس كل جهودها للعمل مثلهم تماماً. ولكن ، فى اللحظة التى بدأت تشعر فيها بعدم قدرتها على التظاهر أكثر من ذلك .. دخل عليها رئيسها فى العمل يزجيها التهنئة بمناسبة ترقيتها ، وتزاحم المهنئون على مكتبها ، وشعرت نينا بالزهو والسعادة . ولكن عند عودتها إلى منزلها فى المساء .. كان هناك شعور من الإحباط يعتريها بسبب تعليق ترامى إلى مسامعها يوماً ما من أحد زملائها ، وهو يقول : «لاأعرف امرأة عاملة استطاعت أن توازن بين أسرتها وعملها، يجب عليها أن تختار أحدهما » وتذكرت نينا أنها حدثت نفسها آنذاك قائلة : « أجزم أنك مخطىء » أما الآن

فهى غير متأكدة .

إن بيتر يساند نينا بطريقة « الانتقاليين » من الرجال ، فهو يتجاذب معها أطراف الحديث عن مشاكلها فى العمل ويخفف عنها ، كما أنه يقلق على صحتها ويساهم بعض الشىء فى عمل المنزل ، ولكنه غالباً ما يحتاج لإشارة منها ليفعل ذلك بأن تقول له مثلاً : « هل تريد تنظيف المطبخ أو إعطاء الصغيرتين حمامهما ؟ » وتضيف نينا قائلة : « هذا هو ما يحدث بيننا دائماً ؛ لأنى إن لم أذكره بذلك فهو عادة ما يتناسى ويجلس أمام شاشة التليفزيون أو ينشغل بقرأة الجرائد ، وعادة ما يفضل تنظيف المطبخ وأقوم أنا بحمام البنتين ثم بالقراءة لهما . »

وأخذت نينا تلمح لبيتر احتياجها لمساعدة أكثر منه فى المنزل ، وهى تبرز أن « ظروفها » - وليس هى - تتطلب تلك المساعدة . وهى تختلف عن نانسى هولت بأنها لم تتفوه بكلمة « المساواة » ، كما أنها تمسكت بعرض الوظيفة الجديد، فهى - وإن كانت لاتريد الموافقة - لاتستطيع الرفض .

استمع بيتر لتلميحات نينا ولكن هذه التلميحات بالنسبة له لم تكن أكثر من مؤشرات لمشكلة « نينا ». ولكن بمرور الوقت .. بدأت حالة « نينا » المنهكة تتحدث عنها ؛ فقد ظهرت هالات كثيرة حول عينيها ، وأصبحت نحيفة بصورة تدعو إلى القلق ، كما بدأت تتحرك وتتكلم بفتور . وبالتدريج .. اعترفت نينا لبيتر بأنها كانت تقترب من حافة عاطفية معينة ، وبدلا من أن يصيبها انهيار عصبى أصيبت بالتهاب رئوى ، ألزمها الفراش لمدة عشرة ايام من الراحة التامة (وهى أول فترة راحة تحصل عليها منذ ولادة ديانى) . وكأن مرضها عبر عن لسان حالها : « ساعدنى » وكن « أماً أيضاً » . ومع أن بيتر كان قلقاً بشأن « نينا » .. إلا أنه اعتبر المشكلة تكمن فى الصراع القائم بين عملها وأمومتها .

والحقيقة أن نينا كانت تتغير ، ولكنه كان غير مقتنع بأن أسس أفكار نينا عنه كرجل قد تغيرت . وفى الواقع لم يكن « بيتر » راغباً في التغير ، ولكن بسبب عدم تأكده من رؤية « نينا » لدوره في الحياة ، فهو لم يجرؤ على التمسك بموقفه .

بالإضافة إلى هذا، ظهر مصدر آخر للقلق ، ألا وهو : ارتفاع دخل نينا عن بيتر ، وشعرت بأنها محظوظة لقدرتها على إضافة مال أكثر لخزانة الأسرة ، وقد قالت: « إن راتبى سيتيح لبيتر أن يبتعد عن عمله في مجال الكتب ليدرس علم النفس ، وهو أحيانا يتكلم عن رغبته فى أن يصبح طبيباً نفسياً ، وقد ذكرته أنه يستطيع تحقيق هذا فهو بمقدورنا » . إن هذا العرض الذى قدمته « نينا » لبيتر باستعدادها أن تتحمل الأعباء المالية للأسرة لفترة ما حتى يحقق هو طموحاته لهو بمثابة هدية منها له .

وقد قدر بيتر ما تتضمنه هدية نينا إليه ، وسعيها لتحقيق ما يأمل اليه ، كما أن راتبها أتاح لهم السكنى فى منزل جديد ، وشراء سياره جديدة وإلحاق الكسندرا بمدرسة خاصة، حتى عندما لم يكن قد استقر بعد فى عمله . ولكن بيتر لم يكن مرتاحاً لمرتب نينا ، ولم يشعر بالتأكيد بالامتنان لها ، مثلما كانت ستشعر هى تجاهه، إذا ما انعكس حال مرتبيهما مع بعضهما البعض . ولايرجع هذا الشعور إلى اعتقاد بيتر أن نينا « تتنافس معه » ، فهو كان يفكر على هذا النحو : « نينا ناجحة ولكنها ليست طموحة ؛ فأنا أكثر طموحاً منها ، كما أن نينا ليست لديها روح المنافسة أيضاً وإن كانت كذلك بقدر ضئيل » – شعر بيتر فى حقيقة الأمر أن مرتب نينا المرتفع «أخجله كرجل» ، كما شعر ن الأصدقاء والأقارب – خصوصاً كبار السن منهم من الرجال – سيقل احترامهم له إذا ما عرفوا أن زوجته تكسب أكثر منه . لذلك كان هو ونينا يتعاملان مع مرتبيهما كسر تعس ، ويعلق بيتر على ذلك قائلاً بأن والده إذا ماعرف أن نينا تحصل على دخل أكبر منه « سيموت » . كما أن نينا لم تخبر والدها أيضاً لأنها كانت « تفوقه فى مرتبه » ولم يخبروا أصدقاء « بيتر » القدامى لخوفهما

من أن يسخروا منه . وعندما قابلت نينا أحد مندوبى مجلة « أسبوع الأعمال » ليأخذ منها حديثاً ، كانت نينا فى بادىء الأمر فخورة عندما أخبرته بمرتبها، ولكنها سرعان ما استدعت هذا المندوب ، وطلبت منه عدم نشر مرتبها حفاظاً على شعور پيتر.

إن نينا تسبغ على پيتر نعمة كانت تبعاً للنظرة القديمة شيئاً غريباً ، فالرجل هو الذى يجب أن يعطى المرأة ويريحها من ضغوط العطاء . لقد كان « پيتر » يتمنى لو كان بإمكانه أن يمنح « نينا » فرصة « الاختيار بين العمل والبقاء فى البيت » . فهو يريدها أن « ترغب » فى العمل ، وليس أن « تحتاج للعمل » . ولكن « نينا » لم تكن بحاجة لتلك الفرصة للاختيار ، حيث إنها تجمع بين المهارة والفرصة المتاحة ؛ فالاختيار دائماً سيكون بالطبع العمل .

وتحت هذا الضغط الذى تعرض له مفهوم « پيتر » للرجولة ..اتخذ « پيتر » موقفاً يساعده على حفظ مركزه فى الأسرة وفكرته عن السلطة الواجبة لرب البيت ، فقد حاول إقناع نفسه بأن « الهدية » الحقيقية لاتتمثل فيما تقدمه « نينا » من خلال مرتبها المرتفع ، ولكن تتمثل فيما يقدمه هو من خلال تضحيته والجرح الموجه لرجولته بسبب هذا الوضع، هادفاً بتصوره هذا إلى أن يحافظ على علاقته كرجل بـ «عالم الرجال»، فالناس يهزأون من الرجال الذين تفوقهم زوجاتهم فى المرتب، إذ يهزون أكتفاهم ويديرون أعينهم تعبيراً عن استنكارهم لذلك. فقد كان عليه أن يمتص الهجوم المسلط على رجولته لكى يستطيع أن يتعايش مع مرتب نينا. إن نينا محظوظة لأنها تزوجت برجل غير عادى. وهى (نينا) تعترف بالفعل بأن پيتر غير عادى، لأنه من الصعب على الرجل العادى أن يتقبل مرتبها ولذلك فهى محظوظة.

والغريب فى الأمر هنا أن الذى يحدد قيمة « الهدية » التى يتبادلها الزوجان هنا ليس الزوجان بأنفسهما بقدر، ما هو تأثرهما بحكم الآخرين ، مثل أسرهما وزملاء « پيتر » فى العمل وأصدقائه والمجتمع ككل . ما هو بالضبط الشىء الذى أدى للتقليل

من فضل « نينا » ومن نصيبها فى ميزان الشعور بالامتنان ؟ يمكننا القول إن أحد أسباب ذلك هو شعورهما المشترك بالجرح الذى يشعر « بيتر » أنه وجه إلى اعتزازه برجولته . وهذا الشعور لديهما نابع من إيمانهما أن رجولة الرجل يجب أن تقوم على الأسس التقليدية ، وهذا بالطبع مرتبط بموقف الآخرين . فمن خلال آرائهما سوياً عن النوع .. أتاحا الفرصة للعالم الخارجى ليتدخل فى حياتهما الداخلية ، ويقلل من قدر ما تقدمه « نينا » . فبناء على ما يشعر به الآخرون .. فإنها هى التى تدين بالفضل لبيتر .

ومن خلال هذا الموقف غير المرئى لبيتر – توقعه لان تشعر نينا بالامتنان له – فقد نجح بيتر دون قصد منه فى أن ينقل لنينا من خلال سياستهما الزوجية للامتنان ، إحساسه بهذا التغير الاجتماعى الواسع المدى (الذى من ظواهره حاجة شركة Telfac التى تعمل بها نينا لعدد كبير من السيدات ؛ للعمل فيها فى أوائل السبعينيات) . فهى الآن « تدين له » بشئ من العرفان « لقبوله هديتها » . وهذا الشعور بالعرفان بدوره جعل علاقتهما أكثر ترتيباً ؛ فقد بدا أن بيتر بدأ يتأقلم مع مرتب زوجته الأعلى من مرتبه – بل هو يساندها فى عملها ويزهو به – ولكنه لم يكن ليستطيع ذلك دون أن يخفى فى أعماقه هذا الصراع بين فكرته عن نفسه كرجل ـ التى لم تتغير بعد ـ وبين مرتب « نينا » الجديد . فلو أنه بالفعل نجح فى تغيير آرائه عن الرجال والنقود ؛ نتيجة لمرتب « نينا » الجديد وفى تغيير صورته ، لكان الآن يقدم آيات الشكر لزوجته ، أو على الاقل يشعر أنهما متساويان ، لا يدين أحدهما بالفضل للآخر. ولكن سياسة العرفان لديهما امتصت واحتوت حقيقة الوضع ، وهو أن « بيتر » لم ينجح فى التأقلم مع هذه التغيرات التى طرأت على حياة زوجته .

إن شعور « نينا » أن « بيتر » يقدم لها معروفاً ؛ لكونه هذا الزوج « غير العادى » أو « الواحد فى المائة » كان له تأثيره على مشاركته فى الوردية الثانية ، فكما قالت لى :

« كنت أتساءل إذا ما كان مرتبى يضايقه لأنى لاحظت أننا عندما نختلف على أمر ما أجده أحياناً يقول لى إنى أتصرف بعجرفة وتكبر ، وكأنى أقول له : «من تظن نفسك ؟» وعندما قلت له : « هذه أول مرة تقول لى ذلك ؟ » كان رده : « إنى أعتقد أنك أصبحت أكثر اعتداداً بنفسك من ذى قبل » . فبدأت أشعر أن بيتر قد بدأ يقران بين اعتدادى بنفسى وبين دخلى . ولست أدرى على وجه التأكيد إن كان الأمر يتعلق بالنقود بالفعل أم إنى تعبت من قيامى بكل الأعمال المنزلية ».

وبصراحة ووضوح اعترف بيتر لى أن مرتب نينا كان مؤلماً بالنسبة له. وهو يشعر بعجزه عن أن يكون الرجل الذى ستستمر نينا فى حبه لمدة 30 عاماً قادمة ، إذا ما كسب أقل منها وإذا ما شاركها فى الوردية الثانية . فهذا بمثابة إهانة لرجولته وانحدار به إلى خط لايمكن له ان يتجاوزه . وإذا ما حدث ذلك فسيشعر أنه فاشل بالمقارنة بالرجال الآخرين ، وسيبدو فاشلاً فى عينى زوجته أيضاً . وفى قرارة أعماق نفسه لم يعبأ بيتر بنجاحه فى عمله بقدر نجاحه فى حياته مع نينا إنه يريد منها أن تعترف بكل التغيرات التى أحدثها لصالحها . لقد أراد بيتر أن يتعايش مع حياة أسرته ويتفاعل معها ولكن فقط فى حالة إظهار نينا لنفس الاتجاه .. إنه الآن يساهم بنصيب أكبر فى عمل البيت عما كان يقدمه فى مستهل حياتهما الزوجية . إنه يشعر بصورة خطيرة أنه قريب من « الخط » الذى تتوقف عنده حدود قدرته على التغيير ، والذى كان يرمقه بحذر « بتحركه » لكسب اعتراف نينا بتضحيته بكرامته وبفضله فى أنه الشخص الذى يتكيف مع الظروف ، فى الوقت الذى يطلب هذا عادة من المرأة ، كما تقول « نانسى هولت » .

وقد بدا فى لقاء لى به إن إحدى علامات هذا الخطر قد ظهرت بصورة تلقائية على السطح . عندما عرضت على بيتر قائمة بالأعمال المنزلية من غسيل وخياطة

وإصلاح للسيارة .. وخلافه، وطلبت منه أن يخبرني من منهما يقوم بكل منها ، متوقعة سلسة من الإجابات الميكانيكية السريعة ، إلا أنني لذهولي بدوت مشدوهة عندما وصلنا إلى موضوع تقليم الحشائش حيث اندفع فجأة صائحاً: «تقليم الحشائش!» «أنا أقوم بتقليم الحشائش.» ثم راح يشرح ذلك قائلاً :

« إننا نقتسم اقتلاع الحشائش الضارة ، ولكني لا استسيغ فكرة قيام المرأة بتشذيب الحشائش ، وأعتقد أن الأب إذا ما تيسر له وقت للقيام بهذا العمل فلا يتوانى ، ولا يدع ابنته أو زوجته تفعل ذلك بالنيابة عنه . فهذا كسل لا أحبه ، والامتداد المنطقي لما اقول هو إني لا أقبل أن يرى الناس زوجتي أو ابنتي تقلم الحشائش . شيء آخر ، أنا أرفض فكرة قيادة الفتيات للسيارات ، ومن ناحيتي لن أدع ألكسندرا أو ديانى تقودان السيارة أثناء دراستهما بالمدرسة الثانوية بأى حال من الأحوال .»

ففي الوقت الذي تحدث فيه ثورة شاملة في المرأة التي يحبها « بيتر » ، وفي منزله الذي يهمه في المقام الأول وفي عالم العمل ، مازال « بيتر تاناجاوا » يتمسك بأفكاره البالية ، كما اتضح لنا من موضوع الحشائش والسيارة .

حكايات للعظة عن الطلاق

شعرت نينا بأنها كانت محظوظة لأن بيتر كان واحدا من بين « المائة رجل » ، ولكن خلف شعورها هذا كانت تكمن قصة للعظة . فكما كانت كارمن ديلاكورت تطاردها ذاكرتها بكفاح أمها كأم بلا زوج ، وكما كانت نانسى هولت يطاردها إحباط أمها ، كانت نينا ترتجف لسماع قصص الطلاق بين صديقاتها ؛ فعديدات من زميلاتها في العمل تحطم زواجهن على صخور مسئوليات الوردية الثانية ، وما استتبعه للبعض منهن من فقدانهن مكانتهن الاجتماعية ، وبينما لم تنجح بعضهن في استعادة

تلك المكانة ، تمكن البعض الآخر من استعادة جزء من تلك المكانة ولكن ذلك كان على حساب أطفالهن .وقد حدث مؤخراً أن تعرضت اثنتان من صديقات « نينا » الحميمات – وهن من نفس عمرها بالضبط ، وكلتاهما تعملان بنظام اليوم الكامل ، ولديهن أطفال فى سن بنات « نينا » – تعرضن لتجربة غير سارة ، فقد هجرهن أزواجهن ، أو هكذا اعتقد بيتر ونينا . وقد مكثت إحداهما عند نينا أسبوعاً تروى قصتها ، التى علقت عليها نينا قائلة : « إن صديقتى رائعة ، ولكن لم تكن لديها ثقة فى نفسها ؛ لذلك قامت بإجراء عملية تجميل لازالة تجاعيد وجهها بالرغم من أنها أصغر منى ! وبالرغم من هذا قام زوجها بالتعرف على امرأة أخرى أصغر سناً وأكثر جمالاً » . لقد شعرت « نينا » من هذه القصة أن خارج حدود عش حبهما الآمن هناك سوق كبير مرعب ، يعيش فيه أزواج وزوجات آخرون ، ويختار فيه الرجل زوجة جديدة لشبابها أو جمالها أو خلوها من مسئوليات الأطفال ... إنه لأمر مخيف بالفعل .

فى الوقت الذى كان فيه بيتر ونينا يتأملان السبب الفظيع الذى أطاح بزواج صديقة نينا ، فجَّر والد بيتر قنبلة حين أعلن بعد زواج دام أربعين عاماً طلاقه لوالدة بيتر ؛ من أجل فتاة شقراء تصغره بنحو عشرين عاماً . مالذى حدث ؟ وفى صحوة هذه القصص عن الطلاق ، أكد بيتر ونينا لبعضيهما البعض أن حبهما راسخ وعميق.

إلا أن شعوراً غامضاً انتاب نينا ، بأن هناك علاقة حيوية وثيقة بين حالات الطلاق تلك « فى العالم الخارجى » وبين ما تطلبه هى من بيتر أن يقوم به فى المنزل ؛ فالرياح الباردة فى الخارج جعلتها تستشعر دفء حياتها مع زوجها أكثر . وقد عكست نينا ماتفكر فيه قائلة بجدية :

« إن حالات الطلاق التى حدثت كان لها تأثير مهم على علاقتنا لأنها قريبة منا. وأعتقد أن النساء – ويجب أن أقول الرجال أيضاً ولكنى حقيقة أعنى النساء – يبدأن بالتأنيب والتقريع على أشياء صغيرة ، وأنا أدرك أن مثل هذه الأشياء

الصغيرة قد تتراكم ، وقد أفضى اليَّ والد پيتر بأشياء ترجع لسنين ، حيث دأبت والدة پيتر بصورة مستمرة على تقريعه باللوم على أمور صغيرة كعدم تعليقه لبدلته على المشجب بعد عودته فى المساء. وأعترف بأنى ألح على پيتر ليساعد الصغار ؛ فهو لايفعل أى شيء دون أن أطلبه منه بنفسى – وهو شيء لا أحبه » .

ومن ثم بالنظر بعين الاعتبار إلى ما عساه قد يتهدد زواجهما بالإخفاق .. قررت نينا عدم الضغط على پيتر فى موضوع المشاركة فى أعمال المنزل. ولم يكن هذا القرار مجرد نتيجة لسير الأحداث ، ولكنه كان خطوة صغيرة مدروسة أو جزء من استراتيجية غير واعية تماماً من جانب « نينا » ، بأن لاتضغط على زوجها ، بل تحاول أن تصبح هى « المرأة الخارقة » ذات الشعر المتطاير. وأصبح أمامها الآن أن تحاول أن تجعل « پيتر » لايشعر بضغطها عليه ، وهى الآن تطلب منه أى مساعدة بلطف وفى أضيق نطاق . كما أنها تستطيع أن تتجنب طلب تلك المساعدة ، باختصار عدد ساعات عملها لتستطيع القيام بمهام الوردية الثانية ، أو باللجوء لمعونة خارجية .

إن الخوف من هذا العالم الافتراضى – عالم المطلقين والمطلقات – الذى قد يواجه « نينا » و « پيتر » فى حالة طلاقهما ، ساعد بشدة على التقليل من شعور « نينا » بأنها صاحبة فضل على « پيتر » . فهى وإن كانت جميلة وميسورة الحال ، ولديها فرص ممتازة للزواج مرة اخرى ، فمازالت فكرة الطلاق ومواجهة العالم دون زوج ، أمر مخيف لامرأة مثل « نينا » أكثر منه لرجل مثل « پيتر ». فالحياة تكون أصعب للمرأة والفرص أقل . ولذلك فإن كلاً من الزوجين – خاصة « نينا » – أخذ عبرة من قصص الطلاق حولهما .

إن هذه العبرة جعلت «نينا» تسعى لتعويض «بيتر» عن إساءتها لاعتزازه برجولته بسبب تحقيقها دخلاً أكبر منه ، وذلك عن طريق قيامها بأعمال هذا الشهر

الإضافى فى السنة وحدها. وقد أتاح ذلك لبيتر أن يستمر فى تمسكه باستراتيجية النوع ، التى يؤمن بها ، والتى تتيح له فرصة المشاركة فى أعمال المنزل بأسلوب الجار ، الذى يرعى شئون جاره عن بعد ، دون إقحام نفسه بشكل واضح فى شئون هذا الجار . فقد دخل «عالم نينا» ولكن من هذا الموقع الآمن.. موقع المشاهد النشط أو الناصح المتعاون.

أصدقاء ألكسندرا

لقد زادت متاعب نينا وبيتر مع ابنتهما ألكسندرا ذات الشعر الداكن ، والتى تتمتع بقوة الملاحظة ، وتبدو بعض الشئ أكبر من سنوات عمرها الخمس. ومن البداية اتفقا على تعريف تلك المتاعب بأنها مشكلة «نينا وألكسندرا». فقد ذكرت لى ألكسندرا بتجهم ذات يوم كيف أن أمهات صديقاتها يوصلنها إلى المدرسة ، على حين لا تفعل أمها نينا. كما أن ألكسندرا تميز بين أصدقاء المدرسة وأصدقاء البيت. فلديها أصدقاء فى المدرسة ولكن ليس لها أصدقاء فى البيت ، وهى تفسر ذلك بأن دعوة أصدقاء المدرسة إلى منزلها تستلزم تواجد أمها بالبيت ، وهذا ما اتفق عليه الثلاثة: نينا وبيتر وألكسندرا .

وتتأرجح رغبة بيتر بين أن يغوص فى عالم طفلتيه وبين أن يعهد بأمرهما إلى نينا، وبدأ يشكل ميوله لكى يفصل نفسه عن المسئولية القصوى فى الوردية الثانية ، فمثلاً من الممكن أن يقرأ بيتر لألكسندرا قصة من القصص ، أو يساعدها فى ارتداء ملابسها ، أو كتابة واجباتها المدرسية. ولكن ـ كما قال لى باحترام واضح ـ «نينا» كانت تتكفل ببقية «الوقت المتميز» مع طفلتها.

وعندما شعرت ألكسندرا باستراتيجية النوع التى يؤمن بها أبوها ، والتى فرضت مسئوليات عائلية جديدة على أمها ـ تحولت ألكسندرا إلى «نينا». فرويداً رويداً

.. تحولت ألكسندرا باهتمامها إلى نينا وعندما تعقد المقارنة بين أصدقائها فى المدرسة الذين لا تعمل أمهاتهم ويمكثن فى المنزل ، كان هذا كما لو كان احتجاجاً صامتاً توجهه إلى أمها ، وشعرت نينا إزاءه بالذنب. فإذا كانت «ماما» لن تتواجد بالمنزل ، فقد قررت ألكسندرا أن تتغيب هى الأخرى عن المنزل - فلن يشعر أحد بوجودها فى الحديث أو أثناء اللعب. وذات يوم عادت ألكسندرا من مدرستها ، وهى تحمل رسالة من معلمتها موجهة إلى والدتها ، جاء فيها: « بالرغم من أن هذا هو العام الثانى لألكسندرا فى المدرسة إلا أنها لا زالت بلاأصدقاء ».

كانت هذه أنباء تبعث على القلق ، وبعد ذلك بأسبوع حدث ما هو أسوأ من ذلك فقد اصطحبت نينا ألكسندرا إلى مكتبة عامة لشراء بعض البطاقات الخاصة بعيد الحب (يوم فالنتين)، لتقوم ألكسندرا بتوزيعها على على زملائها، فالتقطت ألكسندرا أجمل هذه البطاقات لنفسها وقالت لأمها بصوت منخفض: « لا أعتقد أن أحداً فى المدرسة سيمنحنى إحداها ».

وأحياناً يتسبب شئ ضئيل فى انهيار طريقة الحياة ، وهذا ما حدث بسبب بطاقة عيد الحب ، ففى تلك الليلة قالت نينا لبيتر « لدينا أزمة » ، وسردت له ما حدث والذى يبدو فى ظاهره بسيطاً إلا أن مضمونه كبير، فما كان من بيتر إلا أن قال : « تصرفى يا عزيزتى بما ترينه الحل الأمثل، فأنا مائة بالمائة أوافقك ».

اختبار الولاء للشركة والإصابة بالفشل

وبعد أسبوع طلبت نينا من رئيسها فى العمل أن تعمل لثلاثة أيام فقط فى الأسبوع ، مع تخفيض مرتبها فوافق. وعندما أطلعت ألكسندرا على تلك الأخبار مؤملة أن تلاقى عندها السرور لسماعها، لم تعر الصغيرة للأمر التفاتاً على مدى ثلاثة أيام. وبعد ذلك فوجئت «نينا» بألكسندرا تسألها عما إذا كان بإمكانها الآن أن تدعو إحدى

صديقاتها للمنزل ، وهنا شعر كل من «پيتر» و«نينا» أن تضحية «نينا» لم تذهب هباء.

وخلال هذا الوقت .. لم يقم پيتر بأى تعديلات فى جدول عمله ، وترك لنينا حرية أن تفعل ما تريد ؛ بشرط رفضه الانشغال بألكسندرا ، فهو بذلك حرمها بالفعل من «الحرية» التى منحها لها للاختيار. وللمفارقة فإنه انكب على عمله فى التوسع فى سوق الكتب التكنيكية ، وهو العمل الذى يصيبه أصلاً بالملل، على حين أن نينا كانت تختصر من عملها الذى تحبه، ولم ير أحد أن هناك شيئاً غريباً فى هذا الأمر.

حتى تلك اللحظة .. كانت نينا لا تزال إمرأة فى صدارة الإدارة العليا فى شركة، تفخر بالميزات التى تمنحها لموظفيها، حيث تمكِّن بذلك الأمهات من العمل بطريقة مرنة لبعض الوقت أو كله كيفما اتفق. وأصبح لنينا الآن الفرصة لكى تظهر للجميع أن السيدات العاملات ، يمكن أن يكن أمهات حقيقيات ، وأن ينجحن فى عملهن أيضاً. وكان رئيسها المباشر يطمئنها قائلاً: « لا تقلقى فنحن نؤيدك ».

ولكن لم يمض وقت طويلاً حتى طفت المشكلة على السطح ؛ فنينا كانت ترأس أربعة أقسام ، ثم تنازلت عن رئاسة ثلاثة منها ؛ مما دفع بروسائها إلى الاستهانة بما تبقى لها من عمل خلال ثلاثة أيام فى الأسبوع. وأصبح رئيسها المباشر أكثر واقعية ، وقال لها: « لقد حاربت من أجلك مع الرئاسة العليا ، وصددت عنك هجومهم ، والآن لم يعد هناك غير شئ واحد أطلبه منك ، وهو العمل طوال الوقت » ، فالشركة قد أنفقت كثيراً عليها من أجل تدريبها وصقلها ، وعليها أن تعمل بقدر ما أنفق عليها.

وبدأ زملاؤها فى العمل يثرثرون «إلى أى حد كانت نينا « جادة » فى عملها؟» ؛ فمن وجهة نظرهم التقليدية، كانوا يرون أن العمل لساعات أطول هو المعيار فى قياس كفاءة والتزام الشخص. وبالطبع .. فإن الرجال الذين يعيشون حياة تقليدية لديهم فرصة أكبر من «نينا» لاجتياز اختبار الجدية هذا. وقد لخصت لى «نينا» تجربتها

قائلـــة :

«إن عملى ثلاثة أيام فى الأسبوع لم يعد يرضيهم ؛ فقد كنت أعتقد أن بقية الأيام الأربعة ستتيح لى فرصة القيام بواجباتى الأسرية ، وتوفر لى مزيداً من الوقت لقضائه مع ابنتى «ألكسندرا» . ولو أنى قررت فوراً العودة لوظيفتى بشكل كامل طول الوقت فقد ينصلح الأمر . ولكنى لو استمررت فى وضعى هذا مدة أطول فقد أخسر كل شىء . فقد قال لى رئيسى: «أنت بالفعل تسيرين وحدك الآن فلم تعودى ملتزمة للشركة». ولكن هذا ليس صحيحاً ، فأنا «مازلت» ملتزمة للشركة ـ ولكن على أساس بعض الوقت.

ومن هذا المنطلق .. عاقبت الشركة نينا لكونها عاملة غير ملتزمة، فنقلوها من مكتبها الواسع إلى مكتب صغير بلا نوافذ ، وجعلوا من موظف ند لها رئيساً لها، كما حرموها من المكافآت، كل هذا من أجل أن تعود عاملة لكل الوقت » ، فالشركة بالرغم من سياستها التقدمية، إلا أنها تكافئ الزيجات التقليدية وتعاقب أنواع الزيجات الأخرى .

ولاحظت نينا أنه بالرغم من سعادة بعض من زملائها فى الإدارة العليا فى زواجهم للمرة الثانية، فإنهم يمنحون اهتماماً محسوباً لأسرهم . والبعض الآخر كانوا متزوجين بسيدات إما مشغولات بدراستهم العلمية، أو يقمن بأعمال من باب الرفاهية الخاصة فى الحياة العامة ولا يتدخلن فى عدد الساعات الطويلة التى يعملها أزواجهن. وبعض تلك الزوجات كن يمكثن فى المنزل ؛ حيث ينعمن بحياة ميسرة. وقليل من رجال الإدارة العليا كانوا متزوجين بسيدات ذوات منصب ، حتى وإن حدث هذا، فلم يبد أن أحدهم كان يواجه أزمة كالتى كانت تواجهها نينا مع ألكسندرا.

وأصبحت نينا مدركة تماماً كيف أن زملاءها من الرجال، مثل بيتر بعيدون عن

الأزمة التى تواجهها ، ويساورها الشك فى قدرتهم على التضحية من أجل راحة أطفالهم مثلما فعلت. كذلك لاحظت أن زملاءها من الرجال كانوا مسرورين من إسباغ «شخصية الأم» عليها ، عند مقابلتهم لها فى ردهات الشركة ؛ حيث كان يحلو لهم سؤالها عن أطفالها، وكانت معتادة أن ترد عليهم بسعادة. أما الآن .. فهى تشعر بمغزى معين فى تلك التحيات ؛ فهى وزميلاتها نادراً ما يحيين الرجال بتلك الطريقة.

وفى أحد الأيام عندما ذهبت لزيارة نينا فى مقر عملها .. وجدتها تحملق فى صور بعض أفراد عائلتها على مكتبها، وأخبرتنى أنها ولأول مرة تشعر أنها غريبة فى شركتها. إن نينا تنظر إلى عملها بنظرة يملؤها الأسى ، وتقول: «أحياناً ما تضطرنى ظروف العمل إلى إقصاء بعض الناس ، ويمر علينا كثير هذه المواقف. إننى أساعد الناس فى مشاكلهم وأقدم لهم النصح ، ولم يدر بخلدى حتى هذا العام أنهم بالفعل أناس أكفاء ، فأنا أراهم حقيقة جادين يمكننى التعامل معهم لمثابرتهم فى العمل. إن هذا ليس خطأهم ، فانقسامهم يكمن تحت السطح » .

وحينما أنظر إلى نينا الآن، أستطيع أن أدرك أن بمقدورها إقناع رئيسها فى العمل أنها الشخص ، الوحيد الذى يمكن الاعتماد عليه لإبلاغ الموظفين أى أخبار سيئة برفق وعطف، وذلك لما حباها الله من براعة ، ورقة ينطق بها محياها ، مقرونة بذكائها المتوقد وسيطرتها الفائقة على عواطفها. إن إيجابيتها وتعاونها ووعيها التام بمصلحة شركتها ربما وفر على تلك الشركة ملايين الدولارات ، التى كانت ستنفق على عدد من القضايا . فكيف يلجأ أحد العاملين المفصولين للقضاء بعد تعامله مع إنسانة طيبة ومتعاونة مثل « نينا » ، حاولت أن تجد له وظيفة فى شركة أخرى. إننى أستطيع أن أتخيل نينا كقفاز مخملى فى يد خشنة ، تحركها بدافع الربح فقط للشركة. وهى ترى هذا أيضاً الآن فى غمار شعورها بالغربة.

بدأت نينا فى البحث عن عمل لبعض الوقت فى شركات أخرى ، ولم يمض وقت

طويل .. حتى عرضت عليها إحدى الشركات منصب نائب رئيس الشركة لكل الوقت. وعند سماع شركتها الأساسية هذا الخبر، عرضت عليها فجأة نفس المنصب مع زيادة فى المرتب ومكافآت خيالية ، ولكن مرة أخرى بشرط العمل لكل الوقت. وكانت «نينا» تتألم عندما تفكر فى «ألكسندرا» ، ولكن بعد مناقشة الأمر مع «بيتر» قبلت نينا العمل مع شركتها بشرط لخمسة أيام فى الأسبوع فقط وعدم المكوث لساعات متأخرة فى عملها. وقد حدثت نينا نفسها بأن قرارها هذا للعمل «من أجل الآن» فقط ، وأن باستطاعتها تركه إذا ما تفاقمت مشكلة ألكسندرا .

وهذا ما حدث فلم يمض وقت طويل على استلامها لعملها الجديد ، حتى فتحت حقيبة ابنتها لتجد ملحوظة من مدرستها : « أعرفك يا عزيزتى أن ألكسندرا قد أصبح لها أصدقاء ، ولكن لا تزال هناك بعض الأشياء التى تقلقنى عليها. فقد عهدت إلى الأطفال بكتابة قصة ، فقامت ألكسندرا بكتابة قصة غريبة عن قتلها لأختها وكراهيتها لأمها.» فتحدثت نينا مع المدرسة، وخلال أسبوعين كان أحد الأطباء يقوم بعلاج ألكسندرا. وفى آخر مرة زرتهم فيها ، كان بيتر لا يزال يساند نينا فى «أزمتها».

لم تتح لها شركتها «التقدمية» أى راحة ، فقد بدأت حياتها بموقف انتقالى ، ثم أخذت تشق طريقها برفق إلى وضع نانسى هولت ، وواجهت مقاومة مثلها. وإذا كانت الخرافة التى آمن بها « إيڤان » و«نانسى هولت» كانت تقوم على أنهما يتقاسمان أعمال الوردية الثانية «بقدر الإمكان - مع أخذ ميولهما المختلفة فى الاعتبار»، فإن «بيتر» لم يكن مثل «إيفان» يعتقد بأنه بالفعل يشارك بدرجة أكبر من الحقيقة. ولكن خرافة عائلة «تاناجوا»، مثلها فى ذلك مثل خرافة آل هولت، كانت تحاول إخفاء حقيقة أن «بيتر» لديه استراتيجيته الخاصة بالنوع ، وهى التى تقوم على أيديولوجية وقواعد انتقالية . فالبرغم من اضطراره لقبول مرتب زوجته المرتفع وامتداد شخصيتها خارج المنزل، فإن القواعد التى تحكم مشاعره كانت لا تزال تقليدية خالصة ؛ حيث أفصح

عن تألمه لحقيقة أن زوجته تحصل على مرتب أعلى منه . ومن ناحية أخرى فإن ازدياد انهماك « نينا » فى عملها أدى بها إلى تجاوز القواعد ، التى بدأت على أساسها حياتها الزوجية، رغم أنها لم تستطع أن تعيد تحديد أدوارهما المختلفة.

وفى مواجهة هذا .. حاول بيتر مقاومة محاولات نينا للتفاوض معه على أدوارهما معاً ، ودفعه لها لتلعب دور المرأة الخارقة، وهو قد فعل هذا لتدعيم دور الرجل التقليدى لديه ، والذى يعتمد عليه عاطفياً للحفاظ على الزواج. وبذلك كان هذا «الحل» الذى توصل إليه فى حد ذاته «مشكلة». ووجدت أن فى نحو 20٪ من الأزواج والزوجات الذين يعملون معاً، تحصل المرأة على راتب يفوق راتب الرجل، وكما يبدو وهو صحيح أن صراع نينا لم يصل إلى حل ، فإن زواج بيتر ونينا كان نسخة مصغرة من الثورة المؤجلة؛ ولذلك .. فإن قصتهما لم تنته بعد .

الفصل السابع

الحصول على كل شئ والتنازل عنه :
آن وروبرت مايرسون

7

الفصل السابع

الحصول على كل شيء والتنازل عنه : آن وروبرت مايرسون

حول منضدة من شجر الجوز فى حجرة اجتماعات صغيرة لشركة نامية للإلكترونيات التفت مجموعة من الأمهات العاملات لتناول طعام الغذاء . وهن يمثلن مجموعة - فى منظمة اكبر - من مديرات شركات الكمبيوتر الكبرى فى وادى سيليكون . وبما أنهن مجموعة من النساء ، فلم يكن هناك حرج فى أن يدور الحيث حول المناخ المعادى للأسرة الذى يسود أماكن عملهن، وعن كيفية انتشال أنفسهن من متاعب العمل داخل منازلهن ، وعن كيفية تربية طفل صغير ، وبدأ الحديث عن ترك العمل بروح الدعابة، وقالت إحداهن : « ماذا عسانى أن أفعل إذا مكثت فى البيت ، ولم يكن لدى أطفال ؟ هل أتناول البونبون فى الصباح ، ثم اتخلص من سعراته الحرارية فى الچيمنازيوم فى المساء ؟ » . وتتعالى الضحكات ، فلاأحد يود ان يترك العمل إن لم يكن هناك أطفال ، ولكن آن مايرسون، Ann Myerson ، وهى امرأة ، تشغل منصب نائب رئيس إحدى الشركات الكبيرة بدت مستغرقة فى التفكير . إنها امرأة طويلة ورشيقة ذات شعر أحمر فى الرابعة والثلاثين من عمرها ، وكانت هى أول

من آثار موضوع ترك عملها بطريقة جادة :

« أنا الآن على حافة تركي لعملي ، فلدى طفلة عمرها اثنى عشر شهراً ، شديدة الالتصاق بى كنتيجة لإصابتها بالتهاب الأذن ، كما ينتابها المغص من حين لآخر ، ولاتكف عن الصراخ حتى أحملها. ومن المفروض أنى سأذهب غداً فى رحلة عمل ولدىً رغبة قوية فى أن أقول : « لن أذهب » ولكنى لاأقو أن أقول لرئيسى فى العمل إن طفلتى مريضة . فليس هناك ما هو أسوأ فى نظرهم من أن اعترف أن لأطفالى تأثيراً على حياتى . ألاترون السخرية فى هذا : ففى الوقت الذى أوشك فيه على ترك العمل تماماً لا أستطيع حتى أن أعلن لرئيسى عن عدم رغبتى فى الذهاب فى هذه الرحلة بسبب مرض طفلتى » .

استتبع حديث آن دائرة من الإيماءات التى تحمل الشفقة الخالية من الدهشة . وقد علقت إحدى المطلقات ، وهى أم لاثنين قائلة : « إن كل شئ على مايرام طالما أنك تقتطعين من الوقت لتدليل العميل وليس لتدليل طفلك» . وحكت أم أخرى كيف أن رئيسها فى العمل دعاها هى وزوجها على العشاء فقالت له : « هل باستطاعتى إحضار طفلتى معى فهى هادئة وربما تنام » ، فقال : « لا » وأضافت إنها تعلم أن لديه فتاة ، ولكنه لايعى معنى هذا حيث ترك مسئولية تربيتها لأمها بعد طلاقه لها . وهنا هزت كل الموجودات رؤوسهن ، وكأنهن يتعجبن لحال الدنيا ، وعلقت إحداهن بعد برهة قائلة : «أعتقد أن مثل هؤلاء نجحوا فى الوصول إلى مناصبهم بسبب مواقفهم المعادية للأسرة.»

وعندما ذهبتُ لزيارة آن فى بيتها ، قابلت ابنتها الكبرى إليزابيث، Elizabeth، ذات الثلاث سنوات ، التى شجعتنى بسرعة على اللعب معها لعبة « طهو طعام العشاء». أما الطفلة الثانية فهى نورا، Nora، ذات الاثنى عشر شهراً ، تتسم بعينيها المتسعتين وشعرها المجعد ، تمشى مترنحة ثم تسقط وتصيح فى سعادة . ثم رن

جرس الهاتف فردت آن ، وكانت إحدى زميلاتها فى العمل تتحدث اليها ، وعندما انتهت المكالمة .. علقت آن باستياء قائلة : « إن تلك المرأة دأبت على مكالمتى تقريباً كل يوم فى وقت العشاء أو أيام الآحاد ؛ لتحدثنى عن شىء بخصوص العمل ، وأحياناً تستوقفنى عند انتهاء العمل فى الخامسة والنصف عندما أزمع فى الانصراف لتقول لى : « أوه .. لقد نسيت أن عليك أن تعتنى بأطفالك » . فهى غير متزوجة وليس لديها أطفال ، وقد طلبت منها الكف عن محادثتى فى المنزل ، ولكنها لم تستجب وربما لن تستطع . إن هذا مزعجاً ولكنه أيضاً مثير للحزن.»، ونظرت آن لطفلتها وقالت : « إنى لا أقبل أن أتبادل المواقع مع هذه السيدة » .

ولكن فى نفس الوقت .. فإن العناية بطفلين صغيرين ، والعمل طوال الوقت أصبح مصدر توتر لايحتمل. وعندما زرت آن ذات مساء كان روبرت فى رحلة كما هى عادته يومان أو ثلاثة فى الأسبوع . وعادة ما تعود آن من عملها فى الخامسة وثمانى وخمسين دقيقة ؛ لأن جليسة الأطفال التى تعهد إليها بطفلتيها « تتحول إلى ساحرة شريرة فى السادسة .» ،فهى لاتستطيع التأخر فى عملها بعد ذلك الموعد. وكثيراً ماتحتاج آن لمساومتها : ففى مقابل سماحها لآن بالعودة إلى المنزل بعد نصف ساعة متأخرة عن موعدها ، تقوم آن بالحصول على أجازة مرضية فى أحد أيام الأسبوع لتعفى جليسة الأطفال من عملها فى هذا اليوم . وبالرغم من كل شىء .. فإن « آن » مضطرة لتحملها ؛ حيث إنه مر عليها كثير من جليسات الأطفال السيئات .

فمنذ انصراف آخر هؤلاء الجليسات .. بدأت إليزابيث فى التصرف كطفل رضيع مرة أخرى ، فتوسخ ملابسها وتستيقظ فى الليل ، وقد حدث أن استيقظت فى إحدى الليالى ثمانى مرات . ونظراً لتعب آن الشديد .. فهى تلبى طلباتها دون دعابة وبكلمات قليلة . وقد كانت إليزابيث حساسة تجاه اهتمام أمها المحدود بها ، وهى التى لاتراها منذ الساعة السابعة وخمس وأربعين دقيقة فى الصباح . وزاد شعور إليزابيث بذلك ، كلما فكرت فى شىء ما تطلبه منها على غرار : « أريد أن أشرب » ، و« هذا

ليس بالكتاب الذى أطلبه » .. وهكذا .

لقد كانت آن أماً رؤوماً رقيقة ، تبذل أقصى جهدها . إلا أنها حتى هذه اللحظة لازالت تعطى وعوداً لإليزابيث بشأن مستقبل أفضل . إن الاهتمام المحدود بالأطفال ، وضيق الوقت هو الثمن العاطفى الذى تدفعه حياة الأسرة فى الوردية الثانية ، فى فترة الانتقال الاجتماعى ، وكانت آن تبحث عن طريقة لتجنب هذا الثمن .

وبينما تنام الطفلة الرضيعة فى بعض الليالى ، تظل إليزابيث مستيقظة ، تستمع الى قصة عبر جهاز التسجيل حتى ساعة متأخرة ، وتفصح آن عن مشاعرها تجاه ذلك بقولها : « اننى لا أدرى الخطأ الذى اقترفته ، ولكنى غير راضية عما يدور فى البيت . إن زوجى رائع وكريم ومتعاون ولدىّ من المال ما يحقق لىّ كثيراً ، ومع هذا أشعر بالفشل وإننى لاتساءل متعجبة : « كيف للأمهات اللاتى يعشن بمفردهن أن يتكيفن إن لم تستطع واحدة مثلى بتلك المميزات أن تفعل ؟ » .

وخلال الثلاث سنوات الماضية .. جربت آن كل الطرق التى تستخدمها الامهات العاملات لتحقيق التوازن فى حياتهن ، فهى تعمل من الساعة 7:45 حتى 6:00 وتمكث مع إليزابيث حتى 8:30 . وقد قامت آن باختصار ساعات عملها ، كما اختصرت الوقت الذى تقضيه مع أصدقائها القدامى ، حيث كانت تراهم فقط بالمصادفة ، ومع هذا لم تسر حياتها كما يجب ؛ فهى بذلك عمدت إلى إعادة تحديد احتياجات المنزل والاحتياجات الشخصية من أجل الوصول للتوازن المطلوب بلا جدوى .

ولم يكن سهلاً على آن أن تترك عملها الذى أضحى أساسياً لشخصيتها ، فهى تعمل منذ كان عمرها أربعة عشر عاماً ، وشقت طريقها فى الجامعة وتخرجت فى السادسة والعشرين ، فالعمل بالنسبة لها هو الملجأ والملاذ من حياة الوحدة ، كما أنه منبع لافتخارها العظيم . لذلك عندما أخذت أجازة وضع لولادة طفلتها الأولى ..

اعتراها الشعور بالخجل بأن تظهر كربة منزل فقط .

وبالرغم من أهمية العمل بالنسبة لها ، إلا أنى عندما زرتها بعد شهر وجدتها قد تركت العمل ، ولم تخبر زملاءها أن السبب وراء ذلك هو رغبتها فى وجود وقت لأطفالها ، فهى تعتقد أن زملاءها من الرجال لن يصدقوا أبداً هذا الأمر ، إذ إنهم يرون أن هذا ليس بسبب حقيقى يستدعى ترك العمل . لذلك اخبرتهم أن زوجها حصل على « عمل مغر فى بوسطن » وقد نال هذا استحسانهم .

روبرت : « النصف بالنصف فى المنزل » ووقت للقراءة وعمل نماذج للقطارات

ذكرت آن أن روبرت ، Robert، يقوم بسهولة بنصف العمل فى المنزل ، مع وجود استثناء واحد ، وهو أنها تخطط من منطلق حب السيطرة ، ويقوم هو بإنجاز ماتعهده إليه من مهام ، ووصفت زوجها بأنه « غير عادى » .

ولكن عندما تقابلت مع روبرت أعطى شرحاً مختلفاً ، ولكنه أكثر دقة بقوله : « لقد حققنا التوازن فى حياتنا على طريقة 3 إلى 2 لصالح آن ، وهذا مرجعه إلى عملى الكثير خارج المنزل ، ولكنى عندما أعود أقوم بأكثر من النصف مما يتطلبه دورى فى أعمال البيت .» ، وحتى هذا الشرح لم يوضح مدى الأعمال التى تقوم بها آن فى الوردية الثانية . إن روبرت رجل وسيم ربع القامة ، يمشى بخفة ويتحدث بحيوية بالغة. وعندما قابلته، أخبرنى بعد لحظة صمت :

« إذا طرحتى الوقت الذى يستغرقه سفرى فأنا لدى وقت فراغ ، أكثر قليلاً من آن ، وهذا يرجع لحد ما إلى أنى أنام أقل ، وأنها تقوم بدور أكبر فى المنزل. فسفرى يستغرق ما بين 30٪ و 40٪ من الوقت . كما أنى أبتعد يومين أو ثلاثة

فى الأسبوع . وعندما أكون بالمنزل أستيقظ فى الرابعة لأعمل على نماذج القطارات ، لمدة ساعة ، ثم أمارس التمرينات الرياضية لساعة أخرى ، أما إفطارى فأتناوله فى السادسة ، ثم تبدأ نورا فى الاستيقاظ فى السادسة والنصف ، وتتبعها إليزابيث . وفى السابعة والنصف .. ننصرف لأعمالنا عقب حضور جليسة الأطفال السويسرية . وفى المساء أعود مصطحباً آن فى السادسة والنصف ، بالرغم من أنى أحياناً أعود متأخراً عن ذلك ، ثم تهجع نورا إلى فراشها بعد ساعة على حين تنام إليزابيث فى الثامنة والنصف . أما أنا فأحيانا ما أغسل الأطباق أو أحسب الفواتير وأذهب للفراش بين العاشرة النصف والحادية عشرة. وفى الأوقات التى أشعر فيها بالإرهاق الشديد أنام مبكراً عن ذلك .

إن روبرت يقضى وقتاً أطول من الساعات فى عمله ، ولكن باتفاق الطرفين فإن عمله يعنى كثيراً له ولآن التى تعمل أيضاً ، ولكنها تحمل مسئولية أكبر داخل البيت . وفى هذه المرحلة من حياتهم .. نظم كل من آن و روبرت أدوارهما بطريقة « انتقالية ». فكل منهما يساهم لصالح الأسرة العام ، ولكن بطرق مختلفة . فقد وجد روبرت وقتاً أكبر لبناء نماذج قطاراته وللقراءة اكثر من آن ، التى تقول إنه كثيراً مايستحوذ كتاب جيد على اهتمام روبرت ؛ فيأخذه معه إلى الحمام ، ثم يخرج بعد ذلك بخمس وأربعين دقيقة ، غير قادر على تركه .» إن لدى آن قائمة بكتب ، تريد أن تقرأها ، ولكنها لاتجد وقتاً لذلك . ولكنها لاتحسد روبرت على الكتاب الجيد ، الذى يتيسر له قراءته على الأقل فى الأيام الطيبة بالنسبة لها .

وتعتقد آن أن أحد الأسباب التى جعلتها تضطلع بالمهام الرئيسية فى المنزل ، هو أنها التى تلاحظ أشياء وتفاصيل صغيرة بصورة طبيعية ، مثل ارتداء إليزابيث لجواربها ، وقالت آن بارتباك « إن روبرت لا يلاحظ ذلك .» فهى التى تهتم أكثر

بالمنزل:

« وحتى قبل إنجاب الأطفال .. كانت لدى الرغبة فى أن يكون منزلنا منظماً ، والوجبات معدة ، وأن تكون حياتنا أقل توتراً . إننا فى البداية لم نشتر أية قطع من الأثاث . وبينما كان روبرت سعيداً بالجلوس على الوسائد فى حجرة المعيشة، ومسروراً إذا ما أكل التونة كل يوم .. كنت أحلم بشراء أثاث رائع ، وأريد وجبات حقيقية .»

وبالرغم من أن آن و روبرت يعيشان معاً فى هذا المنزل منذ عامين ، إلا أنه يبدو كما لو أنهما انتقلا إليه فقط فى الاسبوع الماضى . حيث لاتوجد صور معلقة على الجدران ، وحجرة المعيشة خالية من المصابيح والكراسى والنباتات . كما أنهما لم يشتريا أى أثاث ماعدا أريكة وكرسيين استعارهما . وتعلق آن قائلة : « إن هذا الوضع يضايقنى ، ولكنه لايضايق روبرت ولكن انشغال « آن » الدائم بطفلتيها حال بينها وبين متابعة عملية فرش المنزل . فالمنزل يبدو وكأنه يروى قصة ابتعاد روبرت الودود ، والعبء الثقيل المستمر الملقى على كاهل آن. وكلما كانت « آن » تعبر عن عدم رضاها عن منزلها ، كان روبرت يذكرها بحماتها التى عاشت فى نفس المنزل لمدة خمسين سنة . ولكن لأن « آن » كانت قد تنقلت من مكان لآخر أكثر من مرة فى طفولتها ؛ فقد كانت تحلم بمنزل مريح تستقر فيه لمدة طويلة ، ولذلك .. فقد كانت تصف هذا المنزل الخالى تقريباً من الأثاث على أنه منزل « عزلتهم » . وكانت حريصة على فكرتها عن « البيت الحقيقى » و « الوجبات الحقيقية » ، بنفس الدرجة التى تحرص بها أقلية عنصرية على الحفاظ على لغتها ، أو عادتها من الانقراض تحت سيطرة حضارة الأغلبية البيضاء . فنظام الحياة المدنى الحديث السريع الحركة كان دائماً يضغط على مبادئها النسائية المنقرضة . ولذلك فقد استمرت « آن » وزوجها فى ترقب اليوم ، الذى يتيح لها عملها فيه أن تؤسس « بيت » بمفهومها هى .

وكان النظام الذى اتفق عليه الزوجان هنا نظاماً شائعاً ، ومحل احترام فى المجتمع الامريكى ، ولكنه لايشتمل على عنصر المشاركة فى الوردية الثانية . ولذلك .. فقد بدأت أتعجب : لماذا تشعر « آن » بأن زوجها يقاسمها بالفعل أعمال هذه الوردية ؟ » .

إن صورة الحياة المنزلية لآن وروبرت كانت بالنسبة لى عادية، ولكن الشئ الذى كان غير عادى هو اعتقاد آن أن روبرت يقتسم معها الوردية الثانية، ويعد هذا بمثابة أسطورة ثانوية، وهى وإن كانت لا تقارن بالوهم الذى يؤمن به «إيفان ونانسى هولت» عن تقسيمهما المتساوى « فى الدور العلوى والدور السفلى » .. فإنها لاتزال مجرد خرافة غير حقيقية . وقد اكتشفت أن اعتقاد كل من الزوجتين أن إيفان زوج نانسى ، وروبرت زوج آن يقاسمانهما العمل داخل المنزل ، يعتبر شيئاً عادياً لدى سيدات الطبقة الوسطى الناجحات فى أواخر الثمانينات ، اللاتى يقمن بمعظم أعباء الوردية الثانية . فآن تعتقد أن زوجها يشارك ، لأنها أرادت ان تكون جزءاً من «طلائع» النساء اللائى يدعين إلى المساواة ، والمتحررات من الأدوار التقليدية . والغرابة إنها تعتقد فى نفس الوقت أنه « طبيعى» كامرأة أن تمارس احتياجها للسيطرة بإدارة المنزل ، وأن تعانى الصراع بين العمل والأسرة أكثر من زوجها .

وبالرغم من أن آن تعانى من ضيق الوقت أكثر من زوجها ، وتفتقد ممارسة هواياتها ، إلا أنها تشعر بصدق أن زوجها يقاسمها الوردية الثانية لسبب آخر أيضاً ، وهو شعورها بالامتنان تجاه ما يظهره روبرت من أساليب متقدمة فى الحياة عن غيره من الرجال ، كما أنه عندما يكون مرتاحاً لايشكو من أى تعب ، فهو يشارك من قلبه فى الأعمال المنزلية .

ومن ملاحظتى على روبرت فى أحد الأيام ؛ حيث اصطحب أسرته للتسوق ، وكنت معهم، لاحظت أنه كان يتحدث بحيوية مع كل واحدة من ابنتيه ، وخلال اليوم كله

كان يحتضنهما ويلاطفهما ويتحدث إليهما بحنان ودفء . ومن هنا فهمت ما تعنيه آن من أن روبرت يشارك بـ 50٪ ؛ فهذا ربما يعنى شيئاً واحداً ، وهو أنه عندما يكون روبرت موجوداً .. فهو يساهم على الأقل بإضفائه نصف الروح والحياة على المناخ ، الذى تحتاجه أسرته سواء داخل البيت ؛ حيث يشارك أطفاله اللعب والرقص والغناء ، أو مع الأصدقاء الذين لديهم أطفال .

وبالمقارنة إلى آن .. اكتشفت أن روبرت هو المفرط فى التسامح والتدليل لابنتيه ؛ لأنه كان بعيداً معظم الوقت . وحدث ذات مرة ان اصطحب إليزابيث معه لأحد محلات الأحذية ليشترى زوجين من الأحذية له . وأخذت إليزابيث تتجول هنا وهناك ، وتلعب بالدخول والخروج من بين الملابس المعلقة على حوامل ، وقد أخذ روبرت الأمر بمرح فى بادىء الأمر ، ثم بعد فترة ظهر عليه الحرج قليلاً لما تفعله إليزابيث ، وفقط عندما بدأ الزبائن يحملقون بصراحة فيه جرى وراءها لتكف عن ذلك ، وعندما عاد إلى المنزل قال : « إنها ماكانت ستفعل ذلك لو كانت مع أمها » .

وجدير بالذكر أن روبرت أظهر نوعاً مختلفاً قليلاً من الأبوة ؛ فمثلاً عندما خرج مع عائلته لشراء مكتب ، مازح ابنته نورا بقوله : « سوف أحبسك فى هذا الدرج ، وأتركك فيه » وعندما بدأت إليزابيث تصعد على سلم لتصل إلى تندة مثبتة على قمة أحد الأسرّة أغلق روبرت التندة ، وهو يمزح بقوله : « سنحبسك هنا » . وفى هذا الموقف نجد أن آن هى التى ذكرت إليزابيث أن تخلع حذائها قبل أن تصعد السلم ، وتبتسم اليها وهى فى الخيمة ، وكانت تراجع أسعار المكاتب ، وتقارن بينها ، ثم قررت أيهما ستشترى . وحدث أيضاً عندما ذهبوا فى زيارة لأحد الأصدقاء .. أنه بينما اصطحب روبرت إليزابيث ليتجولا معا فى الفناء الخلفى .. كانت آن هى التى لاحظت أن ابن أحد جيران هذا الصديق الذين كانوا فى ضيافته - وأخذ يتجول فى جنبات المنزل لينضم إلى لعب الصغار - كان مصاباً بالجدرى .

وسبب آخر جعل آن تشعر أن روبرت يشاركها في الوردية الثانية ، وهو اعتناقه لاتجاهات تقدمية غير عادية. فبالنسبة لها ولغيرها من النساء ، فهو أكثر تقدمية من رجال مثل إيفان هولت ، أو بيتر تاناجاوا بخصوص حصول المرأة فى معترك العمل على دخل أكبر من الرجل ، وهو يفتخر بأنه رجل غير تقليدى وغير نمطى فى هذا الصدد . فعندما حصلت زوجته على مرتب يفوق مرتبه فإنه باهى وافتخر بذلك ، كما أنه كان مزهواً بعمل زوجته ، وقال وهو يغمز بعينيه :

« عندما بدأت زوجتى تكسب أكثر منى كان هذا بمثابة عثورى على كنز من الذهب ، وقد حدث ذات يوم بعد انتقالنا لهذا المنزل أنى اضطررت للبقاء فى البيت لانتظار وصول بعض الأثاث . ولما أخبرت رئيسى بذلك سألنى « لماذا لم تنتظره زوجتك؟» فرددت عليه أنه بمقارنة الدخل الذى سيفقده كل منا فى حالة عدم ذهابه إلى العمل ، وجدت أن علىّ أن أتغيب هذا اليوم. ولكن بالطبع لم يفهم رئيسى هذا الوضع».

ولكن فى لقائى الثالث مع آن قالت : « لقد تركت عملى وأنا قلقة من أن روبرت سيغضب لذلك ، فهو لايريدنى امرأة نمطية ، وأنا واثقة أنه عند ذهابنا إلى بوسطن سيقدمنى إلى أصدقائه ومعارفه بقوله : « هذه زوجتى ، إنها لاتعمل الآن ، ولكنها كانت تشغل منصب نائب رئيس شركة الإلكترونيات ، وقبل ذلك ... »

وكما أن روبرت لايريد لآن أن تكون زوجة نمطية ، فهو لايريد لابنته إليزابيث ان تكون ابنة نمطية أيضاً . فعندما تتجول إليزابيث فى البدروم من حين لآخر ، حيث يعمل والدها على نماذج القطارات ، فهو يعطيها آلة تلعب بها . وفى الوقت الذى كانت إليزابيث تلعب فيه بعرائسها ولعبها ، وتتحدث عن الأميرة « سنو وايت » (أميرة الجليد الأبيض) كان يشترى لها لعباً تعتمد على التركيب . وعندما خرجت معهم فى أحد الأيام ودخلنا محلاً لبيع الكتب .. أحضرت إليزابيث كتاب « مادلين والغجر »،

Madeline and the Gypsies، ولكن روبرت التقط كتاباً عن القطارات ، وقال بطريقة ميكانيكية كما لو أنه خسر المعركة : « لماذا لاتنظرين فى كتب القطارات كما يحب بابا؟»

إن روبرت كان غير عادى فى رغبته ؛ لأن يقدم للنساء « مزايا الرجال » ولكنه كان أقل حماساً فى رغبته للاحتفاظ بالعالم التقليدى للنساء ، الذى يتمثل فى الاهتمام بالمنزل واعداد الوجبات وملاحظة جوارب إليزابيث والمشاركة فيه . فهو يفضل أن يدفع أجر خادمة أو جليسة أطفال لتنجز ما تستطيع إنجازه ولتقلل من حجم الأعمال المنزلية المطلوبة . وبعد ذلك .. يقوم بتقسيم هذا الجزء المتبقى من العمل عليه هو وزوجته .

ولذلك .. فمن أهم الأسباب التى دعت آن إلى الاعتقاد بأن روبرت يشارك فى عمل المنزل هو شعورها بأنه كان « يرغب » مخلصا فى مقاسمتها ما تطلبه منه . إن روبرت كان مولعاً بآن ، وهى تدرك هذا جيداً ، وتدرك أن من أسباب سعادتها به أنه على استعداد لمشاركتها العمل لو أنها طلبت منه ذلك . فروبرت يختلف تماماً عن الأزواج الآخرين ، فهو ليس مثل « إيڤان هولت» أو « بيتر تاناجاوا » ، فهو بالفعل ليس لديه مانع فى المشاركة . ولذلك فسواء اختارت « آن » نظام المشاركة أو رفضته ، فهى على الأقل تتمتع بهذا « الدرع الواقى » من حب زوجها ، ورعايته. هذا الدرع الذى يحميها من عديد من المساوىء ، التى تعانى منها النساء الأخريات « كرفض » أزواجهن المساعدة أو « مقاومتهم » لعملهن .

ولكن آن لاتريد أن يقاسمها روبرت الوردية الثانية ، وإنما تريد أن « تعتقد » أنه يقوم بنصف العمل فى المنزل ، وأنه لن يتوانى عن مساعدتها ، إذا احتاجت ذلك ، وحتى إذا لم يضطر روبرت لأن يسافر كثيراً ، فهى بالقطع لاتريد منه أن يقوم بنصف عمل البيت .

تذبذب آن ومجموعة الأعراض المتزامنة

إن هناك صوتين داخليين متناقضين يتنازعان آن بصدد موضوع المشاركة فى أعمال المنزل . ففى « لحظاتها الجيدة » ـ كما يبدو لها ـ تشعر برغبتها فى أن تريح روبرت ، وتقوم بكل شئ، وعندما تعلو نبرة تلك اللحظات .. فإن آن تتحدث بتقدير عما يتجشمه روبرت من تعب لبناء مستقبله واحتياجه القوى للخلود والراحة : «إن روبرت مفكر حقيقى، فهو مستغرق ومشغول بقطاراته ، ويصنع أجهزة مذيا ع أيضاً ، وهذه هواية رائعة. وحتى عندما يكون مجهداً تماماً من كثرة أسفاره .. فهو لا يزال يستيقظ فى الرابعة صباحاً ليقوم بتمريناته الرياضية، ثم يعكف ساعة على نماذج قطاراته.»

أما فى «لحظاتها السيئة» ـ كما يبدو لها، فهى تريد من روبرت أن يشاركها فى أعمال المنزل ، وتصدر منها كلمات مثل: «لقد أصبح روبرت بمرور الوقت لا يقوم على مساعدتى فى عمل المنزل ، وأقل رغبة فيه ؛ لأنه بدأ يشعر أن إحساسى بالتعب لايهمه ، كما أنى أحياناً أطرح عليه عديداً من الاختيارات فيما يتعلق بأعمال المنزل ليفعل منها ما يروق له، ولكنه يفضل قضاء وقته مع قطاراته فى حين أنه يستطيع قضاء هذا الوقت فى مساعدتى أنا وأطفاله».

ولكن ما سبب لآن إزعاجاً كبيراً هو تأرجحها بين لحظات الصفاء والكدر ، وهى تصف هذا قائلة:

«إننى أتأرجح طوال الوقت بين هذا وذاك ، فأحياناً ما أقوله له: «إننى أريد أن أخفف عنك الضغوط ، فلا تقلق بخصوص العناية بالأطفال فى المساء ، فأنت تحتاج لوقت لكى تعمل على قطاراتك ، فأنا بالفعل أشعر أن «روبرت» لديه من الإمكانيات ما يفوقنى بكثير ، فهو بصراحة أكثر ذكاء منى ، وهو موهوب بالفعل ، وباستطاعته أن يحقق إنجازات فعلية ، ويحقق لنفسه الشهرة . لذلك

فيهمنى أن أوفر له الوقت للتفكير. ولذلك .. فإننى أحاول أن أقوم بكل الأعباء نيابة عنه ، وأن ألعب هذا الدور الخرافى .

ثم يحدث أنه عندما أعود إلى البيت فى السادسة والنصف ؛ فأهرع إلى العناية بالصغار، وإعداد طعام العشاء ، واصطحاب الأطفال لفراشهم ، والسهر على راحتهم ؛ مما يشعرنى بأنى متعبة للغاية ، فلا أقوى على تحمل كل هذا فأقرعه باللوم بأنه لا يقم بالخمسين فى المائة من الأعمال مما يسبب لى إحساساً بالتعب طوال الوقت.

إن روبرت قد أدرك أن ما يعترينى من تعب ، وما يصاحبه من إلقاء اللوم عليه هى مجرد مرحلة ، ويحاول جهده خلالها أن يعود للمنزل فى السادسة ؛ ليعاون فى الأعمال المنزلية المختلفة .

ثم أشعر بالذنب بعد ذلك لأنى أفسد عليه عمله الذى أعتبره أكثر أهمية من عملي، ولأنه موهوب أكثر منى ، ولا يستمر هذا الشعور أكثر من يوم ، ثم أرتد مرة أخرى للشعور السابق .

فبعد أن كنت أحاول حمايته والدفاع عنه، تسيطر على أفكار أخرى بأنى أعمل مثله لساعات طويلة، وعملى - بجميع المقاييس - مهم ومسئول وأحصل منه على راتب مجز ، ولدى كثير من السلطة. ولذلك .. فيجب ألا يقلل زوجى من قيمة عملى لمجرد أننى أضعه هو والبيت فى المقام الأول ، وعليه أن يقوم بنصف أعباء الأعمال المنزلية» .

وعندما تكون آن فى مرحلة الصفاء .. فإنها تماثل كارمن ديلاكورت فيما تحرزه لصالحها، كما أنها تشعر بمزيد من الإعجاب لوجهة نظر كارمن عن دور الزوجة الذى تطمح إلى الوصول إليه. أما فى مرحلة الكدر فهى تشبه نانسى هولت وهى بالرغم من

إعجابها بشخصية كارمن لا تتصور نفسها تعيش فى الظل خلف زوجها ؛ فهى لم تعتد على هذه الفكرة عن الزواج .

زوج ذكى وعمل يبدو غير حقيقى

والسؤال الآن: لماذا تشعر آن مثل كارمن أن عمل زوجها وحقيقة حياته تأتيان فى المقدمة ، بينما أن فرانك وروبرت بالرغم من حبهما لزوجتيهما .. إلا أنهما لم يتحدثا بنفس الطريقة عنهما؟ ومن السهل إدراك خلفية اعتقاد كارمن فى تفوق الرجل ، فهى امرأة متدينة تنتمى إلى الطبقة العاملة ، وينقصها التدريب وفرصة العمل الراقي، لذلك لم يكن مستغرباً أن تكون هذه فكرتها عن الرجل. أما آن .. فإنها تحظى بمستقبل زاهر فى عملها الناجح ، ولذلك فقد بدأ اعتقادها فى تفوق الرجل لايتفق تماماً مع ظروفها.

وعندما طرحت سؤالي المتقدم على آن أعطتنى إجابتين: الأولى أن روبرت أكثر منها ذكاء وأكبر قدرة، فقد كان فى مقدمة زملائه فى الكلية.

وتعليقى هنا أن معظم النساء فى زمننا هذا يتزوجن رجالاً أعلى منهن علمياً ، ويتقلدون مناصب مرموقة أكثر منهن ، على حين يتزوج الرجال بمن هن أقل منهم وأدنى فى الحياة العلمية والعملية ؛ فالنساء يتزوجن «الأعلى» من الرجال، على حين يتزوج الرجال «الأدنى» من النساء. وقد سمى عالمة الاجتماع چيسى برنارد، Jessie Bernard، هذا «درجة ميل الزواج» . وبناء عليه يتضح أن هناك فئتين من غير المتزوجين وتشتمل على :

1 ـ النساء المتعلمات تعليماً عالياً ، وتقدمن تقدماً كبيراً فى أعمالهن.

2 ـ والرجال ذوى المستوى العلمى والاجتماعى المنخفض ، وربما يتضمن مفهوم

«درجة الميل فى الزواج » التطور الذهنى أيضاً: فإذا كان روبرت عبقرياً فإنه نظر من مملكة ذكائه إلى «أسفل» على حين رنت آن إلى « أعلى » .

ومن ناحية أخرى .. فقد لا تقل «آن» ذكاء عن «روبرت» . فهى الأخرى كانت دائمة التفوق فى دراستها، حتى عندما كانت تعمل ثلاثين ساعة فى الأسبوع بجانب الجامعة. من يدرى ماذا كان باستطاعتها أن تحقق فى دراستها ، لو أنها لم تحتاج إلى العمل أيضاً؟ ربما أن «آن» لا تقدر إمكانياتها حق قدرها.

أما السبب الثانى الذى بررت به آن أن وقت روبرت يعنى أكثر، هو شعورها أن عملها «غير حقيقي» بالنسبة لها . وهى تصف هذا قائلة:

«إنى أوحى للناس بأنى آخذ عملى بجدية ، وليس مدعاة هذا اعتقادى بأن الرجال من حولى أكثر قدرة وأن أعمالهم أكثر أهمية، ولكنى فقط أدهش لأخذهم أعمالهم بكل هذه الجدية، فهى أعمال حقيقةً غير حقيقية، ولا تعدو أكثر من أكوام من الأوراق المرقمة .

إننى أحسد الذين يكرسون أنفسهم لما يقومون به من أعمال، مثلما نحسد أولئك الذين يتمسكون بأهداب الدين، فهم يبدون أكثر سعادة. إننى أتوقع من الرجال أن يقوموا بأعمالهم بجدية ، ولكنى عندما أقابل امرأة تأخذ عملها مأخذ الجد، أشعر بأنى مختلفة تماماً عنها.

لذلك عندما أنجبت أطفالى .. وجدت فى هذا المخرج المناسب والفرصة الملائمة لكى أقوم بشئ ما بجدية، وهذا ما فعلته هذا الأسبوع عندما خرجنا لشراء المكتب، فلم أناقش هذا. ربما تجديننى خائفة من أن شعورى بعدم الواقعية ربما يزحف لحياتى داخل البيت.

إن آن ترى أن المنزل فقط هو المسئولية الحقيقية ؛ مما جعلها ترغب فى إنجاب مزيد من الأطفال ؛ لتكون أمام تحد حقيقى ، وليس أقل من أن تنجب نصف دستة .. أما أن تكون أماً لطفلين فهذا ليس بمشكلة.

إن شعور آن بأن وظيفتها ليست «حقيقية» نتج عن المعانى التى ارتبطت بها. ففى طفولتها لم تعرف طعم الاستقرار ، حيث كانت تعيش كل عام فى مدينة مختلفة. ولذلك .. كان من الصعب عليها تكوين صداقات، ثم وجدت الحماية والملاذ من افتقاد الأصدقاء فى اشتغالها وهى فى سن الرابعة عشر. وقد ربطت آن بين انشغالها فى العمل وعلاقته بفشلها الشخصى وتخوفها من ألاتكون «أنثى بصورة كافية» فطوال مرحلة العشرينيات من عمرها وأوائل الثلاثينيات لم ترد آن إنجاب أطفال . وعندما اعترفت بذلك لوالدها وهو رجل متدين لديه ستة أطفال .. نهرها وألقى إليها بملاحظة ، كان لها وقع كبير فى نفسها وهى: «إن أنوثتها بذلك ستكون مثار تساؤل» ، وشعرت هى «أن هذا ربما يكون صحيحاً» ، وربما أن عملها أيضاً يمثل «تفوقها» على والدها، الذى أحرز تقدماً أقل منها فى نفس العمل الذى تقوم هى به. وإذا كان الأمر كذلك بمعنى أن العمل يعنى العجز عن تكوين صداقات ، ويعنى تفوقها على والدها وعدم شعورها «بأنوثتها» إذاً فلها الحق أن تشعر بأن عملها هذا «غير حقيقى».

ومهما كان السبب .. فإن شعور آن بأن عقل روبرت وعمله أكثر أهمية من عقلها وعملها دفع بها للقيام بمسئولية الوردية الثانية بعد عودتها من عملها ، الذى كان يستمر لكل الوقت مما اضطرها فى النهاية إلى الاستقالة. وهناك قصة تعكس ما أقول جيداً: ففى إحدى زياراتى لعائلة مايرسون وجدت آن وإليزابيث تلعبان لعبة متجر البقالة . وعندما رأتنى إليزابيث أجلس بالمقربة منها ، ولا أصنع شيئاً ، أرادت إشراكى فى اللعبة ، وتخيلت نفسها أماً ، وأنا مربية فطلبت منى أن «أحمل صغيرها» ؛ فاعترضتها آن قائلة: «ولكنك الأم أحمليها أنت».

وإجمالاً .. كانت آن أقل اهتماماً بمشاركة زوجها لها فى المنزل عن نانسى هولت ونينا تاناجاوا و، معظم النساء اللائى تناولت حياتهن فى هذه الدراسة حيث كن يردن مشاركة أزواجهن لهن فى البيت ، ولكنهن إما لم يضعن تلك الرغبة فى المقدمة ، أو لم يجرؤن على البوح بها. وهنا نجد فى حالة آن أن عديداً من الدوافع المعقدة دفعتها إلى عدم إشراك زوجها فى أعمال المنزل ؛ فلم يكن «هو» الذى يحجم عن المشاركة، بل كانت «هي» التى لا تسمح له بذلك. وقد شجعتها على ذلك المزايا الإيجابية ، التى كانت تنعم بها ، ويسرت لها أن تفعل ما تريد، كذلك كان لديها متسع من الوقت جعلها تتعرض لضغوط أقل ، وأن تجد وقتاً للعب مع ابنتيها ، وتلبية عديد من الطلبات.

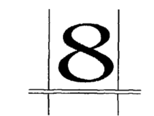
ولكن كان يبدو أن هناك ثمناً عاطفياً لتهوينها من قيمة عملها ، وقيامها بمسئولية الوردية الثانية ؛ ففى آخر زيارة لها طلبت منها إسداء نصيحة للفتيات الواقفات على أعتاب الزواج ويشاركن أزواجهن العمل خارج المنزل . فصمتت هنيهة ثم قالت بما أنها تخلت عن عملها فهى حقيقة ليس لديها ما يقال . ولكنها أطلعتنى على بعض الأفكار التى دونتها وتقول فيها:

«إن من المحزن حقاً أن لدى طفلتين ، ستدفعهما الظروف إلى نفس العالم الذى استطعت أن أتأقلم معه. وسيكون عليهما القيام بما أنجزه الآن، ولن تكون لديهما الفرصة حقيقية للقيام بأى مساهمة ، دون الخوض فى صراع ضد الظروف المعاكسة طوال الوقت. وأنا لا أعتقد أن الأشياء ستتغير كثيراً بصورة تحمى ابنتىّ من التمزق. فهما ربما تحرزان نجاحاً إذا ما أوصدتا الباب أمام فكرة الإنجاب ، ولكن فى هذه الحالة سيخسران شيئاً ما ، وسيقف المجتمع ضدهما وإذا ما أنجبتا فلن تتمكنا من إدارة حياتهما كلها. وأنا أعتقد أن زوجى إنسان موهوب بالفعل ولذلك .. فإنه من دواعى أسفى أنه لم ينجب ولداً،

فكم هو جميل أن يكون للإنسان ولد لا يواجه مثل هذا الصراع ، وإنما يستفيد فقط من مزايا كونه رجلاً ، وأنا أعتقد أنه من المحزن أن أفكر بتلك الصورة .

الفصل الثامن

ندرة الاعتراف بالجميل:
سيث وچسيكا ستاين



الفصل الثامن

ندرة الاعتراف بالجميل :
سيث وچسيكا ستاين

فى سن السادسة والثلاثين كان سيث ستاين، Seth Stein، زوجاً طوال أحد عشر عاماً وأباً منذ خمس سنوات، يمارس مهنة المحاماة منذ ثمانى سنوات ، ويعمل وكيلاً قضائياً منذ ست سنوات. وهو رجل طويل منحنى الظهر قليلاً، يعمل لمدة عشر ساعات يومياً ، ثم يعود لمنزله حيث يتناول العشاء مع أسرته فى السادسة والنصف أو السابعة . ويدخل فى محيط دائرة اهتمامات أطفاله لمدة ثلاث أرباع الساعة يومياً ، وأخيراً فى الثامنة مساء يحصل على أول قدر من الراحة والاسترخاء أمام التليفزيون.

لقد اكتشفت بعد ذلك أن فترة هدوئه فى المنزل كانت عادة منعزلة ، عقب إيواء أطفاله إلى فراشهم، تجد زوجته چسيكا، Jessica، ـ وهى محامية متخصصة فى الأحوال الشخصية ـ نفسها أخيراً تنعم بحرية قراءة أوراقها القانونية، وهى بذلك ليس لديها رغبة فى الانضمام إليه فى فترة استرخائه أو التدخل فى شئونه. وقد قال لى سيث لاحقاً: «أحياناً ما ألقى نظرة على أوراقها ، وأفكر كيف أننا نحن الاثنان مستغرقين فى عملنا». إن حجرة المعيشة التى تتميز بمقاعدها الدنماركية الحديثة ولوحاتها الفنية الهندسية الزاهية الألوان هى الحجرة التى يأوى إليها طلباً للراحة والاسترخاء بعد يوم عمل حافل بالعناء. وعندما طلبت من سيث أن يصف لى يوماً

نمطياً من أيام حياته ، قال :

«أستيقظ فى السادسة والنصف، آخذ حمامى ، ثم أرتدى ملابسى وأنصرف فى السابعة والنصف ، وربما قبل انصرافى أرى الأولاد فأحييهم بسرعة وأذهب إلى مكتبى حيث يستغرقنى العمل حتى السادسة، وأكون فى منزلى فى السادسة والنصف لتناول العشاء، ثم أعود ثانية للمكتب فى الثامنة أو الثامنة والنصف لقضاء بضع ساعات. وقد بدأت أعود لتناول العشاء مع أسرتى فى السادسة والنصف مساء بعدما أدركت مدى ابتعادى عن ولدى ڤيكتور، Victor، خلال السنتين الأوليين من عمره».

أما جسيكا فهى امرأة رشيقة فى السادسة والثلاثين من عمرها، وصلت إلى مرحلة من التقدم فى عملها أتاحت لها الثقة الكافية بنفسها بحيث ترتدى ما تشاء من ملابس، دون الحاجة لارتداء الحلل الداكنة دائماً. وقد نشأت جسيكا فى تكساس كابنة لأرملة كانت تعمل جرسونة، حيث درست القانون. ولكنى استشعرت مدى التصميم الذى احتاجت إليه لتحقيق طموحاتها من أسلوب - المترقب والخجول معاً - فى إجابة أسئلتى.

بدأت جسيكا حياتها مع سيث وهما يطمحان فى الحصول على درجات فى القانون سوياً. ولكن بعد عديد من المناقشات المنطقية، اقتنعت جسيكا أن مستقبل سيث يأتى فى المقدمة «لأن القانون المدنى يتطلب مجهوداً أكثر» وكانت تلك المناقشات لا تبدو لهما كمواقف فى استراتيجية أى منهما للنوع ، ولكنها محاولات «لتقديم الأحسن» لصالح بعضيهما البعض ، ولصالح الأسرة . وكان سيث سعيداً بنتيجة تلك المناقشات ولكن كان يكتنفه شعور غامض بالحزن بخصوص زواجه. أما جسيكا فكانت حزينة للاثنين: (عملها وحياتها الزوجية).

وإذا كان إيفان هولت قاوم ضغط زوجته عليه للمساعدة فى المنزل ، واضطر لقبول فكرة «الطابق العلوى والطابق السفلي» ، وإذا كان بيتر تاناجاوا قاوم أيضاً ولكنه تخلى عن دوره كالمحول الأساسى للأسرة .. فإن سيث قاوم ولم يضح بشئ ما عدا زوجته بالتدريج.

إن جسيكا واحدة من عديدات ، اللائى يستجبن إلى المتطلبات المرهقة للوردية الثانية باستمالة أزواجهن للمشاركة، وتكييف أنفسهن فى حالة رفضهم ؛ لذلك .. فقد حاولت نانسى هولت تدعيم شخصيتها المساواتية حتى عندما وقف زواجها عائقاً فى طريقها ، بينما اعتبرت نينا تاناجاوا - بنظرتها التقليدية للأسرة - ما يصادفها من مشاكل تخصها وحدها. وكانت شخصية جسيكا أقرب إلى شخصية نانسى ، حيث بدأت بحلم المساواة ثم أجبرت على التخلى عنه. ومثل نانسى ظلت جسيكا متزوجة ولكن على عكس نانسى .. بدأت جسيكا بالتدريج الابتعاد بمشاعرها عن سيث .

وللغرابة .. فإن سيث لم تكن لديه اتجاهات الرجل التقليدية إزاء عمل المرأة . فإذا كان لديه متسع من الوقت .. فهو لا يجد حرجاً فى القيام بغسيل الملابس أو الحياكة ، معتبراً أن رجولته لن تنتقص بما يفعله فى المنزل ، فهذا ليس بالأمر المهم ، على حين أن شعوره بذاته ورجولته كان يتأثر بما يجرى فى محيط عمله ، وما يمليه عليه بالتالى من تصرفات.

ومع هذا .. كان من الصعب على سيث أن يرى هذا الارتباط بين الرجولة والعمل، فهو فى الواقع لديه القليل ليقوله عن مفهومه للرجولة وكل ما يمكنه قوله هو أن «الناس هم الناس». إن انهماك سيث فى عمله ، لم يكن مرغوباً فيه سواء من قبله أو من قبل زوجته، ولكنه بدا عادياً ومقبولاً . إلا أن استغراقه هذا كانت له آثار ثلاثة على أسرته : أولاً: إن ما يحدث داخل دائرة عمله يؤثر على علاقته بأسرته. ثانياً: بالرغم من أن كليهما لم يفصح للآخر عن ذلك، إلا أن سيث يشعر أنه بتكريسه وقته ونفسه لعمله

يستحق أن تمنحه چسيكا مزيداً من العناية أكثر من استحقاقها هى عنايته بها. والسبب الثالث هو أن عمل سيث أدى به إلى التحكم فى ارتباطه العاطفى بأطفاله ، وإن لم يؤثر على اهتمامه بهم فهو حقاً يحبهم، ولكن يوماً بعد يوم ترك لچسيكا التفكير فيما يحتاجونه أو يشعرونه. وهو يرى أن هذه الآثار ليست بنتاج استراتيجية النوع ، بقدر ما هى اتجاهات عادية لصفوة الناس. وببساطة .. لنا أن نقول إن اتجاهات سيث الشخصية ليست محل جدال ، ولكنها الساعات المعتادة التى يستغرقها العمل فى مكتبه، والمكالمات والثرثرة التى تذكر كل إنسان بالأهمية البالغة للعمل من أجل تحقيق تقدير الذات، وبالنظام الملح الكامل القائم على إقصاء حياة البيت من دائرة الاهتمامات. لقد تزوج سيث وچسيكا عندما كانا لا يزالان طالبين يدرسان القانون معاً، وهما يقتسمان ذكريات سنوات الدراسة ومكوثهما فى المكتبة واستعداداتهما للامتحانات. وبعد زواجهما بست سنوات أنجبا ابنهما ڤيكتور ، وبعده بسنتين ابنهما وولتر، Walter . ومثل أسرة التاناجاوا أخذ الطفل الأول من طاقتى الزوجين ، على حين أثار قدوم الثانى أزمة .

وبدون أن يشعرا، بدأ صراع شديد بين التزام «سيث» بنظام العمل الصارم فى عالم الرجال ، وبين المتطلبات الكثيرة التى يفرضها عليه أطفاله وزوجته القلقة. وقد شعر «سيث» أن على «چسيكا» أن تتولى أمر الوردية الثانية ، ولكن المشكلة كانت فى كيفية الحيلولة بينها وبين رفض القيام بذلك وحدها. ولكى يخفف من استيائها .. كان دائم الحديث عن تضحياته بوقت فراغه ، وأن هذا ليس بالأمر الهين عليه بعد عناء إحدى عشرة ساعة عمل فى اليوم . ولكى تجعل هى الأخرى من الوردية الثانية قضية ركزت أيضاً على تضحيتها بعملها ، وأنه ليس من السهل عليها أيضاً التنازل عن طموحها. وشيئاً فشيئاً بدأ الخلاف يدب بينهما حول مفهوميهما «للتضحية» ، فما من أحد منهما يبادل الآخر الشعور بالامتنان .

وعندما سألتُ «سيث»: ألم يفكر يوماً ما أثناء طفولة «ڤيكتور» و«وولتر» فى اختصار ساعات عمله الإحدى عشرة ؟ كان رده: «لا أستطيع إن هذا ربما يطيح بسمعتى؟» « فالمنافسة القانونية بينه وبين زملائه شرسة ». ثم بدأ سيث يستطرد بتلقائية فى حديثه عن صديق له وهو محامى ناجح ، هجر القانون فى يوم من الأيام ليعزف على آلة موسيقية فى فرقة درجة ثالثة، وصديق آخر وهو جراح فذ أصبح جراح تجميل فى «مزرعة تسمين» فى « بيڤرلى هيلز» وهو من الأحياء المخصصة للأثرياء فقط . إن سيث يعتبر هذين النموذجين السابقين لرجال فقدوا سمعتهم الوظيفية ، وقصتهما تذكره كيف يهوى الإنسان .

ونعود مرة أخرى إلى سؤالى عن رأيه فى اختصار ساعات عمله من أجل أطفاله:

من وجهة نظر «سيث» .. إن حصول الرجل على بعض الراحة من عمله ليقضى وقتاً مع أطفاله فى الملاعب ، لا يختلف كثيراً عما فعله هذا الجراح الشهير بعمله فى مزرعة التسمين؛ فالعملان يسيئان لحياة الرجل العملية. وللرجل نفسه ، ويقللان من اعتزازه بنفسه ومن رأى الآخرين فيه، وأضاف «سيث» بأنه لا يعرف أى محامٍ ناجح، قام باختصار ساعات عمله ليقضى وقتاً مع أطفاله : لا أحد يفعل ، ثم شرح وجهة نظره قائلاً :

«لقد اتفقت مع جسيكا منذ فترة على أنه إن لم نستطع نحن الاثنين أن ندقق فى القانون العام ، ونحرز نجاحاً فيه فمن الأفضل السفر وأن نفعل ما يروق لنا. وكم كانت ستتاح أمامى من فرص إذا استطعت التخلص من قلقى بشأن كونى محامياً، ولكن كان حتمياً علىّ أن أستمر فيما بدأت فيه واخترته ، وأن أصبح المحامى الناجح الذى يثق به الناس ، ويلجأون إليه فى الحالات المعقدة .. لقد سيطرت على هذه النزعة المجنونة ».

لقد أصبحت هذه النزعة المجنونة والشخصية القوية موضة شائعة بين زملاء «سيث» من المحامين . كما أنه هو وزملاؤه يتبادلون النصائح بخصوص مقاومة التماس زوجاتهم بقضاء وقت أكثر فى المنزل، وقد أسدى له أحد أصدقائه نصيحة بقوله: «عدها بأنك ستصطحب أطفالك لحديقة الحيوان هذا الأحد» وقال آخر: «إننى أهرب من زوجتى بمنحها وعود معسولة بأخذى إجازة أربعة أيام فى الربيع». إن بمقدورى أن أتخيل هؤلاء الزوجات ومن بينهن چسيكا وهن يرددن من وراء الكواليس - كما فى مجموعات المآسى اليونانية - «إن أولادكم يعيشون طفولتهم مرة واحدة ! طفولة مرة واحدة! طفولة مرة واحدة!». وفى اعتقاد سيث أن الرجال الذين يبنون مستقبلهم أحياناً ما يسخرون من رفاهية اقتطاع وقتاً لأنفسهم ، ولكنهم أبداً لا يتحدثون عن ذلك بجدية ؛ فهم يتحدثون عن هذا الأمر وكأنه مستحيل ، مثل : الامتناع عن شرب القهوة، أو إجادة اللغة الفرنسية. وقد كان غريباً أن يخلو حديث «سيث» عن ساعات عمله الطويلة من أى ذكر لأطفاله.

ولكن لو تذكرنا أن أطفال «سيث» كانوا صغاراً جداً ، فى هذا الوقت، فقد نتساءل لماذا استسلم «سيث» لمطالب عمله دون أى مقاومة ؟ لماذا لم تساوره الشكوك بهذا الشأن؟ وربما نجد مفتاح شخصيته فى طفولته ؛ حيث نشأ فى أسرة يهودية ، تنتمى إلى الطبقة العاملة ، عاشت فى نيويورك فى الخمسينيات ، وحققت درجة عالية من الثراء . ووقد وصف أخواته بأنهن ربات بيوت لم ينشأن على أن يكن سيدات عاملات كما كانت أمه أيضاً ربة بيت ، أما أبوه فكان يهودياً روسياً غيوراً ، يقحم نفسه فى قضيــة تلو الأخــرى ، وكان يتناول عشاءه كل مســاء . ثم يخرج ليرأس اجتماعات تناقش متطلبات اليهود من أغذية وملابس وخلافه ، فكان دائماً كل ليلة خارج المنزل لهذا الأمر .

لذلك .. يمكننا القول بأنه حتى لو كانت طفولة سيث قد هيأت له أن يكون أباً

إيجابياً (وهذا مالم يحدث) ، وحتى لو شجعه أصدقاؤه على ذلك (وهذا لم يحدث أيضاً) ، فقد يبقى زواجه التعس السبب فى كونه مبتعداً عن حياة أطفاله . وبالتعمق فى شعور سيث نجده بصراحة قد أدمن عمله ، ومع هذا فقد طعم العمل ، ولكنه لايجد بديلاً له ويريد أن يرى إدمانه لعمله كنوع من التضحية من أجل أسرته . وحدث ذات يوم عندما شعر بافتقاده جسيكا أن صاح فيها قائلاً : « أنا لاأبحر فى يخت ، ولا ألعب فى صالة التنس ، ولا أنزلق على صفحة نهر الكولورادو ، ولا أقوم برحلة حول العالم » ولكن جسيكا استمعت له ببرود .

مفهوم النوع لدى جسيكا

منذ البداية كانت جسيكا مهيئة لتحقيق التوازن بين ممارستها للمحاماة ورعايتها لأسرتها ، ولذلك فقد كانت تفكر فقط فى تلك التخصصات القانونية التى تتيح لها وقتاً لرعاية أسرتها ، وبالطبع تطلب ذلك منها أن تستبعد فرصة العمل فى المؤسسات القانونية الكبرى . ولكنها فى نفس الوقت لم تكن تريد أن تعيش أمومة معزولة ، كما كان حال أمها الأرملة اثناء تربيتها . وكما قدمت هى بعض التنازلات فى حياتها العملية فقد توقعت أن يفعل « سيث » نفس الشىء .

فبعد ولادتها لابنها ڤيكتور .. حققت جسيكا هدفين هما نصب عين العديدات « كحل أمثل لحياتهن » وهما : قامت باختصار ساعات عملها ، كما استأجرت خادمة طوال الوقت . وفى لقائى معها بعد خمس سنوات .. تحدثت إلىَّ بسرور واضح عن تحقيقها أسمى ما كانت تطمح إليه ، وهو جمعها بين أمومته وتربيتها لطفليها وبين عملها الذى تحبه ، فهى تصحب ڤيكتور إلى الحضانة فى التاسعة ، ثم تتوجه لعملها ، ثم تعود به للمنزل فى الظهيرة وتطعمه طعام الغذاء ، ثم تتركه فى المنزل مع كارمليتا، Carmelita، مدبرة المنزل ، بينما تعود لتواصل عملها حتى الخامسة . الا أنه كان هناك شعور معين مسيطر على جسيكا ، بادر سيث بشرحه قائلاً :

« لقد أصابت چسيكا حالة من الإحباط التام تجاه عدم قدرتى على تقديم مزيد للعناية بأطفالنا ، وعدم مشاركتها أعمال المنزل النصف بالنصف فهى تقول إننى ألقى بمسئولية تربية الأطفال عليها مما أثَّر على عملها ، وأن ما تقتطعه من وقت عملها يضاعف ماأفعله من جانبى ، وهى تنتقدنى لأننى لست مثل بعض الرجال الخياليين ، الذين تعتقد أنهم يكرسون وقتاً يقضونه مع أطفالهم ؛ لأنهم يريدون هذا ويدركون أهميته . ومن ناحية أخرى .. فهى تفهم جيداً المركز المسئول الذى أتقلده .

إن چسيكا لم ترد من سيث مساعدتها فى المنزل ؛ فالشغالة تقوم بذلك . كما أنها لم تحتاجه فى العناية اليومية الروتينية بطفليهما ، فالشغالة تقوم بذلك ايضاً . إن ما كانت تتوق له بشدة هو التحامه العاطفى معها ومع طفليه. وحتى إن لم يكن بمقدوره التواجد فى المنزل .. فيكفيها أن يعرب عن رغبته فى أن يكون فيه . وفى الوقت ذاته شعرت چسيكا بالظلم والقسوة لغيابه المستمر .

إن چسيكا لم تستطع التكيف مع فكرة ابتعاد سيث عن المنزل على غرار ماكان يحدث فى القرن التاسع عشر ؛ حيث كانت الزوجات تتأقلم مع غياب أزواجهن فى عملهم كصيادين وبحارة ، أو على غرار القرن العشرين حيث تتكيف الزوجات مع فكرة ابتعاد أزواجهن كمندوبى مبيعات متنقلين . فهى ظلت تتوقع اختصار سيث لساعات عمله ، وجعلت أطفالها يعيشون على هذا الأمل أيضاً ، كما استمرت فى إشعار سيث أن هناك ثمة شيئاً يفتقده عندما يعود لمكتبه فى المساء .

نـدرة الامتنـان

إن اختلاف وجهات نظر سيث وچسيكا حول مسئولياتهما فى البيت ، وماستتبعه من رغبة كل منهما فى أن يلاقى تقدير الطرف الآخر أدى إلى نشوب

الخلاف بينهما ؛ فسيث يريد من چسيكا ان تتوحد مع طموحاته ، وتستمتع بما يحققه لها من دخل مرتفع ووضعهم فى المجتمع . كما يريد منها أيضاً أن تتقبل غيابه الذى لامناص منه عن المنزل . وبحكم أن چسيكا هى الأخرى كانت محامية .. فقد تفهمت ظروف عمله إلى حد كبير. ولكن المشكلة لدى چسيكا أن سيث لم يظهر رغبته فى البقاء فى المنزل لفترة كافية ولم يفعل . ومن ناحيتها .. أرادت چسيكا أن يقدر سيث تضحياتها فى عملها ، وأن يقدر أمومتها أيضاً ؛ فهى تعمل الان 25 ساعة أسبوعياً فقط ، ولكنها تتمنى أن تتوسع فى عملها كمحامية أحوال شخصية ، وربما تؤلف كتاباً فى هذا المجال .

ولكن سيث من ناحيته تجاهل هذه التضحية ، وهل هى حقاً تضحية ؟ فهو يرى أن العمل لخمس وعشرين ساعة أسبوعياً لهو عمل لطيف ، كما أنه يكون منهمكاً آخر اليوم لدرجة ، لاتمكنه من ملاحظة إسهامات چسيكا فى المنزل وللأطفال ؛ فرجل مثل پيتر تاناجاوا ربما لايقوم كثيراً بالمساهمة فى الوردية الثانية ، ولكن كانت له نظرة امتنان لكل ما تقوم به زوجته ، أما سيث فقد كان مرهقاً جداً لدرجة أنه لا يلاحظ ذلك.

وتفاقم الخلاف بينهما نتيجة لعدم تقدير كليهما للآخر ، وتدرج إلى شعور متبادل بالغضب ، وكما وصف سيث : « نشعر أننا ممزقين بشدة » . ومثلاً لذلك .. اشتكت چسيكا منذ فترة قريبة بأنها ضيّعت فرصة اشتراكها فى مؤتمر للأحوال الشخصية فى واشنطن ؛ لأن سيث لم يكن بمقدوره المكوث مع الأولاد ، كما أنه رفض الخروج مع الأصدقاء فى رحلة بحرية ؛ بسبب استغراقه فى إحدى القضايا ، وتعتقد چسيكا بأنه ليس من العسير على سيث أن ينعم بإجازة نهاية الأسبوع ، ولكنه كما فسرت هذا « ينسل خفية إلى مزيد من العمل » .

وأحيانا ماترمز الأحداث الصغيرة إلى معان كبيرة ، وقد قال لى سيث فى هذا الشأن : « لقد أحضرت لچسيكا فى عيد ميلادها سلسلة ذهبية لعلمى بحبها لها .

ولكنها شعرت أنها ليست النوع الذى تفضله ، وانفجرت غاضبة ، وغضبت أنا الآخر لأنها لم تقدر التعب الذى تجشمته لأن أحضر لها ما تريد ، ودخلنا فى مشاجرة حامية الوطيس » . وهنا يظل التساؤل : « هل الخلاف الحقيقى هنا حول السلسلة الذهبية المستديرة الحلقات التى اشتراها سيث أثناء راحة الغذاء ، على حين أن چسيكا كانت تريدها مستطيلة، أم أن الخلاف حول الاستغراق الشديد أو القليل بالعمل ؟ أو فلنقل هل السبب هو البعد عن أو القرب من المنزل والارتباط به ؟ »

سحق التنشئة والعناية بتربية الأطفال

إن سوء التفاهم الذى نشب بين سيث وچسيكا حول الهدايا أدى إلى افتقاد تبادل « الشعور بالامتنان » ، الذى أدى بدوره إلى ندرة لمحات الاهتمام الصغيرة ؛ خصوصاً من جانب چسيكا تجاه سيث . وقد أفضى سيث إلىّ بشكواه منها لإهمالها العناية به بلغة ركيكة كلغة الطبقات الدنيا ، وهو ماعجبت له :

« إنى أفتقد العناية – فهى لاترعانى بشكل كاف ، ولكنى لاأشعر بأى مرارة ؛ لأن اتفاقنا كان واضحاً من البداية . ولكن عندما أفكر فى الأمر .. فهذا هو ما يشغل بالى : « ليس لدى زوجة تهتم بى ، وهذا مايضايقنى من آن لآخر ، ويجعلنى أهفو لوجود إنسانة تنتظر عودتى بالمنزل لتخفف عنى متاعبى. ولكن بدلا من هذا .. فإنى أجد زوجة تريد هى الأخرى من يخفف عنها متاعبها . لا ! إنها لاتبالى باحتياجاتى كرجل نشأ فى هذا المجتمع . أنا مجرد ضحية لمجتمعى ، ولذلك .. فأنا لا أشعر بالذنب تجاه احتياجاتى تلك، وكل مشكلتى أنى لا أستطيع التعبير عنها.»

بعد هذا الحديث .. رحت أتساءل عن سبب ركاكة لغته هنا ، وعدم التزامه بالقواعد اللغوية الصحيحة . هل كان يريد تحويل الموقف لمجرد أمزوحة ؟ أم هل كان يسخر من نفسه ؟ أو لعله كان يريد أن ينقل لى الإحساس بأن هناك خطأ ما فى كونه

يريد ما يريده ، ولكن .. ألم يكن فعلاً يشعربالذنب ؟ فهو - بمحاولة تصوير نفسه على أنه ضحية لمفهوم مجتمعه للرجل ووضعه - كان بالفعل يلخص كل الاتهامات ، التى يشعر أن « جسيكا » توجهها له بسبب تمسكه بمفهومه للنوع .

ومن آن لآخر يتخيل « سيث » أن لديه « النوع » المناسب من الزوجات - وهى جسيكا - ولكن دون دافع العمل لديها . وعندما سألته فيما بعد : « ألم تتمنى يوماً ، لو أن زوجتك لم تكن تعمل؟ أجاب بلا تردد : « نعم » ولما سألته إن كان يشعر بالذنب لذلك، نفى هذا مؤكداً أنه يريد جسيكا كإنسانة وهو على استعداد لإبداء التقدير العظيم لها ولكن بطريقته هو .

وفى هذه الأثناء شعر كلاهما بافتقاد التقدير والغضب : فسيث بتمسكه بعمله ومتطلباته بحيث لايدع لديه طاقة عاطفية لأطفاله أثار حنق جسيكا، وهى بإهمالها العناية بسيث أثارت غضبه هو الآخر . والآن كل منهما يتجنب الآخر .

ارتداء ثوب الأمومة بخفة

ثم بدأت جسيكا تتقبل ساعات عمل سيث الطويلة . واستقر فى أعماقها أنه أسير لاحول له ولا قوة تجاه عمله وشخصيته العصبية. وهذا ما أرادت أن تقنع نفسها به . ولكن بينما كانت هذه الفكرة ، كان هناك تحرك عاطفى بداخلها بعيداً عن الزواج والأسرة فهى لم تهرب بعيداً عن أمومتها إلى إدمان العمل - كما تفعل سيدات أخريات. كما أنها لم تتشبث بها ، لقد ارتدت ثوبها بخفة. حيث أصبح هناك نوع من الاعتدال فى سلوكها وغاب فى كلامها الحديث عن الاطفال ، وبدأ الانتعاش فى حديثها عن الأوقات التى تقضيها بعيداً عنهم . مما يوحى بأن الحل بالنسبة لها كان فى عدم تكريس كل جهودها لأمر واحد فقط .

فإذا كان سيث قد ابتعد جسمانياً وروحياً عن أطفاله فإن جسيكا كانت موجودة

بجسمها وإن ابتعدت كثيراً بروحها. فهى تبدو ظاهرياً متكيفة مع سياستها ، ولكنها تحت السطح قد حدت من عطائها العاطفى ، فأعطت بعض العناية بالاطفال ، وقليلاً منها لسيث ، أما الباقى فقد احتفظت به لنفسها ولحياتها « المستقلة » .

الحصول على المساعدة

وقد استدعى موضوع المساعدة المنزلية شيئاً من التنظيم، فتجربة چسيكا فى هذا المجال لم تكن مشجعة ، ففى البداية كانت لديها مربية ممتازة فى رعاية الأطفال، ولكنها ترفض القيام بأى عمل آخر، مثل: جمع لعب الأطفال، أو غسيل أطباق الإفطار (فعادة.. يكن المربيات ذوات الجنسية الإنجليزية أكثر تشدداً بحدود وظيفتهن من الأجنبيات) . ولذلك فقد استعانت چسيكا بمديرة منزل لتقوم بالتنظيف، ولكن سرعان ما بدأت المشاحنات بين الاثنتين، ووصل الأمر بهما للاتصال بچسيكا فى العمل، الشكوى من بعضهما البعض . وعندما فشلت چسيكا فى فض الاشتباك بينهما .. اضطرت إلى فصل مديرة المنزل ، واستعانت بعد ذلك بسيدة رائعة، ولكن مؤهلاتها كانت تفوق احتياجات العمل فسرعان ما تركته بعد ثلاثة شهور فقط . وأخيراً .. حصلت چسيكا على « كارميليتا »، وهى من السلفادور ولديها طفلان . وكانت «كارميليتا تجمع بين عملين فى نفس الوقت؛ لترعى أسرتها وترسل بعض النقود لبلدها؛ لمعاونة والديها المسنين . وقد نجحت « كارميليتا » فى الجمع بين الوظيفتين، عن طريق الاستعانة بابنتها « فيليپا »، Filipa، ذات الستة عشر ربيعاً لتحل محلها صباحاً عند آل ستاين أثناء عملها فى الوظيفة الأخرى.

ولأن كلاً من « كاميليتا » و« فيليپا » كانتا تجهلان القيادة .. فقد استعانت «چسيكا بزميلة دراسة قديمة تدعى « مارثا »، Martha، لتعمل «كسائقة ومديرة منزل إضافية». وكانت « مارثا »، تتولى التسوق، واصطحاب ڤيكتور من وإلى مدرسته، والكتابة على الآلة الكاتبة ، وحفظ الملفات لچسيكا . كما استأجرت بستانياً ،

وبالإضافة لهذا كله.. عينت مساعداً لها يدعى بيل، Bill، – وهو طالب فى الجامعة فى التاسعة عشر من عمره – لكى يعمل « كأب بديل » حيث كانت چسيكا شعر أن هذا ضرورياً لڤيكتور، الذى كان يعانى أكثر من غياب والده ، وقد فضل ڤيكتور أن يتعامل معه على أنه أخ فقط . وكانت چسيكا تقوم أيام السبت بعد الظهيرة بكتابة شيكات لكارميليتا، وابنتها فيليپا ومارثا وبيل والبستانى وعدد آخر من المعاونين كالسباكين ومشذبى الأشجار ومحاسبى الضرائب .

وعندما أبديت تعجبى من هذا الحشد من العاملين لديها، قالت : « حسناً إذا ما كان لديك أطفال، وتعملين فى الوقت نفسه، فلامناص أمامك من أن تفكرى فى طريقة أخرى سوى العيش فى بلد أجنبى، والاستعانة بأطنان من الناس لمساعدتك » .

وبالرغم من قيام هذا الحشد الهائل من الخدم – الذى لايقل عن الطاقم الذى كان يتوفر لزوجة ضابط إنجليزى فى الهند المحتلة – على خدمة چسيكا .. إلا أنه ظل هناك شىء تشعر بافتقاده، كما شرحت هذا بنبرة سطحية، تخلو من التعبير قائلة:

«ربما لم أحاول بجد العثور على مدبرة المنزل ، وأن أتحدث لأطفالى عندما يعودون للمنزل وأتأكد من ارتدائهم معاطفهم عند الذهاب للمدرسة ، وأن أتذكر حفلات أعياد الميلاد، وألاحظ الأطفال إذا ما تغيبوا فى إحدى الرحلات .. لقد اعتقدت أن مدبرة المنزل يمكنها القيام بكل ذلك إلا أنها لديها لاتصنع شيئاً من هذا » .

وهكذا.. فقد نجحت چسيكا فى توفير نواح مختلفة من شخصية الأم لأطفالها من خلال هؤلاء الخدم ، ولكنها فشلت فى توفير أهم شىء : روح الأم التى تخطط وتتعاطف ، أى إنها فشلت فى توفير الأم ذاتها .

إن المال لم يستطع شراء حل كامل للمشكلة؛ حيث لايوجد شخص واحد

بمقدوره القيام بأكثر من عمل. وقد طغت ظاهرة التخصص؛ فهناك من يقوم فقط بالعناية بالمنزل وآخر يعمل فقط على العناية بالأطفال، مما زاد من حجم المشكلة .

إن چسيكا قد يأست نهائياً من سيث ، وقد مضت ثلاث سنوات عن آخر لقاء، كان لى معها، حينما أعدتُ عليها نفس السؤال وهو كنه شعورها تجاه تواجد سيث القليل بالمنزل، فأجابت بتأكيد : « هذا الأمر يناسبنى تماماً إلى حد ما؛ فهو لايطلب منى كثيراً كما أنه يعنى بنفسه ، فأزواج آخرون ربما يقدمون خدمات أكثر لأطفالهم، ولكنهم سينتظرون مقابلاً أكبر لما يقدمونه » . وعندما سألتها ما الذى تريده من زوجها.. أجابت مستفهمة : « ماذا أريد منه؟ أعتقد أنه يجب أن يتركنى أفعل ما أريد، كالذهاب إلى مؤتمرات واشنطن ونيويورك ».

إن چسيكا قلصت طلباتها حول ما تريده من سيث ، وبالتالى أصبح ما تقدمه شحيحاً فى المقابل ؛ فيكفى لديها إعطاء أمومتها لأطفالها، والقليل جدا منها لسيث .» وقد شرحت ذلك فى نبرة مكتئبة وكيف أنها فى العام الماضى بدأت تمكث وقتاً اقل فى البيت ، حيث صنعت لنفسها عالما منفصلاً من الاهتمامات وقضاء وقت الفراغ ، حيث وجدت فى ذلك العناية بنفسها .وهنا تقول :

« إنى أحاول أن أفعل ما يجعلنى أقل شعوراً بعدم الرضا؛ فأنا أسافر حيث أريد بعد نوم الصغار فى مساء يوم الخميس، وأجعل يوم الجمعة للتسوق والذهاب للمكتبة العامة والتردد على طبيب الأمراض النفسية، الذى أشعر عنده بأن لدى وقتاً حقيقياً لأتحدث إلى نفسى ، كما أستطيع أن أحلق بخيالى وأنكص بذاكرتى إلى الوراء، وهذا يمتعنى . بالإضافة إلى ذلك أتناول الغذاء مع أصدقائى القدامى »

إن بانشغال چسيكا بحياتها اليومية كما سردتها لنا .. لم يعد غياب سيث مؤلماً

للغاية ، كما أن بيل أصبح يتولى ذهاب ڤيكتور لدروس البيانو، على حين تقوم ابنة مديرة المنزل فيليپا بملاعبة وولتر . فى الماضى.. كانت چسيكا تحدق بإمعان فى مشاكلها مع سيث، وتستغرق وقتها فى التفكير فيها، أما الآن فهى تخلت عن هذه «الوظيفة». وأصبحت لها اهتمامات أخرى وانسحبت إلى عالم آخر من « **الأيام** المبهجة».

لن تستطيع إعاقة الصغار

بالرغم من أن حديث چسيكا معى اتسم بترددها فى نطق الكلمات، كما لو أنها تتلمس طريقها خلال سحب كثيفة، إلا أن السحب انقشعت فجأة عندما تحدثت عن مشاعر ولديها تجاه سيث ، فكل من ولديها يشعران بأنهما محرومان من حقهما فى قضاء بعض الوقت مع والدهما ، وفى هذا يختلف أبناء سيث عن أطفال الجيران الذين غالباً مايتغيب أباؤهم ، ولكن تكفلت أمهاتهم بإعدادهم لهذا الغياب. فڤيكتور كان يماثل أمه فى شعوره بالرفض والغضب الهادىء ، أما وولتر.. فقد عبّر عن رد فعله تجاه غياب أبيه فى صورة اختلاق مواقف الضيق، كأن يصيح عند اصطحابه للفراش: « لن أذهب قبل انهاء رسمى » أو« أريد كوباً من اللبن ! ». وهو قد ينتقل من مكان لآخر بسرعة ونشاط. وعندما تجبره چسيكا على الذهاب للفراش يقاوم بشدة. وتشرح چسيكا الموقف كما لو أنه خارجاً تماماً عن يدها قائلة : « إنه لن يذهب للفراش من أجلى، بل من أجل أبيه » لذلك كان مسموحاً لوولتر أن ينتظر والده حتى يرجع فيلاعبه ويلاطفه، مما يشجعه على الذهاب إلى فراشه .

والآن عندما يعود سيث من عمله إلى المنزل ، يرجع اليه على أنه مأوى انعزالى؛ حيث يقابله وولتر بضجيجه وڤيكتور بوجهه الجامد الموحى بعدم الاهتمام ، كما تنسحب چسيكا ببرود إلى حجرة مكتبها . إن مفهوم النوع لدى سيث يحميه من أى مشاعر للذنب تجاه أبنائه، فهو دائماً يقول لنفسه : « إن چسيكا تقوم بعمل رائع

معهما . » ، ولكن بمرور الوقت فرض الطفلان وجودهما ومشكلتهما على « سيث » بحيث لايمكنه تجاهل هذا الوضع أكثر من ذلك، بل عليه أن يتعامل معه كمشكلة جديدة فى نهاية يومه الحافل بمشاكل العمل .

التمسك بالحياة معاً

لقد كان سيث يرى أنه وچسيكا يعتبران زوجين رائعين، ولكن فى الثلاث سنوات الأخيرة يعترف أن التوتر دب فى حياتهما فبسبب اشتغاله إحدى عشرة ساعة فى اليوم أصبحت صحبته مملة، وأصبحت چسيكا لاتطاق بسبب ضغط العمل.

ومع هذا.. فهو وچسيكا يشعران على الأقل أن حياتهما الجنسية تربطهما ببعضهما البعض. وفى هذه الناحية.. يشكوان من نقص اهتمامهما بالجنس، وهذا يرجع فى أغلب الأمر إلى شعورهما بالتعب ، وتضيف چسيكا قائلة : « لم أفكر أبداً فى الامتناع عن علاقتنا الزوجية الخاصة مهما كنت غاضبة ، فكلانا يدرك أنه لازواج بلا جنس، وبما أن زواجنا يواجه كثيراً من المتاعب بالفعل ، لذلك فإنى أعى جيداً بأنى إذا لم أتجاوب معه فى تلك الناحية.. فسيقدم على البحث عن امرأة أخرى، وهنا لن أندهش على الإطلاق . »

إن هناك شيئاً ما خطأ فى زواج سيث وچسيكا ، فهل هذا يرجع إلى نوع من الحرمان العاطفى تعرض له كلاهما فى باكورة حياتهما، دفع بهما إلى التركيز على احتياجاتهما كل بمفرده دون ثمة اعتبار لاحتياجات الآخر. لوكان هذا صحيحاً ؛ ففى هذه الحالة كان « سيث » و« چسيكا » سيواجهان المشاكل فى جميع الأحوال؛ بصرف النظر عن الضغوط المتعارضة بين الأسرة والعمل، وبصرف النظر عن اختلاف مفهوم كل منهما عن النوع . وإن كان هذا صحيحاً ماكان سيث سيعنى بعملائه ، ولا بوالده المريض (الذى يجهز له وجبة خالية من الملح يومياً على مدار العام) كما أن

چسيكا ما كانت قادرة على تنمية صداقاتها، والتعامل مع طبيب الأمراض النفسية. ولذلك.. فإن فكرة تعرضهما لضرر نفسى مبكر، لاتفسر تعبير كل منهما عن قابليته للهجوم من قبل الطرف الآخر بهذه الطريقة بالذات .

وثمة احتمال آخر، هو أنه ربما كان زواجهما يعانى من تعارض عاداتهما وتقاليدهما ، فسيث ينتمى إلى أسرة يهودية روسية مترابطة عاطفياً ، أما « چسيكا » فقد نشأت فى اسرة أكثر برودة وتحفظاً ، بين أبوين سويدين يشبهان والدى ديانا كيتون، "Diana Keaton فى فيلم « آنى هول » لوودى آلان . وفى كتاب «نِعَمْ ونِقَمْ»، Mixed Blessings، .. يرى المؤلفان پول وراشيل كوان، Paul & Rachel Cowan، أن اليهودى عندما يتزوج من طبقة راقية.. يأمل أن تكون زوجته أقل سيطرة وتدخلاً فى حياته من أمه ، بينما تأمل الزوجة أن تجد عند زوجها الدفء العاطفى والحرارة، التى يفتقدها والدها المتحفظ البارد العواطف . وعند بلوغ منتصف العمر قد تبدأ الزوجة فى الشعور بأن زوجها لديه كثير من الاحتياجات القوية الملحة، على حين يجد الرجل زوجته باردة ومتباعدة،. وربما كان هذا هو الذى حدث من أسرة « ستاين » ، ولكنى وجدت نفس هذا النمط بين الأزواج، الذين يدمنون العمل، والزوجات الطموحات الذين يجمعون بين تقاليد عنصرية ودينية أخرى .

إن هناك تفسيراً ثالثاً ، وهو وجود تعارض بين مفهوم كل من سيث وچسيكا للنوع . فبالنسبة لأعمال الوردية الثانية .. لم تكن « چسيكا » بالأم الخارقة فقد اعتمدت على آخرين من الخدم لتوفير مجهودهما قدر الإمكان، كما اختصرت ساعات عملها للقيام ببقية الأمور اللازمة . أما « سيث » .. فإنه لم يقم بأعمال « الطابق السفلى »، مثل « إيڤان هولت » ولم يمنح زوجته التشجيع الحماسى عن دورها فى المنزل كما يفعل « پيتر تاناجاوا » . إن « سيث » ينتمى لتلك المجموعة من الرجال، الذين يرأسون كثيراً من المؤسسات والأعمال ، والذين برغم كونهم متزوجين ولديهم

الرغبات الجنسية الطبيعية لأى رجل .. فإنهم لاينظرون لزوجاتهم وأطفالهم كأهم شىء فى الحياة ، ولذلك.. فقد شعرت « چسيكا » بشكل ما بأن « سيث » قد توفى بالضبط مثل والدها

وخلف القشرة الخارجية الرقيقة للأيديولوجية المساواتية.. تختفى رؤية « سيث » لأبوته، التى تلاءمت عملياً مع المتطلبات الجسيمة لعمله ، ولكن لم تتعارض هذه المشاعر المساواتية مع مشاعره الخفية : فهو « يجب » أن يهتم بمستقبل « چسيكا »، ولكنه لايستطيع ، و« يجب » أن يرتبط عاطفياً مع أطفاله، ولكنه أيضاً « لايستطيع » . ولقد تضاءل الحيز الذى يشغله ما « يجب » عمله فى حياته، بينما سيطر على الموقف ما « لايستطيع » عمله .

إن سيث توقع أن « يتلقى » فى البيت، وأن « يعطى » فى العمل . بينما كانت چسيكا تريد منه أن يعطى فى البيت مثلما يعطى فى العمل . إن الدوافع التى ربطت بينهما وحركتهما فى مقتبل حياتهما كانت لصالحيهما ، فإذا كان سيث فى بادىء الأمر يمكث فى مكتبه لوقت متأخر لكى يصبح « رجلاً ناجحاً »، فهو مؤخراً يمكث بمكتبه ليتجنب المشاحنات فى المنزل. ولكنه عاش فى خرافة أنه « رجل يعمل بجد ويكافح لينتج » . أما چسيكا .. فقد انسحبت ـ تحت ستار التوازن بين الأمومة والعمل ـ بقدر ما عن طفليها وكيفت إحباطاتهما تجاه سيث ، كما انسحبت تماماً من حياته تقريباً.

والسؤال الملح الآن ؟ لماذا لم يستشعر كل من سيث وچسيكا الخلاف القائم فى موقفهما فى الحياة قبل الزواج ؟ والإجابة هى : عندما كانت چسيكا تدرس القانون فى السنة الأولى الجامعية، انجذبت إلى شخصية سيث الناجحة ووسامته وتفوقه ، كما كانت هى أيضاً ناجحة وجميلة، وتشاركه نفس السلوكيات الاجتماعية .

وظاهرياً .. بدا كما لو أن « سيث » قد تقبل توقعات « چسيكا » المستقبلية.

فكما قال لى :

« لقد كان هناك شبه عقد واضح تماماً بيننا ونحن مازلنا طلبة بخصوص مستقبل « جسيكا » وبخصوص رفضها مرة الخروج معى فى عطلة نهاية الأسبوع.. فقد اتفقنا أن امتحاناتها أكثر أهمية . فلم يكن لدينا أى شك فى أن « جسيكا » ستعمل طوال عمرها، ولن تفعل مثل غيرها من خريجات الحقوق، اللاتى يتفرغن لمدة عشر سنوات لرعاية أطفالهن . فالعمل كان كل حياتها . فلم تكن لها أى هوايات أخرى - فهى دائماً تفضل العمل .

وبالرغم من ذلك .. فقد كان « سيث » يشعر الآن أن هذه ليست المرأة التى تخيل أنها ستصبح زوجته . فقد كان دائماً لديه إحساس خفى بأن « جسيكا » لم تكن حقاً تعنى ما تقوله عن حبها للعمل . فهو يعتقد أن التزام المرأة المتعلمة بعملها مجرد كلام فهى تعلن مراراً وتكراراً : « أنا جادة بشأن عملى »، ولكنها فى النهاية تشعر أن «الأسرة تأتى أولاً » .

ومن ناحيتها.. ساعدت « جسيكا » فى وصولهما لهذه النتيجة غير السارة بأنها تجاهلت بعض العلاقات المبكرة عن شعور « سيث » بأولوية عمله عن عملها . فهى لم تتخيل أبداً أنه سيتراجع عن آرائه ، وإن كانت توقعت بعض المتناقضات : كأن تعتمد الأسرة أساساً على دخل « سيث »، بينما يشترك هو فى عمل المنزل ايضاً .

وإذا كانت الثلاث أسر التى درستها حتى الآن : أسرة هولت، وأسرة تاناجاوا وأسرة ستاين تمثل ثلاثة نماذج للتوتر فى الأسر التى يعمل طرفاها ، فإن كلاً من هذه الأسر تمثل نوعاً مختلفاً من الخرافات الأسرية ومن الصراعات . ففى حالة أسرة «هولت» .. فإن خرافة الأسرة حاولت إخفاء « حقيقة » أن الزوجة « نانسى » هى التى تقوم بجميع أعمال الوردية الثانية . أما خرافة أسرة «تاناجاوا» فحاولت إخفاء «السبب» فى قيام الزوجة بهذه الأعمال (فالزوج « بيتر » لايحب هذه الاعمال مثلاً).

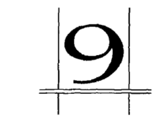
أما فى حالة خرافة أسرة « ستاين ».. فهى أيضاً تحاول مغالطة الحقيقة : فالحقيقة المعلنة هى أن الزوج «سيث» غير متواجد بالمنزل ، أما الحقيقة غير المعلنة.. فهى أن الزوجة «چسيكا» هى أيضاً غير متواجدة .

إن الزوجات الثلاث شعرن بالصراع بين مفهومهن للنوع وبين واقع زيجاتهن . وفى الحالات الثلاث .. تزايدت حدة الصراع مع ميلاد الطفل الأول، وتحول إلى أزمة مع وفود الطفل الثانى . وانتهى الأمر فى الحالات الثلاث بقيام الزوجات بأداء كل مهام الوردية الثانية .

ولكن كلا من الحالات الثلاث كانت مختلفة النتائج ، تبعاً لتبادل مشاعر الامتنان والاعتراف بالجميل بين الزوجين ؛ فنجد أن نانسى هولت وإيفان كانا يقدران الخصال والصفات الطيبة الأخرى لبعضهما البعض ؛ مما عوضهما عن عدم الرضا المصاحب لموضوع اقتسام العمل داخل المنزل. وقد شعر « پيتر » و« نينا تاناجاوا » بنفس التقدير لبعضهما البعض ، باستثناء موضوع مرتب نينا المرتفع . أما فى حالة چسيكا وسيث نجد أن التوتر حجب تماماً تبادلهما الاعتراف بالفضل والامتنان ، ولافتقادهما لذلك ابتعدا ومنح كل واحد منهما للآخر قدراً ضئيلاً من الحب . إن معظم الزيجات المتوترة التى بحثتها كانت غالباً لأزواج وزوجات، أكثر تركيزاً على وظيفتيهما من الأسرة، وأكثر اختلافاً حول أدوارهما بالمنزل. وكان افتقاد أو شبح التعبير عن الامتنان بالأحرى سمة من سمات هذا الزواج .

الفصل التاسع

الزواج المضطرب ووظيفة تحبها:
أنيتا وراى چادسون



الفصل التاسع

الزواج المضطرب ووظيفة تحبها : أنيتا وراى چادسون

إن راى چادسون، Ray Judson، رجل أسمر نحيف ، فى التاسعة والعشرين من عمره ، متزوجاً بأنيتا، Anita، منذ ست سنوات، ويعيشان معاً فى منزلهما المتواضع، ومعهما روبى، Ruby، ذات السنوات العشر وهى ابنة أنيتا من زواج سابق، وابنهما إيريك، Eric، ذو العامين، وكان هناك طفل ثالث فى الطريق. وكما علمتنى التجربة ان بإمكانى أن استنتج شيئاً ما عن الشخصية التى أقابلها لأول مرة من خلال مكان المقابلة وطريقة جلوس الشخص ومظهره العام . وقد وجدت راى جالساً فى غرفة مكتبه، بعيداً عن الإزعاج مسترخٍ فى مقعد وثير، وقد علق جيتاره على الحائط خلفه، وارتدى قميصاً حريرياً أزرق اللون وسروالاً فضفاضاً ربما استعداداً لتلك المقابلة ، وهذا ما وجدته بالفعل كان متطلعاً إليه - كما أفضى إلىّ - انتظاراً لمساعدة منى تتيح له فهم كنه زواجه العاصف .

وعلى جانبى الأريكة فى منزل أسرة چادسون الصغيرة توجد مائدتان صغيرتان، ازدحمتا بصور أفراد الأسرة والمجلات وغيرها . وكانت حوائط حجرة المعيشة مغطاة بصور كبيرة من الألبوم الغنائى الجديد لچيمى هندركس، Jimi Hendrix، وقد فهمت من الحديث أن « راى » قد قام بتعليقها لتوه وأن زوجته «أنيتا»

معترضة عليها ، ولذلك فمازال مصير تلك الصور معلقاً . وقد انبعثت الأضواء والأصوات الخافتة من شاشة التليفزيون كنوع من الخلفية المثيرة . وهى الوظيفة التى تحققها أحواض الأسماك الاستوائية، أو المدفأة فى حجرات المعيشة الخاصة بطبقات أكثر ثراء .

وإذا كانت أسرة سيث تمثل نموذجاً نمطياً للطبقة المتوسطة العليا .. فإن اسرة چادسون تخبرنا بكثير عمن ينتمون إلى الطبقة العاملة الصلدة . وكلما انخفض السلم الاجتماعى ، اهتز استقرار الزواج . أما الطلاق فهو يتزايد فى كل الطبقات الاجتماعية.

وهكذا.. فيمكننا القول أن كثيراً من العائلات تعيش الآن فى ظل هذا الدافع الخفى الذى لاحظته فى زواج آل چادسون - ألا وهو التأثير غير المستقر للشعور الدائم بالتأهب لترك المنزل « فى حالة ما .. » مع الاستمرار فى الحياة الزوجية، وكأن كل شىء على ما يرام .

إن چادسون كان يكسب نحو 13.50 دولاراً فى الساعة، بينما تحصل أنيتا على 8 دولارات نظير عملها طوال الوقت فى طباعة اللافتات فى إحدى الوكالات . إن اختلاف الأجور بين النساء والرجال كان شيئاً نمطياً فى الحياة الأمريكية فى الثمانينات ، ولكن كانت له اهمية شخصية لدى راى . وحينما قابلت أنيتا.. وجدتها سيدة قصيرة ممتلئة، تعلو ثغرها ابتسامة ودودة ، وكانت ترتدى الچينز وتى شيرت وتخفى شيئاً من التوتر خلف دخان سيجارتها . بادرتنى قائلة : « إن راى ليس من «أعداء النساء» ولكنه يجعلك تشعرين أنه « رجل المنزل »، وقد اعتاد على أن يعامل على أنه رجل وزوج محترم » إن « الأنا » تمثل أهمية حقيقية بالنسبة له .

وهو عندما يتحدث عن « كونه رجلاً ».. فإن الموضوع فى الحال يدور حول

النقود ، وعندما يتحدث عن النقود ينتقل الموضوع إلى التذكرة بأنه « رجل البيت » وسيده. فهو الذى يدفع قسط المنزل وهو الذى يعمل بجد طوال اليوم ، وهو هنا يزيد على إيڤان هولت وبيتر تاناجاوا وسيث ستاين وهم جميعاً يكسبون أكثر منه ، فى أنه يتحدث عن النقود كجواز مرور إلى عالم الرجولة . وفى المنزل.. تكون هى جواز مروره الى قضاء وقته كيفما يشاء ، فهو يحبّ شى اللحوم على طريقة الشاورما ، ويلاعب إيريك عندما يروق له ذلك « ساعة تقريباً معظم الأمسيات » كما يقوم بأشياء على غرار إصلاح دش الحمام، عندما يكون « لديه وقت »، وهذا هو نصيبه من الوردية الثانية .

إن مفهوم المال والرجولة ووقت الفراغ عبارة عن حلقات متصلة وثيقة الارتباط فى ذهن راى؛ إذ إنها تربط شخصيته بالتقلبات غير المتوقعة فى السوق . فازدهار تجارة الأسمنت التى تقوم بها شركته، واستقرار أحوالها يبث فى نفسه بالتالى الشعور بالأمان، على حين أن انخفاض أسعار الأسمنت بصورة حادة لا يهدد ليس عمله فقط ولكن أيضاً مفهومه عن الرجولة . وإن تاريخ السود فى أمريكا يوضح كيف أن الربط بين المال والرجولة أمر خطير للغاية. فلعل حصول « راى » على مثل تلك الوظيفة المستقرة التى توفر له مثل هذا الدخل يعتبر ضربة حظ بالنسبة له . ولذلك فمن الخطر أن يربط علاقته بالإنسانة التى يحبها بمثل تلك الفرصة ، التى قد لاتستمر طويلاً ؛ فإلى متى سيستمر نجاح شركته ؟

أما بالنسبة لأنيتا نجدها لم تبن أنوثتها على مقياس الدخل، والسبب فى ذلك أنه بالرغم من أن عديدات فى عائلتها يعملن ، إلا أنه لم يكن هناك ارتباط تاريخى وثيق بين المال و « مفهوم الأنوثة » لديهن؛ فمن الممكن أن يعطيها المال قوة أكبر، ولكنه لن يعطيها « أنوثة » أكثر ، كما أنه لن يعفيها من القيام بمسئوليتها داخل المنزل. وهذا ليس مرجعه فقط إلى أنها تكسب أقل من زوجها ، ولكن أيضاً لشعورها أن المال لايحمل ثقلاً ثقافياً فهى أفقر من زوجها ثقافياً بحكم أنها امرأة .

لقد أعطت مرحلة الطفولة لـ «راى» القدرة على الكسب وأعطته كذلك عدة معان بالنسبة له . إحداها أن والده لم يستمر فى عمل أبداً، ولم تكن له سلطة فى أسرته. ولذلك فقط ارتبط الأمران فى ذهن « راى » . وعندما كان راى فى عمر سنتين تركه والده فى رعاية أمه ، وفى سن الرابعة عهدت به أمه الى خالته لترعاه مع أخر اثنين من ابنائها السبعة. وكانت سيدة طيبة ولكن صارمة وعلى درجة عالية من التدين . ومنذ ذهابه ليعيش معها لم ير والدته بانتظام لمدة نحو خمس عشرة سنة بعد ذلك، وافتقدها لغيابها هذه المدة الطويلة . وإذا كانت النزعة العاطفية خلف مفهوم النوع لها جذورها فى مرحلة الطفولة لدى راى، فربما أن افتقاده إلى أمه كان يكمن خلف إصراره على أن تكون الوردية الأولى فى المقام الأول بالنسبة له هو ، على حين تكون الوردية الثانية فى المقام الأول بالنسبة لزوجته. كما يشعر أنه بمرتبه يملك القوة الكافية التى تمكنه من الاحتفاظ بأنيتا لأنها تحتاج له مادياً ولاتستطيع التخلى عنه . إن خجل أنيتا يذكره بأمه ، وشيئاً من أمومتها يذكره بخالته . إن راى كان يمثل « الرجل الانتقالى » إلا أنه يختلف عمن يندرجون تحت هذا الوصف فى أنه يستخدم المال بصراحة ، ليدعم به أيديولوجيته، كما أن أشياء معينة افتقدها فى الماضى تضيف إليه الآن الوقود العاطفى .

سياسة أنيتا :
حب العمل كوسيلة للدفاع عن النفس

عندما قابلت أنيتا كانت تقف فى المطبخ، تقطع الخضر واللحم لإعداد وجبة كبيرة، تكفى لأكثر من مرة . وكانت تتوقف من آن لآخر لإلقاء نظرة على ابنها «إيريك» أو لجذب بعض الأنفاس من سيجارتها . وكان يبدو أنها تريد التحدث عن زواجها غير المستقر وما أصابها من قرحة فى المعدة (لم تخبر راى عنها خشية أن يجبرها على ترك عملها) . إن طفولتها كانت صعبة كطفولة راى، وقد ساهمت فى بلورة مفهومها

عن الأنوثة بعد ذلك .

أما والدها فكان فلاحاً من شمال كاليفورنيا، أصيب بشلل الأطفال عام 1950، وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، وبالتحديد بعد زواجه بأم أنيتا بسنتين. وقبل أربع سنوات من اكتشاف لقاح سولك لشلل الأطفال . وبعد إنجاب أمها لرابع طفل.. تعرضت حياتها مع زوجها لهزة عنيفة أفضت بأسبابها - والألم يعتصرها - إلى أنيتا فيما بعد .

لقد انتهى زواج والدى أنيتا بفشل نتيجة لظروف قاسية ، وترتب عليه طرد أمها من المنزل ومعها بناتها الأربع ، وظل والدها يعانى وأضرب عن الطعام حتى الموت . ووجدت الأم نفسها وحيدة مع بناتها فعملت كشغالة بالليل والنهار . وبعد ذلك بسبع سنوات تزوجت بعامل بناء لديه ستة أطفال واستمرت فى عملها. وهى تتذكر نصيحة أمها لها ليلة زواجها الأول ، حيث قالت لها : « إنك امرأة الآن وعليك أن تفكرى فى نفسك وعملك واحتفظى بمالك فى حساب فى البنك، فإنك لاتدرين ما يضمره لك زوجك فربما يتركك وتجدين نفسك وحدك تتحملين مسئولية أربعة أو خمسة أطفال » .

إن أنيتا تشعر أن الحياة جعلت أمها قاسية تجاه الرجال وحتى تجاه أطفالها، حيث كانت دائماً جافة وصارمة معهم ؛ مما أثر على شخصية أنيتا الآن وهى تقول :

«إننى أستطيع أن أقوم بالأشياء العادية من طهى وعناية بالمنزل والأطفال ، ولكن ما هو صعب علىّ حقاً هو تبادلى للمشاعر مع زوجى الآن ، هذا هو الشىء الذى لاأستطيع التكيف معه».

لقد تزوجت أنيتا من قبل بعازف من ولاية نيوأورليانز، وبعد عام رزقت بابنتها روبى إلا أن زوجها كان يتركها معظم الوقت مع طفلتها . وشعرت أنيتا بالوحدة والعوز والإهمال فعادت لعملها كسكرتيرة . وبدون التشاور معها ، قرر زوجها ترك عمله فى

الصباح ليدرس الموسيقى ، وهنا تجمعت كل معاناتها من هجر وإهمال وفقر لتبرز فى رد فعل سريع وهو حملها لطفلتها وهجرها للمنزل. ثم عادت إليه بعد خمسة شهور ولكنها لم تطق الاستمرار معه لعدم تحمله للمسئولية وحصلت على الطلاق وتمكنت من ضم ابنتها لحضانتها بحكم من المحكمة. ثم التقت بعد ذلك بزوجها السابق لمناقشة أخطاء حياتهما. فعندما قال لها : « لم أدر ان عملى بالموسيقى هو الذى أدى بنا إلى هذه النهاية » ، وكان ردها : « لا.. لم يكن هو السبب الحقيقى . لقد كنت طموحاً جداً ولم أساعدك فى تحقيق طموحك .» ، ثم أضافت: «إنه لم يكن هناك عندما احتجت له». ربما كان الرجل والأب، ولكنى لم أعرف هذا إطلاقاً ، وكل ماأعرفه أنه كان أول رجل أعيش معه ويملأ هذا الفراغ . »

وبعد أربعة أعوام من طلاقها.. التقت أنيتا مع راى، وتأثرت كثيراً بالطريقة التى كان يتحدث بها معها، حيث فهم سبب صعوبة أن تثق فى انسان، وقال لها إنها جافة جداً وقوية، ولكن لديها نقطة ضعف حساسة . إننى قد أقول له أحياناً : « إنى أستطيع الاستغناء عنك » ولكن فى أعماقى هناك إحساساً جارفاً بأنى بالفعل فى حاجة إليه، وقد ساعد « راى » على خلق هذا الإحساس لدىّ .

لقد سعى كل من أنيتا وراى إلى أن يأسو كل منهما جراح الآخر. ويرى راى تاريخاً طويلاً للتفرقة العنصرية وراء هذه الجراح الشخصية؛ حيث قال : « منذ زمن العبودية والرجال السود دائماً مايعانون من عدم قدرتهم على العناية بزوجاتهم ، ولاأريد أن أكون كذلك أبداً ! » ومع هذا.. كان من العسير عليهما أن يتغلبا على الواقع، فيدب بينهما الشك وتنشب الخلافات ، فتلوذ هى وصغارها بحمى أمها، التى كانت تقطن قريباً منها وتأخذ جانبها .

إن حياة أمها وحياتها تسببت فى أن تتنازعها مشاعر متناقضة عن العمل ؛ فهى من ناحية تريد أن يكون لها اكتفاء ذاتى واقتصادى وهى تتذكر كلمة أمها : « بعد

كل ذلك ربما يتركك زوجك »، كما أنها نشأت فى بيئة لها تاريخ طويل فى خروج المرأة إلى ميدان العمل . فجميع نساء عائلتها من الجدات إلى الخالات وبنات الأعمام يعملن. فالمفهوم السائد فى بيئتها « إن كونك امرأة يعنى أنك تعملين ». وربما لايكون هذا المفهوم لدى النساء البيض في الطبقة المتوسطة، ولكنه التقليد السائد بالنسبة لها ومن فى طبقتها. ولكن قد يخفى هذا الشعور رغبة « أنيتا » فى أن تحظى برعاية رجل ، برعاية زوجها « راى » .

إن رغبتها لتكون ربة بيت جادة بنسبة خمسين فى المائة ، وهى ترى أن «المكوث فى البيت» يبدو علامة على ثقتها فى راى، كما أنه من ناحية أخرى يحررها من التوتر الذى يصيبها من جراء العمل لفترتين، كما أنها ربطت بين بقائها فى المنزل وانتمائها إلى الطبقة المتوسطة . فهى إذا ما أزمعت المكوث فى البيت ، فإنها ترغب فى أن يكون لبيتها « مظهر معين تتسم به الطبقة المتوسطة » فهى تريد أن يكون لديها مطبخ مكتمل الأدوات من الحائط إلى الحائط. ولكن « أنيتا » لم تشأ أن تعيش كل حياتها فى ظل زواجها كما هو الحال مع « كارمن ديلاكورت » ، فهى ترغب فى الحصول على أجازة من آن لآخر . وإذا كان الأمر يستدعى اعتمادها على « راى »، وإذا كان هذا الاعتماد يعنى تبعيتها له ، فعليها تقبل الأمر فهو ثمن حصولها على ما تريد. ولكن السؤال هنا هو : إلى أى حد تريد ذلك بالفعل ؟ ، ففى الأيام التى يتملكها فيها الشعور بالتعب تريد ترك العمل ، وفى الأيام الأخرى تختفى تلك الرغبة .

وفى الوقت نفسه.. نجد أن أنيتا ترغب فى عمل مربح يجلب لها دخلاً؛ مما ولد لديها الاحتياج لمساعدة راى فى أعمال المنزل . وفى لقاء مشترك عن كيفية تقسيم كل من راى وأنيتا لعمل البيت.. اندلعت المناقشة النمطية القديمة؛ فأنيتا تشكو من عدم اهتمام راى بمساعدتها وبسرعة واجه راى هذا الاتهام بقوله: إن أنيتا بوسعها الاستغناء عن مساعدته إذا ما تركت عملها ، وهو بذلك يحررها من قيود العمل. وفى

المقابل على أنيتا أن تمنحه حريته من عمل المنزل، ماعدا العناية الأسبوعية بالحديقة، والقيام بالإصلاحات المختلفة بالمنزل.

إن راى لم يعلن صراحة أن دخله المرتفع يعطيه العذر فى عدم قيامه بالمساعدة فى الوردية الثانية . إنه يؤكد أن عمله هو له معنى يختلف كليا عن عمل « أنيتا ». فكما يقول : « ليس لدى مانع فى تركها للعمل ثم العودة إليه ، ثم تركه والعودة مرة أخرى . يمكنها الاستمرار فى هذا طالما رغبت فيه ، حتى لو لم ترغب فى العودة للعمل، ولكنى لن أفكر أبداً فى ترك وظيفتى ، فهى التى تربط بيننا . » فمن وجهة نظره أن الرجل يعمل لكى يحصل على المال سواء أحب عمله أم لا ، فهو ملتزم بإنجازه فقط ، وهو يرى أن أنيتا ليست ملزمة بالعمل، وتستطيع أن تثق فيه، وكل ما هو مطلوب منها أن تعمل أقل وتحب عملها أقل ؛ فهو يريد ان يمنحها فرصة عدم الانتظار فى عملها ، فلماذا ترفض هذه الفرصة ؟

أما أنيتا فهى تدافع عن حقها فى أن تحب عملها، وحقها فى الحصول على مساعدة راى أيضاً . إنها تدفع مائتى دولار شهرياً للحضانة التى يذهب إليها أطفالها، وذلك فقط لكى تجد ما يشغلها، حيث تشعر أن المكوث بالمنزل طوال اليوم أمر يبعث على السأم فكما قالت لى :

« أحب أن أعمل لأن ذلك يحقق لى ذاتى؛ فأنا أريد أن أترك انطباعاً جيداً لدى الآخرين ، هذا كل ما فى الأمر . إن عملى مهم جداً للقسم الذى أعمل به ، فأنا الوحيدة التى تعرف كل شىء عن « خدمة الزبائن » ، وأنا أشعر بالرضا الكامل عن عملى فأنا أعمل لأنى أريد أن أعمل، وهذا ما لا يأخذه «راى» فى اعتباره على الإطلاق. فأنا أخرج للعمل ثم أعود للمنزل لأعد الطعام . ولكن «راى» دائماً يتوقع أن يجد طعامه فى انتظاره على المائدة سواء أكنت أعمل أم لا ».

ويعلق راى قائلاً فى حيرة : « إننى أعتبر ان عملى أكثر قيمة من عملها ، فعملى يمدنا بالدخل الأساسى لمنزلنا ، فلماذا تشعر أنهم سيشعرون بالحاجة إليها لهذه الدرجة ؟». إنه لايدرك أن عمل أنيتا له بريق الطبقة المتوسطة، وهو يراه مجرد عمل وظيفى مريح، على حين أن عمله مضنٍ ،. وهو يعمل خارج مقر عمله ، على حين أنها تعمل داخل مقر عملها ، كذلك.. فإن عمله قذر على حين أن عملها نظيف. كما أنه يرتدى ملابس متواضعة تلائم ظروف عمله ، على حين أنها تتأنق لعملها. بالإضافة إلى ذلك فهى تكتب وتطبع الأوراق على مكتبها، بينما هو يحمل أكياس الأسمنت الثقيلة طوال اليوم؛ لذلك فهو يشعر ان عمله هو الأصعب .

وقد علقت أنيتا على ذلك قائلة :

إن راى دائماً يقول « إنك لاتتعبين فى عملك؛ حيث تجلسين خلف هذا المكتب تدونين بعض الأرقام ثم تعودين إلى البيت .» إنه يرى الجانب الظاهرى فقط ؛ فهو يقود سيارة العمل كل يوم ويرى الغبار يحيطه وهو يعد. هذا أشق ما يستطيع أن ينجزه فرد ، ولكنه لايفكر فيما أفعل . إننى أعمل الأربع والعشرين ساعة فى يوم ! فأنا أعود للبيت لأعمل، وفوق هذا كله أتولى مسئولية الأطفال ! إنه لايرى ذلك . »

وكرد فعل لذلك الخلاف.. أخذت أقارن بين عمل كل منهما ، كيف تبدأ وكيف تسير ولابدأ براى الذى قال :

« فى أيام العمل.. أستيقظ فى حوالى الخامسة والنصف، وأحيانا أقوم بكى ملابس العمل ، وأستمع إلى بعض من الموسيقى، ولاأتناول طعام الإفطار ، ثم أتوجه إلى عملى فى السادسة والنصف أو السابعة إلا ثلث. ثم نقوم بشحن السيارات حتى تمتلىء وبعدها نأخذ وقتاً للراحة حوالى التاسعة، ثم نظل نعمل

حتى الحادية عشرة والنصف، ثم يستريح حتى الثانية عشرة والنصف . وفى العادة أذهب أنا وزملائى إلى الحديقة العامة حيث نتحدث سوياً، ثم نعود للعمل ونستمر فيه حتى الواحدة والنصف أو اثنين ظهراً . فأعود للمنزل حيث أستريح حيث أعزف على الجيتار، أو أخلد إلى النوم لحين عودة أنيتا مع الأطفال إلى المنزل فاستيقظ. وإذا كان الجو لطيفاً أعتنى بالحديقة لأنى أحب الزهور أو أشوى قطعة من اللحم ، وتكون أنيتا فى تلك الأثناء قد طهت باقى طعام العشاء فنتناوله سوياً ونحن نشاهد التليفزيون. ثم أذهب إلى الطابق العلوى لأعزف على الجيتار ، وأثناء ذلك يخلد الأطفال للنوم .

أما أنيتا فتسرد نظام حياتها بتفاصيل أقل :

« أستيقظ فى السادسة والنصف وأوقظ الطفلان وأساعد ولدى على ارتداء ملابسه ، على حين ترتدى ابنتى ملابسها بنفسها ، وبينما يتناولان طعام الإفطار ، أكون قد ارتديت ملابسى ، ثم نخرج حوالى السابعة والنصف فأوصل طفلاى إلى مدرستيهما ، ثم أذهب بعد ذلك إلى عملى حيث استمر به لسبع ساعات ونصف ، وبعد انصرافى منه وفى طريق عودتى للبيت أتوقف لدى محل البقالة لشراء ما أحتاجه ، ثم أقوم فى المنزل بطهى الطعام وإطعام الصغار، وأشاهد التليفزيون قليلا من الوقت، ثم آوى إلى فراشى فى التاسعة والنصف أو العاشرة ، وأكرر نفس الشئ فى اليوم التالى.»

واكتشفت من خلال حديثهما أن راى لديه تحكم أكثر فى الحمولة التي يشحنها، على اعتبار أن رئيسه فى العمل يتسم بالمرح فى معاملته هو وزملائه الذين يمازحونه ويضاحكونه ، مما يلطف من الأوامر الملقاة عليهم . على حين نجد أن رئيس أنيتا يحاسبها إذا ما تغيبت لعشرين دقيقة عن مقعدها . وبهذه الطريقة .. فإن الاختلاف بين يومى عمل« راى » و« أنيتا » يعكس الاختلاف بين أساليب الإشراف فى

الوظائف « الرجالى » والوظائف « النسائى » . فقد أظهرت دراسة قام بها «روبرت كاراسيك»، Robert Karasek، سنة 1972 ان كلاً من الرجال والنساء يتعرض تقريباً لنفس ضغط العمل فى وظائفهم . ولكن النساء يطلب منهن عادة مستوى أعلى فى الأداء، وهن أقل قدرة على التحكم فى سرعة هذا الأداء عن الرجال. فعلى سبيل المثال نجد أن عاملة التليفون أو الساقية فى أحد المطاعم أقل تحكماً فى سرعة عملهن من عامل إصلاح التليفونات أو قارىء عدادات الكهرباء . ولذلك فإن « كاراسيك » استنتج أن السيدات يتعرضن لضغط أكثر ، وبالإضافة لذلك فإن السيدات اللاتى يقمن بوظائف الخدمات مثل « أنيتا » أكثر عرضة للإصابة بأمراض القلب من زملائهن من الرجال الذين يعتقد الناس خطأ أنهم أكثر عرضة لهذا الخطر[1] .

كذلك وجدت فى دراستى أن راى لديه « وقت فراغ » خلال عمله اليومى « أكثر مما لدى أنيتا ، حيث يقضى ساعة راحة فى الحديث مع زملائه ، على حين لاتستطيع أنيتا ذلك . وقد تخلص عالم الاجتماع چ . پ روبنسون، J. P. Robinson، إلى أن الرجال عموماً ينعمون بحوالى نصف ساعة « من الفراغ » خلال عملهم اليومى أكثر من النساء العاملات[2] .

وما يعنى راى هو ثقل مسئوليته كممول للأسرة لأنه « رجل » تلك الأسرة، فهو لايستطيع ترك العمل لو أنه لا يحبه ، كما يعتقد أن الأسرة الواحدة لاتحتاج لعمل اثنين، وإنما يكفى واحد فقط وهو هذا الواحد.

ولم تتنازل أنيتا عن مطلبها بأن يقتسم راى معها الوردية الثانية، وقد سبب لهما نزاعهما حول هذا الأمر كثيراً من التعاسة كما حدث مع غيرهما مثل أسرة « هولت » وأسرة « تاناجاوا » وأسرة « ستاين » . وإذا كان الحل الذى لجأت إليه نانسى هولت هو خفض ساعات عملها ، والحل الذى لجأت إليه الأسرتين الأخريين هو الاعتماد على خادمة ، فإن « راى » وجد أن الحل الأمثل يتمثل فى مساعدة روبى،

Ruby، ابنة زوجته لأمها فى المنزل من غسيل للأطباق أو الكنس، فهى كبيرة بشكل يمكن الاعتماد عليه. كما أن هذا سيكون تدريباً جيداً لها . وهو لايرى حرجاً فى ذلك إذ إنه هو نفسه كان يساعد خالته فى إنجاز كثير من شغل البيت أثناء طفولته .

ولكن روبى التى كانت تشعر بضآلة قدرها فى الأسرة، رفضت أن تساعد أمها وفضلت التقاط الحشائش مع راى ، ثم سعت إلى الحصول على تأييد جدتها التى كانت تقطن بالقرب منهم. ولكثرة الضغوط على راى من زوجته وأمها فقد شعر «راى» أن جنس النساء يتآمر عليه مما أشعره بالعزلة عن زوجته وأولاده.

وبدأ «راى» يحتسى الشراب كثيراً مما تسبب فى نشوب عديد من الخلافات بينه وبين زوجته ، فلجأت إلى منزل أمها هى وطفليها ، وبدأ شبح الانفصال يحلق فوق سماء حياتهما ، وبعد سلسلة من الخلاف والوفاق تم الانفصال بالفعل .

ويبرر راى سبب عدم مشاركته فى أعمال الوردية الثانية إلى أنه « يساهم بدخل كبير فى الأسرة » ، وأنه يأخذ عمله أكثر بجدية ، و« يتعب أكثر ». والعبارة الأولى صحيحة، والثانية من الصعب تحديد مدى صحتها ، أما الثالثة فهى تفتقر إلى الصحة. ولكن أسباب راى تتفق مع جدول أعماله الشخصى، الذى يقوم على كبح رغبة أنيتا فى العمل، وزيادة اعتمادها عليه وبالتالى تقليل فرصة تركها له .

ومن ناحيتها شعرت أنيتا أن إفراط راى فى الشراب ونشوب المشاجرات بينهما، أشعرها بعدم الأمان فى حياتها الزوجية ، وطالما تصادمت مع راى حول قيمة العمل بالنسبة لها واحتياجها له كسياج من الأمان . إن عمل أنيتا لم يكن جذاباً أو مثيراً ، ولكنها تشبثت به بقوة تنفيذاً لإنذار أمها لها : «بأن تفكر فى نفسها وعملها» كما كانت أنيتا فى قرارة نفسها، غير واثقة من قوة ارتباطها براى، وراحت تفكر فى أنه إذا ماكتب لزواجهما أن يستمر ، فإن عملها سيساعد راى على أن يحترمها ، وإذا

لم يكتب له الاستمرار (وهذا ماحدث بالفعل) فإنها ستحتاج إلى عملها ربما اكثر من الآن .

وفى ظل مفهوم النوع.. نجد أن زواج أنيتا وراى لم يكن ملائماً؛ فراى كان انتقالياً على حين أن أنيتا كانت تتأرجح بين كونها « تقليدية » و « مساواتية ». وهذا الاختلاف أدى إلى حدوث الأزمة بينهما عندما تبادلا مزايا زواجهما . فأنيتا قدمت لراى « نعمة » أجرها لأسرتها، ولكن « راى » لم يتقبل هذه « الهدية » لإحساسه بأنها قد تتركه فى اى لحظة. ومن ناحيته .. قدم لها راى « نعمة » الاختيار بين أن تعمل إذا ما تمكنت من القيام بمهام الوردية الثانية، أو أن تمكث فى المنزل . ومع كراهيتها للعمل فترتين ، وفى الوقت ذاته لشعورها بالخطر على مستقبلها اذا مابقيت فى المنزل، تحدت أنيتا هذا الاختيار . إن الخرافة التى أعلناها للناس – وإن لم يؤمنا شخصياً بها – كانت أن موضوع الوردية الثانية كان مجرد أسلوب ضغط من « أنيتا » على «راى» لأن لديه كثيراً من العمل الذى عليه القيام به . وبالتأكيد كان ذلك حقيقياً ، ولكنه ليس كل الحقيقة فهذا الموضوع مرتبط أساساً بعمل « أنيتا » نفسها : فكلما زاد ضغط العمل فى المنزل زادت صعوبة تمسك « أنيتا » بوظيفتها .

فعمل أنيتا منحها الاستقلال المادى المتواضع الذى تحتاجه إذا ما فشل زواجها، فكان بمثابة وثيقة تأمين لمستقبلها فى حالة الطلاق فتشبثت به كنوع من الدفاع عن الذات . ففى بداية زواجهما .. حاولت أن تثق براى وأن تتجنب الطلاق. ولكنها فى النهاية لم تتخل عن عملها، بل تخلت عن زواجها التى حاولت فى البداية أن تحافظ عليه .

إن شبح الطلاق قد اطل برأسه طويلاً داخل زواج أنيتا وراى. وفى هذا ربما تتحدث مأساة أنيتا إلى عدد متزايد من النساء ، فأنيتا كأمرأة سوداء لم يكن باستطاعتها أن تنظر إلى تقاليد الزواج المتأصلة فى الماضى على أنها تتيح الأمان

المادى للمرأة؛ إذ إن معظم الرجال السود قد تجردوا منذ زمن طويل من فرص الحصول على أعمال تجلب لهم دخلاً مرتفعاً ؛ فمنذ قرن على الأقل .. كانت تجربة النساء البيض فى أمريكا مختلفة ، لأن الزواج بالنسبة للرجل ، أى رجل، كانت تعنى الارتفاع بهن إلى طبقة أعلى مما تتيحه مرتباتهن . ولكن رويداً رويداً أصبحت النساء البيضاوات ممن ينتمين إلى الطبقة العاملة أو المتوسطة يواجهن نفس الموقف الذى يتعرض له النساء السوداوات منذ زمن طويل : فالبنسبة لهن أيضاً لم يعد بإمكانهن الاعتماد مطلقاً على الزواج كوسيلة لدعم أنفسهن أو أطفالهن. وأصبح معدل الطلاق المرتفع خطراً يهدد النساء البيضاوات، مثلما كان يهدد النساء السودوات لسنين طويلة.

ونحن إذا ما تفحصنا الأمر.. نجد أنه بالتدريج طوال هذا القرن، أصبحت الدعامة أو الركيزة الاقتصادية التى يوفرها الزواج للنساء والأطفال أقل صلابة، وبالتالي زادت معدلات الطلاق. وكذلك نجد أنه عقب وقوع الطلاق.. يحدث أن يرتفع دخل الرجال على حين ينخفض دخل النساء بحدة. كما تبين أن نحو ثلث من المطلقات لايتزوجن ثانية ، على حين أن عديدات ممن تزوجن من الثلثين الآخرين قد فشلن فى زواجهن مرة أخرى. ومن ثم نجد أن الزواج المهتز فى نظر معظم النساء زاد من توقعهن لعدم الأمان الاقتصادى، وإمكانية تعرضهن للفقر.

وقد أصبح من المألوف الآن التفرقة بين النساء والرجال فى سوق العمل؛ فعلى حين أن النساء اللائى يعملن طوال الوقت يتقاضين حوالى 70 سنتا ..نجد أن الرجال يتقاضون دولاراً عن ذات المدة . لذلك ثبت أن الوسائل البالية للدعم الاقتصادى أقل أماناً ، وأن الأساس الجديد والمساوى للدعم الذاتى لم يتحقق بعد لذلك.. فإن معظم النساء لايستطعن – من أجل إعالة أنفسهن وأطفالهن – النظر إلى الأمام بتفاؤل، وأن يمنين أنفسهن بما سيحققه لهن العمل ، كما أنه ليس بمقدورهن النظر خلفهن إلى

الزواج بكل ثقة .

ومن هنا نجد أن عدداً كبيراً من النساء لايعملن الآن ببساطة « لمساعدة أزواجهن » أو لتأكيد « مكانتهن »، ولكن لأنهن خائفات على حياتهن الزوجية . فأنيتا عاشت حياة زوجية ، ولكنها تخيلت إمكانية حدوث الطلاق ، لذلك قاومت ضغط راى عليها لترك العمل إذ إنها كانت تخشى أن تفقد عملها ثم تقع فى مصيدة الاحتياج المادى إذا ماتم الطلاق . فأخفت دوافعها تلك ، وبررت بدلا منها تمسكها بالعمل «حباً له» ولأنها تريد أن تكون « مشغولة »، وبأنهم « يحتاجونها فى المكتب » .

الفصل العاشر

مشاركته ومشاركتها:
جريج وكارول ألستون

10 الفصل العاشر

مشاركته ومشاركتها : جريج وكارول ألستون

فى صباح أحد الآحاد فى الساعة السابعة وخمس وأربعين دقيقة، قدت سيارتى بتؤدة تجاه شارع ممهد لتوه اصطفت شجيرات صغيرة على جانبيه ومجموعات من المنازل ذات الطابقين التى تأخذ شكل خط منحنى، وأنا أصعد التل الذى يطل على خليج سان فرانسيسكو، وما يلفت النظر هى الطريقة المتطورة فى فن بناء المنازل ، فعلى امتداد كل شارع نجد الشجيرات قد أخذت نفس الشكل، وأن الشوارع قد أطلقت عليها أسماء على غرار ستارفيو، Starview، وأوفر لوك، Over Look. وبالرغم من أن حركة المرور تسير منتظمة نجد أن اللوحات الإرشادية قد وضعت على مسافات متقاربة. كما أن الفهم العادى الذى لايحمل صفة الرسمية غير أهل للثقة. كذلك ترى مروج اللبلاب، وقد امتدت لمساحات رحبة بين كل ستة منازل، كما تجمعت صناديق البريد فى نظام فتستشعر من هذا كله ببصمات التطور واضحة جلية .

وفى هذا الوقت من يوم الأحد.. تخلو الشوارع من المارة عدا من بائعى الصحف، على حين يطالعنى الموظفون والعمال فى غدوهم ورواحهم فى الأوقات الأخرى من اليوم. فنصف المنازل تضم الأزواج والزوجات، الذين أحيلوا إلى المعاش. أما

النصف الآخر فيشغله الأزواج والزوجات ذوى الدخول المزدوجة. وكما قالت لى « كارول ألستون»، Carol Alston، فيما بعد فإن «كبار السن لايتحدثون كثيراً مع الشباب، وفى نفس الوقت.. فإن الشباب من الأزواج العاملين ليس لديهم وقت للتزاور مع الجيران. ولذلك.. فليست هناك علاقات متبادلة بين الجيران وبعضهم .»

فتح لى الباب جريج ألستون، Greg Alston، وهو فى السابعة والثلاثين من عمره، شعره أصفر بلون الرمال، كان مرتديا نظارة ويلبس الچينز وتى شيرت . كما استقبلنى عند الباب داريل، Daryl، ذو الثلاث سنوات حافى القدمين، ويحمل حذاءه فى يده . وبادرنى جريج قائلاً «إن كارول لاتزال نائمة، أما بيڤرلى، Beverly،.. فعلى وشك أن تستيقظ.» وجلست فى حجرة المعيشة. ومرة أخرى «ككلب الأسرة » استمع إلى قصة النظام المنزلى اليومى؛ حيث يستيقظ جريج فى السابعة والربع، ثم يتبعه داريل فى السابعة والنصف، والآن فى الثامنة.. تستيقظ بيڤرلى، ثم يهبط جريج وداريل إلى الطابق السفلى. ويتحدث جريج إلى داريل عن ربط الحذاء ، على حين يتحدث الأخير عن الفروق الطريفة بين الكلب الوطواط ، والوطواط العنكبوت، وغيرها من الشخصيات الخيالية. ثم تفرغ كارول من ارتداء ملابسها وتناديني فلا أجد حرجاً فى مساعدتها فى تنسيق الفراش. ثم تجلس كارول ترضع بيڤرلى من ثديها، ثم تؤرجحها فى الأرجوحة التى وضعت بالقرب من حجرة الطعام، وتعمل بصورة ميكانيكية تلقائية . وبينما كانت كارول ترفع الأطباق وتنظف المائدة.. كانت تحدثنى عن طفل متهور لأحد الأصدقاء، عمره سنتين، اصطحبته مع أسرتها فى إحدى النزهات، ولكنه ضرب بيڤرلى بسيارة معدنية. ثم بدأت كارول تعد طعام الإفطار على حين كان جريج مشغولاً فى بعض الإصلاحات فى الطابق السفلى، وانصرف كل من الأبوين إلى الاهتمام بطفل واحد .

أما كارول فهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها شعرها قصير، لاتضع

المساحيق ترتدى قرطاً مرصعاً رقيقاً، تبدو هادئة الطباع، توحى ضحكتها بأنها تدعو الآخرين للانضمام إليها فيما تقوم به . تعيش مع جريج حياة زوجية سعيدة للغاية، منذ احد عشر عاماً .

لم تكن كارول تحاول أن توفق بين الالتزامات الأسرية واحتياجات العمل السريع الإيقاع بالظهور كأم خارقة، مثل نينا تاناجاوا. لقد كانت تعمل منذ ثلاث سنوات كمحللة نظم، وهو ما تعده عملها « الحقيقى » إلا أنها تركتها وعملت كاستشارية حرة لمدة خمس وعشرين ساعة أسبوعياً . وهى لم تتشبث – مثل كارمن ديلاكورت – بالأفكار القديمة عن المرأة. فمنذ نعومة أظافرها، وهى تحلم بأن يكون لها شأن فى عملها وفى فترة نضجها كانت كذلك بالفعل . ثم تتحدث عن عملها فى المنزل.. فتقول إنها «دائماً ماتقسم العمل النصف بالنصف، وأنا لاأدرى هل يمكننى أن أعتبر نفسى من المؤمنات بحقوق المرأة». تقول هذا كأنها ترنو إلى اللفظ من على بعد «ولكن نعم ، فجريج وأنا اعتدنا التعاون فى البيت ، لاجدال فى ذلك حتى تغير هذا الوضع بالطبع، عندما بدأت أعمل بعض الوقت بدلاً من طوال الوقت .»

فمنذ البداية.. أراد جريج أن تعمل كارول، وقد أخبرنى بشعوره بالإحباط الآن لانخفاض دخل كارول عن ذى قبل؛ إذ إن طوال سبع سنوات من عمر زواجهما الذى امتد إلى أحد عشر عاماً كانت كارول تحصل على دخل مرتفع يماثل ما يحصل عليه هو من عمله كطبيب أسنان . والحقيقة أنها تكسب الآن من عملها لبعض الوقت تقريباً ما يحصل هو عليه طول الوقت ويضيف جريج قائلاً : « كلما زاد دخلها ، كان باستطاعتنا اعتزال العمل مبكراً » .

واتجهت كارول فى الثلاث سنوات الأخيرة منذ إنجابها لدرايل إلى تخفيض ساعات عملها وانشغالها العاطفى به ، والميل إلى إنجاز تقريباً كل متطلبات الوردية الثانية لأنها أصبحت أكثر مكوثاً بالمنزل ، إلا أنها وجريج فى الطريق إلى المشاركة

مرة أخرى فى نوفمبر القادم؛ حيث سيتحقق لهما حلم حياتهما، وهو الهرب من حياة المدينة بضوضائها وعنفها وتمييزها العنصرى إلى الركون إلى حياة الهدوء والسكينة فى مدينة صغيرة، تقع فى جبال سييرا تسمى كريك الصغيرة؛ فهناك سيتسنى لجريج أن يحصل أيضاً على عمل لنصف الوقت وممارسة هوايتهما المفضلة من نزهات بحرية وإقامة معسكرات والاستمتاع بالحياة فى الهواء الطلق . وإننى أراهما من القلة المحظوظة التى تستطيع أن تحقق ذلك، والواقع أن المرحلة المادية والأيديولوجية بالنسبة لكارول وجريج أتاحت مشاركتهما معاً فى البيت .

وبعيداً عن « العمل » داخل البيت ، يتضح منذ البداية أن جريج وكارول يتقاسمان « الحياة » فى المنزل . فلو كان للبيت أن يتحدث لنطق بكثير عن مدى تقاربهما وأهمية وجود الأطفال بالنسبة لها . فمنزلهما مريح يتسم بالبساطة ، مصمم بحيث إذا أغلقت كل الأبواب، تظل حجرة الطعام والمطبخ وحجرة المعيشة على مرأى من بعضها البعض . وقد وضعت على المدفأة لوحة لطفل ينفخ بالونا كالقمر. ثم نرى صورا لزفاف الإخوة والأخوات وأينما تذهب فى أرجاء البيت.. تجد مايشير إلى وجود الأطفال . فهاهو طفل يوجد بين مقاعد حجرة المعيشة، وهاهى لوحة رسمها داريل موضوعة فوق الثلاجة ، وكذلك تجد خطافاً يعلق عليه قبعته . أما فى الطابق العلوى.. نجد كارول وقد علقت شهاداتها الجامعية فوق مكتبها. وبجانب ذلك نجد بعض المستندات الخاصة بجريج وصورة لداريل وأخرى لكارول وجريج. وإذا شاهدنا حجرة داريل.. تلحظ الجهد التعاونى المبذول فيها أيضا؛ فقد علقت كارول «خريطة للنجوم التى حصل عليها داريل لتشجيعه» مرسومة على الكمبيوتر على باب حجرته ، فقد حصل على نجمة بجوار بند غسيل الأسنان، وثلاثة بجوار بند تعليقه لملابسه ولاشىء بجانب وضع الصحيفة فى صندوقها . وقام جريج بتصميم مهد داريل والسلم، بينما اشترت كارول مصباحاً على هيئة فيل . كل شىء يبدو متكاملاً مع كل شىء آخر .

ولكن كان هناك شيء واحد مؤلماً ، فقد علقت على الحوائط صور زفاف بعض الأصدقاء إلا أن بعضهم تم طلاقهم، وبعضاً آخر منهم يواجهون أزمات فى حياتهم الزوجية . لذلك أرى أن ذهاب عائلة ألستون للعيش فى مدينة « ليتل كريك » سيحل بالتأكيد مشكلة المرور، وسينأى بهم بالطبع عن منغصات الزواج فى هذا العصر.

إن كلاً من الزوجين كارول وجريج لايألو جهداً فى عمل شيء للآخر ؛ فهى إذا ما كانت تحمل بيڤرلى نجدها تبادر جريج مثلاً قائلة : « من فضلك اطعم القطة »، وإذا ما كان هو أيضاً مشغولاً فى تثبيت لوحة مثلا ، ورن الهاتف فإنه يطلب منها أن ترد عليه . وأثناء تناول طعام العشاء.. يوليان ابنهما داريل اهتماماً متساوياً .

وعندما يكون جريج بالمنزل يحاول أن يضاعف من وقته الذى يمكثه به، وأن يمنح جهداً مساوياً لما تبذله كارول فى الأعمال، التى يقوم بها؛ خصوصاً فى عطلات نهاية الأسبوع . وإجمالاً.. لنا أن نقول إن جريج كان يسهم فى المناوبة الثانية أكثر مما كان يفعل إيڤان هولت، وفرانك ديلاكورت، وبيتر تاناجاوا، وروبرت مايرسون، أو راى جاديسون . فكل من كارول وجريج يشعران بالارتياح والمساواة إزاء تنظيمهما لحياتهما معاً . فعلى الأقل لاتعمل كارول شهراً إضافياً فى العام.

ولكن لو نظرنا للأمر من ناحية أخرى لوجدنا أنهما لا يتشاركان بالفعل ؛ فقد قامت « كارول » باختصار ساعات عملها، وتغيير فلسفتها عن العمل، وذلك بعد ميلاد « بيڤرلى » ، بينما لم يتغير الوضع كثيراً بالنسبة لجريج . وإذا كانت المشاركة الحقيقية تعنى المشاركة فى المهام « اليومية » و«الأسبوعية»؛ ففى هذه الحالة.. لايمكننا اعتبار أنهما متشاركان . فسواء كانت « كارول » تعمل كل الوقت أو نصف الوقت أو وقتاً «إضافياً».. فهى فى جميع الأحوال مسئولة عن المهام اليومية والأسبوعية الأساسية، مثل: الطهى، والتسويق، والغسيل هذا بالإضافة لقيامها بالمهام غير اليومية، مثل: شراء ملابس الأطفال، وكتابة خطابات الأسرة، وإرسال بطاقات عيد الميلاد، والاعتناء

بنباتات المنزل، وأخذ صور للعائلة. أما مهام جريج .. فكانت غير يومية، وانحصرت فى الإصلاحات المنزلية ودفع الفواتير وإصلاح سيارتيهما.

لم تكن كارول « أم خارقة » مثل نينا ، ولم تكن سلبية فى مناقشة الأدوار الزوجية كما فعلت كارمن ديلاكورت. كذلك لم تتظاهر بالمشاركة المتساوية كما فعلت نانسى هولت : « أنت تطهو يوم الاثنين وأنا أطهو يوم الثلاثاء .» وانما اتبعت كارول عدة سياسات أولها : عندما تزايدت متطلبات وظيفتها فى بادىء الأمر لم تكن تطهو، وكانت تتصرف بأن تتناول طعام الغذاء هى وزوجها فى مقر العمل، وتدع داريل يتناول غذاءه فى الحضانة . ثانياً : اختصرت من ساعات عملها ليكون لديها متسع من الوقت للقيام بأعمالها المنزلية . ثالثاً : كانت من آن لآخر تعيد مناقشة الأدوار مع جريج، الذى أضاف السياسة الرابعة؛ فهو يحاول دائماً مساواة كفة توزيع العمل مع «كارول»، فكلما زادت هى من ساعات عملها فى التنظيف والطهى ورعاية الأطفال ، زاد هو من ساعات عمله بالنجارة والإصلاحات؛ حتى تفرغ هى من عملها . وبهذا الشكل، كان جريج يعمل « بنفس القدر » مثل كارول ، ولكنه يعمل فى مجالاته هو . وكان دائماً يأخذ رأى كارول واستشارتها والأخذ بمقترحاتها بصدد مايقوم به . وبلاشك إن ماكان جريج يصنعه عاد بالفائدة عليهم، إلا أنه لم يخفف من وطأة الضغوط اليومية على كارول .

« داخل الوقت المتساوى » يوم الأحد

بالمقارنة لكارول.. لم يعن جريج كثيراً بأطفاله على حين قدم معاونته أكثر فى المنزل . إنه ذاك الصنف من الرجال، الذى يمكن استخدامه فى إنجاز ضروب مختلفة من العمل . فهو يرنو إلى رف من الأرفف بعين النجار ،على حين أن كارول كانت من النوع الذى يلاحظ ثقباً فى سروال ابنها. وذات مرة علق جريج مازحاً وهو يجذب المكنسة الكهربائية قائلاً : « إن كارول مجرد امرأة ، لم تقم بالكنس منذ فترة طويلة،

وعليها أن تتعلمه من جديد ؛ فالرجل يستطيع القيام بذلك بصورة أفضل » .

أما كارول.. فقد كانت أكثر تركيزاً على الاطفال عن جريج ؛ فمثلاً عندما كانت هى وزوجها تتوقف للحديث معى - وفى العادة كان داريل موجوداً ليسعد بالحديث فى المسجل، أو ليستحوذ على اهتمام والديه - كانت كارول هى التى تجاذبه أطراف الحديث، مثل : « حسناً داريل أعتقد أن السوبرمان بإمكانه أن يطير أعلى من الرجل الوطواط . مارأيك ؟ » أما جريج.. فلم يكن يستحسن مقاطعة داريل فيقول له : « إن دادى يريد التحدث مع آرلى، Arlie »، أو : « إذا لم تتوقف عن إصدار هذه الضوضاء.. فالأفضل أن تذهب إلى حجرتك » ، أو « اذهب إلى ماما » .

كما عكفت كارول على الرضاعة الطبيعية لتحقق الارتباط الوثيق بينها وبين بيڤرلى . إن بعضاً من الآباء الذين لديهم اطفال رضع ربما يقومون بهدهدتهم أو التربيت على ظهورهم؛ ليتجشأوا أو يغيرون لهم ملابسهم أو يرضعونهم من الزجاجة . وهناك آباء آخرون يتجنبون أطفالهم الرضع، ويركزون اهتمامهم على أطفالهم الأكبر سناً . أما جريج .. فقد اتخذ اتجاهاً وسطاً بين الفريقين ؛حيث ركز اهتمامه على داريل، فهو القائم عادة على مساعدته فى ارتداء بيچامته، وقضاء حاجته وحمله بلطف إلى سريره .

كما أنه اهتم ببيڤرلى عندما أرادت كارول ذلك منه أيضاً ، ولكنه كان يحملها كما لو كان يحمل كرة القدم . وعندما كانت تبكى أحياناً كان يقذف بها فى الهواء مما يزيد من بكائها ، وقد فسرت كارول هذا بأن بيڤرلى تبكى مع الرجال عدا جدها . علماً بأن الرجلين الوحيدين اللذين يحملانها، هما أباها وجدها .

وفى أحد الأيام، عندما كنت فى زيارتهم.. بكت بيڤرلى، وكانت كارول مشغولة، فحملها جريج، واصطحبها إلى حجرة المعيشة حيث وضعها على المنضدة، وراح يقرأ

فى مجلة عن طب الاسنان ، ولكنها لم تكف عن البكاء، فصاح فى لهجة آمرة : « ماما أقبلى »، فعرضتُ عليه تهدئتها، فأخذتها بين ذراعى، وهززتها فى رفق ألى أعلى وإلى أسفل وإلى الأمام وإلى الخلف، وأنا أسير كما يسمى «بطريقة الجمل» فهدأت وسكتت. وهنا علق جريج قائلاً : « أنا أعرف تلك الطريقة، ولكنى لا ألجأ اليها، فهى تستدعى أن أقف طول الوقت ، وأنا لاأريد أن تعتاد الرضيعة ذلك فى الأوقات التى تدرس فيها كارول أيام الثلاثاء. وهو هنا ـ بلاشعور منه ـ يبدو مقاوماً لأى مجهود إضافى للعناية بطفلته ذات الأشهر الثلاثة، على النحو الذى تحبه .

إن الآباء والأمهات يستطيعون تحقيق الاتصال مع أطفالهم الرضع، من خلال الطريقة التى يتحدثون بها إليهم . فكارول تتحدث إلى بيڤرلى بصوت ينبئ عن سرورها وترحيبها بارتباطها بها، إنها تتحدث إليها «بالصوت الأمومى الحانى» الذى يبعث فى الصغيرة الإحساس بالأمان، وتوجه إليها أسئلة مثل «هل تحبين أن أقطع لك التفاحة؟» « سترتدين سروالك الرمادى اليوم » . وإذا كان جريج قد استخدم هذا الصوت فى البعض الأحيان.. إلا أن كارول تستخدمه طوال الوقت .

وفى أمسية ثلاثاء كانت كارول فى طريقها للتدريس فى مدرسة ليلية ، بينما جلس جريج مع داريل فى حجرة المعيشة، يشاهدان سوياً فى التلفاز برنامجاً عن بعثة نجحت فى الوصول إلى قمة جبل إيڤرست . انشغل داريل فى لعبه، وحاول جريج أن يجذب اهتمامه إلى البرنامج دون جدوى. ثم طلب « داريل » من أبيه أن يشاركه اللعب بأوراق « الكوتشينة » ولكن « جريج » رفض بحجة أنه لايعرف، فاقترح عليه « داريل » أن يقرأ التعليمات، ولكن « جريج » استمر فى رفضه، وطلب منه أن ينتظر عودة أمه فهى تعرف كيفية اللعب .

وكما قالت لى « كارول » فإنه كثيراً ما كان يحدث أثناء فترة عملها لساعات أطول من « جريج » أنها كانت تعود لمنزلها فى المساء لتجد أن « داريل » لم يتناول

أكثر من بعض « الفيشار » فى عشائه . وعندما سألتها إن كان « جريج » يفعل ذلك من قبيل الترفيه عن « داريل » ، أجابت ضاحكة . « لا هذا مجرد كسل منه فى إعداد عشاء لابنه » .

لقد كان جريج مساعداً جيداً فى المنزل، ولكنه لم يتمكن من أن يكون « أباً حقيقياً » فعديد من ردود فعله مع داريل اخذت شكل استثارة خوف الصغير وعدوانيته مع إسباغ نوع من الفكاهة حولها . ومثالاً على ذلك : حدث أن انتهى داريل ذات مرة من تناول بعض الحلوى المغموسة فى اللبن، فمسح جريج له يديه وحمله وهو يقول مازحاً « سأضعك فى غسالة الأطباق لأغسلك فيها .» وهنا تعالت صرخات الصغير انزعاجاً وهو نصف واع أن والده نصف جاد نصف مازح. وحدث مرة أخرى أنه عندما كان جريج يقوم بتصليح صنبور المياه أمسك بالزرادية أمام داريل أن قال له : «إن هذه جيدة فى نزع الرموش» فلما أخذها الصغير وقربها من عين والده ، هنالك قال له جريج « إنها خطيرة » .

وهناك نكات أكثر أماناً يلقيها جريج مازحاً كأن يقول: «إن دادى سيقضم أنف داريل» أو «سألقى بأنفك فى صندوق القمامة.»، وأحياناً يقول لداريل: «أوه. أهكذا ترفس أباك بقدمك سأرفسك أنا الآخر» كل هذه الأمثلة السابقة توضح أن جريج بلا وعى منه يريد أن «يخشن من داريل»، وأن «يحصنه» ضد الخوف، ويجعله يبكى أقل فيكون رجلاً أقرب منه إلى الضباط، لقد تحدثت كارول وجريج عن الفكاهة لديه كما لو أن شيئاً غير عادى، يشوبها بعض الشئ.

إن كارول لم يكن يعجبها مزاح جريج مع داريل وقالت: «إن بعض الناس يعتقدون أن جريج لديه روح مزعجة بالكفاهة.» أما جريج فقد فسر قول كارول منه بأنها: «أحياناً لا تفهم روح الفكاهة لديه ولا حتى داريل .» أما أنا فأرى أن فكاهة جريج كانت مختلفة فى الدرجة فقط عما هو معتاد بين الأسر، التى تخيرتها لهذه

الدراسة؛ فالآباء بوجه عام يميلون أكثر من الأمهات لاستخدام مثل هذه النكات لتخشين أبنائهم.

إن بعض الآباء أقل استعداداً لتلبية احتياجات أطفالهم وتهدئة صراخهم من الأمهات فقد جلس أحد الآباء يعمل فى حجرة مكتبه، وينظر من آن لآخر لطفله ذى التسعة شهور، وقد جلس فى رعاية جليسة الأطفال فى حجرة المعيشة. وعندما سئل إذا ما كانت صرخات طفله تعطله عن العمل، أجاب قائلاً: «لا، ليست هناك مشكلة. بل إنى أريده أن يسقط ليشعر ببعض الألم. أنا بالطبع لا أريده أن يصاب أى إصابة خطيرة ولكنى أيضاً لا أريده أن يعيش حياة آمنة أزيد من اللازم.» وعند نهاية حديثه مع الأب.. توجه هو بنفس السؤال إلى زوجته فأجابت على الفور: «أنا أكره أن أسمع ابنى يصرخ .»

إن إدراك الأب أن زوجته ستلبى احتياجات الطفل الأساسية من الدفء والرعاية يشعره أنه ليس بحاجة لتغيير نفسه. وفى نفس الوقت فإن إدراك الأم أن زوجها أكثر خشونة فى تعامله مع طفلهما، يجعلها لا تشعر بالاطمئنان عند تركها الصغير مع أبيه وهكذا تدور الدائرة. ولكن الأمر فى حالة «جريج» و«كارول» كان يتوارى خلف الاتفاق المبرم بينهما، بشأن بذل مجهود وتكريس وقت متساو فى أعمال الوردية الثانية.

إن الأبوة الحقة تعنى الترابط القوى المتين، الوثيق بين الأب وابنه. ولكن بالنسبة للأطفال الصغار.. نجد أن عملية «التخشين المستمرة» غير مستساغة، ولا تتفق مع الأبوة الحقة، ومع هذا نرى جريج مستمراً فى «فكاهاته» لأنه يدرك أن كارول ستأتى بحنانها وقوة ملاحظتها لتخفف من تأثير تلك الفكاهات».

وللمفارقة أن جريج كان واثقاً فى أبوته أكثر من ثقة كارول فى أمومتها، كما كان يعقد المقارنة بينه وبين والده عند التعرض لموضوع الأبوة، مشيراً إلى أن أباه كان

أقل تعبيراً منه عن مشاعره، على حين كانت كارول تقارن نفسها بجليسة الأطفال التى كانت أكثر صبراً وأمومة منها. إلا أن كلاً من الزوجين تجنب مقارنة نفسه بالآخر.

النتائج العاطفية للبراعة فى التخطيط والتدبير

اتفقت كارول مع جريج على تركها لعملها بعد إنجابها لداريل، مما كان له نتائجه العاطفية المهمة عليها. وقد وصفت كارول حالتها آنذاك قائلة: «بعد ميلاد داريل.. مكثت بالمنزل ستة شهور، واكتشفت أن قدراً كبيراً من تقديرى لذاتى قد انخفض. وشعرت حقاً بالنقص تجاه انتهاء حصولى على مرتبى. وعندما ذهبت إلى السوبرماركت ذات صباح، شعرت أنى أصبحت سمينة (لأنها لم تفقد وزنها بعد الحمل)، وأن هناك رغبة ملحة تتملكنى فى أن أخرج على الناس وأهتف: «أنا لديّ ماجستير فى إدارة الأعمال ، فأنا لا أريد لأحد أن يعاملنى على أنى ربة منزل ضيقة الأفق.»

وكالفلاح المتمدن الذى يعاوده حنين غامض للعودة إلى أرضه.. بدأ يتنازع كارول شعور مختلط من الاحتقار والحسد والشفقة على ربات البيوت، لقد تعلمت ألا تصدر حكماً. ففى البداية كانت تردد فى نفسها عند رؤيتها لامرأة مع طفلها: «ماذا تفعل معه؟» لماذا لا تفعل شيئاً مثمراً لحياتها؟» وتعتقد أنها إلى حد ما كانت تشعر بالغيرة أيضاً. وعندما كانت تذهب إلى المتجر فى منتصف اليوم، وتجد عديدات فى سن الثلاثين يتسوقن.. كانت تتساءل من أين يحصلن على المال وتتعجب من أنه ربما يوجد طريق أسهل للحصول عليه.

ولكن بعد فترة بدأت كارول تشعر بصلة تشابه بينها وبين ربات البيوت:

«لاأدرى إن كان هذا الإحساس مجرد محاولة منى لأرضى عن نفسي، أو أن

هذا إحساساً صادقاً بالفعل ؛ فلقد تغير إدراكى للحياة فى الأعوام الأخيرة، وشعرت بمدى سطحية حياتى السابقة: الحديث عن الصفقات الكبيرة والخروج للغذاء... أما الآن فقد أصبح أهم ما فى حياتى: داريل وبيفرلى وجريج وصديقاتى وبعضهن صديقات عمل.. هؤلاء هم الذين سأحمل محبتهم فى قلبى حتى الرمق الأخير. لدى الآن شخصية مختلفة حيث لا أشعر بضرورة أن تكون لدى وظيفة أو بضرورة عمل جريج.»

إن خطة كارول فى اختصارها لساعات عملها والالتزام بها جاءت بتغيير أعمق، حيث حاولت فى البداية أن تعلى من شأن تقديرها، ثم بدأت تشك فى الأساس الذى يبنى عليه هذا التقدير. أما جريج فلم يتغير كثيراً، وكذلك لم تتغير نظرته للحياة.

ما يكمن خلف تخطيط مفهوم النوع

إن كارول تفضل لو أن جريج خفف من غلواء مزاحه بالكماشة مع داريل، وأبوة «التخشين» التى يتبعها معه، كما أنها كانت تتمنى لو أنه كان يقدم لداريل شيئاً آخر غير «الفيشار» للعشاء . باختصار كانت كارول تريد من جريج أن يتعامل مع أطفاله «كأب حقيقي» ولكنها لم تضغط عليه ليغير من أسلوبه، فهى تشعر بالامتنان نحوه من ناحية أخرى لاستيقاظه مع داريل أيام السبت، وقيامه بالمشاركة العادلة معها فى الوردية الثانية.

ومع هذا نرى أن جريج وكارول يمثلان نموذجاً «للتناقض الذاتي» الذى نجد الشق الأول منه فى إيمان كليهما بمبدأ المشاركة فى كل مهام المنزل والعناية بالأطفال، والشق الثانى فى حقيقة أن كارول هى محور الارتكاز لإدارة البيت والعناية بالأطفال. والسؤال الآن لماذا الاعتقاد فى المشاركة، على حين أنى وجدت أن 40٪ من النساء وثلاثة أرباع الرجال الذين تناولتهم فى دراستى لم يعتقدوا فى وجود مشاركة حقيقية

فى مسئولية العمل بالوردية الثانية مثل الديلاكورتز والتاناجاوار؟

وهنا نجد خلفية كامنة فى حياة كارول تتمثل فى تجربة مهمة ربما تكون السبب فى إشعال رغبتها القوية فى أن تكون امرأة ناجحة مستقلة، لها أفكارها الخاصة التى كانت سائدة فى أواخر الثمانينيات فى دائرة الطبقة المتوسطة والمرتفعة. إن كارول تتذكر أمها - التى عاشت وحيدة لمدة ستة شهور فى فترة من الفترات لترعاها هى وشقيقتها - كمثال للأنوثة التى يجب تجنبها. إنها تذكر أمها، وهى ترتدى ثوب النوم طوال اليوم ، وتتنهد من آن لآخر، وتعتقد أختها أن والدتها كانت لها نزعات انتحارية، ولكنها لا تتذكر ذلك تماماً، غير أنه حدث ذات مرة أن حاولت ترك المنزل، وفتحت الباب بالفعل وخرجت أمام كارول وشقيقتها، وذلك لارتكابهما خطأ ما كما تذكر قولها لأختها: «لا تنزعجى يا أختاه فأنا أعرف كيف أصنع الحساء».

وفى بداية العشرينيات من عمرها.. لم تفكر «كارول» كثيراً فى الزواج والأطفال، وكسب جريج قلبها لرفضه الشجاع لعمل مغر فى مدينة أخرى من أجل أن يظل بجوارها. (إن عديدات من الزوجات السعيدات وصفن «التضحية بالوظيفة» من قبل الأزواج كلفتة أقنعت كلاً منهن أن زوجها هو الزوج المناسب)، وقالت كارول: «لقد كنت دائماً أصمم على رأيى؛ لذلك أردت الارتباط برجل لا يتخلى عنى» ويعتبر جزءاً من مفهومها هذا عن التخلى عنها هو مشاركة جريج المستمرة فى المنزل.

ومن ناحيته.. أراد جريج أن تعمل كارول، وأن يساهم فى الوردية الثانية. وفسرت كارول هذا أن مرجعه إلى أن والدة جريج كانت تعمل طوال الوقت، منذ كان عمر جريج خمس سنوات، وهنا تعلق كارول: «إننى أزجى تحيتى لميج، Meg، والدة جريج؛ لضربها المثل عن كيف تكون المرأة المستقلة. أما والد جريج فقد تقاعد من الجيش، واشتغل بتدريس الرياضيات فى مدرسة متوسطة. وكان يتواجد فى المنزل عند عودة جريج من مدرسته، ويقوم بأعمال المناوبة الثانية لحين عودة والدته. ومن هذا نجد

أن شخصية جريج ربما تكون قد تأثرت بشخصية والده.

والشق الآخر من «التناقض الذاتى» ، هو أنه بالرغم من اعتقاد جريج وكارول العصرى بأهمية المشاركة فى العمل داخل المنزل.. إلا أن كليهما نفذاه بطريقة تقليدية»؛ فإذا نظرنا إلى نماذج تقليدية لرجال مثل بيتر تاناجاوا.. نجد أنهم عندما يسمحون لأنفسهم برعاية أطفالهم.. فإنهم يعاملون أطفالهم «بأمومة» أكثر من جريج ، وهنا يقفز سؤال: «لماذا؟» فيجيب جريج قائلاً:

«إن والدى لم يلمسنى كثيرا، ربما كان خائفاً. بالإضافة إلى أنه كان هادئاً مثلى، ولا يجيد فن التعبير عن نفسه، كما لم أعتد أن أحتضنه. وعندما كنت صغيراً اعتاد أبى أن يلعب معى لعبة المصارعة كثيراً، ولكنه توقف عن ذلك عندما بدأت أضربه وأنا فى سن الرابعة عشر، ومنذ ذلك الحين لم نتلامس إلى أن كان فى زيارتى منذ ستة أشهر، واحتضنته بالمصادفة وسررت لذلك، وعلق أبى على هذا قائلاً بأنى «لم أحتضنه منذ سنوات».

ومن هنا.. يمكن أن نفسر الطريقة الخرقاء التى يمسك بها جريج بابنته وهزاره العدوانى مع ابنه بأن هذا انعكاساً لخوفه من أن يكون قريباً منهما، والفكاهة اللفظية تماثل وتشاكل مباريات الملاكمة القديمة مع أبيه، ولكن الزمن غيِّر منها.

إن جريج ربما يطبع عدة قبلات على وجنتى داريل كل مساء. ويهزه خلال مصارعته له، وهذا لشعوره بأنه بدنياً محب لابنه أكثر من حب والده له.

وبالقياس إلى مايكل شيرمان، Michael Sherman، وأرت وينفيلد، Art Winfield، (اللذين سيرد ذكرهما فى الفصل الثانى عشر)، نجد أن أبوة جريج كانت أقل مثالية منهما. كذلك لم تسهم كارول بحماس فى هذا الشأن مثلما فعلت أدريان شيرمان، Adrienne Sherman، من جعل زوجها أكثر مثالية. ويكمن جزء من السبب

فى اكتشاف كارول استمتاعها بأمومتها. فهى قد أجلت تماماً فكرة إنجاب أطفال حتى بلغت الثلاثينيات، وبعد مولد طفلها بشهور قليلة عهدت به إلى جليسة أطفال، لتعنى به عشر ساعات فى اليوم (وحتى الآن نجدها تحث والدة جريج لأن تأتى، وتعيش بالقرب منهم فى كريك الصغيرة «لتربية الصغار»). وعلى خلاف بعض النساء.. نجد أن كارول فى البداية لم تتشبث بفكرة أن تكون المستأثرة بعناية وحب أبنائها، وأن تكون هى الفلك الذى يدورون حوله حتى مولد طفلها الثانى؛ حيث أصبحت أمومتها الآن تشكل أهمية أكبر بالنسبة لها، وأصبحت تلوح فى شخصيتها أكثر من وضوح أبوة جريج، وربما يرجع ذلك إلى أنها وجدت فى تلك الأمومة الإشباع العاطفى - الذى افتقدته فى أمها - لذاتها قبل أن يكون لأطفالها.

إن الأهمية العظمى لأمومة كارول ربما توضح نظرية نانسى كودرو، Nancy Chodorow، التى أوردتها فى كتابها «إعادة إنتاج الأمومة»، Reproduction of[1] Mothering، حيث تبين أن النساء لديهن رغبة أعظم لأن يصبحن أمهات من رغبة الرجال فى أن يصبحوا آباء وهذا مرجعه إلى أن الأمهات تقوم بتربية معظم البنات والأولاد . وهذا الأمر ليس حتمياً - من وجهة النظر الاجتماعية - فالكاتبة تعتقد أنه بعد ميلاد الطفل.. يمكن للأب أن يرعاه مثله فى ذلك مثل الأم تماماً. ولكن طالما أن النساء هن اللائى عادة يرعين الطفل، فسيخلقن لدى أبنائهن وبناتهن مفاهيم مختلفة للنوع، التى بدورها تحدد دوافعهم وقدراتهم. وهم فى بادئ الأمر يندمجون مع أمهاتهم، ولكن عندما تكبر البنات يسعين إلى إعادة هذا الاندماج المبكر، فى أن يصبحن هن أنفسهن أمهات. أما الأولاد فإنهم عندما يكبرون، يسعون أيضاً إلى تكرار هذا الاندماج بإيجاد الزوجة التى «تشبه الأم». وطبقاً لكودورو فإن الأولاد والبنات مختلفون فى مظهر آخر، وهو أن البنات أكثر تعبيراً عن أنفسهن بأسلوب توكيدى عن الأولاد، كما أنهن أكثر منهم استشفافاً لما يشعر به الآخرون. إلا أنهن أقل منهم إدراكاً للحواجز التى يجب أن يقفن عند حدودها فى علاقاتهن بالآخرين.

إن نظرية كودورو تتعلق بالأصول الأسرية لدوافع الرجال والنساء؛ لأن يصبحوا آباء وأمهات؛ فدوافع الأمومة عند «كارول» عند بلوغها منتصف الثلاثينيات، كانت أقوى بكثير من دوافع الأبوة عن «جريج».

وتقول نظرية كودورو بأن النساء يتشابهن مع بعضهن البعض إلى حد كبير. ومع ذلك فإن النظرية لا تفسر سبب أن امرأة مثلاً كأدريان شييمان لم تشعر بحاجتها إلى أن تكون أماً، بينما أن امرأة ككارمن ديلاكورت كانت لديها رغبة قوية فى أن تكون أماً، على حين أن كارول أليستون لم تشعر بهذا الدافع سوى فى منتصف الثلاثينيات من عمرها، كما أنها لم ترد من زوجها المشاركة فى عمل البيت. على حين أن نانسى هولت كانت متحمسة لفكرة أن يشاركها زوجها فى المناوبة الثانية، وهى بالقطع لم ترد أن «تحمي» زوجها من أعباء تلك المناوبة كما فعلت آن مايرسون، أو أن تستأثر وحدها بالسلطة تماماً كما فعلت كارمن ديلاكورت. ومن هنا.. يتضح تباين الدوافع لدى النساء طبقاً لبعض المبادئ الإضافية.

كما أن معظم الرجال فى نظرية كودورو متشابهون بصورة كبيرة. ولكننا لانفهم لماذا؟ فبينما نجد إيفان هولت وسيث ستاين بعيدين عن اهتمامات الأبوة.. نجد أن أرت وينفيلد ومايكل شيرمان قد تشبعا بعاطفة الأمومة بصورة قوية. فمن الواضح أن تلك العاطفة تتأثر بعوامل أخرى مثل نوع العلاقات المبكرة بين الفرد وبين أبيه وأمه، وكذلك مفهومه الثقافى الأشمل عن الرجولة والأنوثة. إن مفهوم النوع أضاف إلى نظرية كودورو بعداً تفسيرياً عن الاختلافات الملحوظة التى نجدها بين الرجال وبعضهم البعض، وبين النساء وبعضهن البعض.

فلكى نفهم سبب اختلاف مفهوم الأبوة والأمومة لدى جريج وكارول عنه عند الآخرين.. فلابد أن نفسره فى إطار الدوافع الأخرى، مثل رغبة كارول فى أن تكون مختلفة عن أمها كما أن والتنصل من صورتها جعلها ترتبط أكثر بجريج . إن أم كارول

كانت أهم شخص بالنسبة لها. وهى مع انتقادها لها وعدم حبها لها تتحدث عنها كثيراً وبمشاعر أكثر من حديثها عن والدها. وهى بذلك تتفق بالفعل مع نظرية كودورو. ونظراً لأن علاقتها بأمها كانت مثار مشاكل بينهما.. فإنها كرست جهداً كبيراً فى مرحلة النضج لكى تتجنب أن تكون أماً. والآن وهى تخوض تجربة الأمومة، لم يكن سهلاً عليها تماماً أن تتجنب تشابهاً ما مع أمها، وكان هذا مبعث خوف لديها. ولكن كل مساندة من جريج ساعدتها أن تحقق ما تريد، وهذا يفسر لنا لماذا أرادت جريج بجانبها فى المنزل، وقد وجدت شرعية هذه الرغبة فى مذهبها المساواتي.

إن كارول أراحت جريج من القلق تجاه مسئوليته المادية، حيث إنها شاركت عن طيب خاطر بمرتبها فى تلك الناحية، كما أنها لم تعبأ كثيراً بالمطالب المادية. وبثنائها وإطرائها بامتنان على ما يقوم به داخل المنزل شجعته أكثر لكى يقدم المزيد. وبوعى منها أم لا.. اتبعت كارول خطة بارعة فى اجتذاب جريج إلى مساعدتها فى أن تكون أماً مختلفة عن أمها.

ولكى نفهم شخصية جريج وشخصية كارول فإننا بحاجة إلى شئ آخر مفتقد فى نظرية كودورو ، وهو الثقافة: فأم كارول لم تضرب المثل الجيد فى الأمومة، ولكن كارول حتى وهى فى سن الطفولة المبكرة كانت لديها فكرة بسيطة عما تصنعه الأمهات «فى العادة» فقد كان هناك مفهوم ثقافى عن الأمومة خارج منزلها، وقد شبت فى إطار هذه «الثقافة» . أما بالنسبة لجريج.. فقد كان والده أباً حقيقياً له لبعض فترات حياته ـ وهذا يعد استثناءً لقاعدة «كودورو» ـ ولكنه من هذا النوع من الآباء، الذى لا يستطيع احتضان ابنه إلا أثناء مباراة ملاكمة أو مصارعة بينهما. وإذا ما تمعنَّا فى شخصية والد جريج ، نجد أن صياغة شخصية الأب لديه لها علاقة وثيقة بمفهوم الرجولة الذى نشأ عليه.

وبالرغم من أن التحولات الثقافية وفرص العمل فى الثمانينيات نأت بحياة

كارول وجريج ، من أن يكون جريج كأب هو المسيطر والمستأثر بالسلطة.. إلا أن هذا النظام القديم الراسخ قد أثر عليهما كما كان له تأثيره على الآخرين. ونظراً لأن أحوال المرأة كانت أسوأ من أحوال الرجال عموماً.. فإن كارول شعرت بامتنان نحو جريج أكثر من شعوره هو بالامتنان نحوها، رغم أن حبه لها لا يقل أبداً عن حبها له. وبالرغم من أن كارول ظلت لسنوات عديدة تحصل على مرتب أعلى من جريج، وتقوم بمعظم مهام الوردية الثانية، إلا أن جريج لم يتحدث بتلقائية عن شعوره بالامتنان لكارول .

إن من دواعي امتنان «كارول» لجريج وتقديرها له أنها تتذكر دائماً أصدقاءها قبل الزواج، الذين طالما تعهدت بتلبية احتياجاتهم؛ فكانت تقوم بطهى طعامهم وغسل ملابسهم. فبالمقارنة بهؤلاء يعتبر «جريج» رائعاً حقاً. ولكن «جريج» لم تكن لديه نفس الظروف، فهو لم يتول أبداً غسل ملابس صديقاته، لذلك لم يشعر بفضل «كارول» لهذه الدرجة. كما أن كارول ترثى لحال الأمهات، اللاتى يعشن بمفردهن مع أبنائهن، وتتعجب من كيفية إدارتهن لحياتهن، إذ إنها تعتبر أن أسوأ شئ يمكن أن يحدث لامرأة هو أن تعيش بلا رجل، وهذا يوازى الإصابة بالسرطان؛ لذلك.. فهى تشعر بالامتنان لجريج لأنه لن يتركها أبداً. أما هو.. فلم يكن يشعر بهذا التهديد بأنها من الممكن أن تهجره؛ إذ لم يتخيل أبداً نفسه فى وضع الأب الذى بلا زوجة. إن درجة التزام الرجل بمسئولية أطفاله تقل بكثير عن درجة احتياج المرأة لذلك. فعلى ضوء هذه الحقيقة السائدة فى المجتمع ككل.. ساعد مفهوم الأبوة على ترجيح كفة «جريج» فى الأسرة، فقد زاد من إحساس «كارول» بالامتنان لجريج وزاد عرفانها بفضله. ومن ناحية أخرى فإن هذا العرفان منعها من مطالبة «جريج» بالمزيد، لأنه كان بالفعل يقدم لها كثيراً (بالمقارنة بغيره) .

كانت لكارول «قائمة من الرغبات والأماني» تأتى فيها الأبوة المثالية فى المرتبة الرابعة أو الخامسة بعد رغبتها فى أن يتمتع جريج بالصحة والولاء لها وصفاء باله من

الكدر، وقدرته على إعاشة الأسرة. كانت لجريج أيضاً قائمة من الرغبات تحوى عديداً من نفس الأمنيات، إلا أن شعور كارول الزائد بالامتنان تجاه جريج لم يجعلها تنطلق فى التمادى فى ما تصبو إليه مثلما فعل جريج لما يرغبه. إن «جريج» كان بالفعل زوجاً غير عادى، ولندرة هذا النوع من الأزواج.. فإن «كارول» لديها كل الحق فى أن تشعر بالعرفان. فلم تكن لديها فرص أفضل. ورغم شعور الزوجين بأنهما متساويان، فالعبء الحقيقى لأعمال الوردية الثانية يقع أساساً على أكتاف «كارول». والعوامل التى حددت «نصيبه» و«نصيبها» من هذه المشاركة كانت نابعة من خارج إطار زواجهما المستقر السعيد، فهى تنبع من الاتجاه العام السائد فى المجتمع للتمييز بين الجنسين.

الفصل الحادى عشر

لا يوجد وقت يقضيانه سويا : باربارا وچون ليڤينجستون

11

الفصل الحادى عشر

لا يوجد وقت يقضيانه سوياً : باربارا وچون ليڤينجستون

وأخيراً فتحت لى كونسيولا، Consuela، جليسة الأطفال الباب ودلفت بى إلى الطابق الثانى بمنزل عائلة ليڤينجستون، الذى يأخذ الطابع الفيكتورى فى البنا وأجلستنى فى حجرة الأسرة المكتظة بالمقاعد والصور الفوتوغرافية العائلية. كما كان ثمة ببغاء فى قفص كبير ومجموعة كبيرة من اللعب موضوعة على دثار فى منتصف الحجرة تخص كارى، Cary.

كان ثمة جهاز للفيديو يعرض شريطاً بعنوان مارى پوپينز، Mary Poppins، التى تعمل مربية لدى أسرة ثرية، وبعد قليل شاهدت مارى پوپينز وقد حضرت، ثم قالت إن العشاء معد للسيد بانك ، Bank، وزوجته وأطفاله، وهم ينتمون إلى الطبقة العليا فى المجتمع. وبينما جلست ألعب مع كارى بلعبها.. عادت باربارا ليڤينجستون من عملها فاندفعت كارى نحوها مسرورة، وجلستا تتحدثان سوياً، ثم جاء چون ليسأل باربارا عما تريد أن يحضره للعشاء بعد توصيله لكونسيولا إلى منزلها.

وعلى عكس مارى پوپينز المنطلقة والطموحة.. تجد شخصية كونسيولا، وهى تبلغ الثانية والعشرين من عمرها، ولديها طفل فى السابعة تركته فى رعاية والدتها

بالسلفادور، بينما تعيش هى وزوجها العامل بأحد المطاعم فى شقة مشتركة مع أفراد آخرين. ونظراً لأنها لا تحمل أى وثائق رسمية فهى تخشى من سلطات الهجرة لدرجة أنها «لم تطصحب كارى إلى الحديقة العامة قط خوفاً من أن يقبضوا عليها». وعلى نقيض شخصية السيدة بانك التى تطالعنا بشاشة الفيديو.. تجد باربارا عائدة لتوها بعد عمل عشر ساعات بمكتبها، وعلى عكس السيد بانك أيضاً .. نجد چون يذهب لإحضار عشاء جاهز للأسرة؛ فحياة كونسيولا تختلف عن حياة أسرة ليڤينجستون فى المجتمع الأمريكى الآن، كما اختلفت حياة «مارى پوپينز» عن حياة أسرة البانكس فى إنجلترا منذ مائة عام. إن قدوم كونسيولا من العالم الثالث وعيشها فى الولايات المتحدة الأمريكية جعل حياتها أكثر اختلافاً من حياة الليڤينجستونز. أما بقية الفروق الطبقية فهى لا تزال موجودة إلا أنه يتضح اختلاف العلاقة بين الرجل والمرأة فى حياة كل من كونسيولا وباربارا، ولكنى سأتعرض هنا للأخيرة.

عندما قدمت إلى منزل أسرة ليڤينجستون.. لاحظت وجود تعريشات نصف فارغة جاهزة لتدعيم نبات البوغنفيلى الممتد الهش، ذى الأوراق القرمزية الزاهية. كما كان هناك شباك مكسور وطلاء حائط متساقط من بعض الأماكن، وقد علقت باربارا على هذا بأنه لا يوجد لديهم وقت للعناية بالمنزل. وقد تبينت فيما بعد أن البيت يشبه زواجهما فهو يأتى دائماً فى آخر قائمة الأولويات. وفى الوقت الحالى.. كانت باربارا وزوجها يتفاوضان مع أحد العمال لتجديد أرضية المطبخ، كما لاحظت وجود ركام من الكتب وأكوام الأقمشة والكتب على منضدة الطعام ، على حين أن حجرة كارى هى الوحيدة التى تبدو منظمة. وقد قام چون وباربارا بطلائها بنفسيهما باللون الأخضر وزينا حواشيها بقلوب مطلية بالأحمر والأصفر والأزرق، وأعطيا السقف اللون البرتقالى، كما حرصا على أن ألوان أغطية سرير كارى متناسقة مع لون جدران الحجرة. أما حجرة نومهما وحجرة المعيشة فقد أرجئت العناية بهما مثل أشياء أخرى كثيرة تقف فى قائمة الانتظار، لتصل إليها يد العناية وذلك لانشغال الزوجين المفرط

بعملهما، وتكدس يوم السبت بعديد من المطالب؛ فأى شئ يمكن تأجيله إلا كارى ومايخصها.

إن باربارا سيدة فى الرابعة والثلاثين من عمرها، ذات عينين عسليتين ناعستين، وشعر قصير داكن، تدير محلاً للتجميل فى مدينة دالى. وقد لفت نظرى العدد الكبير للمكالمات التليفونية التى تلقتها فى هذا اليوم؛ مما يبين أنها كثيرة الأصدقاء. أما زوجها چون فهو فى السابعة والثلاثين من عمره طويل ونحيف، تنم عيناه عن روحه المرحة الهادئة، التى مكنته من اجتياز الأوقات الصعبة فى العمل والمنزل. وهو يعمل بقسم الفواتير فى شركة، تتاجر فى المصنوعات البلاستيكية بالجملة.

وقد بدأ حديثهما معى بشرح كل منهما للأوقات العصيبة فى طفولته، حيث قالت باربارا إنها نشأت وسط قطيع من الفتيات فى أسرة، تنتمى إلى الطبقة العاملة بين أب سكير وأم قوية حازمة، توفيت عندما كان عمر باربارا خمسة عشر عاماً. أما چون.. فقد كان والده صموتاً، يحب العزلة ويلوذ بإحدى الحجرات الخاوية عند قدوم أى زائر. وكانت والدته تعمل جرسونة بالإضافة إلى بيع الآيس كريم، فى عطلة نهاية الأسبوع. إن كل مايتذكره عن معاملة والديه أنهما كان ينتقدانه مما جعله شخصاً هادئاً. وإذا ما كان الزواج فرصة لتضميد الجراح واستعادة التوازن العاطفى لكلا الزوجين فإن هذا التضميد كان حيويا للزواج نفسه – فى حالة اسرة ليفنجستون – الذى استمر لتسع سنوات . وبالمقارنة لنينا تاناجاوا.. فإن باربارا كانت مثلها أماً خارقة، اما چون فقد كان هو الآخر أباً خارقاً، ولكن بدرجة أقل. والذى جعل باربارا أماً خارقة ليس فقط ساعات عملها الطويلة التى تمتد لعشر ساعات أيام السبت، بالإضافة إلى انشغالها غير العادى الأربع شهور الأخيرة فى العام ، ولكن أيضاً مكوثها نحو أربع ساعات يومياً بعد العمل فى المنزل، تصب فيها اهتمامها بقوة على ابنتها الوحيدة كارى .

لقد شجعت كارى على أن تروح فى إغفاءة لمدة ساعتين ونصف بعد الظهر؛ لكى

يكون بمقدورها الاستيقاظ حتى التاسعة والنصف أو العاشرة (وفق كلام باربارا) أو العاشرة والحادية عشرة (وفق چون)، ليمكنها أن تلعب مع أبويها فى المساء . وكما قال چون : « *إن كارى لاتنام أيام العطلات وفى أيام الأسبوع تستيقظ فى الغالب* مرتين أو ثلاثة فى الليلة الواحدة. وعادة ماتكون باربارا التى تعيدها إلى فراشها ، ولاتستطيع أن تنام نوماً متواصلاً بسبب ذلك، رغم إنها علقت على هذا الموضوع قائلة: « إننى لست من هؤلاء *الناس الذين* يشعرون بأنهم على مايرام، حين يكتفون بخمس ساعات فقط من النوم فى الليلة الواحدة .»

وعلى العكس من الأمهات الخارقات الأخريات.. قسمت باربارا عمل المنزل والعناية بكارى مناصفة مع چون ، وهى لم تكافح للوصول *لهذا الهدف*؛ فچون يشارك دائماً بنفس أسلوب مشاركة « جريج ألستون » – فهو يشارك فى الوقت، وليس فى المسئولية ؛ فمع أنه كانت لديها مدبرة منزل تساعدها ببعض أعمال النظافة.. إلا أن باربارا كانت هى المنظمة والأم الحقيقية لكارى . ويعلق چون على هذا قائلاً : « فى أيام العطلات تتولى باربارا أساساً العناية بكارى، وكم أتمنى أن تدع هذا الأمر لى.. إلا أنها كانت تأبى .» وقد حدث ذات مساء أنه بينما كان چون يحرك مقعده بالقرب من منضدة طعام كارى ، كانت هى فى ذات اللحظة تنزلق من عليها ، ويدهس كرسى چون اصبعها فتنفجر باكية بشدة ، ويأخذها چون على حجره، يخفف من ألمها فى حديث رقيق يسترضيها ويصالحها، ولكن باربارا حملت كارى وحاولت تهدئتها بنفس الطريقة فتركها لها « چون » .

ومثل عديد من الأزواج.. خفَّض كل من باربارا وچون من عمل المنزل، فكما قال لى « چون » : «بالنسبة للطعام ، حاولنا خفض ساعات الطهى ، ففى أحيان كثيرة نشترى طعاماً جاهزاً أو نأكل بالخارج أولا نأكل بالمرة.» كما خفضا وقت التسوق لشراء ملابس ، فعدا ملابس كارى لايتسوقان. وامتد هذا التخفيض أيضاً إلى كتابة

الخطابات، بعد أن اكتشفا فى إحدى السنوات فى شهر يونيو أنهما لم يرسلا بطاقات تهنئة عيد الميلاد السابق. إن خطة الاختصار او التخفيض تلك تعد تكميلية لكونهم أماً خارقة وأباً خارقاً.

لقد قال لى چون: « إن عمل باربارا لايقل أهمية عن عملى.»، وقد اتفقت هى معه فى ذلك . وكما هو الحال مع أسرة «ألستون» فلم يكن لدى أى من الزوجين أى وقت فراغ ، ولكن مسئولية البيت كانت أساساً من نصيب باربارا . فهى التى تقرر ماالذى يجب عمله، وتطلب من « چون » القيام ببعض المهام ، وهو عادة يفعل ذلك بكل تفهم . وبالرغم من قيام «چون» بالمساعدة وإبداء الاهتمام بكارى والمهارة فى رعايتها بشكل لايقل عن « باربارا » .. إلا أن « باربارا » كانت تريد أن تكون هى المسئولة بالفعل عن طفلتهما . فهى ، وليس « چون » التى حصلت على إجازة لرعاية الطفل ، وكان هذا هو النظام السائد فى حياتهما والذى تقبلاه سوياً .

وقد شعر كلاهما أن المشكلة ليست فى تقسيم العمل بينهما، بقدر ماهى استنزاف عمل المنزل وكارى وعملهما لطاقتيهما ولحياتهما الزوجية. وتعلق باربارا بتنهيدة قائلة : « لا أتذكر آخر مرة خرجنا فيها معاً بمفردنا .»

وفى الحقيقة .. ظلت باربارا حوالى ساعتين تحدثنى عن والدها وهى مسترخية، وكيف أنه تزوج مرة أخرى بأمرأة رائعة يعيش معها فى منزل متحرك على عربة مقطورة ويقضى وقته فى مشاهدة التليفزيون أو الإفراط فى الشراب. ثم انتقلت إلى وصف برنامج حياتها وأحداث العمل ، وتربيتها لكارى إلى أن وصلت إلى الأزمة التى تواجه زوجها، وقالت انها هى وچون « يبحثان عن مستشار ... » ثم فجأة انفجرت فى البكاء قائلة : إنهما يشعران أن حياتهما الزوجية ليست على مايرام .

بدأ مع ميلاد الطفل

هناك طرق معينة أستطيع بها أن أستشف فى لقائى بكلا الزوجين مدى اهتمامهما ببعضهما البعض ، من خلال ضحكهما سوياً أو ايماءاتهما أو خروج تنهيدة تلقائية. (وقد حدث فى هذا المساء أن ضحكا سوياً عندما قام « چون » بطهى طعام الكلب فى فرن الميكروويف). وعندما أتحدث إلى أحد الطرفين ، أجده يتكلم بتلقائية واستفاضة عن الطرف الآخر ، وهذا لأننى أوجه سؤالاً بشأن شعور الطرف الآخر نحو العمل أو الأطفال ، فإن الرد سيعكس بالطبع العلاقة بين الطرفين . وعادة ماتعكس الإجابات عن الأسئلة الخاصة بالأعمال المنزلية مثل : من يقوم بغسيل الأطباق وترتيب الأسرّة.. إنهما يتشاركان فى هذا. وهذا ينطبق على حالة « باربارا » و« چون » . فبالرغم من المشاكل التى يواجهانها، فهما يتبادلان مشاعر الحب القوية .

وعندما سألتهما إن كانا يريدان مناقشة مشكلة زواجهما ، كان ردهما بالإيجاب فقد يساعدهما ذلك على الحل . ما المشكلة إذن ؟ إنها لم تكن مشكلة طفلتهما، فقد كانا فى غاية السعادة بتلك الطفلة الشقية الذكية، وتمنيا لو أنهما أنجبا طفلاً أو طفلة أخرى مثلها . إن المشكلة الحقيقية تكمن فى أنهما – لأسباب مختلفة – كانا غير سعيدين فى عملهماالحالى ، ولكنه فى جميع الأحوال لم يأت بالنسبة لهما فى المقام الأول . إلا أنهما لم يتشاجرا قط بسبب المال، أو أن أحدهما يصرف ببذخ (فباربارا ربما تتصل بچون من أحد المتاجر، وتسأله إذا ماكان باستطاعتها شراء بلوزة أعجبتها فيجيبها چون : « بكل تأكيد » لماذا تسألييننى؛ ؟). إن عديداً من الأسباب العادية لحدوث المشكلة لم تكن تشغل بال عائلة الليڤينجستونز.

إن المشكلة لحد ما ترجع إلى أنهما لايجدان الوقت الكافى الذى يكونان فيه معاً. فطبيعة قلبيهما اللذين ينبضان بالرقة ، واتسامهم بالكرم جعلهما يستضيفان عشرات من الأهل والأصدقاء المحتاجين . فقد استضافا والد باربارا معهما لمدة ستة

شهور، عندما كانت حاملاً فى كارى . وبعد ذلك بفترة قصيرة استضافا ابنة عم باربارا المتخلفة عقلياً لتعيش معها، وكقاعدة منتظمة يسيران عليها ، يدعوان أصدقاءهما مرتين أو ثلاث أسبوعياً إلى العشاء .

وبالإضافة إلى كرم ضيافتهما المستمر فهما يغمران كارى باهتمام حنون ، وهذا كله بالطبع يمنعهما من الحديث مع بعضهما البعض . وكما علقت باربارا : « لقد انتابتنا عادة سيئة فى وقت من الأوقات، وهى أن من يقوم منا على مساعدة كارى فى أن تخلد للنوم، لايلبث أن يروح هو الآخر فى سبات عميق، ولاتفلح محاولة الطرف الآخر لإيقاظه. ونحن نحاول الآن أن نجعل كارى تنام مبكراً ليتسنى لنا المكوث سوياً، ولكنها عملية بطيئة تثير الخوف، لأننا ابتعدنا كثيراً عن بعضنا البعض .»

بل إنهما أدركا الوقت المناسب الذى يستوجب تجنب أحدهما للآخر، خشية أن يتشاجرا « فهما حتى الآن لايعرفان كيف يديران دفة الحديث سوياً » . وكما قالت باربارا : « ربما أوجه انتقاداً لچون فلا يسعه سوى الانسحاب من أمامى ، وأحياناً مانخشى ألا نجد مانقوله.. لقد شعرت أنه يخفى عنى بعض الأمور ، ولكنه فى الواقع لم يكن يفعل ذلك . وقد أدى شعورى بالألم إلى أننى فقدت الالتصاق بكل ما من شأنه أن يبعث السعادة فى نفسى . وكل ما أدركه الآن هو ان هناك شيئاً ما خطأ .»

وقد سألت « چون » : « إلى أى حد تشعر أن مشكلة التواصل والقرب من «باربارا» لها علاقة بعملكما أنتما الاثنين وبمسئولية الاسرة ؟ » فأجاب :

« ربما أن المشكلة تنبع من هذا بالفعل. إن المشكلة بدأت مع ميلاد كارى ، فالجانب الجنسى قد تلاشى كثيراً فى علاقتنا بعد قدومها ، ومعظمه من جانبى حيث أصبح صفراً لوقت طويل . ربما كنت غيوراً من كارى ، لأنى ظللت محور اهتمام باربارا طوال ست سنوات من زواجنا قبل مولدها ، وربما لأننى أعتمدت

على باربارا كثيراً. وعند قدوم كارى كان عليها توزيع اهتماماتها بيننا ، ومن هنا بدأت المشكلة .»

وعندما أصبح عمر كارى أربعة شهور عادت باربارا إلى عملها طوال الوقت وتولت مديرة المنزل أمر العناية بشئون البيت من 8:15 صباحاص حتى 6:00 مساءً. وهنا يمكث چون وقتا مع كارى، ولكن ليس تحت ظروف مريحة يحبها. كما أن الضغوط على باربارا بدأت تزداد حدتها كما وصف چون :

« كانت باربارا تعمل ساعات طوال لعدة شهور، كان علىَّ خلالها عقب عودتى للمنزل أن أقضى معظم المساء مع كارى ولم أبالِ بذلك ، ولكنى استأت من عدم وجود باربارا، لأنى كنت أريد أن أخلو لنفسى ولو لدقائق (دون الاضطرار لرعاية الصغيرة). كما أردت أن تمكث باربارا معى وقتاً أطول ، ثم شعرت بنفسى انسحب رويداً رويداً ، ولم أرد أن أشكو حتى لا اجعلها تشعر بالذنب لعملها ساعات طوال. وأحيانا عندما أغضب ألوذ بالصمت مما يثير جنونها ويتسبب فى مقاطعة بعضنا البعض .

إن المشكلة تمخضت عن ظهور المثلث النفسى إثر مولد كارى ؛ فقد ظل چون لسنوات يجد فى علاقته بباربارا الصورة التى افتقدها بين أبيه وأمه ، وعندما ولدت كارى، ركزت باربارا مشاعرها عليها ، بينما ركز چون اهتمامه على باربارا ، فكانت النتيجة شعوره بالعزلة والغضب .

وفى نفس الوقت طبقاً للمذهب المساواتى .. شعر چون أن هذه ليست « مشاعر صائبة » وأراد أن تكون له مشاعر أبوية يبثها كارى، كما لباربارا مشاعر أمومية تجاهها.. إلا أنه لم يستطع. فربما باربارا دون وعى منها حالت دون ذلك، وربما هو لم يدرك ماهية المشاعر الأبوية . إن ظاهر أفكاره عن النوع يحدثه قائلاً : « إننا نولى

مشاعرنا الأبوية بصورة متساوية لكارى .»، ولكن هذا ليس صحيحاً فى واقع الأمر . فإيمان چون بأن عمل زوجته له أهميته فى حياتها مثلما يعنى عمله بالنسبة له أثار لديه الشعور بالذنب، لدرجة جعلته يحجم عن أن يفضى إليها بشكواه عن غيابها لساعات طويلة عن المنزل. فمشاعره تحدثه بشىء والقواعد الشعورية المنبثقة عن أفكاره المساواتية تحدثه بشىء آخر. ومن ثم فى مواجهة هذا الصراع.. قام بالانسحاب.

وكما قال لى :

فى أول عام بعد مولد كارى كنت أعمل ساعات طويلة قد تصل إلى ستين أو سبعين ساعة فى الأسبوع. وكنت أشعر بنظرات عدم الرضا فى عيون رؤسائى، لو أننى تركت المكتب قبل السابعة مساءً. وكنت مشغولاً فى هذا الوقت بعمل الدعاية لمنتجاتنا الجديدة. وفى السنة الأولى كانوا يمتدحون عملى جداً ويشجعوننى مما أشعرنى بالأمان والرغبة فى إرضائهم. ولكن فى نفس الوقت شعرت بالغضب والثورة تتولد بداخلى لشعورى بأن هذا الوقت الكبير كان من الممكن أن أقضيه مع طفلتى كارى.

كان رؤسائى من المحاميين المدمنين للعمل، بينما لم أكن أنا من المشتغلين بالمحاماة، ولذلك فلم أكن أعنى كثيراً بالنسبة لهم، خاصة بعد انحسار سوق منتجاتنا من البلاستيك وعندما تركت العمل فيما بعد قاموا بتعيين فردين ليحلا محلى.

لقد كان لدى كلا رئيسىَّ فى العمل طفل فى عمر كارى، ولكن زوجتيهما كانتا تعملان لبعض الوقت فقط. ولذلك فقد كانتا تبدأن فى الاتصال بزوجيهما إذا ماتأخرا حتى السابعة فى العمل. وقد أصيب أحدهما بالإحباط لشهور طويلة لمجرد أنه رزق بطفلة بدلاً من طفل.

وبدأ چون يعمل لساعات كثيرة جداً، وصلت إلى 60 , 70 ساعة أسبوعياً. إلا أن الأحوال ساءت فى شركته، واضطروا إلى الاستغناء عنه ، وعينوا اثنين بدلاً منه. ثم عمل چون فى شركة أخرى إلا أنه عانى من الانتقاد والوقيعة بينه وبين رؤسائه من ناحية ، وشعوره بالوحدة فى منزله من ناحية أخرى . وكانت النتيجة أن أصيب بضيق فى التنفس، ودوار ينتابه من حين إلى آخر وقد وصف لى ذلك قائلاً :

لقد أصبت بالنوبة الأولى يوماً ما وأنا فى العمل. كنت فى طريقى لتناول الغداء، ولكنى فجأة شعرت بالدوار وفقدت الوعى. وعندما أفقت وجدتنى راقداً على الأرض واعتقدت أننى أصبت بأزمة قلبية. ولكن منذ ذلك اليوم تكررت هذه الأزمة كل يوم تقريباً لمدة عام كامل. وكانت حالة ضيق التنفس تبدأ منذ لحظة استيقاظى فى الصباح وأثناء أخذى لحمام الصباح، أو ارتدائى ملابسى وكنت أضطر أحياناً بسبب هذا الضيق فى التنفس للاسترخاء لمدة ساعة قبل أن أتمكن من الخروج. وتوقفت هذه الحالة لبضع شهور ولكنها عادت مرة أخرى أمس، وأنا فى طريق الخروج؛ إذ انتابتنى رجفة وعجزت عن التنفس وشعرت بدوار وأحسست أننى لا أستطيع القيادة.

ومن هنا نجد أن الظروف تآمرت لتضع ضغوطاً معقدة على نفسية چون، وهى مولد كارى ، وانسحاب باربارا من حياته ، والضغوط الهائلة التى واجهها فى عمله .

وقد أعطاه الطبيب المعالج دواءً مهدئاً .. إلا أنه شعر بفقدانه الاهتمام بالناحية الجنسية والعاطفية فى الحياة وزاد اعتماده على الدواء ، الذى يهدئ قلقه ولكنه أيضاً يفقده الرغبة فى أشياء كثيرة .

وفى غمرة شعوره باليأس من العلاج، ورغبته فى العثور على حل كيميائى لقلقه.. لجأ إلى « مؤسسة الأغذية الاسترجاعية الحية » حيث قيل له إنه يعانى من «مرحلة اليأس الخاصة بالرجل» إلا أنه لم يقتنع بهذا الكلام؛ إذ إنه كان يدرك أن

توتره له علاقة بحياته الأسرية والعملية إلى حد كبير، ولذلك لم يعد إلى تلك المؤسسة ثانية .

إن چون لم يحتج إلى شخص يحدثه مثلما يشعر الآن، وفى الوقت ذاته لم يبد هذا عسيراً عليه مثلما يبدو الآن . إن باربارا تحاول جاهدة العناية بكارى وعملها ، ولكنها فى قرارة نفسها تشعر أنها سجينة الصمت الطويل الذى يطبق عليها هى وچون، عندما يكونان معاً .

وبلاشك أن نوعية المشكلات فى الماضى تختلف كثيراً عنها الآن ؛ فلو أن باربارا وچون زوجين يعيشان فى القرن الثامن عشر.. ربما كانت مشاكلهما على غرار هبوط إنتاجية محصول من المحاصيل، أو اشتعال النار فى حظيرة المواشى، أو إصابة طفلتهما بالمغص ، وربما يصاب الشخص « بانحراف المزاج » الذى يفسر على أنه بسبب وجبة ما أو رطوبة فى الجو . وربما كان سيشعر أحد الزوجين أو كليهما بالوحدة ، ولكن ماكان ستخطر على بالهما كلمة الطلاق .

أما فى نهاية القرن العشرين.. سنجد أن زوجين مثل باربارا وچون يطمحان إلى تحقيق مستوى أعلى من السعادة من زواجهما، وبالمقاييس العصرية يصبح الزواج الذى يفتقد إلى الحوار أو الجنس بالنسبة لهما زواجاً فاشلاً. وهنا يطل الطلاق برأسه كحل ممكن لأزمتها ، فعندما فكر كل من باربارا وچون فى مقابلة مستشار لحياتهما الزوجية.. كان شبح الطلاق يطاردهما .

وقد نصحهما الرجل بأن يسعيا إلى تهيئة كل الظروف التى من شأنها إتاحة وقت لحياتهما سوياً ، فقد اقترح عليهما أن يطلب من ابنة عم « باربارا » المتخلفة عقليا أن ترحل، وأن يذهب بكارى إلى فراشها مبكراً ، وأن يكف « چون » عن تعاطى العقار المهدىء، وأن يكرسا وقتا أطول لزواجهما . ولكن السؤال الذى يقفز هنا : « ومن أين

لهم بهذا الوقت ؟ من الوردية الأولى أم الثانية ؟ وأجاب چون:

إنه من ناحيته يعتقد أن باربارا يمكنها الحصول على وظيفة لبعض الوقت أو ـ ترك العمل تماماً ، ولكنه لايدرى إذا كانت باربارا ترغب فى ترك عملها والبقاء فى المنزل أم لا، وهو يعتقد أنه يحملها عبئاً كبيراً إذا ما طلب منها ذلك ، وأنه على استعداد لأن يمكث هو فى البيت؛ لأنه من الضرورى وجود أحدهما مع كارى .

وعندما سألته : « هل ترغب فى ترك عملك ؟ بادرنى وهو يمعن التفكير قائلاً :

« هذا يبدو شاذاً بالنسبة لى . إلا أنه إذا عزمت باربارا على العمل طوال الوقت، واستطعنا تنظيم حياتنا مادياً سأترك عملى وأبقى مع كارى ، واذا ما كان لدينا طفل آخر.. فأنا على استعداد لرعايتهما معاً . وإنا ادرك جيدا أن الأمر سيحتاج لبعض الوقت حتى أتكيف مع الوضع الجديد ، ولكنى واثق من اننى سأنجح، ولكن قد أحتاج إن أعمل لبعض الوقت ولأساهم فى ميزانية الاسرة » .

ورغم أن « چون » قال لى انه يريد من « باربارا » أن تترك العمل من أجل «كارى» ، فالحقيقة أنه هو وليس كارى، الذى كان يشعر بالحرمان العاطفى .

وعندما سألت باربارا اذا ما كانت راغبة فى ترك عملها لكى ترعى كارى، بدت غامضة وقالت « لا أعرف ولا أستطيع تحديد كنه مشاعرى .» وعندما بدأت تسرد على أسباب خروجها للعمل.. ذكرت لى بعض الأشياء مثل رغبتها فى أن تستطيع إنفاق عشرين دولار على الغذاء مع الأصدقاء، عن ثلاث دولارات مقابل ساندويتش .

لقد كان الأمر بالنسبة لباربارا أكثر تعقيداً ؛ فلكى تلبى احتياجات العمل

والأسرة .. اضطرت لاتباع سياسة الأم الخارقة، ولكنها الآن لاتستطيع التخلص منها. وكانت خرافة حياتها مع چون تكمن فى عدم قدرتها على منح چون مزيد من الاهتمام بحجة أنها أم عاملة مشغولة، على حين أن مستشار الزواج اكتشف أنها تشعر أن عملها المتواصل يجنبها الصدام مع چون ، وهى لاتجرؤ الآن على ترك هذا العمل.

وقد استشعرت الخوف من هذا الصدام ذات مساء، عندما كنت مدعوة لتناول طعام العشاء معهم فى حضور ضيفة أخرى. وكان چون فى المطبخ يعد دجاجة مشوية لذيذة، بينما كانت باربارا تجلس إلى منضدة المطبخ تعلم كارى بعضاً من الكلمات الإسبانية حيث إن كونسيولا كانت لا تجيد الحديث بالإنجليزية .

وعند حضورى.. سألتنى باربارا اذا ما كنت قرأت كتاب « كيف تكون أباً أفضل »، How To Be a Better Parent ، فقلت لها: لا، فقد كانت هى وچون حريصين فى وقت فراغهما المحدود أن يتعلما كيف يكونا أفضل أبوين ؛ فقد لاحظت أنها بطبعها تميل إلى الحزم والانضباط مع « كارى » ، بينما يميل « چون » إلى اللين. ولذلك فهى ترغب فى أن يحاولا التوافق بشكل أفضل مع بعضهما البعض . ثم قالت لچون « إنك ستحتاج إلى قراءة هذا الكتاب .» وألحت عليه لكى يقرأه ، فما كان منه وهو الذى يعانى فى عمله، إزاء اتهامه ضمنياً فى الجانب الوحيد الذى يشعر الارتياح لقيامه بدوره فيه ، إلا أن يقول لها ساخراً : « أليست هناك دروس عن كيفية تكون البغاء ؟ » فأطبق صمت مؤلم طويل . وكان واضحاً أن چون أسِفَ بعمق عما بدر منه رغماً عنه وقال : « أنا حقيقة لم أقصد هذا . لم أقصد. » فأجابت باربارا متألمة « إن السخرية تحوى شيئاً من الحقيقة .» ولم يجد الإثنان وسيلة لإنقاذ الموقف وإزالة الحرج الذى شعرا به؛ خاصة فى وجود ضيوف، فدون قصد منهما، نطقا بكلمات ندما عليها، ولكن فشلا فى التراجع فيها، ثم بدأت روح المرح تسرى فى المكان شيئاً فشيئاً بسبب شقاوة كارى ، وكان باقى وقت العشاء لطيفاً .

وبعد ذلك اليوم.. علمت أن المالك نقل صالون باربارا للتجميل إلى ستوكتون، وكان هذا يعنى مدة أطول لباربارا لقيادة السيارة، ووقتاً أقل تمكثه مع چون بمفردها. ولكن.. الغريب فى الأمر أن « باربارا » أبلغتنى هذا الخبر بشىء من الارتياح ؛ فمازالا يتجنبان مواجهة المشكلة .

ثم قمت بعد ذلك بشهرين بزيارة لهما، فبادرنى چون بعد أن فتح لى الباب مباشرة بقوله : « لم يتغير شىء ، فمنذ ليلتين كان لدينا اثنا عشر ضيفاً على العشاء، وثلاث من صديقات باربارا، حضرن من نيويورك، وقضين معنا ليلة » فسألته : «ألا يشعركما هذا بأن هولاء يفرضون أنفسهم عليكما » فأجاب : « لا، نحن مسروران بذلك.» لقد استمر كرم ضيافة باربارا وچون كما هو، كما استمر حبهما لاصدقائهما وللمخالطة الاجتماعية . كما رغبا عندما تكبر ابنتهما أن تدعو هى الأخرى صديقاتها.

ولكن بالرغم مما قاله چون.. شعرت أن شيئاً ما قد تغير بصدد رغبتهما السابقة فى أن يتحاشيا بعضهما البعض. وبعد العشاء بحت لهما فيما أفكر فيه : فهما أكثر من أى زوجين قابلتهما استخدما استراتيچية « الأم الخارقة» و « الأب الخارق ». وعلى عكس الأزواج الآخرين أيضاً. كانا بالفعل يسعيان إلى زيادة ـ وليس إنقاص ـ المطلوب منها. لقد حاولنا أن نستكشف استراتيچيات الأزواج وأيديولوچياتهم والمشاعر الكامنة وراءها .

لم تكرس باربارا وچون وقتاً أكبر يمكثانه سوياً ، ولكنهما شعرا بأن خوفهما بسبب هذا الموضوع قد تلاشى قليلاً . ومن ناحيتى لاحظت أن المنزل يسوده النظام والاستقرار من ذى قبل. فلأول مرة أجد چون يذكر فكرة أن يقوما بأجازة لايصطحبان فيها كارى. كما أن « باربارا » قد أعادت النظر فى قرارها السابق بالتخلص من الكلب وقررت الآن الاحتفاظ به . لقد ظل الكلب دائماً منزوياً فى أحد الأركان ، مثله مثل زواجهما . ولكنهما الآن يسمحان له من آن لآخر أن يتجول ويلعب

فى المطبخ مع « كارى » .

وقد صرحت لى باربارا بأنها بحكم وضعها المسئول عن مهام الوردية الثانية، وعن « كارى » كانت أحياناً تشعر وكأنها أم «چون ». كما أن المستشار الذى لجأ إليه نصح « چون » بأن يحاول أن يشعر ويتصرف كما لو كان والد « باربارا » . إن چون لم يعتد على لمسات الأبوة من والده قبل وفاته ، فهو لم يربت على كتفه ولم يفصح لچون عن خلجات نفسه . وكانت والدة چون على نفس الوتيرة أيضاً ، فلم يكن بينها وبين چون تواصل. ومن ثم استقر فى أعماقه منذ طفولته الشيء القليل عن مهمته كأب مستقبلاً . ولكن محاولته لأن يعامل باربارا بحنان وحب كانت مبشرة، وتبعث على التفاؤل . وتزداد حرارة المحاولة من جانبه، كلما استشعر باحتياج باربارا إليها؛ فكانت بمثابة « تمرين » أهداه إليه الناصحون، وإن كان يسبب له شيئاً قليلاً من الحرج، ولكن باربارا بدت سعيدة بذلك .

وقبل انصرافى مباشرة، همست باربارا فى أذنى : « لا أصدق كيف كنت أنا وچون على حافة الطلاق ، ووقعه الخطير على ابنتنا كارى ، فأنا أدرك أن أعداداً كثيرة من الأزواج الذين هم على شاكلتنا ينفصلون .» وأنا أرى أن مولد الابنة التى يحبناها كثيراً ، ومكوث باربارا لساعات أطول فى العمل ، وتوتر چون فى عمله ، بالاضافة إلى افتقادهما اللغة المناسبة للحوار لمناقشة متاعبهما.. أودت بهما إلى تلك الأزمة . كما أدرك أنهما مثل عديد من الأزواج الذين تحدثت اليهم، قد واجها أوقاتاً عصيبة فى طفولتهما، وانهما يلوذان بحمى الزواج تحدوهما الرغبة فى تضميد الجراح القديمة . كما أنهما يعيشان بعيداً عن مساندة الاقارب، ويتحدثان قليلاً عن مشاكلهما الزوجية مع الأصدقاء، كما أنهما قبلا الفكرة السائدة، بأنه لايوجد زواج حقيقى دون الاتصال العاطفى والجنسى . كذلك نجد أن باربارا وچون يعيشان فى فترة مختلفة عما عاشاها جدودهما فى الماضى ؛ حيث زادت متطلبات الزواج بصورة كبيرة ، وتصاعدت

طموحات الأزواج وتراجع تدعيم الزواج نفسه بصورة مخيفة. وحسب اعتقادى أرى أن الحل على المدى الطويل للزواج الحديث يتمثل فى تخفيض متطلبات الزواج، وتقديم دعم سخى متعدد الأشكال. وفى نهاية لقائى باربارا سألتها ما النصيحة التى تتوجهين بها إلى الأزواج الجدد مثلها هى وچون، فقالت بنبرة إنسانة وصلت لحافة الخطر، ولكنها تراجعت فى آخر لحظة : « البحث عن ناصح أمين والعمل بما يقول. »

الفصل الثاني عشر

حسم قضية المشاركة والاتجاه الطبيعي : نحو السبل المؤدية إلى الرجل الجديد

12

الفصل الثانى عشر

حسم قضية المشاركة والاتجاه الطبيعى : نحو السبل المؤدية إلى الرجل الجديد

إن نحو 80٪ من الرجال الذين سقتهم فى دراستى متزوجين بسيدات عاملات، وقد وجدت خيطاً مشتركاً يجمع بينهم، ألا وهو عدم مشاركتهم فى عمل المنزل والعناية بالأطفال بصورة كافية مما نجم عنه عبء إضافى على كاهل زوجاتهم، وغالباً إصابة علاقتهم الزوجية بالتوتر . أما الرجلان اللذان أتعرض لهما الآن فى هذا الفصل.. فهما يقتسمان بالكامل المسئولية والعمل الفعلى مع زوجاتهم داخل المنزل ؛ إذ إنهما يؤمنان بمبدأ المشاركة والعناية بالأطفال على طريقة « الأب المثالى » مما جعل تأثيرهما على زواجهما وأطفالهما واحداً .

مايكل شيرمان

إن مايكل شيرمان هو الابن الوحيد لمهاجر عصامى ، بدأ عمله فى سن الثانية عشر ووصل إلى قمة عمله فى تجارة خردة المعادن فى نيوچيرسى ، وأصبح مايكل مستودعا لطموحات والده حيث أظهر نبوغاً مبكراً ، مما جعل تلقى شهاداته والإطلاع على درجاته حدثاً تترقبه الاسرة ، على حين أن شهادات أختيه لم تحظ بنفس الاهتمام. وقد ظل مايكل منذ مرحلة الروضة حتى المرحلة الثانوية دائماً الأول على

فصله . والآن وبعد أن أصبح رجلاً فى الثلاثين من عمره يتذكر بشائبة من المرارة ، كيف كان أبوه يجلسه على حجره متباهيا به امام اصدقائه، ثم يفتر هذا الاهتمام حتى موعد تلقى التقرير الجديد .

لذلك نشأ مايكل فى صحبة والدته وأختيه والخادمة بصورة أكبر، وعندما بلغ الثامنة عشر والتحق بالجامعة ، أصيب والده بانهيار عصبى خطير، لدرجة أنه لم يشف منه أبداً . ولأن طفولة مايكل كانت تتأرجح بين الاهتمام البالغ وفترات الاهمال.. لذلك أقسم مايكل وهو فى باكورة حياته ألا يعامل أبناءه أبداً على النحو الذى عومل به من قبل أبيه ولكن كام قال لى ، لقد توقع فى البداية ألا يختلف زواجه من «أدريان» عن زواج أمه من أبيه : فهو الذى سيتولى أمر تحقيق المكانة للأسرة وتوفير احتياجاتها، بينما تتولى هى رعاية أمور الأسرة .

فقد أراد مايكل أن تكون زوجته أدريان على درجة عالية من التعليم، وأن تكون « أماً رائعة » فى نفس الوقت ، وأن تمارس عملها بشرط أن يأتى مستقبله وعمله فى المقام الأول كأستاذ، يحمل الدكتوراه فى مجال علم الأحياء المجهرى، Microbiology.

أما أدريان فقد كانت الابنة الأثيرة لأبوين كبيرين فى السن، بثا فيها منذ نعومة أظافرها حب قراءة الموسوعات ، ولنبوغها العلمى أرادت أن تحقق مكانة فى مجال علم الإنسان ، Anthropology. وكانت آراء مايكل تتسم بأنها أكثر تقليدية من آرائها، ولكنه كان أكثر مرونة من رجال كثيرين . ووافقته أدريان على أن يأتى مستقبله فى المقدمة ووافقها على أن يكّون لها مستقبلها وتزوجا .

وبعدها بثلاث سنوات عندما كان مايكل ينهى دراسته الخاصة للحصول على الدكتوراه ، وجد الفرص متاحة أمامه ليتقلد أرفع المناصب ، وتسابقت جهات عديدة

على ضمه إلى صفوفها .. إلا أنه اختار أن يعمل بجامعة ديوك . أما ادريان فقد تركت دراستها بجامعة نيويورك، وتقدمت للحصول على الدكتوراه فى علم الإنسان من جامعة ديوك ، وشهادتين أخريين، ولكنها لم تحصل على أى منهما، ولذلك فعندما وصلت إلى مدينة دورهام ، كانت مجرد زوجة لمايكل، فشلت فى الحصول على الدكتوراه. وكانت أدريان فى نيويورك تنعم بثناء وإطراء أساتذتها ، كما كان لها أصدقاؤها المقربين وزملاؤها . أما الآن.. فهى تجلس وحيدة كل يوم كباحثة تحملق، على نحو خال من التعبير فى كومة الكتب الباردة المصطفة على مكتبها، وهى عاجزة عن القراءة.

وذات مساء.. عاد مايكل إلى المنزل فى الخامسة من عمله « الحقيقى » كباحث ، وعادت أدريان من عملها « غير الحقيقى » فى المكتبة كمشروع طالبة دراسات عليا فى نفس الوقت ، وفى الخامسة وخمس دقائق بينما كان مايكل جالساً يتصفح الجريدة وينتظر إعدادها لطعام العشاء.. انفجرت أدريان فى نوبة من الغضب والبكاء، فلماذا يحق له الراحة وهى لا ؟ كم كان قاسيا عليها أن يتكاتف هو والدنيا عليها ويتجاهلا طموحاتها وخطط مستقبلها . لقد كانت سعيدة عندما تبعته إلى ديوك ، ولكنها كانت تحتاج بشدة إلى مؤازرته لخطط مستقبلها الهشة ، وهى تعتبر أن مشاركتها فى الوردية الثانية لهى رمز لهذا الدعم .

وارتبك مايكل لهذه العاصفة المفاجئة . ألم يتفقا منذ زمن على أن عمله يأتى فى المقدمة ؟ فلم إذن هذه الثورة ؟ فهذا من وجهة نظره ظلم فادح . ربما لاتزال أدريان تعانى من رفض جامعة ديوك لها، وكان مايكل يعتقد سالفاً أن هذا الامر سيمر وينتهى مع الزمن، ولكنه كان واهماً . فقد هددته أدريان بأنه إن لم يقدر طموحاتها كما تقدر هى طموحاته، وإن لم يستطع معاونتها فى المنزل فإنها ستتركه ، وقد كان ، بعد أن رفض مايكل هذا التهديد .

مالذى حدث لأدريان ؟ لقد تزوجت مايكل عن اقتناع كامل بصياغة حياتهما

على الشكل الذى اتفقا عليه ، ومنذ عام.. لم تتصور ابداً تخليها عن مايكل وابتعادها عنه، وهى وسط زملائها ومرحلة تخطيطها لمستقبلها ؛ فقد أحبت أدريان دورها كربة للبيت وكمضيفة ، واعتبرت هذا جزءاً من تكوينها ؛ ففى منزلها بسان فرانسيسكو قبل أن أبدأ أول مقابلة لى معها.. قدمت لى خبز البندق الذى صنعته بيديها، ومعه قدحاً من القهوة المتقنة الصنع، وقد ارتدت ملابس جميلة، وصففت شعرها بأناقة . ولم يبد لى إنها فى محاولة للهروب من انوثتها أو من حياتها العائلية .

ولكنها شعرت فى تلك الليلة التى تركت فيها مايكل منذ خمس سنوات أن فكرة المكوث بالمنزل لاتطاق؛ فهى كامرأة نشأت مدللة، وكباحثة مستقبلاً لم تجد مخرجاً سوى ذلك؛ فقد أصابها الضجر من مكوثها وحيدة بالمكتبة تشعر بالعزلة، وتحملق بفتور إلى الكتب، وشعرت باحتياج شديد إلى مؤازرة مايكل لها، وإلا فالأفضل أن يبتعدا عن بعضهما البعض تماماً .

والآن وبعد هجر أدريان له .. بدأ مايكل يعيد حساباته من جديد، وشعر أن فهم أدريان له والحب الذى أغدقته عليه لايمكن أن يجده لدى امرأة أخرى . كما أنه هو الآخر أحبها . ولذلك قرر بعد قطيعة شهرين أن يعيد أدريان إلى البيت . فهو يمكنه الاستغناء عن فكرة أن عمله يأتى فى المقدمة، وعن فكرة أن تقوم هى بخدمته، ولكنه لايستغنى عنها. وأخبرها بموافقته على مساعدتها فى الوردية الثانية، فعادت سريعاً. ورغم أن «مايكل» كان دائماً يتمتع بوضع متميز، لم يشعر معه بحاجته للقيام بأى أعمال منزلية من قبل؛ فقد نفذ وعده بالقيام بنصف المهام من منطلق حبه لها، وأدرك مدى احتياجها الشديد لذلك.

أما أدريان.. فهى تشعر أن مشاركته لها تمنحها الإحساس بالمساواة بالعدل كما أرادت أن يدرك مايكل أهمية المساواة بالنسبة له، كما هى بالنسبة لها.

وبعد عام من هذا الاتفاق.. قدمت «أدريان» طلباً جديداً للالتحاق ببرنامج

الدراسات العليا فى مادة «الأنثربولوجى» بجامعة «ديوك»، وبالفعل نجحت فى ذلك هذه المرة. وبعد مضى العام الأول من دراستها، قدم «مايكل» تضحية أخرى، تعبر عن روح معاونة حقيقية، عندما مكث عاماً إضافياً بجامعة ديوك ليتمكن من مساعدة أدريان على جمع مادة رسالتها.

وبعد إنهاء أدريان لرسالتها تبعت مايكل هذه المرة إلى أفضل وظيفة، تم عرضها عليه. وكانت معجزة المعجزات أنها حصلت أيضاً على وظيفة مرموقة فى مدينة قريبة، وكان اسمها فى مقدمة كشوف المقبولين. وقد علقت «أدريان» بزهو على هذا قائلة: «فى بادئ الأمر.. كان الجميع ينظرون إلى على أننى الزوجة التابعة ذات الطموحات المحبطة. ولكن بمجرد أن رأوا القائمة.. أصبحت أنا محط أنظار الجميع وأصبح «مايكل» تابعاً لى.» فأخيراً ابتسم القدر لها.

و بعد سنوات ست من زواجهما، وبعد ثلاث سنوات من حسم موضوع المشاركة بينهما ، وبعد عام من تدريسها بالجامعة .. اتفقت أدريان مع مايكل على الإنجاب. وأثناء فترة الحمل كان «مايكل» دائم الحديث بفخر عن «حملنا». وخلال فترة الحمل كان مايكل يقوم بكل أعمال الطهى والتسوق والتخطيط للمنزل. حيث إن «أدريان» لازمت الفراش لفترة، وكانت تقوم بالتدريس، وهى راقدة على أريكة حجرة المعيشة. وعندما أنجبت أدريان توأماً.. كان مايكل حريصاً على العودة إلى البيت فى موعده ليعطيهما وجبة الساعة الخامسة والنصف، فقد كان من الصعب على أدريان أن تمنح رعايتها للرضيعين فى آن واحد، وبعد ست أسابيع كان هو يطعم أحد الطفلين، وتتولى هى إطعام الآخر.

ثم شب الطفلان وهما يتسمان بالمرح والشقاوة؛ فأحدهما قد يعلو يظهرالآخر ليتسلق المدخنة، كما كانا منجذبين بشدة إلى والديهما، ويدفعان مايكل إلى مشاركتهما اللعب، وعند سيرهما فى الشارع يتنافسان على الإمساك بيده، ويتبادلان فى الصباح

النداء على «ماما» و«بابا». ومن ناحيته كان مايكل يقتطع من وقت عمله ليمكث مع ولدي وإذا كانت محاولات «أدريان» في البداية هي التي اضطرت «مايكل» لأن «يقبل» المشاركة، فإنه الآن قد بدأ الاستمتاع بهذه التجربة. فكما قال لي: «أنا مندهش من نفسي. لم أتخيل أبداً أن بداخلي كل هذه المشاعر الحانية.» لقد بدأ يشعر بالزهو من نفسه: «بأمانة، أنا أعتقد أني أفضل أب».

أما أدريان.. فقد تزايدت الضغوط عليها في العمل. والآن بعد أربع سنوات من عملها بقسم علم الإنسان، تشعر بنفسها وقد دخلت في منافسة ضارية مع ستة أساتذة مساعدين أكفاء؛ من أجل الحصول على الأستاذية؛ وفقاً لاعتبارات عديدة كعدد البحوث التي نشرت هذا العام، وعدد البحوث التي قدمت سلفاً. إلا أنها فوجئت برئيس القسم يذكرها «كما تعرف هي بالتأكيد» أن التدريس ليس له علاقة بالترقيات. وأن الأمر«صعب للغاية»، رغم اعترافه بأن «أدريان» تكرس وقتاً أطول للإشراف على أبحاث الطلبة من الوقت الذي يقدمه زملاؤها من الرجال.

وعندما بلغ التوأمان الثالثة من عمرهما.. كانت أدريان تمكث خارج منزلها نحو 45 ساعة أسبوعياً، وتعمل طوال المساء بعد أن يناما. وحتى مع هذا الجهد المبذول.. كانت تتقهقر وراء زملائها المقترنين بزوجات، يحملن عنهم عبء الوردية الثانية.

وقد قالت لي «أدريان»:

«لقد أدركت أني لن أجتاز العقبة التي في طريق مستقبلي، إن لم أقم بنشر بعض أعمالي. فبدأت منذ ذلك الخريف الذي كنت أهرول فيه من هنا لهناك، أقوم بالتدريس وعقد اللجان أثناء الأسبوع، وبدأت أعمل في عطلات نهاية الأسبوع أيضاً. وداومت على هذا لمدة خمسة أسابيع متتالية، ولكني لم أفعل ذلك مرة أخرى فقد كان رهيباً. وأثر تأثيراً سلبياً على طفلي اللذين أصيبا

بالحزن لابتعادى عنهما، خاصة وأن «مايكل» كان هو الآخر خارج المدينة يحضر مؤتمراً. حاولت معالجة ذلك بأن أعمل فى حجرة المكتب بالمنزل، ولكن الأمر لم يكن سهلاً فجمعت عملى وذهبت إلى المكتب، وهناك كانت المفاجأة: فقد انهالت عليّ سخرية الزملاء؛ فأحدهم يسأل «ما الذى أتى بك إلى هنا؟»، والآخر يعلق: «لم نرك أبداً على مدار الأربعة سنوات التى قضيتها هنا.».. إنهم نفس الأشخاص الذين طالما قالوا لى من قبل: «إن لديك زوجك الذى يعاونك ويدعمك» وطالما سألونى: «كيف حال الأطفال؟»

وخلال تلك الأثناء.. تركت جليسة الأطفال عملها لديهما، وقام مايكل بواجبه فى المنزل لا أكثر ولا أقل، ولأول مرة منذ سنوات يصرخ فى أدريان: «أنا مسرور أن لك عملك ومكانتك، ولكن لكل شئ «حد أقصى»، وكانت أدريان تدرك أن زوجها على حق فطلبت من رئيسها تأخير حصولها على الأستاذية، إلا أنه رفض فلا استثناء فى القاعدة، وحينئذ شعرت أنها وصلت إلى طريق مسدود، وفكرت فى ترك عملها. فباستطاعتها أن تجمع اهتماماً قديماً لها بالنحت مع طب الأطفال. إن تساؤلات أحد زملائها المنافسين لها يرن صداها فى أذنيها الآن: «هل تشعرين حقاً أنك أم حقيقية لأطفالك؟» أو «هل مدبرة المنزل أكثر أمومة منك تجاه أبنائك؟» إن نبرة صوته تقول: «إن هذا صعباً عليك» ولكنها تعتقد الآن أن هذا يعنى «إنه صعب على الأطفال».

وتحدثت أدريان مع أحد زملائها بشأن مد آخر موعد لها لإنجاز عملها الخاص بتثبيتها فى منصبها كأستاذة. وفى النهاية ومن منطلق الشفقة وربما الشعور بالذنب تجاه زوجاتهم المكافحات، وافق رؤساؤها فى الكلية على إعطائها مهلة. ثم طلبت بعد ذلك تعيينها لنصف الوقت. وبمؤازرة مايكل.. حاربت من أجل ذلك. وبعد أكثر من عام من اللقاءات والخطابات والهواتف، ومحادثات مطولة مع العمداء والزملاء والطاقم النسائى فى الأقسام الأخرى.. تمكنت أدريان من أن تصبح خامس عضوة فى هيئة

تدريس الكلية، تحصل على عملها لنصف الوقت.

وإذا كان «مايكل» قد صرخ فى «أدريان» لعدم رعايتها للأطفال، فهو فى نفس الوقت أقنعها بألا تسقط فى دائرة الإحساس بالذنب تجاه طفليها وتترك وظيفتها. وإذا كانت أزمة المشاركة فى أعمال المنزل نبهت «مايكل» لمبادئه المساواتية.. فقد بدأ الآن فى اكتشاف ما الذى يمكنه عمله كأب وكزوج. لقد كان دخله يفوق دخل زوجته، ولكن لم يرد ذكر هذا الموضوع فى حديثى معهما، حتى أشرت إليه بنفسى وحتى عندئذ.. فلم يكن لدى أى منهما كثير ليقوله بهذا الصدد. فلم تأت أى من الوظيفتين فى المقام الأول، بل أتت كلتاهما فى المقام الثانى.

إن مايكل لم يتصارع مع أدريان، ولكنهما الآن يكافحان ويناضلان ضد الضغوط التى تكتنف عمليهما ليحققا ما يطمحان إليه، وليجدا وقتاً كافياً ليبثا عواطفهما وطاقتهما على طفليهما. إن عالم العمل الخارجى لا يرحم ولا يقدِّر ظروف إنجابهما لتوأمين، فالعجلة تدور والزملاء يؤلفون الكتب ويكسبون الجوائز ويحصلون على الترقيات. ولذلك.. فلكى يحتفظا ببعض الوقت والطاقة العاطفية لطفليهما، كان عليهما أن يقاوما طموحاتهما فى مجال العمل. وكان ذلك أمراً عسيراً ، حيث إن كلاً منهما كان يحب عمله جداً. لقد أصبحت أدريان الآن تشكل جزءاً من عالم محدود من أستاذات الجامعة، تهرول مسرعة مشغولة من محاضرة إلى أخرى، ثم تجلس فى النهاية فى المساء ترتشف فنجاناً من الشاى وهى تمارس عملها «الحقيقي» فى الكتابة. إن بعض تلك السيدات كان لديهن أطفال، وكثير منهن كن ينتظرن، ولكنهن جميعاً كن يعانين من كثرة العمل وكثيرات منهن كن مدمنات عمل، يعمل فى ظل مفهوم حضارى يؤمن بالعمل، ويعرضهن جميعاً لضغوط جسيمة.

وإذا كان للشيرمانز «أسطورة» فربما تكون أن التحول الذى أصاب مايكل لم يطلب منه تضحية كبيرة. إن إنجاب توأمين كان بمثابة مفاجأة تلو الأخرى، بعثت فى

حياته قدراً كثيراً من المرح، جعلته لا يريدهما أن يكبرا بسرعة. ومن ناحية أخرى كان عسيراً على إنسان مثله، اعتاد التفوق منذ طفولته، وعقدت عليه الآمال فى أن يتصدر أفراد عائلته أن يدير دفة مستقبله العلمى إلى الخلف، بينما الآخرون من حوله يتسابقون مثل سيث ستاين. فالنكوص فى العمل طواعية يعتبر تضحية، وتحول مسار استراتيجية النوع يعد تضحية أيضاً. تلك هى التضحيات التى لم يقدم عليها رجال آخرون مثل إيفان هولت، وبيتر تاناجاوا، وسيث ستاين. ومن هنا يبدو مايكل فى نظر أدريان عملة ثمينة ونادرة. وفى سوق العلاقات الإنسانية اليوم.. تعتبر قيمته أكبر من قيمتها هى. إنهما بعيدان عن *القواعد التى تحكم «سوق الزواج»* لأنهما لم يستطيعا تخيل أن يعيشا مفترقين. هذا الشعور كان الدرع الواقى لأدريان ضد التيارات غير المستحبة لواقع الحياة. ولكنها شعرت فى أعماقها بامتنان عميق لمايكل لما يقوم به من تضحيات. وإذا ما كان ثمة توتر يسرى خفية فى خرافة الأسرة لديهما.. فإنه يتمركز فقط حول مدى الامتنان، الذى يجب أن تشعر به أدريان تجاه مايكل لما يقوم به من مشاركة عادلة فى الوردية الثانية.

وفى هذه *الأثناء.. تخلى الاثنان عن نجاحهما الوظيفى الباهر الذى كانا* يطمحان إليه، وقنعا بالوضع المحترم الذى يتيحه اهتمامهما بالأسرة. ومن وجهة نظر بعض الزملاء.. بدت أدريان بعملها لنصف الوقت كهاوية، كما بدا مايكل شاذاً نظراً لعمله لساعات قصيرة عن ذى قبل، ولانصرافه أحياناً من عمله ليمكث مع طفليه. وهما وإن شعرا بالعزلة عن أقاربهما وزملائهما إلا عالم الأسرة القديم، أو عالم العمل الجديد فى واقع الأمر، لم يعد يناسبهما وإنما تكيفا مع بعضيهما البعض وانجذبا سوياً ضد التيار الاجتماعى.

وفى خلال لقائى الأخير مع أسرة «شيرمان»، كانا يتضاحكان فى مرح، وهما يقصان عليّ قصة ما حدث أثناء الصيف الماضى حين ذهبا لزيارة والدى «مايكل». فبعد أن تناول الجميع الطعام، بدأ «مايكل» فى حمل الأطباق إلى المطبخ. وهنا علقت

أمه - التى قد وافقت مؤخراً على الاتفاق المبرم بين ابنها وزوجته - قائلة لأبيه: «انظر كيف ينظف «مايكل» المائدة؟ لماذا لم تفعل أنت ذلك أبداً؟» فرد عليهما الأب بأسى: «إن «أدريان» حولت «مايكل» إلى إنسان مخنث». فصاحت فيه الأم: «لا تكن سخيفاً.» فتبادل «مايكل» و«أدريان» نظرات ضاحكة، وهما لا يصدقان أن والدة «مايكل» قد بدأت هى الأخرى محاولة الضغط على أبيه لتحقيق المشاركة.

أرت وينفيلد والتيار الطبيعى

إن أرت وينفيلد يعمل مساعد معمل فى الخامسة والثلاثين من عمره. وعلى عكس أدريان لم تضغط عليه زوجته ليقوم بعمل أكثر فى المنزل، ولكن كان له اهتمام طبيعى بالأطفال وعاطفة صادقة ليمكث مع ابنه المتبنى ذى الخامسة من عمره «آدم»، Adam، إن أرت رجلاً أسود لين العريكة، يمثل الإنسان الجديد متخفياً فى ثوب الشخص العادى. أما زوجته فكانت تحثه على تلقى دروس ليلية، يومين فى الأسبوع فى معمل تكنولوجى لتحفزه على البحث عن عمل أكثر قيمة.

وكثيراً ما يشرد أرت بذهنه فى ذهابه وإيابه من عمله فى الابتسامة المشرقة التى تعلو ثغر ابنه وهو على باب الحضانة. وأرت يعتبر الثلاث ساعات التى يقضيها مع آدم مهمة جداً بالنسبة له هو نفسه. وأحياناً عند اصطحابه لآدم إلى البيت ينظم معه سباقاً فى العدو، أو يتسلقان شجرة مفضلة لديهما.

ليس هناك من شك فى أن «آل وينفيلد» كانوا يحتاجون لراتب كل من الزوجين، ولذلك فلم يكن أمامهما سوى إرسال «آدم» للحضانة. ولكن، كانت مشاعر «أرت» بخصوص هذا الموضوع متنازعة، فكما قال لى: «إن أفضل أصدقاء «آدم» معه فى نفس الحضانة. ولكنه أحياناً يتعب من ذهابه هناك، فهو أمر صعب فعلاً أن تطلب من طفل فى الخامسة أن يقضى ثمانية ساعات بعيداً عن منزله. وأحياناً أحصل على يوم

أجازة لأخرجه من الحضانة، وأقضى اليوم معه بالمنزل».

وفى عطلة نهاية الأسبوع دائماً ما يشاهد الأقارب والأصدقاء آدم وهو يلعب أو يزور أحد الأصدقاء، أو يركب الدراجة وهو مع أرت. ونظراً لأنهما لا يفترقان.. فقد أطلق عليهما من حولهم اسم: «التوأمين»، وهو يعلق بأن علاقة الأب بابنه تحدث بسهولة وتلقائية.

إن بعض الآباء يسهل تواصلهم مع الأبناء عن البنات، ولكن هذا لا يبدو صحيحاً مع أرت؛ فهو يقول إنه وزوجته البيضاء چوليا، Julia، ينويان فى إنجاب طفل من صلبه. وعندما سألته عن رأيه لو أن هذا الطفل كانت بنتاً قال:

«أحب بالفعل أن تكون لى ابنة، فالبنات ثروة. وأحب أن تكون لى علاقة طيبة بابنتى فأنا أب غير تقليدى فى هذه الأمور. فأنا سأربيها بطريقة إيجابية وكأنها ولد فيما يختص بممارسة الرياضة ورؤيتها العامة للحياة. وأتمنى أن تشب قوية مثل أمها. كما أن البنات فى غاية الذكاء، وهن يتعلمن بسرعة أكبر من الأولاد ، وهذا أمر معروف. بالإضافة إلى كل ذلك، أعتقد أن الأمر سيكون عظيماً بالنسبة لآدم أن تكون له أخت.»

وكان أرت أيضاً يجيد فن التعامل مع الأولاد الذين هم ليسوا بأولاده، ويتقابل مع اليافعين منهم لمناقشة مشاكلهم وهم بدورهم إذا ما واجهتهم أزمة يلوذون ببيته. وكان أحد هؤلاء الأولاد الذين يعانون من الاضطرابات كثير التردد على منزل «أرت». وقد قال لى «أرت»:

«إن الأمر كان بمثابة تحد لى لأنى عرفت تماماً ما كان هذا الولد فى حاجة إليه.. كان كل ما يحتاجه بعض الاهتمام إذ إن أمه كانت مسئولة عن تربية أطفالها الخمس. وكان هذا الولد يعاوننى فى العمل وبمرور الوقت.. بدأت

درجاته فى الدراسة تتحسن، وهو الآن طالب متفوق، يعلم تماماً مدى جديتى فى علاقتى به فلم يكن هدفى أبداً إثبات أن باستطاعتى تقويمه، وقد أثبت بالفعل أنه ولد ممتاز. هو الآن فى الثامنة عشرة من عمره، وعلاقتنا ما زالت قوية للغاية.»

أما چوليا.. فقد كانت تفتقد موهبة أرت فى معاملة الأطفال، فهى:

تحب ولدها حقاً، ولكنها لا تجيد فن التعامل مع أولاد الآخرين، وهى من أولئك الذين يبادرون الطفل بسؤاله عن عمره؛ فيرد بتلقائية على سؤالها بسؤال: «و لماذا تسألينني؟»

أما أرت فهو يدرك مباشرة المستوى الذى يجب أن يتعامل به مع الطفل كما يجيد فن مجاملته.

أما بالنسبة لمشاركة أرت فى عمل المنزل، نجد أنه ظل لفترة لا يساهم كثيراً فى تلك الناحية، شأنه شأن معظم الرجال، من منطلق الاعتقاد السائد بأن الرجل هو «سيد المنزل» - يقول هذا وهو يضحك؛ بمعنى أن هناك أشياء معينة لا يصح أن يقوم بها الرجال، كما أنه كان عنيداً أنه يعلم أن هذا ليس وضعاً سليماً، فجوليا تعمل مثله تماماً ، أو يمكن أكثر وهى تستحق المشار كة. وظل الحال كذلك إلى أن عملت چوليا وقتاً إضافياً منذ عشرة شهور؛ فقام أرت بمقاسمتها العمل داخل المنزل من غسيل وكنس وعناية بالحديقة. أما چوليا ذات الثلاثين ربيعاً.. فهى امرأة ممتلئة، طيبة المزاج تقدر المساعدة. ولكنها فى الوقت ذاته تريد من أرت أن يحب عمله أكثر؛ إنها لا تهتم بالمال، وتشعر أن لديهما الوفير منه، ولكن كل ما يعنيها هو حب زوجها لعمله لأنه هو الرجل.

ومن ناحيته يشعر أرت أن 25,000 دولار مبلغ مرضٍ وأن مركز اهتمام الرجل

فى الحياة يجب أن يكون أسرته. إنه يتعجب من طموحات چوليا بشأنه ولكنه يفسر هذا لى بثقة من أنها تفعل هذا إرضاءً لشقيقها الأكبر وهو رجل تقليدى كان رافضاً بشدة زواجهما لأنه رجل أسود وهى بيضاء، كذلك كان غير راض عن منزلهما فى إيست أوكلاند. وقد ناقش «أرت» الأمر سراً بينه وبين أمه عبر التليفون، وأخيراً وافق - ولكن دون تحمس - على أن تقوم «چوليا» بتقديم أوراقه للدراسة بإحدى الدورات المسائية لتكنولوجيا المعامل.

وعندما سألت أرت عن سبب ارتباطه بابنه بدفء وسلاسة وقوة، بدأ إجابته بالحديث عن طفولته المبكرة؛ حيث تولت أمه أمر تربيته هو وشقيقه من عملها كطاهية بإحدى مراكز رعاية الطفولة. وكانوا مثلهم مثل غيرهم من السود، يعيشون فى شقة حقيرة، وينامون على سرير واحد، وتتقافز من حولهم الفئران في الليل. وكل ما يذكره عن والده أنه كان يزورهم من آن لآخر فى البيت ويتحدث بقسوة مع أمه ثم يختفى. وقال أرت: «إننى أعتقد أن والدى ساعدنى على معرفة أى نوع من الرجال يجب على ألا أرغب فى أن أكون مثله.» وهو يعتبره أباه بالاسم فقط حيث لم يستشعر تأثيره الأبوى، وقد سدت أمه هذه الثغرة فى حياته لأنها كانت إمرأة قوية جداً، ما جعلته يعانى من افتقاد الأب قط.

ثم تزوجت أمه وهو فى التاسعة من عمره من عامل بسيط، يقوم بتفريغ وتحميل المراكب، طيب القلب، قوى ولطيف. لم يكن لديه أطفال، وحاول أن يتقرب إلى أرت، وشيئاً فشيئاً تفهم إحساس أرت المرهف وأنه أصغر الأبناء. كان يعمل فى المساء وينتظر أرت بعد عودته من المدرسة. إن أرت يعتبر أن ثقته وحبه لهذا الرجل بمثابة أهم حدث فى حياته.

إنه يتحدث عن زواج أمه برقة بالغة.

ويشعر بحبه له أنه أباه الحقيقى بآصرة الدم؛ إذ إن لديه كل مقومات الأب. فهو لطيف وشريف وشهم، يساعده وقتما يحتاج إليه. حقيقى أن ضيق ذات اليد منعه من أن يقدم له كثيراً، ولكنه جعله يدرك أن بمقدوره تحقيق كل ما يصبو إليه بالعمل. إنه تعلم من زوج أمه معنى الأبوة، الذى يحاول أن يمارسه الآن مع ابنه آدم. كما تعلم منه كيف تكون العلاقة بين الأب وابنه مؤسسة على الحب.

ومن هنا نجد أن رؤيته للجانب السلبى فى والده، وللجانب الإيجابى فى زوج أمه نمى فيه حبه الفطرى للأطفال، وعضَّد من علاقته القوية بولده المتبنى آدم، وكأنه يحقق انتصار طفولته الذى افتقده.

المرحلة الثالثة للأبوة

إن كلاً من مايكل شيرمان وأرت وينفيلد اقتسما العمل فى المنزل، وكان لهما أسلوب فى التربية، جعلهما يتسمان بالأبوة المثالية.

إلا أن مايكل اختلف عن أرت فى كيفية الوصول لمفهوم النوع. فمايكل بدأ بعمل المنزل ثم اتجه إلى تربية الأطفال. أما أرت فبدأ بإحساسه بآدم، وبهدوء امتد مبدأ العدالة لديه إلى عمل المنزل. كذلك اختلف معنى «المساواتية» عند كليهما بعض الشئ. فإذا ما كانت تعنى لدى مايكل طريقة ليكون «عادلاً مع أدريان».. فإنها تعنى لأرت المدخل ليكون «الأب المثالى لآدم». كذلك اختلفت النتائج أيضاً، فبينما ظهر مايكل على قدم المساواة فى عطاء أبوته المثالية لأولاده التوأم مع عطاء أمومة زوجته تجاههما، نجد أن أرت كان يفوق زوجته بعض الشئ فى هذه الناحية.

إن هناك دوافع معينة صاغت طفولة كل من مايكل وأرت وجعلت كلاً منهما يرغب فى أن يكون «الرجل الجديد» إذ نشأ كلاهما فى عالم نسائى إلى حد كبير، وتفاعلا ضد «الآباء» السيئين. لذلك لم ينشئا كرجلين نمطيين، فـ «أرت» حتى فى فترة

مراهقته ـ على غير عادة أقرانه فى نفس السن ـ كان لطيفاً مع الأطفال الصغار. أما مايكل فكان محبوباً فى مدرسته ، ولم تكن له أبداً شخصية تقليدية؛ فهو لم ينظر أبداً لعالم الرجال على أنه أفضل عالم، فأثناء حصص التربية الرياضية بالمدرسة، ثم بعد ذلك أثناء تدريباته بالجيش.. كان يشعر معظم الوقت أنه يمثل دور الرجل، كما لو أنه شب وهو يتحدث لغة أجنبية ـ لقد كان يتحدث تلك اللغة بطلاقة، لا تشوبها شائبة، ولكنها تظل دائماً لغة غريبة عنه، فكما يقول: «لقد كنت دائماً أطوف حول حافة ملعب الكرة دون أن أشترك». ومن هنا نجد أن الدوافع الشخصية المختلفة أفعمت الحياة فى خطة النوع، وغذت فى نفس الوقت بعضها البعض. لذلك عندما فتح التاريخ بابه، وأضاءت الثقافة الطريق وظهرت الحاجة إلى عمل الزوجين معاً لم يتأخرا.

إن تاريخ الأبوة الأمريكية مر بثلاث مراحل، تعتبر كل مرحلة منها رد فعل للتحول الاقتصادى. أولاً المرحلة الزراعية، حيث كان الأب يدرب ابنه وينظم حياته على أساس الاشتغال بالزراعة، بينما ترعى زوجته النبات. (وبالنسبة للسود بدأت هذه المرحلة بعد مرحلة العبودية). ونظراً لأن الحياة الاقتصادية والتدريب الوظيفى خرج عن نطاق الأسرة فى بداية القرن التاسع عشر أو مع قدوم الثورة الصناعية ـ وهى تمثل المرحلة الثانية ـ فإن الآباء تركوا مهمة تربية الأبناء إلى زوجاتهن. وطبقاً للمؤرخ چون ناش، John Nash، فإن الأب خلال تلك المرحلتين من التاريخ كان غالباً متباعداً عن أسرته ويتسم بالصرامة والقسوة. ومع بدايات القرن العشرين، عندما بدأت الأعداد المتزايدة من النساء يخرجن إلى العمل.. أعيد اكتشاف الأب كقوة فعالة فى الأسرة، وترسخت فكرة أن «الأب صديق»، وظهرت فى بداية الخمسينيات مقالات تحمل عناوين على غرار: «الآباء مصدر للحياة أفضل»، و«حان وقت عودة الأب إلى الأسرة». والآن نجد أن معظم الأسر تعيش المرحلة الثالثة من التطور الاقتصادى، والمرحلة الثانية من الأبوة. وأصبحت الأمهات الآن على قوة العمل، ولكن معظم الآباء عليهم أن يدركوا جيداً أهمية دورهم فى المنزل بقدر أهمية دور زوجاتهم.

إن هناك رجالاً استطاعوا مثل مايكل شيرمان وأرت وينفيلد أن يشقوا طريقهم نحو المرحلة الثالثة من الأبوة، ولكن بصورة فردية. إن مايكل شيرمان وأرت وينفيلد لهما علامة مميزة فى عالم الآباء الجدد؛ فقد كان عليهما أن يشقا طريقهما بنفسيهما دون أى دعم من الظروف الاجتماعية لمجتمعهما فى مواجهة هذا التحدى للمفهوم السائد للرجولة. ولن تتحرك قوى الثورة المتجمدة من حولنا، إلا إذا ظهر رجال آخرون مثل «مايكل شيرمان» و«أرت وينفيلد».

الفصل الثالث عشر

تحت الغطاء تكمن الخطط والتوترات

13 الفصل الثالث عشر

تحت الغطاء تكمن الخطط والتوترات

إن حالات الزواج العشر التى تناولتها فى كتابى تغطى قطاعاً من النماذج التى وجدتها فى أكثر من خمسين حالة - تلك النماذج التى تتناول أفكار ومشاعر وأفعال الزوجين العاملين تجاه المنزل. إن موضوع الوردية الثانية أصبح مرآة تعكس أفكار الفرد عن النوع والزواج والعاطفة. فعندما جهز إيڤان هولت طعام العشاء، شعرت نانسى أنه يقول لها «إنه يحبها»، على حين أنه عندما قام روبرت مايرسون بنفس الشئ شعرت زوجته آن فى معظم الوقت «بالذنب»؛ لجذبها إياه إلى مطالب الأسرة، وشغلها له عن عمله. وعندما جهز فرانك ديلاكورت حساء المكرونة، كان هذا يعنى أن كارمن «لاتستطيع ذلك»، وعندما قام بيتر تاناجاوا بشى الدجاج كان مغزى هذا أنه «يساعد نينا». وعندما قام راى چادسون بشى اللحم شعرت أنيتا أنه فعل هذا لأنه يحب ذلك، وليس من أجل مساعدتها. أما چسيكا فترى أن الوجبة التى تناولتها مع زوجها سيث، إنما يتقاسمان تكاليفها سوياً، فإذا كان سيث يسهم فى ثمن الطعام، فهى تدفع لمدبرة المنزل التى طهتها، أجرها عن ذلك. وهكذا.. نرى أن المعانى الشخصية للوردية الثانية تختلف كثيراً، ولكن بالنسبة لمعظم الناس، كانت مهام تلك الفترة تعنى إما: «إننى أعتنى بشخص ما» أو «إننى محل رعاية شخص ما».

وانقسمت المعانى الشخصية للوردية الثانية ما بين الفكر التقليدى والفكر

المساواتى، وهذا التقسيم لم يقتصر فقط على محيط الصفات الاجتماعية، ولكن امتد إلى ضمير ووعى الشريكين فى الزواج وحتى إلى ضمير ووعى الشخص نفسه. ومالت الطبقة العاملة تجاه المثال التقليدى، على حين مالت الطبقة المتوسطة إلى المثال المساواتى. كذلك مال الرجال إلى الفكر التقليدى على حين مالت النساء إلى المساواتى. وهذا الانقسام بين المفهومين كان يسرى ضمنياً خلال كل زواج تناولته عن كثب.

لقد كانت آن مايرسون منقسمة فى داخلها بين الرغبة فى حماية مستقبل زوجها وعمله الذى يعتبر أكثر قيمة من عملها، وهى رغبة تنبثق من الفكر الأكثر تقليدية، وبين تلك اللحظات التى تعترضها فى بعض الأحيان، وتشعر فيها «بالظلم» من منطلق الفكر المساواتى. وقد وجدت معظم الزيجات إما ممزقة بين المفهومين أو تكيفت معهما. وبهذا المعنى.. فإن هذا الانقسام موجود بشكل أو آخر فى كل الزيجات التى درستها.

ولا شك أنى قد رأيت اختلافات كثيرة فى الطبقة الاجتماعية الواحدة. كما أن مشاكل الأسرة لدى الزوجين العاملين أكثر حدة فى الطبقة العاملة، ولكنها صعبة بطريقة أخرى فى الطبقة العليا المتوسطة أيضاً. فى الطبقة العاملة.. يؤدى غياب المال الذى تحتاجه الأسرة للإنفاق على ما تحتاجه من خدمات، وعدم الشعور بالأمان الاقتصادى، والافتقار إلى الكرامة والملل من الوظيفة إلى تفاقم حدة التوتر. أما ما يثير الأزمة فى الطبقة المتوسطة العليا فلا ينتج عن عدم استقرار الدعم الماضى والمتطلبات الهائلة للعمل الذى يؤمن به كل من الطرفين، وإنما ينشب نتيجة الصراع بين النماذج التقليدية والمساواتية فى الزواج، ذلك الصراع المتمثل من قمة السلم الاجتماعى إلى قاعه.

وبغض النظر عن المثال الذى يطمح إليه كلا الزوجين، ويتطلعان إلى تحقيقه.. فإن التوتر الناجم عن أعباء الوردية الثانية غالباً ما يؤثر على الرجال تقريباً بنفس القدر الذى يؤثر فيه على النساء. كما أن العمل شهراً إضافياً فى السنة يؤثر بوضوح

على النسـاء فى صـورة تعب أو مرض أو إرهاق عـاطفى. ولكن الاكتشـاف المهم لتلك الدراسة هو: فى حالة مشاركة الرجال فى الوردية الثانية.. فإن هذا يؤثر عليهم بصورة مباشرة، وفى حالة رفضهم المشـاركة.. فإن هذا يؤثر عليهم أيضـاً من خلال زوجـاتهم. فمايكل شيرمان مثلاً اقتسم المسئولية العاطفية والوقت مع زوجته لإنجاز أعمال البيت، وكان عليه أن يعيد صيـاغته نفسه من جديد، وأن يقلل من طموحاته ويواجه الأهداف العليا لأسرته، وإن استلزم هذا التضحية من جانبه بترك ساحة المنافسة مع زملائه. ونحن إذا ما نظرنا إلى إيفان هولت وسيث ستاين نجدهما لم يقوما بتلك التعديلات فى حياتهما، ولكنهما بالرغم من ذلك دفعا ثمناً باهظاً؛ فإيفان هولت عانى من الاستياء الذى أصاب زوجته تجاه حياتهما الجنسية معاً وتأثرت علاقته بابنه چوى، أما سيث.. فقد عانى من انسحاب زوجته وطفله إلى حياة خاصة بهم.

مفهوم النوع وقواعد الشعور

عندما بدأت هذا البحث.. تصورت بسذاجة أن مفهوم النوع لدى الفرد سيترابط منطقياً «كقطعة إدراكية عاطفية». وتخيلت أن هذا المفهوم من شأنه أن يجعل الفرد «يحدد» رغبته فى كيفية تقسيم الوردية الثانية. وتوقعت أنه من المفترض بالنسبة للزوج والزوجة اللذين يؤمنان بالمساواة ، أن يتعاونا مع بعضهما البعض أكثر من اللذين يتسمان بالتقليدية. ولكنى اكتشفت أن من الممكن أن تكون مجموعة الأفكار التى يعتنقها الشخص عن النوع، متناثرة وغير مترابطة منطقياً. ومثالاً لذلك بيتر تاناجاوا الذى تحمس لعمل زوجته «مائة فى المائة»، ولكن انتفخت أوداجه غضباً عند فكرة قيامها بتقليم الحشائش، أو قيادة بناته للسيارة عندما يكبرن. وأيد رجال آخرون على شاكلة إيفان هولت فكرة عمل زوجاتهم، مشيرين إلى احترامهم لرغباتهم الشخصية. كما أن هذا العمل يجعل شخصية الزوجة جذابة أكثر، ويجعلها تشترك مع زوجها فى كثير. ولكن عندما تتطرق الأمور إلى المشاركة فى أعمال البيت.. يتغير المبدأ ضمنياً.

فبالنسبة لروبرت مايرسون يرى أن الرجل يجب عليه أن يشارك فى أعمال المنزل «إذا ما طلبت زوجته منه ذلك». أما بيتر تاناجاوا فيبدو وكأنه يقول: «إذا كان الرجل يجيد أعمال المنزل، أو لديه اهتمام بها بنفس القدر، الذى تبديه زوجته..فعليه أن يشارك.»[1]

ولكن، الأمر الأكثر أهمية من الاختلافات السطحية لمفهوم النوع، هو التناقضات بين ما يقوله شخص ما عن مفهومه للرجولة ولدور الرجل فى الزواج، وبين شعوره الحقيقى إزاء هذه الأمور. فبعض الناس يبدو مساواتياً «من على السطح»، على حين أنه تقليدى «فى العمق» مثل سيث ستاين، أو يبدو تقليدياً «على السطح» ، بينما هو مساواتى «فى العمق» مثل فرانك ديلاكورت.

وأحياناً ما تكمن قصص العظات التحذيرية، التى كانت تتردد على مسامع الشخص فى طفولته المبكرة، أو كان يستشعرها فيما يجرى حوله وراء صياغته لمفهومه الفكرى عن النوع، فمثلاً كارمن ديلاكورت كانت تخشى أن تواجه الصراعات التى واجهتها أمها كامرأة وحيدة (بلا رجل)، وقد بلور هذا التخوف فكرها بأن المرأة يجب أن تلوذ بحمى رجل بالخضوع له. كما أن مشاعر الخوف التى ترسبت فى نفس نانسى هولت منذ طفولتها، من أن تصبح زوجة خانعة وذليلة تشبه «ممسحة الباب» كوالدتها، سكب فى داخلها توتراً عاطفياً نتيجة إصرارها على أن يشاركها إيفان أعمال البيت مناصفة فيما بينهما. كما أن تجربة راى چادسون المبكرة من حرمانه من أمه، وخوفه الحالى من فقدان زوجته، دفع به إلى الاعتقاد أن الرجل يحتاج إلى الاحتفاظ بزوجته فى المنزل، والسيطرة عليها وجعلها تعتمد عليه، وهذا الخوف هو الذى شكل دعم مفهومه للنوع.

كذلك تبين لى أن المشاعر المقنعة لدى بعض الناس تفسد ظاهر مفهومهم عن النوع. ومثالاً لذلك آن مايرسون التى وصفت نفسها بأنها نشأت وكأنها ولد، وأنها تحب الأولاد والبنات على حد سواء، نجدها وهى المرأة المثابرة لم تبدأ التفكير فى

الإنجاب حتى بلغت الثانية والثلاثين من عمرها. ولذلك فقد شعرت آن أنها تماثل زوجها فى احتياجاته ورغباته، ولكن لسبب ما لم تشعر بأن دورها فى المكتب حقيقى مثلما هو فى المنزل. وبدلاً من أن تدفع بفكرها عن النوع قدماً إلى الأمام، سمحت لشعورها هذا أن يقوضه ويقهقره إلى الخلف. الأمر الذى أدى بها إلى أن تبدو غامضة، وضاعف من حجم أعراض القلقلة لديها.

كذلك نرى خبرة چون ليڤينجستون المبكرة، بثت فيه مشاعر تضاربت مع مايبدو من ظاهر أفكاره. فقد كان فى بادئ الأمر يضطلع بدور إيجابى فى منزله، ولكن عقب إنجاب ابنتهما كارى، شعر أن زوجته أهملت عنايتها به، وتركته يقاسى الشعور بالعزلة والحنق والتبعية. وعندما عادت زوجته إلى عملها ازداد غضبه ورفضه لعملها. ولكن نظراً «لإيمانه» بعمل المرأة، بدت هذه المشاعر غير لائقة، ودفعته إلى الشعور بالذنب. وبهذه الطريقة أسس مذهبه الفكرى قاعدة شعورية معينة، ألا وهى وجوب شعوره بالرضا تجاه عمل زوجته. إلا أن هذه القاعدة تعارضت مع إحساسه الفعلى بالحنق إزاء ابتعاد باربارا الشديد. لذلك لم يجد چون مناصاً من الانسحاب، وهو الذى اعتاد ذلك عند الغضب. وقد استتبع هذا شعور باربارا بالإحباط ومحاولة تجنب الصدام مع چون.

ونحن إذا ما أمعنا النظر فى جوهر الأمر.. نجد تضارباً بين فكر چون الظاهرى وما يتضمنه من قواعد الشعورية الطافية على السطح، وبين مشاعره الكامنة فى الأعماق، التى فى العادة نكون أقل وعياً بها وتعبيراً عنها من المشاعر السطحية. أما چون .. فقد كان بارعاً للغاية فى إماطة اللثام عنها والتعبير عن كنهها.

لقد حاولت فى كل مثال سقته فى هذا الكتاب، أن أوضح مذهب النوع لدى الفرد (وهو عبارة عن مجموعة الأفكار التى يؤمن بها تجاه النساء والرجال وأدوارهم الزوجية) وما يستثيره من معانٍ عاطفية تدعم أو تقوض هذا المذهب بدورها. وكذلك

أوضحت رد الفعل الثانوى للفرد تجاه ما يجرى حوله، وهو ينبع من قواعده الشعورية (على سبيل المثال شعور چون بالذنب تجاه إحساسه بالغضب). كذلك وجدنا أسلوباً للتكيف مع الصدام العاطفى متمثلاً فى انسحاب چون. لقد اتحدت أفكار چون مع عواطفه لتحدد ما يشعر به إزاء ما يفعله، وليس لتثمر عن أعمال يقوم بها فى الوردية الثانية لذلك نجده فى العام الأول لولادة كاري، قام بالانسحاب عاطفياً من باربارا وكرس اهتمامه لعمله، كما أعد نفسه ليكون الثانى بعد باربارا فى الاعتناء بكاري. وهو لم يضن بمساعدته فى الوردية الثانية، ولم يقاوم ذلك كلما سنحت ظروف العمل، ولكن ما كان يقاومه حقاً هو أن يغفر لباربارا انسحابها العاطفى عنه. إن كل السبل التى سلكها چون لتتوافق مع ما يعتقده (مذهبه الفكرى عن النوع) وما يشعره (أصابه الإحباط بانسحاب باربارا)، وما يقوم به (وهو العمل لساعات طويلة ويختصر الوقت الذى يقضيه فى العمل) - هذا التركيب المعقد من الإدراك والشعور والفعل - يشكل «استراتيجية النوع» لديه.

ولنا أن نقول إن تفاعل هذه الاستراتيجية مع مثيلتها لدى زوجته هو الذى حدد التقسيم الفعلى للوردية الثانية بينهما، فقبل كل شئ، فإن مفهوم «جون» للنوع «مجرد جزء صغير من أسباب تقسيمه لعمل المنزل بهذا الشكل». إن مذهب النوع لديه أضفى على مشاعره المنبثقة منه - فى سياق سيرته الذاتية - سمة الترابط المنطقى والعقلانية.

إن المشاعر التى تكمن تحت مفهوم النوع المساواتى لدى چون، تستمد جذورها من الحرمان العاطفى، الذى عاناه فى طفولته على يد أبيه المتخلى وأمه مدمنة العمل، وما أودت به هذه الخلفية من آمال عقدها على زوجته «آن»، ولكن، بالنسبة لرجال من نوعية «بيتر تاناجاوا»، فإن المشاعر الكامنة وراء مفهوم النوع ناتجة أساساً عن إدراكهم لدور الرجال فى العالم الاجتماعى. وعموماً أينما كان مصدر تلك المشاعر

فإنها إما تقوى أو تدمر المفهوم الظاهرى للرجل، وتؤثر على رغبته فى المشاركة فى أعمال المنزل. وكان لكل فرد عقدت معه لقاءً مفهومه عن النوع، الذى كان يتردد فيما بين مفهوم يتعارض بقوة مع المشاعر الباطنية للشخص، أو مفهوم لا يختلف معها على الإطلاق. ففى البعض من أمثال «مايكل شيرمان» تكون القاعدة الشعورية «علينا أن نرغب فى المشاركة»، أو يجب ألا نغضب بشأن اضطرارنا للمشاركة، وما قد يستتبعه هذا من «حرمان». بينما فى البعض الآخر من أمثال «فرانك ديلاكورت».. فقد تكون القاعدة هى الخجل من «اضطراره» للمشاركة.

ولكن ما يريد كل من الرجل والمرأة القيام به لا يصف تماماً فى العادة مايقومان به بالفعل. وينطبق هذا الكلام على كل من نانسى هولت وفرانك ديلاكورت؛ فنانسى كانت تقوم تقريباً بكل أعمال الوردية الثانية، بالرغم من اعتقادها أن هذا ليس من اختصاصها وحدها، ولكن بلا إدراك منها كانت تنجزه بمفردها. وكذلك كان فرانك ديلاكورت يقوم تقريباً أيضاً بنصف مهام الوردية الثانية بالرغم من اعتقاده بأنه يجب ألا يفعل ذلك. ولكن تفسير هذا هو أن نانسى كانت تكيف نفسها مع استراتيجية إيفان فى رفض مبدأ المشاركة، وكذلك فعل فرانك فى تكيفه مع استراتيجية كارمن.

استراتيچيات المرأة:

الطرق المباشرة لتغيير الأدوار

كيف يتطابق مضمون أفكار ومشاعر شخص ما بخصوص أعمال الوردية الثانية، مع ما يفعله بالفعل إزائها أى مع استراتيجيته السلوكية؟ إن معظم النساء المؤمنات بالمساواة، ولديهن شعور قوى بخصوص المشاركة، يفعلن أحد شيئين: إما يتزوجن برجال مؤمنين بالمشاركة مثلهن، أو يحاولن تغيير مفهوم الزوج عن دوره داخل البيت: فنجد إمرأة كأدريان شيرمان قبل الإنجاب تتخذ خطوة خطيرة، يحسمها

للموقف مع زوجها وتخييرها إياه «إما المشاركة أو الطلاق» وكسبت هى الجولة. على حين واجهت نانسى هولت أزمة كبيرة فى زواجها بعد ميلاد طفلها «جوى». ولكنها عجزت عن حسم الموقف على النحو الذى يريحها. ولكن كلتا الزوجتين واجهتا الزوج، وأحدثتا ثورة عاطفية كبيرة نتيجة لذلك.

وهناك نساء أخريات اتبعن سلسلة من المحاولات الصغيرة لحث أزواجهن على تولية أسرهم مزيداً من الاهتمام. فواحدة مثل كارول ألستون عندما كانت حاملاً فى شهرها الثامن، وكان زوجها يعمل تقريباً طوال اليوم، وتتذكر كيف قالت لزوجها ذات يوم بعد عودته من عمله: «لن أستطيع إنجاب هذا الطفل إن لم تهيئ هذا الأمر عاطفياً معى». وقد نجحت فى إشعاره بأهمية الموقف، رغم أنها بالطبع لم تكن تعنى أنها لاترغب فى الطفل. ونساء أخريات يخضن أيضاً مناقشات طويلة ومضنية مع أزواجهن؛ لإعادة تنظيم توزيع الأعمال بالمنزل.

إن ما يربو على نصف النساء العاملات اللاتى عقدت معهن مقابلات، حاولن بطريقة أو بأخرى تغيير الأدوار فى البيت. ومرجع الشيوع الواسع لهذه المحاولة من قبل النساء هو تحملهن لعبء التعارض بين المفاهيم التقليدية والظروف المعاصرة. وإن لم يحاولن تعديل نظام تقسيم العمل فهن فى العادة اللاتى يقمن بعمل شهر إضافى فى العام ويلجأن إلى استحداث استراتيجيات شخصية فى ظل افتقاد أطفالهن للأبوة الإيجابية الفعالة فى حياتهم.

الطرق غير المباشرة لتغيير الأدوار

لقد حاولت بعض النساء تغيير الأدوار الزوجية بطريقة غير مباشرة، وهذه استراتيجية مثالية للأمهات العاملات التقليديات اللاتى يحتجن إلى المعاونة بشدة داخل المنزل، ولكن لا يستطعن المطالبة بالتغيير مباشرة فى المسئوليات من منطلق رغبتهن

فى الاضطلاع بهذا الدور، وما يمنحه لهن من قوة وسلطة. ولمواجهة هذه المأساة.. تظاهرت كارمن ديلاكورت «بالعجز» عن القيام بمهام المنزل وحدها. أما نينا تاناجاوا.. فقد لجأت - وهى نصف واعية - إلى المرض العضوى للإفصاح عن أزمتها.

وقد حدثتنى إحدى سيدات الأعمال الناجحات البارزات، وتدعى سوزان پيلسبرى ، Susan Pillsbury، (وهى امرأة تصف نفسها بأنها تقوم باقتسام العمل مناصفة مع زوجها) بقصة تفصح عن أسلوبها غير المباشر لإحداث التغيير الذى تنشده بقولها:

سأحدثك عن قصتى المفضلة. فعندما كنت حاملاً ..حاولنا أنا وزوجى چيرى، Jerry، التفكير فى اسم المولود ولكننا لم نفلح؛ فقد كان ما يهم زوجى هو إنجاب الطفل وليس تسميته. لذلك لم أرد أن أطلب منه أن يكون مهماً. ولكنى أدرك أننى لابد أن أستشيره فى تحليل أى قرار لذلك وضعت «معياراً للقرار» مثل هل يفترض أن يكون الاسم لقب العائلة، وهل يجب أن يتوافق الاسم الأول مع لقب العائلة، وهل يقترح طولاً معيناً.... وما ألبث أن أضع الموضوع على هذه الشاكلة، حتى يتفاعل معه ولا يتوقف.

وهناك وسائل سلبية أخرى تلجأ إليها الزوجات لجذب الأزواج إلى دائرة المشارك داخل المنزل. وحتى هؤلاء اللواتى يرفضن بشدة استخدام طرق «الخداع النسائية» للوصول لمآربهن، كن أحياناً يائسات لدرجة أنهن لجأن إليها مثل نانسى هولت، التى كانت ترى كم يبعث على الازدراء لجوء المرأة إلى استخدام الجنس للوصول إلى هدف تريده، ولكن عندما استمر إيفان فى رفضه مشاركتها الوردية الثانية.. لجأت نانسى إلى هذا الأسلوب، ثم أصابها الندم بعد ذلك عليه.

الأمومة الخارقة

وعلى عكس الاستراتيجية التى تستخدمها المرأة لتغيير الأدوار، نجد أن أسلوب الأمومة الخارقة هو الاستراتيجية الشائعة بين الأمهات العاملات للقيام بمهام المنزل، دون أن يلجأن إلى «إرغام» أزواجهن على ذلك. وقد وجدت أن نحو ثلث الأمهات يتبعن تلك الاستراتيجية بجانب خطط بارعة أخرى. إن الأمهات الخارقات يمكثن لساعات طوال فى أعمالهن، ويستبقين أطفالهن متيقظين حتى ساعة متأخرة جداً من الليل لكى يتمكن من قضاء بعض الوقت معهم. إن عديداً من هؤلاء الأمهات تقليديات بمعنى اعتقادهن أنه يدخل فى نطاق مسئوليتهن القيام بعمل الشهر الإضافى فى العام. على حين أن أخريات رغبن فى مشاركة أزواجهن ولكنهن شعرن أن رصيدهن من الأفضل فى «بنك الزوجية» لا يحفزهم على تقديم المزيد.

إن الأمومة الخارقة تعنى كاستراتيجية مواءمة المرأة بين متطلبات عملها ومتطلبات بيتها. والتنظيم بينها بصورة لا تجعل هناك مجال للتعارض مع بعضها البعض. كما أنها تعنى أيضاً تنازلها عن حاجتها للراحة واحتياجاتها الشخصية. فهن يخلقن صورة لأنفسهن كأمهات منظمات، قادرات على كل شئ . ونتيجة لذلك تفقد تلك المرأة كنه مشاعرها فى خضم مشاغلها التى لا تنتهى. وكما تصف نينا تاناجاوا تصبح المرأة فى هذه الحالة «متبلدة الحس» وقد كررت باربارا ليفينجستون مرات ومرات قولها «لا أعرف بماذا أشعر.»

تخفيض ساعات العمل

بعد محاولات شاقة لتغيير إيڤان.. اضطرت نانسى إلى تخفيض ساعات عملها وهى مرغمة، على حين أن كارول ألستون كما خططت لحياتها بعد إنجاب الطفل الثانى، خفضت بإرادتها ساعات عملها. أما آن مايرسون فقد انتهى بها المطاف إلى

ترك عملها بعد دخولها فى مشاحنات مع سلسلة متتابعة من جليسات الأطفال. ومن هنا يتبين أن بعض النساء يعتبرن تخفيض ساعات العمل بالنسبة لهن هزيمة كما فى حالة «نانسى» و«آن» على حين تعده أخريات انتصاراً مثل كارول ألستون.

والنساء غالباً ما يعددن أنفسهن عاطفياً لتخفيض ساعات العمل بالابتعاد عن أصدقاء العمل، وتجديد صداقاتهن مع أصدقاء الأسرة، وعموماً باللجوء إلى كل مايدعم الركون إلى حياة أكثر عزلة بالمنزل.

إن هناك هدفاً رئيسياً تصبو إليه النساء اللائى يتقلدن مناصب قيادية، وحتى صاحبات الوظائف العادية ألا وهو رفع راية تقدير الذات عالياً. وهذا ما لمسناه فى كارول ألستون التى شعرت بالإحباط و«زيادة وزنها» وأنها «مجرد» ربة بيت بعد إنجاب طفلها الأول، ثم ما لبثت أن تحولت إلى مجرد متسوقة فى متاجر البقالة الكبيرة، تجتاحها الرغبة فى أن تهتف: «أنا لديّ ماجستير فى إدارة الأعمال... لدى ماجستير فى إدارة الأعمال!».

تخفيض عمل المنزل والعناية بالزواج والطفل والنفس

ومن الاستراتيجيات الأخرى التى تلجأ إليها الأم العاملة هى تخفيض ساعات جهدها، أو الاقتصاد فى أفكار أساسية تتعلق بما تحتاج أن تفعله لصالح البيت والطفل والزواج والنفس.

إن تخفيض العمل المنزلى يبدو واضحاً لدى اللاتى ليس عندهن خادمات. وقد بدأت الأمهات التقليديات المقابلة بتقديم الاعتذار عن مظهر المنزل ومستواه الجمالى المنخفض الذى ينعكس على مظهرهن شخصياً. وأعربن عن شعورهن بالضيق لما

يسوده من فوضى، أو على الأقل اعتقدن أنه يجب عليهن أن يشعرن بذلك.

أما المرأة المساواتية فتشعر بالعكس. فهى تحاول جاهدة ألا تظهر اهتماماً بالمنزل وتتحدث بالفخر عن أعمال لا تقوم بها أو نسيت القيام بها. مثل أنيتا چادسون التى تقول ونبرة الانتصار تمتزج بضحكاتها: «أنا لست من النساء اللاتى يغسلن الجدران». بينما تساءلت بعضهن عن ضرورة ترتيب الفراش أو غسل الصحون أو تنظيف الأرضيات أو حتى إعداد الوجبات. فكما شرحت لى «كارول ألستون»: «نحن نتناول وجبة غذاء كبيرة فى أعمالنا، ثم أحاول إتباع رجيم غذائى لخفض وزني، ولذلك لم تعد وجبة العشاء بهذه الأهمية.» وعموماً.. نجد أن المرأة أكثر اهتماماً بمظهر البيت عن الرجل. وبعد إنجاب الطفل الأول تبينت أن كل طرف من الزوجين يمنح اهتماماً أقل للطرف الآخر. إن انخفاض الوقت الذى يمكثانه سوياً كان فى العادة غير مقصود، ولكن كان له ثمنه العاطفى. فمعظم الأزواج والزوجات شعروا كما لو أنهم «ينتظرون» وقتاً سانحاً أكثر يقضونه سوياً، كما علق روبرت مايرسون : «ليس لدينا وقت نقضيه بمفردنا وننتظر حتى تكبر بناتنا.»، ولكن عندما يصبح الزواج الطريق الرئيسى والوحيد لتضميد جراح عاطفية من الماضى - كما كان الحال مع چون ليڤينجستون - يكون غالباً الانتظار صعباً.

وفى خضم ملاحقة الزمن واللهاث معه فى سباق لا ينتهى يخفض الوالدان أيضاً دون قصد منهما احتياجات أطفالهم، كالعناية البدنية مثلاً . وقد علقت إحدى الأمهات العاملات بصدد تلك الجزئية قائلة: «هل من الضرورى أن يستحم الأبناء كل مساء؟ إننا لسنا منتظمين فى ذلك. وأحياناً نكتفى بغسيل الوجه والأيدى لولدى چيرمى، Jeremy، وما أصابه سوء... إنه يعيش.» فى حين عبرت أم أخرى عن شكها فى حاجة طفلها أن يغير ملابسه كل يوم: «لماذا لا يستطيع الطفل أن يرتدى نفس السروال لثلاثة أو أربعة أيام متتالية؟» عندما كنت طفلة..كانت أمى تصمم على ارتدائى

ملابس نظيفة كل يوم ، مما أدى إلى بلاء ملابسى المفضلة بسرعة». أما أم ثالثة فقد عبرت عن فلسفتها فى تناول الخضراوات بقولها: «إن ابنى «جوشوا» Joshua، لايحب الخضراوات. لذلك فأنا أقوم بإعداد شئ سهل مثل الحساء وساندوتش زبدة الفول السودانى. إن ذلك لن يؤذيه.» على حين قالت أم أخرى، بدت درجة اعتنائها بطفلها منخفضة: «عندما يصاب طفلى بنزلة برد لا أمنعه من الذهاب إلى الحضانة فكل الأطفال هناك مصابون بالبرد. فالعدوى تنتقل إليه من الآخرين، فلماذا لا ينقل إليهم هم أيضاً العدوى؟.»

ومن المحزن للغاية أن عدداً من الآباء والأمهات العاملات يستقطعون من اهتمامهم العاطفى بأبنائهم، على حين أنهم أنفسهم كانوا ينعمون بحنان واهتمام والديهم. فهؤلاء بالأحرى لابد أن يتملكهم الشعور بالذنب وتأنيب الضمير، فإحدى الأمهات تحاول تبرير تركها لطفلتها ذات التسعة شهور لساعات طويلة فى الحضانة قائلة: «إنها تحتاج لأطفال فى مثل عمرها.» أو «إنها تحتاج للاستقلال عنى»، وهذا بالطبع كلام غير منطقى فقد لا نخسر كثيراً باستقطاع الوقت من أعمال المنزل. ولكن أن نضع احتياجات طفلة رضيعة كهذه مساوية لاحتياجات فتاة فى الرابعة عشر من عمرها فهو أمر يثير الاستياء فى نفس من يسمعه وله عواقبه الوخيمة.

طلب المساعدة

لجأ بعض الأزواج والزوجات إلى الاستعانة بالمساعدة الخارجية المتمثلة فى مدبرة المنزل، على حين لجأ آخرون إلى أمهاتهم أو قريباتهم للعناية بأطفالهم. ومن المثير للدهشة فى تلك الدراسة أن عدداً من الآباء والأمهات مثل راى چادسون لجأوا إلى أطفالهم، ليقتسموا معهم تنظيف المنزل أو العناية بأشقائهم الأصغر.

وبالطبع.. فإن جليسة الأطفال هى المصدر الأساسى للمعاونة الخارجية. وقد حاولت بعض الأمهات أن تجعل جليسة الأطفال «عضواً فى الأسرة»، أو على الأقل أن

تخلق صداقة قوية معها، ربما - بلا وعى - لتضمن ولاءها وحسن قيامها بعملها. فواحدة مثل كارول ألستون ، التى كانت تترك طفلتها ذات الستة شهور من عمرها مع «جليسة أطفال رائعة» طوال أحد عشر ساعة يومياً، أعطت تلك الجليسة مزيداً من الاهتمام كأن جعلت طفلتها تناديها «بماما» ، كما كانت تدعوها هى وزوجها على العشاء والنزهات، أو يتبادلان الهدايا فى أعياد الميلاد. ومع هذا كله كان من العسير على كارول أن تمحى شكوك تلك الجليسة بأن سبب المعاملة الكريمة التى تتلقاها منها، هو تحفيزها على إعطاء مزيد من الاهتمام بطفلتها.

وأخيراً.. لجأت معظم السيدات إلى اقتصار احتياجاتهن الشخصية والإقلاع عن القراءة وممارسة الهوايات ومشاهدة التليفزيون وزيارة الأصدقاء وحتى الاختلاء بأنفسهن. وعندما سألت آن مايرسون عن كيفية قضاء وقت فراغها أجابت: «فى دفع الفواتير»، على حين أجابت أخرى تعمل فى بنك على نفس السؤال قائلة: «إن وقت فراغى هو وقت انصرافى من العمل». لم أقابل أمهات عاملات يمارسن بعض الهوايات مثل إيڤان هولت أو روبرت مايرسون فقد أصبح جزءاً من «تراث» الأم العاملة أن تتنازل عن وقت فراغها الشخصى، وكثيرات يفعلن ذلك بإرادتهن.

وطيلة الوقت.. تعمد معظم النساء إلى استخدام عدة سياسات فى وقت واحد تتمثل فى التخفيض من (ساعات العمل وأعمال البيت والزواج والعناية بالأطفال أو الاحتياجات الشخصية)، والسعى إلى طلب المساعدة الخارجية وممارسة الأمومة الخارقة. إن هناك فيصلاً كبيراً من الزوجات اللواتى، كن يحفزن أزواجهن على المشاركة فى الوردية الثانية (كنانسى هولت وأدريان شيرمان)، ونظيراتهن اللواتى لجأن إلى استخدام طرق أخرى لإنجاز أعمالهن (مثل نينا تاناجاوا وآن مايرسون). ولنضرب بنانسى هولت مثالاً نموذجياً للمرأة التى تعتنق فكرة المساواة فى الزواج خشية أن تصبح زوجة تعيسة كأمها، وأرادت أن تحث زوجها على المشاركة من منطلق شعار: «إذا كنت تحبنى ساعدنى»، وكانت نتيجة إصرارها على ذلك أن تعرضت

حياتها لعاصفة عاطفية استسلمت لها ثم كرهتها. ومن ناحية أخرى نضرب مثالاً نموذجياً للنساء، اللواتي يتجنبن حث الأزواج على المشاركة، ولا يعرن لهذا الأمر التفاتاً، مثل نينا تاناجاوا التي تتبع القواعد الشعورية المتفقة مع الزواج الانتقالي من منطلق شعار: «إذا كنت تحبني فستهتم ، ولكن مبدأ المشاركة ليس موضع مساومة». لقد تذبذبت عديدات بين الوجدان والنزوع مثل نانسي هولت ونينا تاناجاوا.

استراتيچيات الرجال

تتوازن لحد ما كفتا الميزان لاستراتيجيات الرجال والنساء على حد سواء، ولحد ما تختلف أيضاً. فمن الممكن أن يعد بعض الرجال آباءً خارقين يقاربون الأمهات الخارقات، أو يماثلونهم مثل چون ليڤينجستون . فمنهم من اختصر من ساعات عمله لأجل أطفاله الصغار مثل مايكل شيرمان وأرت وينفيلد. ومنهم من قام بالتضحية بالامتناع عن الذهاب إلى دور الخيالة أو رؤية الأصدقاء أو ممارسة بعض الهوايات، وهكذا، فقد تشابهت استراتيجيات بعض الرجال مع مثيلاتها عند النساء.

ومع هذا يبدو الوضع مختلفاً لمعظم الرجال في ناحية جوهرية، وهي أنه بحكم العادة ونظرة العالم إلى دور الرجل على أن يستمد قيمته فقط من قدرته على الكسب، وتمويل الناحية المادية للأسرة. فأعمال الوردية الثانية هي بالضرورة من نصيب المرأة، والعالم لا ينظر بكثير من التقدير للرجال لمساعدتهم زوجاتهم في المنزل.

ومن ثمَّ.. نرى أن معظم الرجال لايسعون للضغط على زوجاتهن للمشاركة بشكل أكبر في المنزل، بل هم الذين يتعرضون لمثل هذا الضغط . وهذا اختلاف رئيسي بين الأزواج والزوجات، كما تبين لي أن غالبية الـ 80٪ من الأزواج الذين أجريت عليهم دراستي، والذين لايقتسمون العمل داخل البيت يتعرضون لضغوط من آن لآخر من قِبَلِ زوجاتهم لدفعهم إلى المشاركة.

كذلك .. اكتشفت أن معظم الرجال «انتقاليون» فى مفهوم النوع لديهم، ولكنهم «مقاومون» فى استراتيجيتهم، وأن ضغوط زوجاتهم عليهم أثار غالباً عدداً من المشاعر الدفينة لديهم. فمثلاً رفض راى چادسون لمساعدة زوجته يأتى من منطلق «خشيته» من أن يفقد سيطرته عليها، إذا لم تعتمد عليه اقتصادياً. أما رفض بيتر تاناجاوا لمبدأ المشاركة يستتر تحته خوفه من فقدان مركزه «كرجل الأسرة» فى بيته وفى محيط مجتمع الأسر التى يعيش بينها. أما إيڤان هولت فقد خشى أن تتسيد عليه زوجته، وتتنصل من دورها فى العناية بالمنزل بنفسها.

ومن ناحية أخرى.. نرى أن رفض البعض الآخر مبدأ المشاركة فى الوردية الثانية، لهو بمثابة أسلوب يعمدون إليه لتحقيق نوع من «التوازن» مع زوجاتهم، وليعوضوا شعوراً يمتلكهم «بتفوق زوجاتهم وظيفياً أو مادياً عليهم» أو «يتمتعن بسلطة أكبر منهم» أيضاً.

أما السبب الرئيسى والنهائى فى تقاعس الرجال عن المشاركة هو شعورهم بأنهم يتمتعون بميزة أن تنجز زوجاتهم أعمال المنزل بأنفسهن دون الاعتماد عليهم، وهم إذا ما «أقحموا» فى مساعدتهن، فهذا معناه سلبهم تلك الميزة. لذلك فهم يتعللون من الأسباب ما يبررون به عدم المشاركة كتعرضهم لضغوط العمل. وإن لم تفلح تلك الأسباب من إعفائهم من عمل البيت.. فإنهم يعلنون صراحة تنصلهم من مهام البيت؛ «لأنهم لم ينشأوا» على القيام بها.

استراتيچيات التعاون

قد أعرب نحو 20٪ من الرجال عن رغبة صادقة لتحمل العبء مع زوجاتهم داخل المنزل، وكانوا بالفعل على قدر المسئو لية، وبعضهم أعرب عن رغبة صادقة فى المشاركة إلا أن زوجاتهم تمنعهم. وكما قالت لى مدرسة وأم لطفلين «يقوم زوجى بعمل

كل المنجزات وعلى استعداد للتعاون فى كل شئ إذا أذنت له». وبعض الرجال يقاومون هذا التعاون فى البداية، لكن شيئاً فشيئاً يتجاوبون، ولكن معظمهم انتهى بهم الشعور إلى ما عبر عنه أرت وينفيلد قائلاً: «إنى أتعاون فى أعمال البيت لأن هذا عدلاً. أما تربيتى لأبنائى فهى تنبع من رغبتى الداخلية.»

استراتيجيات المقاومة ، والتباعد، وتخفيض الاحتياجات والعروض البديلة والتشجيع الانتقائى

بدا عديد من الرجال يتأرجحون بين فترات التعاون والمقاومة. فهم عندما يرفضون غالباً ما يقومون بعملهم فى المنزل بطريقة تتسم بالبعد عن التركيز وأيضاً بالشرود، لكى يتنصلوا عن ما فى أيديهم من مهام: وعلى هذا نقيس شخصية إيڤان هولت الذى كان ينسى قائمة طلبات البقالة، ويحرق الأرز أثناء طهيه، وكان يبحث عن مكان المقلاة. إن مثل هؤلاء الرجال يسحبون اهتمامهم العقلى حتى يظهروا بمظهر المتعاونين ولكن لا يتم اختيارهم المرة الثانية لنفس المهام. وهنا يماثل الرجل المتملص من المشاركة كارمن ديلاكورت التى كانت تتظاهر بأنها غبية.

كما أن عديداً من الرجال كانوا ينتظرون ساكنين حتى تأتيهم زوجاتهم لطلب المساعدة منهم، وهم فى قرارة أنفسهم يتمنون بألا يفعلن. إن مثل هؤلاء الرجال يضيفون أساساً إلى زوجاتهم عبء اللجوء إليهم استجداءً للمساعدة. ونظراً لأن عديدات من الزوجات يكرهن سؤال أزواجهن ذلك، فهن يشعرن كما لو أنهن «يتسولن»؛ خاصة إذا ما كانوا يطلبون المساعدة من أزواج يثورون أو يغضبون تجاه هذا؛ مما لايحفز زوجاتهم على إعادة الكرة معهم.

وبعض الرجال قاموا بما نستطيع أن نطلق عليه « مساعدات بديلة » . فرجل كـ «پيتر» تاناجاوا (الذى غالباً ما يقضى وقته داخل البيت فى قراءة أخبار الرياضة،

إن لم يكن لديه عمل فى المنزل) وكان يساعد نينا فى كل حركة، وكل أزمة تنشأ من الصراع بين وظيفتها والعمل فى البيت، وكان تدعيمه هذا كاملاً جداً ومشاعره عميقة جداً لدرجة تجعلنا بحق نطلق عليها «المساعدة البديلة».

وبوعى أم لا، لجأ بعض الرجال إلى استراتيجية: «تخفيض الاحتياجات» ومثالاً على ذلك فسر مندوب مبيعات - وهو أب لاثنين من الأطفال - عدم قيامه بالتسوق بأنه «لا يحتاج إلى شئ»، كما فسر عدم ذهابه للمغسلة لكى ملابسه بأنه لا يمانع من ارتدائها دون كى. وعندما سألته عن المسئول عن شراء أثاث شقته، أجاب: «إنها زوجته». لأنها تهتم بمثل هذه الأمور، أما هو فباستطاعته الاستغناء عنه. كما أنه لايهتم بتناول كثير من الطعام ويكفيه وجبة الحبوب. ولا يعتقد أن قراءة الكتب عن كيفية تربية الأطفال بأمر مهم. ومن هنا نرى أن من خلال *سلسلة اختصارات* هذا الرجل لاحتياجات كثيرة فى الحياة خلق فى زوجته «رغبة أكبر» لأن تراه على النقيض: يرتدى قميصاً مكوياً، وأن يؤثث شقته بنفسه، ويشترى الكتب، ويطهو الطعام.

كذلك أطرى وأثنى عديد من الأزواج على قدرة زوجاتهم فى تنظيم وتدبير أمور المنزل، وكان هذا الإطراء صادقاً وملائماً. ويعتبر إحدى الطرق لحث الزوجة على القيام بمسئولية البيت.

إن التفاعل بين استراتيجية النوع لدى الزوج (بكل ما تتضمنه من معان عاطفية لديه)، وما يقابلها لدى الزوجة هى الأخرى (بكل ما تتضمنه من معان عاطفية لديها)، هو الذى يحدد مدى المشاركة الفعلية للأب فى أعمال المنزل ومدى ممارسته لأبويته. كذلك تتدخل الظروف الخارجية لتؤثر على ما يقوم به مثل عدد ساعات العمل والوقت الذى يقطعه للوصول إلى أو العودة من موقع عمله.

وبالرغم من أن كثيراً من الأزواج «يؤمنون» الآن بمبدأ المشاركة.. إلا أنه فى

هذه المرحلة من تاريخ البشرية؛ فإن القليلين منهم حقيقة يقومون بذلك. كما أصبح الزواج الحديث مادة للسخرية من هذا الصراع بين القول والفعل. كما نجد فى إحدى المسلسلات الهزلية لجارى ترودو، Gary Trudeau، حيث جلس أب «متحرر» يكتب كتاباً عن كيفية تربية طفل، فنسخ: «استيقظت اليوم وأمامى عبء ثقيل من الأعمال بالمنزل فسألت زوجتى چوانى، Joannie، وهى تستعد لاصطحاب ابنى چيفرى، Jeffrey، إلى الحضانة إذا ما كان بإمكانى التماسى الراحة من المهام المنزلية المعتادة هذا اليوم.» فردّت: «بالتأكيد سأحاول أن أحل محلك فى فترة الخمس دقائق التى اعتدت القيام فيها بالمعاونة.»

أما ما يحقق غالباً التوازن بين استراتيجيتى الزوجين، هو تبادلهما الشعور بالامتنان. ولكنى وجدت زوجات عديدات مثل آن مايرسون، ونينا تاناجاوا، وكارول ألستون ومعظم الزوجات أعربن عن شعورهن بالامتنان لأزواجهن أكثر من شعور هؤلاء الأزواج بالامتنان لهن. كما أن انخفاض أجور النساء، وارتفاع نسبة الطلاق والتراث السائد الذى ينادى بتبعية المرأة للرجل خلقت مناخاً اجتماعياً يشوبه الخوف من الفشل فى الحياة الزوجية، مما جعل معظم السيدات يشعرن بأنهن «محظوظات» تجاه تقديم أزواجهن «بعض المساعدة» لهن. وخلف هذا الغطاء الحضارى، خلف تلك الصورة الخيالية للمرأة العاملة الحديثة ذات الشعر المتطاير، يكمن الصراع الدائر فى هدوء فى كثير من الزيجات التى يعمل طرفاها. ولكن معظم النساء يتمسكن بحرص بتلك الاستراتيجيات، التى تهدف لتجنب التغيير فى الرجال خوفاً من أن يؤدى هذا التغيير إلى مزيد من التوتر فى حياتهم الزوجية.

الفصل الرابع عشر

متاعب الزواج في زمن الطلاق

14

الفصل الرابع عشر

متاعب الزواج فى زمن الطلاق

أثناء دراستى للزيجات التي يعمل فيها كلا الزوجين.. توصلت إلى أنهم معرضون لأنماط ثلاثة من التوتر : الأول ينجم من اختلاف وجهة نظر كل من الزوج والزوجة حول مايجب على كل منهما عمله فى مجال العمل والبيت . وهذا الاختلاف منشأه التباين بين استراتيجية الاثنين فى حالة أسر، مثل عائلة « هولت » وعائلة «ستاين» . أما التوتر الثانى.. فوجدته يتصارع داخل نفس كل إنسان متزوج، وهو انقسامه بين رغبته القوية فى أن يعيش على النمط القديم ؛ حيث يعمل الزوج ليعول أسرته بينما تمكث زوجته فى البيت، وبين حاجته لأن يواجه المصاعب الاقتصادية التى تجعل مثل هذه الحياة التقليدية مستحيلة فكارمن وفرانك ديلاكورت لم يختلفا حول الفكر والاستراتيجية، ولكن كليهما عانى الصراع بين الفكر والواقع . أما التوتر الثالث وهو اكثر اختفاءً وبلا اسم وخطير فى الوقت نفسه، ينشأ من الاستهانة بدور ربة البيت والتقليل من قيمته، بالرغم من أهميته فى مواجهة احتياجات الأسرة . وهذه المشكلة تبدو أكثر وضوحاً فى الطبقة المتوسطة العليا من أبناء المجتمع، المستغرقين تماماً فى أعمالهم وبناء مستقبلهم .

أحدهم فى الخلف والآخر فى الأمام : تصادم بعض الازواج

اشترك نحو ثلثى أزواج وزوجات هذه الدراسة، ومعظمهم ممن مضى على زواجهم من سبع إلى عشر سنوات فى أيديولوجيتهم للنوع . فقد كان الزوجان إما «تقليديين » أو « انتقاليين » أو « مساواتيين » . أما فى الثلث الباقى من الحالات.. فقد تباينت فيها المشاعر بين الزوج والزوجة بصورة كبيرة خصوصاً حول دور كل منهما داخل المنزل وأبعاد هذا الدور . (ولاحظ هنا استبعادى لحالات الأزواج الذين رفضوا بعنف مبدأ المشاركة؛ حيث إنى استبعدت هولاء الذين تم طلاقهم، قبل أن أبدأ دراستى) .

إننا نجد بعضاً من الازواج والزوجات، مثل چسيكا وسيث ستاين، لم يتمكنا من تحديد أدوار واضحة لكل منهما قبل الزواج ، مؤملاً كل منهما أن يغير الطرف الآخر. وعادة ماتكون الزوجة فقط هى التى تتغير بعد أن تيأس من تكييف زوجها .

إن مثل هذه التصادمات تعكس توتراً اجتماعياً واسع المدى بين النساء الأسرع فى التغيير والرجال الأبطأ فى هذا التغيير . ونظراً لأن الظروف والاحتياجات الاقتصادية المتغيرة تؤثر على النساء بقوة أكثر من الرجال .. فإننا نجدهن أكثر اختلافاً من أمهاتهن عن اختلاف أزواجهن بالنسبة لآبائهم كما أن « ثقافة المرأة » تغيرت بسرعة أكبر عن « ثقافة الرجل » ، ثم نجد ماهو أهم وهو أنه فى الثلاثين عاماً الأخيرة قل شعور الرجل تجاه البيت، بالمقارنة بشعور زوجته التى تسعى لأن تخلق لها مكانة فى العمل هى الأخرى . فمعظم النساء الآن ترغب فى العمل ، سواء أكانت فى حاجة إليه أم لا. وهذا مبعثه شعورها بأن عملها حيوى ومهم وممتع، ويمنحها الاحترام فى عيون الآخرين بما فيهم زوجها. وهذا الإحساس نجده أيضاً بين النساء اللائى يعملن فى وظائف منخفضة المستوى .

إن التصادم بين الزوجين يخلق في كل من الطرفين الشعور بأنه يفتقد الشعور بالجميل والتقدير من قبل الطرف الآخر، وفى حالات زواج كتلك.. يصبح تبادل الامتنان على شاكلة « خطاب رسمى ميت »، كما يبدو أن الشكر مرسل إلى « عنوان خطأ » . ويصبح السؤال الذى يفرض نفسه : « أين شكرى ؟ » إن الهدية التى منحتها «چسيكا» لزوجها « سيث » كانت تخليها عن عملها طوال الوقت . وبالنسبة « لسيث » نفسه فالهدية كانت تخليه عن وقت فراغه ليعمل وقتاً إضافياً . فالمشكلة هنا ليست فى انهما غير قادرين على العطاء ولكن المشكلة الحقيقية انه على ضوء مفاهيمهما للنوع فإن « سيث » يريد أن « يعطى » فى مكتبه ، بينما هى تريد أن تتلقى عطاءه فى المنزل بأن يلعب مع ابنها الصغير، أو يعزف البيانو مع ابنهما الأكبر . إذ إنها تعتبر أكبر «منحة» أعطتها لسيث، هى تضحيتها بعملها طوال الوقت ؛ فكل منهما شعر أنه «موضع استغلال» من الطرف الآخر؛ لأنهما فى الحقيقة مختلفان بشدة فى رؤيتهما للأشياء وتوقعاتهما، وأيضاً فى استراتيجيتهما عن النوع . وفى النهاية .. كان الرصيد كماً ضئيلاً من الامتنان . ونحن إذا ماقسنا زواجهما بمقدار العطاء التى تبادلاه سويا، وليس بمقدار الوقت الذى يعيشانه معاً ، لاكتشفنا أن هذا الزواج انتهى منذ سنوات

إن عديداً من أمثال تلك التضحية ، مثل: اللحاق بزوج أو زوجة إلى مدينة أخرى أو رعاية والدى الزوج أو الزوجة ، أو التكفل بمصاريف دراسة ابن الزوج أو الزوجة ... كل هذه التضحيات إنما تستمد قيمتها فقط من خلال الرؤية الثقافية من الطرف الآخر لها، مشتملة على آرائه حول مفهوم النوع. فراى چادسون على سبيل المثال أراد ان يمنح أنيتا « ميزة » البقاء فى البيت . ولكن أنيتا لم تستطع ذلك ، على حين أنه عندما قدم پيتر نفس العرض لنينا، أبدت إعجابها به، ولكن ليس بنفس القدر الذى كان يأمله پيتر . لقد حاولت نانسى هولت أن تمنح إيڤان مميزات عملها، وما يتلقاه من مرتب، كما أرادت أن يشاركها صداقات عملها ، وأن تقدم له أى شىء، من شأنه أن يزيح

شكوكه تجاه رغبتها الصادقة فى أن تسبغ عليه عديداً من « المنح » . إن الثورة الاجتماعية الرائدة فى وقتنا هذا لتدخل إلى ثنايا تلك اللحظات الخاصة، التى تشكل الزواج من خلال الإطراء والثنايا على تلك العطايا و« المنح » .

وعندما يدب التوتر بين الزوجين فإنهما يواجهان مشكلة « حل » أو «محاولة حل» هذا التوتر . بيد أننا نجد كلا من الزوجين فى حالة الستاينز والچادسونز لم ينجحا فعلاً فى حل مشكلة المناوبة الثانية ، ولكنهما واجها التوترات الناجمة عنها بطرق مختلفة، حيث انفصل « الستاينز » عاطفياً ، بينما انفصل « الچادسونز » جسدياً ، أما « الـ هولتز » فقد اقتسم الزوجان حياة عاطفية مشتركة، تحت مظلة أسطورة الحل السعيد « للدور العلوى والدور السفلى » .

كذلك وجدنا عديداً من الأساطير بطريقة أو بأخرى، قدمت وسيلة للتعايش العاطفى المشترك تحت ظروف بالغة التوتر . فها نحن نجد أن « أسطورة » «الليڤينجستون» كانت « أننا لانتجنب بعضنا البعض، ولكن كل ما هنالك أننا متعبان.» وبذلك تطمس تلك الأسطورة الفكرة المخيفة بأنهما لايجرؤان على فعل الشىء الذى هما فى حاجة فعلاً اليه : ألا وهو قضاء مزيد من الوقت سوياً . كذلك نجد أن مايرسون وقد تشبثت بأسطورة أن روبرت يشاركها عمل البيت هذه الأيام ، هذا الاعتقاد الذى لايخفى حقيقة الصراع الذى يضطرم بداخلها بين الجانب الذى ترنو فيه إلى مشاركة روبرت، وبين الجانب القوى المقابل بأنها لاتريد منه ذلك .

ومن هنا نرى أنه كلما كانت هناك دوافع لتجنب التصادم بين الزوجين ـ الذى يعتبر اوسعه انتشاراً يدور حول مشاركة الزوج فى المنزل ـ تعددت الخرافات الزوجية، وتشاجر الزوجان حول سياسة كل منهما بالمنزل. ولكن مع ذلك تجمع آصرة الحب بينهما ، كلما استوعبا واحتويا الخلاف بينهما، ولكن للأسف دون حل للمشكلة وهذا هو السر وراء الثورة المتجمدة. على حين أنه كلما قلت محاولتهما لعلاج المشكلة ، اتسع

نطاق البحث اللاشعورى عن خرافة يلوذان بحماها، تساعدهما على احتواء الأزمة . ومن هنا نجد أن الزوجين يدفعان الثمن باهظاً فى تحمسهما لأسطورة زواجهما فى عصر الثورة المؤجلة .

التوتر الناشىء عن الوقوف « خلف عجلة الزمن »

حتى وإن كان هناك علاج لمشكلة النساء والأسرع تغييراً والرجال الأبطأ منهن فى إحراز هذا التغير ، إلا أنه لاتزال هناك مشكلة قائمة ، فهناك أسر على شاكلة «الديلاكورتز»، تتسم فيها أفكار الزوجين بأنها تقف « خلف عجلة الزمن » بمعنى أن أفكارهما أكثر ملاءمة للواقع الاقتصادى فى الماضى عنه فى الحاضر . فالاثنان قد اتفقا على توزيع الأدوار بينهما فى البيت. كما كان « معدل تبادل الامتنان » بينهما متساوياً . أما التوتر الذى كان يعانيانه فهو الصدام بين فكرهما التقليدى وضيق ذات اليد، وقد وجدت هذا شائعاً بين أزواج الطبقة العاملة عنه بين أزواج الطبقة المتوسطة .

إن تقليديتهما لم تعن تهرب الزوج من مشاركة المناوبة الثانية. بل على العكس إن الزوج التقليدى يحاول أن يقدم من جهده أكثر مما يقدمه أقرانه من الانتقاليين. ولعلنا نعزو هذا إلى أن الشعور بالذنب يعترى التقليديين؛ لإحساسهم بعدم قدرتهم على القيام بكل مسئوليات الأسرة المساوية . كذلك نجد بعضاً منهم يعتنى بالبيت؛ لقيام زوجاتهم بالعمل لفترات من الوقت ،تختلف عن فتراتهم. ولذلك.. فهم يتواجدون وحدهم بالمنزل لفترات طويلة . ومن هنا نجد أن التقليدية لم تمنع هؤلاء الرجال من المساعدة ، ولكنها تعنى عدم شعورهم بالارتياح لما تلقيه عليهم من عبء الشعور بالامتنان تجاه زوجاتهم،.

ولهذا .. فإن سبب التوتر فى حياة الأزواج التقليديين، ليس هو أعمال الوردية

الثانية فى حد ذاتها ، وإن كانت تشكل عبئاً عليهم مثلهم مثل غيرهم من الأزواج، ولكن أساس المشكلة هو كراهية الأزواج لعمل زوجاتهم، وبعض الزوجات التقليديات انفسهن يشعرن بأنهن مرغمات على العمل ويكرهن عملهن. والبعض يرى أنه ليس من الصواب إلقاء اللوم على هؤلاء الأزواج لشعورهن هذا مع التشبث بحقهن فى البقاء بالمنزل . ونحن نجد معظم الزوجات على شاكلة كارمن لم يبحن « بشكواهن »، وقد حاولن احتواء الصراع القائم بين أفكارهن – عن الفصل بين عالمى الرجل والمرأة وسيطرة الرجل – وبين واقع حياتهن .

وقد سعت تلك الزوجات إلى أن تبدو الواحدة منهن أكثر اختلافاً عن زوجها وأقل وقوفاً على قدم المساواة معه عما هو عليه واقع الأمر . ومن ثم نجد استراتيجيات النوع لديهن فتقت أذهانهن عن عديد من الوسائل « كالتظاهر بالغباء »، كما فعلت كارمن لتحث فرانك على دخول المطبخ، تاركاً شخصيته كرجل على بابه .

محاكاة النساء للرجال التقليدين

وبقاء التقليديين من الرجال على حالهم

لقد بدا لى أن الأزواج الذين لم يتأثروا بالعاملين الأولين المسببين فى التوتر عرضة للتأثير بالعامل الثالث، وهو استيعاب النساء للمبادىء المسيطرة على ثقافة الرجل . لقد ركزت بعمق فى دراستى على مدى قدرة الآباء فى المساهمة بجهد مشترك فى عمل، كان من اختصاص أمهاتهم من قبل ، ولكن الاتجاه الأكثر خطورة هو الاتجاه المضاد لقيام النساء بالعمل فى المكاتب لتأدية الأدوار التى كان أباؤهن يقمن بها. وهكذا لايوجد من يعمل بالمنزل . قد ينتهى الأمر بمشاركة الرجال للنساء بشكل متساو فى أعمال المنزل ، ولكن الواقع الآن أن الاثنين لا يقومان بكثير فى المنزل. وكأنهما قد اتفقا على صفقة بأن يوافق الرجل على المشاركة ولكن يخفض الاثنان من

حجم العمل المطلوب . وهكذا.. فإن هناك اتجاهاً متزايداً نحو تخفيض الوقت المكرس لأعمال المنزل والأطفال والزواج بوجه عام .

ووجدت فى بعض بيوت الأزواج المساواتيين أن تركيز كلا الزوجين يكون على عملهما ؛ أى يلعبان « دور الأب » معاً . على حين أنه فى بيوت أخرى كان الزوجان يوليان اهتمامهما تجاه الأسرة والأولاد، أى يلعبان « دور الأم » والنمط الأول هنا يقصر تجاه أسرته ، أما النمط الثانى فيقصر تجاه عمله .

إن الأزواج الذين ينتمون إلى الطبقة المتوسطة ممن أعطوا الأولوية للاهتمام بأسرهم يعانون من الاضطراب فى عملهم كما حدث لأدريان ومايكل شيرمان، فالأولى دخلت فى صراع مع رئيسها فى العمل حول مفهوم النجاح لديه، على حين عانى الأخير من تعثره فى تحقيق الآمال التى عقدها والديه عليه فقد تقدم زملاؤه فى العمل عنه. كما كان الصراع يدور بين رغبة كل من الاثنين فى تحقيق اكتشافات علمية وكتابة كتب عظيمة، إلا أنهما حاولا أن يعيشا « حياة متوازنة » لكى يتجنبا قيامهما هما الاثنان بدور « الأب » .

وعلى الجانب الآخر.. نرى أزواجا يمنحون بعضهم البعض حق العمل لساعات طويلة ويكيفون أنفسهم مع حقيقة افتقاد أسرهم لإشباع الاحتياجات العاطفية، فهاهى محامية فى السابعة والثلاثين من عمرها متزوجة بمحام زميل لها، ويسعى كلاهما للدخول كشريك فى عديد من الشركات تعلق قائلة :

« إن أعمالنا مهمة بالنسبة لنا . وقبل إنجاب الأطفال كان بإمكاننا أن نبذل مجهوداً كبيراً فيها، وأن نجد وقتاً للترفيه كالاختلاف إلى دور الخيالة بواقع كل ليلة . كما كنا نركب الدراجات فى عطلات نهاية الأسبوع . ولكن عندما ارتفعت ساعات عملنا لتصل إلى خمس وخمسين ساعة أسبوعياً، ومع مقدم طفلنا كيڤين، Kevin، دخلنا فى مرحلة الحصار. فما من ثمة أحد يستطيع أن

يخبرك كيف أن إنجاب الاطفال يقلب حياتك رأساً على عقب . وقد مكثنا لفترة كما نحن ، فقط نعيش ، لاتحظى بقدر كاف من النوم، ولانمارس حياتنا الخاصة ونتحدث إلى بعضنا البعض فى أضيق نطاق ،ونجد السعادة فقط فى كيڤين. ثم ينتهى اليوم بتبادل تحية المساء، ثم نأوى إلى فراشنا ولانزال نفعل ذلك إلى الآن » .

وأنا أرى هذا غريباً وغير مألوف على حين تبدو هذه الحياة مألوفة لآخرين، أمثال هذا المحاسب الذى يبلغ الثانية والثلاثين من عمره، وقد اتفق مع زوجته منذ البداية على أن « المنزل لايهم » فبإمكانهما تناول الطعام خارج البيت وارتياد الحفلات واستئجار « مربية رائعة » لأطفالهم. لقد كان الاثنان من المساواتيين؛ بمعنى أن كليهما كان يكره أعمال المنزل بنفس الدرجة. ومن ثم.. نجد أن مثل هذين الزوجين لديهما القليل يتقاسمانه فى الوردية الثانية، كما اختفى دور الأم تماماً من حياة الزوجة وحلت محلها مربية أجيرة .

إن تركيز مثل هؤلاء الأزواج الأوحد على أعمالهم، قد يجعلهم يولون اهتماماً اقل لأطفالهم عن الآخرين. ولكن تلاحظ أن منازلهم أنظف، وأن قليلاً من الصور قد ألصقت على أبواب ثلاجاتهم، وقليلاً من اللعب قد وضعت فى الردهات. كما أن الألوان الغالبة فى غرفة المعيشة أو حجرة النوم هى البيج أو الأبيض. كما تم عزل المساحة التى خصصت للعب الأطفال بوضوح عن باقى المنزل .

وفى مثل هذه الزيجات يشترك الزوجان بقدر ضئيل – ولكنه متساو – فى الحياة الأسرية. وقد تهوى بعض الزيجات وتنحدر إلى الدخول فى منافسة ممقوتة، فأحد رجال الأعمال المرموقين وزوجته المحامية ، لديهما طفل عمره خمسة أعوام، بدآ يتنافسان فى أيهما باستطاعته الانشغال بالعمل والمكوث خارج البيت أكثر من الآخر، وقد شرحت لى الزوجة الوضع قائلة : « لقد وجدت نفسى أقوم بكل الأعمال التى يقوم

بها مدمنو العمل ، وأخلق لنفسى - عن عمد - المواقف التى تضطرنى للتأخر فى العمل. وبهذا الشكل فعندما يتصل بى زوجى.. يكون بإمكانى أن أتعلل بالعمل، دون أن اضطر للكذب .» إنها تضيع الوقت وتبدده فى أشياء، تدرك جيداً أنه لن يمكنها إنجازها ، ومن ثم نجد أن فكرة البقاء فى البيت أو رعاية الطفل لبعض الأزواج تعتبر ضرباً من « الهزيمة »، على حين يعتبر التملص من هذه المسئولية « النصر » بعينه. ولم تبدأ الزوجة فى الندم على هذا الإحساس وفى تكريس اهتمام أكبر بابنها، إلا بعد أن تم الطلاق بينها وبين زوجها.

إن كل مصدر من مصادر التوتر الأسرى له علاقة بمدى مشاركة الرجل فى الوردية الثانية. وفى ضوء ذلك يمكن تقسيم المتزوجين إلى ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى، وهى التى دب فيها التوتر بين الزوجين نتيجة لاختلاف وجهات النظر بينهما حول أدوارهما داخل المنزل، مثل إيفان ونانسى هولت. وفى المجموعة الثانية : تركز التوتر حول ايجاد طريقة مقبولة للرجل لإنجاز عمل المرأة، وذلك ما وجدناه فى حالة « كارمن وفرانك ديلاكورت » . أما فى المجموعة الثالثة.. فنجد أن هذا التوتر قد تمركز على الفجوة بين العناية باحتياجات الاسرة وإشباعها، وبين التقليل من قيمة هذه العناية .

إن التوتر الأول يمكن إزالته إذا اقتسم الرجال، ممن هم على شاكلة إيفان، أعمال الوردية الثانية . أما التوتر الثانى فيمكن القضاء عليه إذا تمكن من يشبهون فرانك ديلاكورت من الحصول على مال أوفر، يمكنهم من استبقاء زوجاتهم في المنزل. (أو لو أن الأزواج أنفسهم كانوا يرغبون فى البقاء بالمنزل مع أطفالهم فى حالة ماإذا كان لدى الزوجات من الدخل ما يتيح لهم ذلك). ولكن مثل هذا الحل يعتبر انتصاراً أجوف، حيث إنه يقلل من قيمة رعاية شئون الأسرة، بعد أن أصبحت النساء بالمقاييس التقليدية للرجال على قدم المساواة معهم .

الطلاق والوردية الثانية

على مدى الثلاثين عاماً الأخيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية.. خرجت كثيرات للعمل، كما طلقت كثيرات أيضاً. وطبقاً لإحصائية قام بها عالم الاجتماع ويليام جوود، William Goode، نجد أن نسبة المطلقات فى الاتحاد السوفيتى وألمانيا والسويد وفرنسا تزيد بين النساء العاملات عنها بين ربات البيوت، بل إنها تتضاعف فى فرنسا. مما يجعل الباحثين يستنتجون أن عمل المرأة يؤدى إلى وقوع الطلاق. وقد قام كل من چوزيف پليك، Joseph Pleck، وجراهام ستيانز، Graham Staines، بعمل مسح قومى حديث لهذا الموضوع. وتبين أن النساء العاملات أكثر من ربات البيوت تعبيراً عن ندمهن للاقتران بأزواجهن الحاليين، كما أنهن الأكثر تفكيراً فى موضوع الطلاق. ولكن هؤلاء الذين أرجعوا سبب الطلاق إلى عمل المرأة، نظروا إلى جانب واحد فقط من الموضوع، وهو ما تقوم به المرأة مثل سعيها للكسب المادى وشعورها بالاستقلالية وتقديرها لذاتها، ثم توقعها لكثير من جانب زوجها[1].

إلا أننى توصلت إلى نتيجة أخرى فى بحثى، وهى أن : حيث إن «كل» الزوجات اللاتى شملتهن دراستى كن سيدات عاملات.. فإن العمل هنا لا يمكن اعتباره معياراً للسعادة والشقاء لديهن. وإنما المعيار الحقيقى هو استعداد الزوج للمشاركة فى عمل المنزل. فإن هذه المشاركة تدعم الزواج أياً كانت أفكار كل من الزوجين بشأن أدوار الرجل والمرأة. وسواء كان كلا الزوجين تقليديين أم مساواتيين.. فبلاشك أنهما سيكونان أكثر سعادة بتعاون الزوج فى العناية بالبيت ورعاية الأطفال. كما أظهرت دراسة قام بها كل من رونالد كسلر، Ronald Kessler، وچيمس مكرى، James Mcrae، أن الزوجات العاملات يعانين من التوتر بصورة أقل إذا ظفرن بمساعدة أزواجهن[2].

ومن بين الأسر التى عرضتها فى دراستى كان بعض الأزواج على وشك

الطلاق. فبعد شهرين من مقابلتى لراى چادسون وأنيتا، تم انفصالهما. كما كان كل من باربارا ليڤينجستون وزوجها على وشك الانفصال أيضاً عندما لجأ إلى مستشار لشئون الزواج. كذلك بدا الـ «ستاينز» منفصلين روحياً إن لم يكن واقعياً. وكتقييم شامل لظاهرة الطلاق.. وجدت أنه فى زيجة واحدة من كل ثمانى زيجات، وقف الزوجان عند نقطة معينة، يفكران بجدية فى الطلاق، وباستثناء حالة آل ليڤينجستون - بمشاكلهما الخاصة - ففى كل هذه الزيجات كان الرجال يتجنبون العمل بالمنزل.

ويتجنب بعض الأزواج العمل فى المنزل.. أبعدوا أنفسهم فى ذات الوقت عن صحبة زوجاتهم. ورحت أتساءل: هل تجنبوا زوجاتهم فى سياق تجنبهم للوردية الثانية؟ أم أنهم تجنبوا الوردية الثانية فى سياق تجنبهم لزوجاتهم؟ ووجدت الإجابة صعبة. ولكن الزوجات شعرن فى الغالب أن عزوف أزواجهن عن المشاركة، يعنى عدم تقديرهم لهن.

وهنا تشكو سيدة فى السادسة والعشرين من عمرها وتعمل سكرتيرة، وهى أم لطفلين ومتزوجة من رجل أعمال، من أن كل ما يفعله زوجها من آن لآخر هو تفريغ القمامة والمسح، وليس له شأن بعد ذلك بالطهى أو الغسيل أو أى شئ آخر. وهذا ما يثير جام غضبها، وهى ترى إذا ما كانت هناك نهاية لزواجهما فستكون لهذا السبب. وزوجة أخرى تصف نفسها «كأم غير متزوجة» من وطأة مسئولياتها، فهى تقوم بكل الأعمال المنزلية وحدها.

أما توم أومالى، Tom O'Mally، فهو مهندس فى الثامنة والثلاثين من عمره، يصف تجربته المريرة فى الزواج التى انتهت بطلاق مؤلم من زوجته العاملة. فقد ظل طوال سبع سنوات من الزواج يلقى بمسئولية أعمال البيت وتربية أبنائه الأربعة على عاتق زوجته، التى كانت تعمل إدارية فى إحدى المدارس، وتدرج بها الحال من مطالبتها بأن يقوم بمساعدتها، إلى كتابة «قائمة» بما تقترحه عليه من أعمال. وعندما

فشلت هذه الطريقة لجأت إلى العقاقير المهدئة ، فلما أخفقت هذه الوسيلة أيضاً فى حل مشكلتها، هجرت المنزل، وتركت له ـ ولأول مرة ـ مسئولية رعاية الأبناء. وعندما سألته عن سبب الطلاق من وجهة نظره أجاب:

«إنها «القوائم» التى أفسدت حياتى، وصبتها فى قوالب جامدة. فقد كانت هناك جداول لأعمال البيت موزعة على أيام الأسبوع، فشعرت أن مثل هذا التوزيع سيحطم زواجنا أكثر من حمايته، وقد كان».

إن هذه الحالة ذكرتنى فيها الزوجة بنانسى هولت . ولكن بدلاً من أن تتكيف الزوجة مع عمل الوردية الثانية فى المنزل.. هجرته، وتزوج توم أومالى بسيدة أخرى أصغر سناً من زوجته وأقل تعليماً، مكثت فى البيت لتعتنى به هو والأطفال وقال لها توم : «أى شئ إلا القوائم».

إن إحجام الرجال عن المشاركة فى عمل الشهر الإضافى فى العام ليس أبداً السببَ الوحيد للطلاق، ولكنه فى الغالب سبباً غير معترف به للتوتر الذى يدب بين بعض الأزواج.

وفى بعض الحالات.. وجدت أن عكس هذه القصة من الممكن أن يحدث، مثلما حدث فى قصة ديانى هاتش، Diane Hatch، التى تبلغ الثامنة والثلاثين من عمرها، وتعمل مندوبة مبيعات. فقد أخبرتنى بقصتها الحزينة، ولكنها بعيدة عن المألوف كيف أن زواجها الذى استمر سبع سنوات انتهى عندما كان عمر طفلها تسعة شهور. فقد كان زوجها چيم دائماً ما يشجعها على المضى قدماً فى عملها، وكانت حياتهما تتسم بالاستقرار ويأملان فى إنجاب الأطفال. ولكن عندما استقبلا طفلهما الأول وأرادت ديانا أن تمكث فى البيت ستة شهور لرعاية طفلها.. عارضها زوجها مبدياً قلقه حول اضطراب النواحى المادية فى حياتهما، وكما قالت: «عدت إلى عملى وأنا غير راغبة قبل أن أكون مستعدة له».

ومنذ الوهلة الأولى يبدو أن چيم يستبدل القول المأثور القديم «مكان المرأة هو البيت» بقول آخر وهو: «مكان المرأة هو العمل»، ولكن ديانى شرحت من الأمور ما ألقى ضوءاً مختلفاً على حقيقة الأمر. فقد كان زوجها يعانى من أزمة فى عمله، وكانت تنتقده بشدة موجهة إليه الضربة إثر الأخرى. ثم ما لبث وسط هذه الظروف أن انشغل للغاية بطفله وراح يبثه أبوته، وفى الوقت الذى أرادت فيه ديانا أن تقصيه عن مشاركته لها فى رعاية طفلهما.. كان هو يحثها على العودة إلى عملها. ولكنها لم تقدر دوره فى البيت وشخصيته كأب فكانت الصدمة المذهلة للعائلة والأصدقاء بوقوع طلاقهما. فإذا كانت النساء ترغب فى مشاركة الأزواج بالمنزل.. فيجب عليهن أن يمنحوهن مقاسمة السلطة معهن، وأن يحترمن ما يقوموا به من أعمال.

وفى بحث قامت به كل من چوان هيوبر، Joan Huber، وجلينا سپايتزن، Glenna Spitze، على 1,360 زوجاً وزوجة حول إذا ما طاف بمخيلتهم فكرة الطلاق أم لا؟ وجدا أنه 30٪ من الزوجات فكرن فى الطلاق مقابل 22٪ من الأزواج. ولم يكن لذلك أى علاقة بالدخل الذى يكسبه أى من الزوجين، أو بموقفهما من دور كل من الزوج والزوجة. ولكن كانت له علاقة بمدى مشاركة الزوج لزوجته فى أعمال المنزل: فكلما زادت هذه المساعدة، قل التفكير فى الطلاق. وكما قال الباحثان: «تقل نسبة تفكير الزوجة فى الطلاق بنسبة 3٪ مقابل قيام الزوج بنصف أعباء كل من الخمس مهام اليومية الرئيسية فى كل بيت[3] (وهى: إعداد الطعام، التسوق اليومى، رعاية الطفل، أعمال المنزل، التنظيف بعد الوجبات). وبالإضافة لذلك، فقد اكتشف الباحثان أنه إذا ما كانت الزوجة تعتقد أن زوجها «يجب» أن يشاركها فى أعمال المنزل.. فإن نسبة تفكيرها تزيد فى الطلاق بمعدل 10٪ عن غيرها من النساء.

وفى دراسة أخرى قام بها چورچ ليڤينجر، George Levinger، على 600 من الأزواج والزوجات.. وجد أنه «بعد القسوة العقلية» «يأتى إهمال البيت والأطفال»

كسبب رئيسى من أسباب الطلاق. وقد ذكرت النساء هذا السبب غالباً، أكثر من ذكرهن للمشاكل المالية والضرر الجسدى وإدمان الشراب والخيانة؛ حيث أعرب عن هذا الرأى 39٪ من النساء مقابل 26٪ من الرجال[4].

وتأتى هذه المشكلة كأكثر الشكاوى شيوعاً من قبل نساء الطبقة المتوسطة، وهى قاسم مشترك فى حوالى نصف عددهن الذى كان موضع هذه الدراسة. إن الزواج السعيد يدعمه الأمان الاقتصادى للزوجين، واستمتاعهما بتدعيم المجتمع، وكذلك اعتماد الزوجين هذه الأيام على عناية الآخرين. وحيث إن خروج المرأة للعمل أدى فى كثير من الأحيان إلى تخليها عن عملها الأساسى بالمنزل، فقد قلل هذا الأمر من قدر أعمال المنزل التى أصبحت توكل إلى من يقوم بها مقابل أجر. فظهرت وظائف على غرار «مدبرة المنزل» و«جليسة الأطفال» ولكنها من أهميتها لا تحظى بالتقدير من قبل الرجال، والآن أيضاً من قبل النساء.

والمخرج الوحيد فى زمن الثورة المؤجلة هو إحلال نظرة الاستهانة التى تبدو فى عيون الرجال تجاه أعمال البيت إلى نظرة تقدير. وذلك بمشاركتهم التى تضفى القيمة على ما يقومون به من مساعدة لزوجاتهم العاملات، وقد حان الوقت للرجال أن يضطلعوا بهذا الدور فى زمن يتهدده شبح الطلاق.



الفصل الخامس عشر

الرجال الإيجابيون والرجال السلبيون

15 الفصل الخامس عشر

الرجال الإيجابيون والرجال السلبيون

إن واحداً ضمن خمسة من الرجال فى هذه الدراسة اتسم بالمشاركة الإيجابية مع زوجته فى المنزل بطريقة أو بأخرى، مثل قيام جريج ألستون بأعمال النجارة، وباقتسام أرت وينفيلد أعمال الطهى والعناية بالأطفال. وقد اتضح لى خلال دراستى تلك أن الرجال المتعاونين مع زوجاتهم، ينعمون بحياة أكثر سعادة. لذلك أردت تعرف الظروف التى عززت هؤلاء الرجال وجعلتهم مختلفين عن غيرهم.

واكتشف أنه ليس بالضرورة أن يكون مثل هؤلاء الأزواج أبناءً لآباء منحوهم «القدوة» فى المساعدة فى أعمال المنزل، أو أنهم دربوهم فى طفولتهم على ذلك. فكل من مايكل شيرمان وسيث ستاين لم يكن والداهما يمكثان وقتاً طويلاً فى البيت، وكانا يشاركان بجهد ضئيل فى أعماله. ومع هذا نجد مايكل مستغرقاً للغاية فى تربية ولديه التوأم، على حين أن سيث كان كل ما يتبادله مع أولاده التحية لدى خروجه وعودته من عمله، الذى استحوذ عليه كل وقته. كما أنه ليست هناك علاقة واضحة بين مشاركة بعض الأزواج، وبين كون أمهاتهن عاملات أو ربات بيوت.

وقد استمعت إلى عديد من الزوجات، اللائى طرحن تحليلهن النفسى المعقد لأسباب مشاركة أزواجهن الحماسية غير المعتادة فى أعمال المنزل، وقد وجدت كل

قصة مختلفة تماماً عن الأخرى. فقد قالت إحدى الزوجات مفسرة رغبة زوجها القلبية فى المساعدة فى المنزل:

«إن زوجى «چوناثان» Jonathan، يقدم اهتماماً ورعاية فائقة بالأطفال وأعتقد أن السبب فى ذلك أنه من عائلة يهودية، هاجرت إلى كندا بعد الحرب العالمية الثانية وظروف الاضطهاد التى تعرضوا لها. وطوال حياته فى كندا، لم يشعر أبداً بالانتماء لهذا المجتمع. كان دائماً يشعر بالغربة. وهذا هو فى اعتقادى السبب فى كونه مختلفاً، كانت أمه تعمل ليل نهار فى محل بقالة، ولم يكن يراها كثيراً، كما أنها لم تكن تحب الأطفال ولذلك فقد تولت جدته تربيته.»

ولكن زوجة أخرى كان لديها تفسير مختلف كل الاختلاف لاستعداد زوجها لمشاركتها فى أعمال المنزل. فقد قالت لى: «إن والده كان دائماً بعيداً عن المنزل بحكم عمله فى البحرية. وكان عبء الأسرة يقع على كاهل أمه، فتولدت لديه الرغبة فى المعاونة، وأنا بدورى أدين لها بالشكر على ذلك».

وقد وجدت فى سياق بحثى أن «قصص تنشئة الأزواج» - على لسان زوجاتهن - تفصح عن دور أم الزوج الرئيسى فى هذا الشأن نظراً لغياب الأب أو ابتعاده أو أثقاله بالأعباء؛ فوالد چون ليڤينجستون كان صموتاً لا يميل إلى التحدث إلى أحد معظم الأمسيات. أما والد مايكل شيرمان فقد كان يمتدحه ويفتخر به لحصوله على درجات مرتفعة فى الاختبارات المدرسية، ولكنه كان يفقد الاهتمام به بين فترات تلك الاختبارات وبعضها. أما والد أرت وينفيلد فقد اختفى كلية من حياته... لقد كان لدى عديد من الرجال ذكريات سيئة عن آبائهم، ولكن هؤلاء الذين اتسموا منهم بالإيجابية فى حياتهم الأسرية بعد ذلك، بدوا كما لو أنهم يبتعدون عن الأدوار السلبية التى لعبها آباؤهم فى حياتهم، وأقسموا بينهم وبين أنفسهم ألا يكونوا مثلهم، بل يختلفون عنهم ويتجنبون أخطاءهم.

فها هو آرت وينفيلد الذى نراه كأب يفيض حدباً وعطفاً ويلعب مع ابنه المتبنى وزملائه بالفصل، لقد كان ينظر لوالده الحقيقى «كمثال «سيئ» للأبوة»، بينما كان يرنو بإخلاص لصورة زوج «أمه العطوف» «كمثال جيد للأبوة». إن ما يبدو مهماً هو جمع الفرد بين شيئين ألا وهما: مدى تطابقه مع صورة والده، وكيف كانت تلك الصورة ، وليس مدى المساعدة التى كان يقدمها هذا الأب.

ويعتقد كثيرون أن «التنشئة فى الطفولة»، وما كان الرجل يقوم به وطفولته هى المؤشر على ما سيكون عليه حال الفرد فى مرحلة الرجولة فإيفان هولت الذى كان يمارس هواياته بالطابق السفلى ، بينما كانت زوجته تقوم بأعمال البيت فى الطابق العلوى، يقول إنه فقط يتصرف حسبما «نشأته» والدته. إن هناك كثيراً من الأمال التى نشأ عليها «إيفان»، ولكنه لم يلتزم بها عندما كبر؛ فعلى سبيل المثال.. لقد نشأ على الذهاب إلى الكنيسة وتجنب استخدام كروت الضمان وعدم التورط فى علاقات جنسية قبل الزواج وغيرها . فى هذه الأمور لم يلتزم بما نشأ عليه. ولكن عندما وصل الأمر للمشاركة فى أعمال المنزل، حرص على الالتزام بما علمته أمه. وبعبارة أخرى.. إن «التنشئة» تبدو الأساس المنطقى لأى استراتيجية، تعمل الدوافع بدورها على تحريكها وتحتاج إلى تفسير.

وبعيداً عما يحتاجه الرجل لنفسه وعن إرادته وسياسته أو مفهومه عن الرجولة.. فإن بإمكانى أن أخمن أن الرجال الذين يقومون بالمشاركة المنزلية إنما يتقاسمون نوعاً من النزوع أو الميل النفسى. فأنا أعتقد أن رجلين مثل أرت وينفيلد، ومايكل شيرمان يشتركان معاً فى سمتين، وهما:مقاومة صورة الأب الغائب أو العدوانى، ثم تعميم الصورة المثالية عن أدوار الرجل فى الحياة. كما أنهما اتصفا بالتقمص العاطفى مع أمهاتهما، دون مخافة أن يصبحا متسمين «بالأنوثة إلى حد كبير»؛ إذ إنهما تطابقا بصورة كافية مع صورة رجل ما.

ويتبادر هنا سؤال: هل الذين يساعدون زوجاتهم يحبونهم أكثر، وهل هم أكثر تقديراً لهن؟ صحيح أن الرجال المؤمنين بالمشاركة ينعمون بزواج منسجم، ومع هذا لا نستطيع أن نعمم القاعدة بأن المساعدة من قبل الأزواج هى المعيار على مدى ما يحملونه من عواطف تجاه زوجاتهم. فقد علق أحد الأزواج، ممن يساهمون بقدر ضئيل فى البيت قائلاً: «لقد أدركت فقط الأسبوع الماضى فجأة، ولأول مرة أن حياة زوجتى ذات قيمة أكثر من حياتى لأن أبنائى يحتاجونها أكثر منى» ولكننا كى نتحرى الدقة نقول بأن الرجال الذين يتقاسمون العمل يحبون زوجاتهم جداً، ولكن، ونفس الشئ قد ينطبق - بشكل أقل إيجابية - على الرجال الذين لا يشاركون فى العمل.

وهناك عاملان خارجيان آخران لم يتيحا التمييز بين الرجال الذين يشاركون وأولئك الذين يحجمون عن المشاركة: عدد ساعات العمل، وحجم ما يحصلون عليه من دخل. إن الأزواج عادة ما يعملون ساعات عمل أطول من زوجاتهم. ولكننى وجدت فى الأسر - موضع دراستى - أن الرجال الذين يعملون 50 ساعة أو أكثر أسبوعياً لايقلون كثيراً فى مشاركتهم فى أعمال المنزل، عن هؤلاء الذين يعملون 45، أو 40 أو حتى 35 ساعة أسبوعياً. بالإضافة لذلك.. فإن الزوجات اللاتى يعملن 50 ساعة أسبوعياً يقمن بعبء الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، بنسبة تزيد كثيراً عن أزواجهم الذين يعملون نفس عدد الساعات. وقد تبين أن عدد ساعات العمل ضعيف الصلة بعدد ساعات الرجل داخل البيت[2].

ومن ضمن كل العوامل يلوح المال كأقواها تأثيراً على العلاقة بين الأزواج والزوجات؛ فإن الرجل المتعاون يحتاج إلى مرتب زوجته أكثر ويقدر وظيفتها أكثر.

إن الزوجة الأمريكية تحصل من عملها على دولار واحد، مقابل ثلاثة دولارات يحصل عليها زوجها. كما وجدت أن الغالبية العظمى من الأزواج يتقلدون وظائف أعلى

من زوجاتهم،* كأن يتزوج الطيار بالمضيفة مثلاً .

ومن خلال تلك الاكتشافات افترضت أمراً ما وهو أن الزوج المشارك لا يكسب كثيراً من المال، وأن فجوة المرتب بين الأزواج والزوجات ربما تخلق أيضاً فجوة من الفراغ بينهم. فقد يتفق الزوجان على أنه بحكم كون وظيفته أكثر أهمية، يجب أيضاً أن يكون وقت فراغه كذلك. كما افترضت أن الزوجة التى تطمح إلى مشاركة زوجها لها فى الوردية الثانية، ربما تتغاضى وتتسامح فى ذلك، فى حالة زواجها من رجل دخله كبير، وذلك من منطلق احتياج الأسرة إلى هذا الدخل، بل إنها على استعداد تجاه ذلك إلى التنازل برحابة صدر عن رغباتها الشخصية. ونفس الشئ ينطبق على الرجل التقليدى الذى تحصل زوجته على دخل يفوق دخله ؛ فهو يبتلع كبرياءه التقليدى ويتعاون معها فى المنزل. ومن هنا توقعت أن صوت المال يعلو على صوت القيم، ويشكل بصورة خفية سياسة النوع لكل طرف.

وإذا كان المال هو بالفعل العنصر الرئيسى وراء استراتيجيات الرجل والمرأة، فقد يعنى هذا أنه مهما بذلت المرأة من جهد فى وظيفتها.. فلن تحصل على مساعدة زوجها بالمنزل بسبب ضعف مرتبها. وقد أظهر البحث الذى أجرى على الضغط الذى يسببه العمل لكل من الزوجين (وقد أشرنا إليه فى الفصل التاسع من هذا الكتاب والخاص بأنيتا وراى چادسون). أن الوظائف الدنيا فى قطاع الخدمات - وهى وظائف تتركز فيها نسبة عالية من النساء - تسبب ضغطاً أكثر من الوظائف الأعلى، حيث يتركز الرجال. وبالرغم من أن الأمهات العاملات قد لا يعملن ساعات طويلة مثل الآباء

---

* لقد ازداد عدد النساء البيض العاملات فى «وظائف الرجال» بشكل منتظم. وقد يفسر هذا السبب فى كون النساء البيض الداخلات إلى ميدان العمل فى 1980م قد حققن نسبة 83٪ بالمقارنة بالأعمال التى يؤديها الرجال البيض. إلا أن فجوة المرتبات بينهما ازدادت بشكل واضح. وإذا تم تحديد الطبقة الاجتماعية لكل جنس على حدة بالنظر لمعايير الراتب والفائدة والأصول، فإننا نجد أن كلمة ارتفعت الطبقة زاد عدد الرجال المنتمين إليها، وقل بها عدد النساء.

العاملين، فهن يكرسن نفس الجهد لكسب المال، بل إن كثيرات منهن يعملن فى وظائف أكثر ضغطاً وإرهاقاً، مقابل أجور أقل من أجور الرجال. وهكذا.. فإن الرجل الذى يستغل دخله الأكبر ليشترى لنفسه مزيداً من وقت الفراغ بالمنزل، هو دون قصد منه يجعل زوجته تدفع ثمن ظلم النظام الاقتصادى، الذى لا يعطيها دخلاً مساوياً لدخل الرجل. وهكذا.. فلو أصبح المال هو المفتاح المنظم لعلاقة الرجل بالمرأة فى الزواج، فهو أمر مثير للشفقة بالنسبة للرجل؛ إذ يضع دوره ومكانته فى الأسرة تحت رحمة تقلبات السوق العمياء. وبالنسبة للمرأة حيث إن سيادة المال ستكون بالطبع فى صالح الزوج. وهكذا يصبح الشهر الإضافى الذى تعمله المرأة كل عام تعبيراً غير مباشر، عن أن المرأة تدفع فى المنزل ثمن التمييز الاقتصادى بينها وبين الرجل خارج المنزل.

حدود المنطق الاقتصادى

كانت للمال أهمية فى الزيجات التى تناولتها الدراسة، ولكنه لم يكن «اليد الخفية» القوية، التى تحرك الرجال المتعاونين[3]. فمايكل شيرمان كان يحصل على راتب يفوق ما تحصل عليه «أدريان»، ومع هذا لم يعن عمله بالنسبة له كثيراً وقام بالمشاركة فى البيت، على حين نجد آن مايرسون تتلقى دخلاً أعلى من زوجها ولكنها تضع عمله فى المقدمة على أى حال. أما بالنسبة لزوج كچون ليڤينجستون فنراه، وإن كان يقدر عمل زوجته ويستشعر بقيمته كعمله تماماً،إلا أن زوجته كانت تقوم بمسئولية أكبر فى البيت.

لقد حاول عدد من الباحثين عقد صلة بين فجوة الأجر وفجوة الفراغ بين الآباء والأمهات العاملات، وكانت النتائج محيرة ولم تصل إلى نتائج محددة. فمعظم هذه الدراسات لم تجد علاقة مهمة بين حجم دخل الرجل بالنسبة لدخل زوجته وبين حجم مشاركته لها.

أما أنا فقد قسمت الرجال إلى ثلاث مجموعات: الرجال الذين يكسبون أكثر من

زوجاتهم (وهم الغالبية)، والرجال الذين يكسبون مثل زوجاتهم، وأخيراً الرجال الذين يكسبون أقل من زوجاتهم. واتضح لى أن من بين الفئة أو المجموعة الأولى يشارك 21٪ منهم فى أعمال البيت، على حين أن 30٪ من رجال المجموعة الثانية قد قاموا بذلك. ولكن لم يشترك أحد ممن يقل دخلهم عن دخل زوجاتهم فى المساعدة داخل البيت.

إذا كان هناك بالفعل «منطق المال»، فيجب أن يطبق هذا المنطق بنفس الشكل دائماً وهو ما لم يحدث. لأنه ينطبق فقط فى الحالات التى يكسب فيها الرجل أكثر أو مثل زوجته. فالمال إذن «يعمل» لصالح الرجل (فهو يمنحه العذر لعدم أداء الأعمال المنزلية) ولكنه لا يعمل لصالح المرأة (فهو لم يعفها من هذه الأعمال).

وهناك مبدأ آخر له تأثيره وهو «التوازن».. فقد اتضح لى أن هؤلاء الذين يفقدون سلطتهم على زوجاتهم فى ناحية ما، يعوضونها فى ناحية أخرى عن طريق تجنب المشاركة فى أعمال الوردية الثانية مثلاً . فبهذا الأسلوب يمكنهم الاحتفاظ بسيطرتهم على نسائهم. وهكذا.. فإن حجم مسئوليات الرجل بالمنزل يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية أعمق ، ألا وهى قضية سيادة وسلطة الرجل. فالرجل الذى يكسب أكثر من زوجته يتمتع بالفعل بسلطة التحكم فى هذا المصدر المهم والحيوى. ولكن.. كلما تهدد كيان الرجل مادياً - بتفوق زوجته عليه فى الدخل مثلاً - قلت مساهمته فى أعمال المنزل، حتى لا تتهدد رجولته بشكل أخطر.

أما الرجال الذين ساهموا فى أعمال الوردية الثانية.. فلم يكونوا يحاولون تعويض السلطة التى فقدوها فى نواح أخرى، فلم يشعروا بنفس التهديد أو بالحاجة إلى خلق «التوازن». فقد تخلى «مايكل شيرمان» عن فكرة ضرورة أن تكون لديه سلطة أكبر من زوجته. أما «أرت وينفيلد» فقد تحدث معى مازحاً عن أن الرجال «نشأوا ليكونوا ملوكاً».

ولكن بيتر تاناجاوا شعر بأنه يجب أن تكون له سلطة أكبر فى البيت، ولكن تفوق دخل زوجته عليه سلبه إياها، وكانت محاولته للتكيف مع تلك الحقيقة نوعاً من «التضحية» من جانبه جعلت نينا تسعى إلى تحقيق «التوازن من جانبها» بإنجاز أكبر قدر من العمل داخل البيت تقديراً منها لتضحية زوجها، وهكذا فالنساء أيضاً يحاولن خلق «التوازن» وليس الرجال فقط.

والنساء اللائى على شاكلتها ممن يحاولن تحقيق هذا التوازن.. يشعرن بأنهن «قويات للغاية» ؛فمثل هذه الزوجات يشعرن بحساسية أزواجهن الزائدة عن الحد، ورغبتهم فى الحفاظ على اعتزازهم برجولتهم. ولذلك.. فهن يحاولن مساعدة أزواجهن على استعادة سلطتهم المنزلية، عن طريق القيام على خدمتهم داخل المنزل.

والزوجات يخلقن هذا «التوازن» ـ هذه الاستعادة لسلطة الرجل بمنزله ـ لأسباب عديدة. فقد قابلت أباً إنجليزياً، غريب الأطوار. لديه ثلاثة أطفال فى السادسة والرابعة والعام الأول من أعمارهم ، وعرفت منه أنه يقوم بثلث المهام المنزلية. فهو أستاذ بقسم اللغة الإنجليزية بإحدى الكليات يقوم بالتدريس بها، ولكنه توقف عن أبحاثه وخفض ساعات اجتماعاته قدر الإمكان؛ لتكريس مزيد من الوقت للبيت والأولاد. وهو يدعى بأنه «يشارك»، ولكنه فى واقع الأمر كان شديد الحساسية للطموح، الذى لا حدود له لدى زوجته التى تدمن عملها. فهى لم تطلب منه مزيداً من المساعدة، ولكنها كانت تحمل نفسها كل الأعباء كنوع من التكفير عن هذا الطموح الذى «لا حدودله.»

وقد تقابلت مع أسرة مهندس فقد وظيفته فى فترة الركود التى سادت أواخر السبعينيات، وظل يتنقل بين أعمال مختلفة، ويمكث فترات بلا عمل فى البيت. وقد وصفت زوجته حياتها معه بأنهما من آن إلى آخر يعتمدان على مرتبها، وكم أن هذا كان مؤلماً لزوجها ولكنها تقدر ظروفه. إنه لا يقم بأى عمل فى المنزل ويقضى بعضاً من الوقت مع ولده وفق مزاجه. وهى بجانب أعباء المنزل وعملها لبعض الوقت، تدرس

العلوم البيطرية فى المساء. كل هذه الأعباء نتيجة حاجتهم المادية زادت من صعوبة محاولتها مساعدة زوجها على استعادة إحساسه بالسلطة، وختمت حديثها معى قائلة: «كم أتعجب بعض الأحيان، وأتساءل إلى متى سأقاوم.»

وهناك مِنَ الرجال مَنْ يكسبون أقل من زوجاتهم ويقومون بالقليل، ولا يحاولون تحقيق «التوازن» فبعضهم يسعى للحصول على درجات علمية، معتمدين على دخل زوجاتهم، وقيامهن بمسئولية البيت الأساسية يحدوهن الأمل فى أن هذا وضعاً مؤقتاً، لحين حصول أزواجهن على درجاتهم العلمية. إن دراسة الرجل للحصول على وظيفة مهمة لا تقل أهمية عن تقلده لهذه الوظيفة بالفعل. فعلى سبيل المثال كان أحد الأزواج متفرغاً تماماً لدراسة تمريض الأطفال، بينما تولت زوجته الإنفاق على المنزل وطفلهما ذى التسعة أشهر، كما تولت رعاية كل شئ. وقد دارت حياتهما كلها حول مواعيد امتحانات الزوج. وكما قالت الزوجة «لقد كان زوجى يقوم بمساعدتى فى كل شئ من إعداد طعام طفلنا إلى القيام بالتسوق وغير ذلك. ولكنه الآن مشغول تماماً بدراسته. وامتحاناته تأتى دائماً فى المقام الأول.» ولذلك فهى لا تمانع فى القيام بكل الأعمال وحدها، ولكنها تغضب عندما يشكو زوجها من سوء حالة المنزل. فكما تقول: «إن ما يساعدنى على الاستمرار هو شعورى أن هذا الوضع مؤقت، حتى يحصل زوجى چاى، Jay، على شهادته.»

ولكنى لم أسمع بالعكس عن نساء ، يسعين للحصول على درجة علمية ويقوم أزواجهن بمسئولية العمل خارج وداخل المنزل. فالنساء من الممكن أن يتخيلن أن حياتهن ستسير إلى الأحسن عند تشجيعهمن لأزواجهن على الحصول على مايطمحون إليه من درجات علمية وأن هذا سيمنحهن القوة، على حين لا يستطيع الأزواج تخيل ذلك بالنسبة لزوجاتهم. فأحد الأزواج كان يشارك زوجته مناصفة فى أعمال البيت، عندما كانت تعمل. ولكنه أعرب عن استيائه البالغ ورفضه فى المشاركة، عندما تركت

زوجته عملها؛ كى تتفرغ للحصول على الدكتوراه. فالعمل يعتبر عذراً شرعياً، ولكن هذا لا ينطبق على الدرجة العلمية. فكما صرخ أحد هؤلاء الأزواج: «إنى أكره دراسة زوجتى، فهى لا تؤكل ولا يمكنها أن تشترى لنا سيارة جديدة أو توفر لنا عطلة سعيدة». أما النساء اللاتى يستكمل أزواجهن دراستهم، فربما يصيبهم الاستياء أيضاً لثقل المسئولية التى تقع على كاهلهن، ولكنهن لا يشعرن بأن لديهن حقاً كبيراً فى الشكوى أو التبرم.

وإجمالاً للقول، نرى أن هناك مجموعة من الرجال نصف عاطلين لا يكسبون طعام أسرهم ولايطهونه وأن زوجاتهم أتعس النساء. ولكنهن من منطلق تعاطفهم مع أزواجهن، أو أملهن فى تحسن الظروف، أو شعورهن بأنه ما من مخرج آخر سوى التكيف مع الواقع، يحاولن بتلقائية تحقيق «التوازن الصحيح» فى زواجهن، ويقمن بعمل الشهر الإضافى فى السنة. فى المقابل نرى أزواجهن يرونهم ذكيات قويات «كالصخرة» وفى نفس الوقت، يستمتع هؤلاء الأزواج فكرة أنهم إن لم ترفعهم وظائفهم لمكانة الملوك، إلا أنهم يرتدون تاج الملك فى بيوتهم.

إن بعض النساء لديهن أساليب أخرى فى تحقيق السلطة لأنفسهن بشكل قد لايكون مريحاً حتى لهن. فقد التقيت بإحدى السيدات - وإن لم تشملها دراستى - وهى حاصلة على ماجستير فى الطب، ومتزوجة من أحد مرضاها السابقين، وهو موسيقى دخله يقل كثيراً عن دخلها هى . وربما شعرت هذه السيدة بأن مكانتها المتفوقة لا تسمح لهما بتحقيق التوازن المثالى، ولذلك فقد قبلت - وهى الإنسانة المتحمسة لحقوق المرأة - أن تقوم بهدوء بكل مهام الوردية الثانية، وكما قال زوجها: «إنها لا تطلب منه أى شئ .» بينما عمدت امرأة أخرى - وهى مدرسة - على قلب ميزان القوى سراً بأن تورطت فى علاقة طويلة، وكأنها زواج آخر. ومضت الحياة فى المنزل كالمعتاد، وهى تحاول دائماً أن تكفر عن ذنب حياتها السرية الأخرى، بأن تتولى كل مهام المنزل بشكل رائع.

إن المال لم يكن هو الحكم الرئيسى فى أيهما يشارك أم لا فى كل هذه الزيجات، وحتى هؤلاء الذين كانوا يحصلون على دخل أعلى من زوجاتهم لم يحجموا عن المشاركة فى عمل البيت لهذا السبب. وقد فسر أستاذ بالجامعة، وهو أب لثلاثة أبناء سبب مقاسمته العمل ورعاية الأطفال بالمنزل مناصفة مع زوجته؛ حيث قال:

«إن زوجتى تحصل على ثلث ما أحصل عليه. ولكنها كمدرسة، فإنى أقدر أهمية عملها تماماً كما يمثل عملى بالنسبة لى، كما أعى بمواهبها التعليمية ومثابرتها فى عملها. وعندما تعود للمنزل أدرك أنها متعبة مثلى فنحن نشترك فى أعمال البيت والعناية بالأطفال بالتساوى، ولكن (بنبرة غضب) إذا ما أقدمت على العمل فى مجال آخر كشركة تأمين مثلاً.. فإنها لن تلاقى نفس النجاح الذى تجده فى التدريس، ومن ناحيتى ربما انسحب عن مشاركتها بالمنزل، وتتحمل وحدها كل العبء.»

وهذا هو الأمر المثير للسخرية - فلو أن زوجته كانت تكسب «أكثر» من وظيفة لايحبها بنفس القدر - لو أنها عملت فقط من أجل «المال»، فإنه لم يكن مستعداً للمشاركة فى أعمال الوردية الثانية.

وفى تقرير كتبه چوزيف پليك عام 1985، وجد أنه خلال العشر سنوات الأخيرة زادت مساهمة الأزواج المقترنين بربات بيوت فى منازلهم، بنفس قدر الزيادة لدى هؤلاء المتزوجين بسيدات عاملات[4]. إن الأمر هنا ليست له أى علاقة بالنقود؛ لأن ربات البيوت لم يكن لهن أى دخل منذ عشر سنوات، ولم يتغير الوضع الآن فهن لا زلن بلا دخل خاص بهن.

إن التغير قد طرأ على موقف الأزواج، الذين أصبحوا أكثر استعداداً للمساعدة، حتى فى حالة تفوقهم المادى على زوجاتهم. ويفسر بأن هذا ربما يرجع إلى

ارتفاع مستوى تقدير الرجل للمرأة وتجاوبه لا شعورياً مع الحركة النسائية. وبالضبط كما يحدث فى الصناعات التى ليس لعمالها نقابات، عندما تحاول تجنب انضمام العمال لنقابات عن طريق منحهم أجوراً لا تقل عن أجور أمثالهم فى الصناعات الأخرى، التى لها نقابات عمالية تدافع عن حقوق عمالها. إن الأزواج المقترنين بربات بيوت قد يتجاوبون - دون وعى منهم - مع الحركة النسائية عن طريق تقديم المساعدة، مثلهم مثل أزواج العاملات. وهكذا.. فإن بعض السيدات «غير النقابيات» (أو غير مدافعات عن حقوق المرأة) قد يتمتعن - دون أن يدرين - بالمكاسب التى حققتها غيرهن من النساء «النقابيات» أو (المدافعات عن حقوق المرأة). وهكذا نجد أن الصراع السياسى وراء التحول الثقافى فى المجتمع، هو الذى يحدد مدى مساعدة الرجل بالمنزل - وليس منطق المال. ولكى نوضح هذا المثال أكثر يمكننا القول إن الزوجات اللائى يناضلن لدفع أزواجهن لمقاسمتهن العمل داخل المنزل وتكون النتيجة فى بعض الأحيان الطلاق، يشبهن العمال الذين يكافحون فى شركتهم للحصول على ظروف أنسب للعمل، ولاكتساب نقطة فى صالحهم وتكون النتيجة طردهم من هذا العمل. ولكن.. نجد أن ثورتهم هذه تؤدى إلى تحسين أوضاع غيرهم من العمال المثاليين، الذين لا يثيرون أية متاعب لشركاتهم.

وهذا لا يعنى أن المال ليست له علاقة بموضوع مشاركة الوردية الثانية، فهو يؤثر فيها فى اتجاهين: الأول، إن الأزواج يفكرون ويخططون لحياتهم طبقاً لاحتياجاتهم المادية. فمعظم الرجال الذين يشاركون فى المنزل لديهم زوجات يشاركن فى العمل خارجه. ومهما كسبت بعض الزوجات سيظل رجال الطبقة المتوسطة مثل أرت وينفيلد حقيقة يحتاجون إلى مرتبات زوجاتهم لكى «يعيشوا». أما الاتجاه الثاني: فيتمثل فى أن المتغيرات المستقبلية للاقتصاد العام ربما تضغط على مزيد من الأزواج لتحقيق «التوازن» المطلوب. ويتنبأ بعض الخبراء بأن الاقتصاد الأمريكى ربما ينقسم بصورة مضطردة إلى فئتين: الفئة الأولى تضم الصفوة ممن يحصلون على مرتبات

مرتفعة وعلى درجة عالية من الكفاءة والتدريب، والفئة الثانية تشمل القاعدة الواسعة من العمال الفقراء غير المدربين. أما الوظائف التى تقع بين هاتين الفئتين فسوف تتقلص مع الخسارة التى قد تتعرض لها الشركات أمام المنافسة الأجنبية، ولذلك ستسعى للحصول على عمالة أرخص من دول العالم الثالث. إن قوائم العاملين فيما يسمى بصناعات (الشروق) والشركات الآخذة فى التقدم المطرد، وتستخدم أحدث وسائل التقنية والتكنولوجيا لتعكس هذا الانقسام. على حين أن الشركات التى تحوى عدداً من الوظائف فى الوسط لتندرج مع غيرها من الصناعات التى تماثلها فى نفس الظروف تحت اسم صناعات (الغروب) مثل صناعة السيارات[5]. بالإضافة إلى ذلك فإن النقابات العمالية فى صناعات «الشروق» تواجه بتهديدات من الشركات بنقل مصانعها للأسواق التى تتوفر فيها العمالة الرخيصة، وذلك حتى لا تطالب النقابات برفع الأجور.

إن انحسار الوظائف فى الوسط لتصيب بالضرر أساساً الرجال ذوى الياقات الزرقاء ، الذين إن لم يسعوا إلى تدريب أنفسهم بالقدر الكافى والتنافس على أعمال ذات مهارات عالية.. فإن مثل هؤلاء الرجال سيجدون أنفسهم مضطرين فى النهاية إلى الاختيار بين البطالة أو الحصول على عمل يدر عليهم دخلاً منخفضاً.

ومن هنا نجد أن موجة «انحسار الوسط» فى سبيلها إلى خلق أزمة لعديد من الرجال، وتؤدى إلى نتيجتين مختلفتين: الأولى أن الصعوبات الاقتصادية ستدفع بعدد من النساء إلى سوق العمل وهنا سيشعر أزواجهم أنه من «العدل» أن يشاركونهم أعمال البيت الثانية: قد يكون هناك اتجاه عند الرجال والنساء لتعويض الرجل عن أى ضرر تعرض له تقديره لذاته باللجوء إلى تحقيق «التوازن»، فإذا ما كان منطق المال سيؤثر على طريقة الرجال والنساء فى تقسيم الوردية الثانية، فأنا أعتقد أنه سيؤثر بهذه الطريقة غير المباشرة على تقدير الرجل لذاته.

وإجمالاً إن الرجال الذين يقومون بالمشاركة يتشابهون مع هؤلاء الذين يحجمون عنها فى أنهم كأطفال لم يقوموا بالمساعدة فى المنزل، وأن آباءهم ربما لم يكونوا مثالى التعاون، ولكنهم يختلفون عنهم فى أنهم يرتبطون بعلاقات أضعف مع آبائهم، وتقارب أكبر مع أمهاتهم. كما أنهم ـ يشتركون مع الذين يرفضون المشاركة فى المنزل فى العمل بنفس عدد الساعات، ولكنهم يختلفون عنهم فى أنهم غالباً لا يزيدوا أو يقلوا فى دخولهم بشكل كبير عن زوجاتهم.

ونحن إذا نظرنا إلى الطبقات الاجتماعية.. نجد هؤلاء الرجال المتعاونين موزعين بصورة عشوائية على شاكلة مايكل شيرمان وأرت وينفيلد. وفى الطبقة العاملة.. نجد معظم الرجال يعاونون زوجاتهم، رغم اعتقادهم أن ذلك لا يتمشى مع صورة الرجل المثالية ، التى يرغبون أن يكونوا عليها: بينما يرفض رجال كثيرون فى الطبقة المتوسطة مبدأ المشاركة بالرغم من إيمانهم به. أما الرجال الذين يجمعون بين المشاركة والإيمان بها فهم ينتمون لمختلف الطبقات. كذلك لاحظ عالم الاجتماع پيير بورديو، Pierre Bourdieu، أن النساء اللائى يشغلن مراكز مرموقة لديهن درجات علمية؛ أى ما أسماه «برأس المال الثقافى»، يجدن مساعدة أكبر من أزواجهن عما تجده الزوجات اللواتى يفقدن تلك الميزة. ومن هنا.. نجد كل هذه العوامل مجتمعة تساهم فى خلق استراتيجية الرجل فى المنزل.

أضف إلى ذلك استراتيجية الزوجة نفسها؛ فقد وجدت تقريباً كل رجل يقوم بالمشاركة لديه زوجة تشحذ همته ـ أو على الأقل ترحب ـ لمعاونتها فى البيت. فمثل هؤلاء الزوجات لا يستأثرن بأطفالهن، مثلما فعلت نانسى هولت مع چوى فعندما شرع إيڤن فى اصطحاب چوى فى نزهة لحديقة الحيوان فى محاولة منه لزيادة التقارب بينه وبين ابنه، أحبطت نانسى تلك المحاولة ،عندما قررت فى أخر لحظة الانضمام لهما من باب «المساعدة». كذلك كان من الممكن أن يتقهقر مايكل شيرمان إلى طريقة «الطابق

العلوى والطابق السفلى» متعللاً بمعرفته الضئيلة وقلة خبرته بتربية الأطفال لولا اجتذاب أدريان له ودعوتها المستمرة لأن يشاركها العناية بتوأمهما. إن أى جهد يبديه أحد الزوجين مهما كان بسيطاً، يجب أن يحوز التقدير من الطرف الآخر ولو كان طريقة حمل الصغير. فها هى أدريان لم تترك صغيريها فقط فى رعاية مايكل، وإنما راحت تتحدث إليهما عما يبذله «بابا» من أجلهما، وهى بذلك قوت الأواصر بين مايكل وابنيه سواء بوعى منها أم لا، لقد أتاحت له الفرصة ليتقرب من أطفاله.

ونتيجة لذلك نجد مثل هؤلاء الرجال - كانوا أو أصبحوا - حساسين تجاه احتياجات أطفالهم، كما أنهم يتسمون بالواقعية عن غيرهم من الآباء، بخصوص حدود ما تمنحه زوجاتهم وما يحتاجه أطفالهم.

تحديد مفهوم الأبوة

إن الآباء المشاركين لديهم مفهوم أكثر تحديداً لدور الآب من مفهوم غير المشاركين. فهم يتحدثون عن الأبوة بإفاضة لا تقل عن تلك التى تتحدث بها الأمهات عن الأمومة. لقد تمسك الآباء غير المشاركين بمهمة واحدة محدودة، وهى: تربية الطفل على النظام والضبط والربط، أو تعليمه بعض الرياضات. وقد قال أحدهم رداً على سؤالى له عن أهم عامل، يضفى على الرجل سمة الأبوة الحقيقية:

> إنه النظام، فأنا لا أطيق سماع صوت الأنين والنحيب فهذا يضايقنى فزوجتى أكثر صبراً منى. وأنا لم أضرب أولادى ضرباً مبرحاً أبداً، ولكنى أكتفى بضربة خفيفة وإرسالهم إلى حجرتهم، كما أوبخهم بعنف سواء فى حضور الناس أم غيابهم.

ومن هنا يتضح أن مفهوم الأبوة لدى هذا الرجل هو «النظام» فقط لا غير، ونتيجة لذلك لا ينجذب أبناؤه إليه بالقدر الذى ينجذبون به إلى أمهم، التى كانت تعمل

فى شركة تأمين، ولكنها اضطرت تحت وطأة مسئوليات العمل والمنزل إلى ترك عملها. ومن المثير للدهشة أن هذه الأم أعربت عن عدم ارتياحها لترك أبنائها مع أبيهم فترة طويلة. فهو لا يفكر أبداً فى تلبية احتياجاتهم أو إعداد وجباتهم.

و هناك آباء آخرون حددوا مفهوم الأبوة فى «تعليم أبنائهم»، وإخبارهم بما يجرى حولهم من أحداث. وعندما سألت بعضاً من الآباء المبتعدين عن المشاركة فى المنزل عن مفهوم «الأم المثالية» و«الأب المثالي» لديهم، أعطوا إجابات مفصلة ومتقنة عن مفهوم «الأم المثالية»، على حين اتسمت إجاباتهم عن مفهوم «الأب المثالي» بأنها سريعة ومقتضبة وأحياناً ما كانوا يلصقون بإجاباتهم دوراً محدداً للأب مثل قيامه بتعليم أطفاله كل شئ عن السيارات مثلاً.

وهذا نموذج لإجابة أحدهم: «إن الأم المثالية صبورة، وهذه أول سمة لها، كما أنها دافئة المشاعر تولى اهتمامها للعناية بالاحتياجات الفعلية والجسدية لأطفالها، كما تساعد طفلها على مواجهة مطالبه العاطفية.»

أما بالنسبة لمفهوم الأب المثالى لديه.. فقد قال: «هو الذى يقضى وقتاً مع أطفاله». ويتضح مما سبق أن الرجال ليس لديهم مفهوم كامل عن معنى الأبوة، وغالباً ما يتناولون هذا الموضوع بعقد مقارنة فقط بينهم وبين آبائهم. أما هؤلاء الذين يولون أبناءهم عناية أكبر فيقارنون بين أنفسهم وبين أمهاتهم وأخواتهم. فمثلاً بينما نجد أحد الآباء يقول: «إننى أمنح أطفالى كل ما منحه لى والدى.» ولكن «مايكل شيرمان» أعطى ولديه التوأم كل ما أعطته إياه والدته.

تقلص فكرة ما يحتاجه الطفل

إن الرجال الذين يولون عناية أكبر بأطفالهم يقاومون فكرتين حضاريتين: الأولى: تلقى العناية الفعلية بالأطفال من قاموس تعريف «الرجولة». والثانية: تقلص

مفهوم مدى احتياج الطفل لتلك العناية. وبالنسبة للفكرة الأولى، نجد أن الصراع الأعظم لهؤلاء الآباء المسئولين يكون ضد شكوكهم فى إذا ما كانوا يعطون أعمالهم من الاهتمام الكافى ما يجعلهم يتقدمون فيها أم لا. وحتى إذا ما هزموا هذا التخوف تبرز فكرة أخرى تعترض طريقهم، وهى أن أبناءهم «كبروا» و«تقدموا» ولا يحتاجون إلى رعاية كبيرة منهم. إن شعور الرجل الدفاعى فى مواجهة احتياج أطفاله لرعايته يتحد مع مفهومه الاجتماعى الأوسع.

وكما أن نموذج «الأم الخارقة»، التى باستطاعتها إنجاز كل شئ يبخس من الاحتياجات الحقيقية للنساء، نجد أيضاً نموذج «الطفل الخارق» الذى يبخس من الاحتياجات الحقيقية للأطفال. وكم هو سار معاملة طفل صغير كما لو أنه كبير. وغالباً ما يتحدث الآباء المبتعدون عن أطفالهم بالفخر بأن لديهم أطفالاً عندهم «اكتفاء ذاتي» أو أنهم «مستقلون جداً.»

وعندما سألت مدرسة للصف الخامس بإحدى المدارس الخاصة، عن رأيها فى التلاميذ الذين يعمل والداهما معاً أجابت: «إن الجانب المضئ لترك الأطفال وأنفسهم هو تعويدهم على الاستقلالية منذ الصغر، ولكنى أعتقد أنهم يدفعون الثمن لذلك، فإنى أشعر أنهم يحبسون مشاعرهم. هذا ما أراه بوضوح على وجوههم.»

وخلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر، حيث كانت المرأة مبعدة من أماكن العمل.. كان المفهوم الثقافى السائد «عن احتياجات الطفل فى المنزل» مطابقاً لواقع مكوث المرأة فى المنزل، وبرزت هذه الاحتياجات لتوسع وتعمق من دور المرأة داخل المنزل. وقد كان كل من الوزراء والأطباء آنذاك، ينادون بحماس أن مكان المرأة هو البيت وأن الطفل يحتاجها هناك. وعندما انعكست الأوضاع الاقتصادية.. انقلبت المفاهيم عن دور المرأة وعن الاحتياجات الحقيقية للطفل. فالآن يسود الاعتقاد أن الطفل يحتاج «لوقت يمكثه مع أطفال آخرين»، ويحتاج إلى «التدريب على الاستقلالية»،

كما أصبح التصور السائد أنه ليس بحاجة إلى «كم من الوقت»، يقضيه مع الوالدين بقدر حاجته إلى «كم ضئيل من الوقت المفيد.» فقد علق أحد الآباء العاملين على هذا بقوله: «إن الأطفال فى حاجة للوقت الذى يلعبون فيه مع أطفال من سنهم. إن طفلى «نيلسون» ، Nelson، يحب ذلك جداً، ولقد لاحظت هذا عليه منذ أن كان عمره ستة شهور فقط.»

وإذا كان أطفال الطبقة المتوسطة فى أوائل هذا القرن يعانون من اهتمام أمهاتهم الطاغى بهم، حيث كان الإنجاز الوحيد للمرأة فى أن تكون أماً.. نجد أطفال هذه الأيام يعانون من عدم تقدير احتياجاتهم. ففكرتنا عن احتياجات الطفل فى كلتا الحالتين، تعكس احتياجات الآباء والأمهات، وتظهر أن تلك الاحتياجات أصبحت «كرة ثقافية» فى لعبة الاقتصاد والزواج.

وفى سبتمبر عام 1985 نشرت صحيفة نيويورك تايمز مقالة بعنوان: «برامج جديدة فى الطريق لمساعدة أطفال «المفتاح». وقد علقت چانيت إيدر، Janet Edder، بأن مسز سيلجسون، Seligson، تفضل استخدام عبارة «أطفال فى رعاية أنفسهم» عن عبارة «أطفال المفتاح» التى توحى بالإحباط والحزن والحرمان، الذى يصيب هؤلاء الصغار لدى عودتهم لمنازلهم بمفردهم، على حين أن عبارة «أطفال فى رعاية أنفسهم» توحى بأنهم أطفال يحظون بالرعاية، ولكنها رعايتهم هم أنفسهم؛ ولذلك فهى صورة توحى بالسعادة.

كما نشرت مقالة أخرى فى تشينشينج تايمز بعنوان: «إن لم تكن بالمنزل عَلِّمْ طفلك ماذا يفعل». فعلى الآباء أولاً التأكد من إجراءات سلامة أنابيب الغاز حتى لاتنفجر إحداها، وسلامة الدوائر الكهربية حتى لا تحدث حرائق... إلخ، كما يجب أن ينصحوا أبناءهم بما يجب عمله أثناء غيابهم كإخفاء مفاتيح البيت عن الأنظار، وإخفاء أيضاً حقيقة أنهم وحدهم بالمنزل عن من يطرقون الباب. كذلك على الأب تعريف طفله

برقم تليفون، يلجأ إليه ناشداً النصيحة أو الراحة عندما يكون وحيداً فى المنزل. والحقيقة أنه فى بداية هذا القرن كانت مثل هذه النصائح توجه إلى الأرامل أو السيدات العاملات اللائى يعانى أزواجهن من العوز والعجز عن العمل، وكن يثرن شفقة من حولهن من أبناء الطبقة المتوسطة. والآن نجد أطفال الطبقة المتوسطة أيضاً يقومون على رعاية أنفسهم أيضاً.

إن الآباء والأمهات الذين تحدثت إليهم كان لديهم أطفال أصغر، ولم يكن أحدهم يعنى بنفسه، وقد بدوا مرحين يتسمون بالمرونة، على حين وجدت الآباء والأمهات يعانون من عدم الرضا عن دورهم مع أطفالهم. فمثل آن مايرسون نجد عديداً من الرجال والنساء فى عالم الأعمال مضطرين إلى عدم إظهار قلقهم على أطفالهم أثناء ساعات العمل؛ فالأمهات العاملات لا يستطعن الاتصال هاتفياً بأبنائهم أثناء تأدية وظائفهن. كذلك نرى كثيراً من الرجال يخشون أن تفسر أمور على شاكلة الانتقال إلى مدينة أخرى لأسباب عائلية، أو رفض ترقية من الترقيات كعلامة على افتقادهم للطموح أو الرجولة. ومن ثم نجد أن شعار زملاء چون ليڤينجستون فى العمل كان: «لا تعد إلى البيت حتى تستدعيك زوجتك.»

ورغم كل هذا الحديث عن أهمية الأطفال.. فإن المناخ الثقافى أصبح أقل ترحيباً بالآباء والأمهات الذين يضعون أبناءهم فى المقدمة، وهذا لا يعنى أن هؤلاء الآباء والأمهات يكنون حباً أقل لأطفالهم، ولكن هذا يعنى أن «مفهوم الوظيفة» اتسع على حساب «المفهوم الثقافى للأسرة».

وبالنسبة للأمومة «كمشروع خاص».. نجدها وقد انحسرت موجتها، وأن كثيراً من الأمهات يعتمدن على المتخصصات اللائى يتقاضين أجراً منخفضاً، وبالتالى تراجعت قيمة الأعمال التى كانت تنجزها المرأة داخل البيت، وتتسم بالأمومة، وليس قيمة الأطفال.

زوجتى تقوم بهذا العمل

إن الآباء المأخوذين بالعناية بأطفالهم، يدركون جيداً أن هؤلاء الأطفال يعتمدون عليهم. فمثلاً كل يوم بعد الظهيرة يدرك أرت وينفيلد أن آدم فى انتظاره بالحضانة ليعود به إلى البيت. أما مايكل شيرمان فيعرف أنه فى السادسة صباحاً سيهتف أحد ولديه بـ «دادى». إن مثل هؤلاء الآباء قريبون من أطفالهم بشكل، أتاح لهم أن يدركوا ما يحصل عليه هؤلاء الأطفال من أمهاتهم وما لا يحصلون عليه.

أما الآباء المتباعدون.. فهم لا يدركون ذلك إذ يتخيلون أن زوجاتهم يصنعن مع أطفالهم أكثر مما يقدمون هم أنفسهم لهم. ومثالاً على ذلك أن أحد الأزواج امتدح مساعدة زوجته لابنتهما على القراءة فى عطلة نهاية الأسبوع، ولكنى عندما قابلت الزوجة.. اكتشفت أنها تقضى عطلات نهاية الأسبوع فى عمل المنزل، وتتبادل الزيارات مع عائلتها والذهاب إلى الكنيسة.

كما شعرت أنه أحياناً ما يلقف الآباء العناية بأطفالهم إلى الأمهات اللائى بدورهن يلقفنهم إلى جليسات الأطفال، كنوع من التملص من المشاكل. ولذلك.. فإن كل طرف يريد أن يشعر أنه لم يقصر فى واجبه وأن الأمور تسير دون مشاكل. فكما أن الأزواج يطرون على زوجاتهم «كأمهات رائعات» تمتدح الأمهات بدورهن جليسات الأطفال، ويصنفهن بأنهن الأخريات «رائعات» وحتى الأمهات اللائى يشكون من عاملات الرعاية اليومية، ينتهى بهن الحال إلى وصف العاملة منهن على أنها «عظيمة»، وإن المثير للحزن حقاً ليس فقط تحول العناية بالطفل من الأبوين إلى جليسة الأطفال، بل أيضاً فى سيطرة الوهم على الوالدين، وتصورهما أن طفلهما فى «أيد أمينة».

إن الأسباب التى يسوقها الزوج لاعتبار أن زوجته رائعة، هى نفسها ذات الأسباب التى تسوقها الزوجة لاعتبار جليسة الأطفال كذلك كأن تكون صبورة مثلاً .

وكما نجد الرجال غير العابئين بشئون أسرهم يمتدحون زوجاتهم، وهم فى الغالب لايحبذون تبادل المواقعة معهم، كذلك تفعل الزوجة مع جليسة الأطفال تمتدحها، ولكن لاتتمنى أن تحل محلها.

وكما علقت إحدى سيدات الأعمال، وهى أم لطفل فى الثالثة من عمره: «إن جليسة الأطفال التى لدينا رائعة، فهى تظل مع الصغار من السابعة صباحاً حتى السادسة مساءً، وأنا لا أدرى كيف يمكنها القيام بعملها، فأنا لا أستطيع ذلك.» وكما علقت أم عاملة أخرى: «لا أقوى على أن أكون صبورة مثل إليزابيث، Elizabeth، (عاملة الرعاية اليومية). إنى بالطبع أحب طفلى، ولكنى لست من هؤلاء الذين يعنون بالأطفال، ويصبرون عليهم كما يجب.»

إن عاملة الرعاية اليومية نفسها غالباً ما تكون فى وضع حرج، فهى تعتمد مادياً على الوالدين. ولذلك نراها تتحفظ فى إبداء أى ملحوظة على الطفل، تكون نتيجتها سحب الطفل من بين يديها. ومن ناحية أخرى.. قد نجد فى بعض الأحيان عاملة الرعاية اليومية، تقلق بشأن سلوك الطفل، وتعتبر كاثرين ويلسون، Katharine Wilson، نموذجاً لتلك العاملات، وهى تعمل فى مجال رعاية الأطفال منذ خمسة عشرة عاماً، وتبدى لنا بعض ملاحظاتها بقولها:

> واحد من بين خمسة آباء يحضر لمجرد ترك الصغير ثم ينصرف مهرولاً. أما الثلاثة فيأتون ويتحدثون إليك باقتضاب. أما الأخير فهو يتحدث إليك ببعض الاستفاضة. والقليلون هم الذين يتصلون بك هاتفياً خلال اليوم للاطمئنان على أطفالهم. كما وجدت كثيرين يولون اهتماماً ضئيلاً للأنشطة اليومية لأطفالهم متذرعين بثقتهم فى أننا نقوم بذلك نيابة عنهم.

وقد قامت بعض مراكز رعاية الأطفال باستحداث نظام، يتطلب من الأهالى توصيل أطفالهم كل صباح والتوقيع ، وذلك حتى لا يترك بعض الآباء أطفالهم خارج

أبواب الحضانة ليسرعوا إلى أعمالهم. ثم إن وقت اصطحاب الأطفال للعودة عادة مايكون مزدحماً جداً لا يسمح بالكلام بشأن الطفل. إن حال هؤلاء الآباء يثير الشفقة فهم دائماً فى عجلة من أمرهم.

ويتسم وقت إحضار الطفل والعودة به من مركز رعاية الطفولة بأنه «محموم» وقد علقت إحدى العاملات هناك بقولها:

إن الآباء يعيشون فى الجحيم فكل مرة أراهم يكونون مسرعين : سرعة فى الصباح وسرعة فى المساء، ونادراً ما يسألوننى عما تناوله أطفالهم على الغداء، وكيف وماذا لاحظنا عليهم. وكم هو مثير للعطف أن ترى الانتظار فى عينى الصغير منذ الرابعة عصراً، وهو يرى آباء زملائه قد حضروا لاصطحابهم بينما هو ينتظر، وفى كل مرة يدق فيها جرس الباب.. تتعلق عيناه به عسى أن يرى والديه، ولكم أن تتخيلوا حاله عندما يطول انتظاره حتى السادسة والنصف.

وأحياناً ما ينتاب القلق عاملة الرعاية اليومية، وهذا ما استشعرته من سرد أليسيا فرينانديز، Alicia Fernandez، لقصتها مع إميلى، Emily حيث قالت:

لقد مضى على مكوث إميلى معى يومياً عاماً ونصف. ولكنها لم تفتح لى قلبها أبداً، ولا أعتقد أنها تفعل مع والدتها أيضاً. ورأيى أن سبب حالتها هو حزنها على جليسة الأطفال السابقة التى تركتها؛ لذلك.. كانت محاولة تكيفها معى صعبة، ولا أعتقد أننى نجحت فى ذلك. إلى أن حدث ذات مرة أن أخرجت إميلى من حافظتى النقود التى أخذتها من والديها كأجرى عن رعايتها. وقامت بتمزيقها فدهشت وغضبت لذلك وضربتها على ركبتيها فلم تذرف دمعة واحدة. وشعرت بالألم يحز فى نفسى؛ لإقدامى على ذلك، ولكن ما مس قلبى حقاً هو شعورى بأن هناك شيئاً ما خطأ لتحجر الدموع فى عيون الصغيرة على هذا

النحو، وعدم إصدارها أنة واحدة.

وعندما سألتها هل ذكرت هذا لأم إميلى، أجابت مسرعة وبهدوء: «أوه إنه من الصعب الحديث عن ذلك، فربما إن حدث تأخذ الصغيرة منى.» إن مثل تلك العاملة التى ينحصر دورها فقط فى إخبار الوالدين بما دار فى يوم الصغيرة، شعرت بالخوف من أن تفضى إليهما بملاحظات مهمة كهذه - أشد ما يكون الأبوان فى حاجة إلى معرفتها - خشية أن يسحبا الطفلة من رعايتها. على حين علقت عاملة رعاية أخرى قائلة:

«إن الأطفال سهلو التكيف، مطواعون. وطالما يجدون مشاعر الحب عندى وأقوم على إطعامهم؛ فهم يدركون أننى *الشخص، الذى* يشبع إحتياجاتهم، وهذا كل ما أعنيه بالنسبة لهم. إنهم متعلقون بى لدرجة أن البعض منهم يحجم عن العودة إلى المنزل. كما أننى أحياناً أرثى لحالهم عندما يأتون إلى هنا مرغمين فى بعض الأيام، خصوصاً أيام الاثنين».

عندما يشعر العاملون فى دور رعاية الأطفال بالحزن من أجل الأطفال الذين يقومون برعايتهم فهذا مؤشر على أن الأمور ليست على ما يرام. والخطأ فى اعتقادى يكمن فى الساعات الطويلة، التى يقضيها الأطفال بعيداً عن والديهم، وفى عدم توفر قنوات الاتصال بين الآباء والقائمين على رعاية الأطفال، وأخيراً فى الآباء الذين يتخيلون أن زوجاتهم «يتولين جميع الأمور».

تأثيــــر الأب

عندما لم يستتبع خروج المرأة إلى ساحة العمل - فى عصر الثورة المؤجلة - تكيف معظم الرجال ولا مكان العمل ولا الثقافة مع تلك الحقيقة الجديدة.. كان الأطفال هم الضحية. فالمرأة كانت ولا تزال تقوم بأقصى ما تستطيع، وتعمل هذا الشهر

الإضافى كل عام، وعلى الرجل أن يقدم المزيد.

أثناء بحثى لم أقم بعمل اختبارات على الأطفال فى منازلهم، ولم أجمع معلومات عن نموهم المطرد، ولكنى سألت عاملات الرعاية اليومية وجليسات الأطفال عن انطباعاتهم العامة عن الفروق بين الأطفال لأبوين منفصلين، وهؤلاء الذين يعمل والداهم، وينعمون باهتمام الأب، وهؤلاء الذين يعمل والداهم، ولا يشارك آباؤهم فى رعايتهم؛ فأجبن جميعاً «إن الأطفال الذين تكتنفهم رعاية الأب يبدون لهم أكثر أماناً» و«أقل توتراً» و«أكثر هدوءاً». وفى يوم الاثنين تجد لدى هؤلاء الأطفال ما يسردونه عن أحداث يوم الأحد، بدءاً بقولهم: «خمنى ماذا فعلت مع والدى.....».

ومن المثير للدهشة أنه ليس هناك اهتمام ملحوظ بتأثير الآباء على أطفالهم، فالأبحاث الحالية تركز تقريباً على تأثير الأم العاملة على الأطفال. وفى بحث قام به فريق من علماء الاجتماع بالأكاديمية القومية للعلوم فى هذا الشأن عام 1982.. تبين أن عمل الأم ليس له دائماً آثار سيئة على تحصيل الطفل بالمدرسة، أو نموه الاجتماعى والعاطفى(6). وهناك أبحاث أخرى توصلت لنتائج مشابهة، ولكنها أكثر تعقيداً. وفى بحث قامت به عالمة النفس الاجتماعى لوى هوفمان، Lois Hoffman، - والتى تعمل بجامعة ميتشيجان على مدى خمسين عاماً فى مجال أطفال الأم العاملة - توصلت إلى أن معظم بنات الطبقات المختلفة وأبناء الطبقة العاملة الكادحة لأمهات عاملات، لديهم ثقة أكبر بأنفسهم، ويحصلون على درجات أعلى من أبناء ربات البيوت. ولكنها اكتشفت من ناحية أخرى أن أبناء الطبقة المتوسطة الذين قامت على تربيتهم أمهات عاملات، أقل ثقة فى أنفسهم، وأقل تحصيلاً فى المدرسة من نظرائهم لربات البيوت بتلك الطبقة. ولكن ما تأثير الأب؟

بعيداً عن دراستى.. للإنسان أن يستنتج أنه كلما كان الأب معتنياً بأطفاله ، زاد نموهم العقلى والاجتماعى. وفى بحث لنورما رادين، Norma Radin، بالتعاون

مع طلابها بجامعة ميتشيجان، توصلت إلى أن الآباء الذين يمنحون أبناءهم الرعاية الكافية.. تكون لديهم في العادة أهداف متعددة يسعون إلى تحقيقها لأبنائهم. كما أنهم يشعرون نحوهم بمسئولية الرعاية البدنية، ومسئولية تكيفهم الاجتماعي، ومنحهم قوة اتخاذ القرارات، وبالفعل.. ثبت أن هؤلاء الأبناء المحظوظين أكثر تكيفاً وكفاءة اجتماعياً من غيرهم، وهم يرون أنفسهم سادة لمصائرهم، كما تبين أن عمرهم العقلي في اختبارات الذكاء، التي عقدت لهم أكبر من عمرهم السني، وحققوا نتائج باهرة في الألعاب التي تقيس مستوى الذكاء[7].

كما تبين في دراسة شاملة لعالمي النفس فيل كوان، Phil Cowan، وكارولين، Carolyn، بجامعة كاليفورنيا، بيركلي عام 1985 أن الأطفال الذين يبلغون من العمر ثلاثة أعوام ونصف ويحظون باهتمام آبائهم قد أحرزوا نتائج أعلى في ألعاب الذكاء المختلفة (كتصنيف بعض الأشياء ووضع البعض الآخر في تسلسل) من غيرهم، كما تبين أن الأطفال - من نفس العمر السابق - الذين يعانون من التوتر أكثر من غيرهم. يعمل آباؤهم لساعات أطول. كما لوحظ أن بنات هؤلاء الآباء أكثر فتوراً وأقل اندماجاً في ألعاب الذكاء، وإن كن أقل تسبباً في المشاكل عن غيرهم. كما اتضح أنه عندما يستغرق الآباء في العمل لساعات طويلة.. تميل الأمهات إلى تعويض أولادهن الذكور عن ذلك، على حين أنه عندما تعمل الأمهات لساعات طويلة، لا يفعل الآباء ذلك مع بناتهن. وكلما زاد عمل الأب أو الأم بعيداً عن المنزل، سعى كل منهما إلى توثيق علاقته بابنه[8].

ويبدو في النهاية أن نتائج الأبوة الإيجابية يدوم أمدها، ففي دراسة قام بها اثنان من علماء النفس بجامعة ماساشوسيتس طرحا عدداً من العبارات على الطلبة على شاكلة: «إن أبي يفهم مشاكلي ويقلق من أجلي ويقوم بمساعدتي، كأن يعانقني ويقبلني عندما كنت صغيراً، وكانت لديه القدرة على أن يريحني عندما أكون محبطاً،

وأن يمنحنى كثيراً من عنايته واهتمامه» ثم يطلبان من الطلبة التعليق عليها. كذلك سعيا إلى معرفة جدوى آبائهم لديهم، وهل «الأب يبتعد عن المنزل لأيام، أم أنه يبيت ليلتين على الأقل فى الأسبوع خارج البيت... وهكذا». وقد اتضح من إجاباتهم أن الذين نعموا منهم بعناية عالية، أو حتى معتدلة من آبائهم يشعرون إلى حد بعيد بأنهم «اجتماعيون يتسمون بالولاء والشرف، ويمكن الاعتماد عليهم وهم أهل للثقة.»[9]

وأخيراً.. تجد أن العناية بالأبناء جزء مهم بل والأكثر أهمية فى الوردية الثانية، وأن تأثير رعاية الأب أو إهماله يتراءى ويلمس ويحس تدريجياً، وشيئاً فشيئاً على المدى الطويل وخلال مراحل نمو الطفل المختلفة، إلى أن يقف على أعتاب الرجولة، بل ويصبح هو نفسه أباً. إن صورة الأب الإيجابى غالباً ما تقاوم صورة الأب السلبى المتباعد مثل «سيث ستاين»، ولكن صورة الأب الذى يفيض حناناً ودفئاً لأبنائه ـ مثل زوج أم «أرت وينفيلد» ـ يمنكها أن تنير الطريق وتصبح مثلاً يحتذى. وفى الأربعين سنة الأخيرة.. نجد أن النساء العاملات حققن نقلة تاريخية فى اقتصاديات الأسرة. والآن حان الوقت لجيل الرجال ككل أن يحقق النقلة التاريخية الثانية بالمشاركة فى عمل الوردية الثانية بالمنزل.

الفصل السادس عشر

الزوجة العاملة كفلاحة متمدينة

16

الفصل السادس عشر

الزوجة العاملة كفلاحة متمدينة

ان دخول المرأة للعمل فى المجال الاقتصادى لهو ثورة اجتماعية بارزة فى حياتنا المعاصرة. وهذه الفترة تواكب حياة نانسى هولت ونينا تاناجاوا وأنيتا چادسون .. وغيرهن من أمهاتهن وجداتهن . إن نانسى هولت الآن باحثة اجتماعية وأم لطفل واحد، بينما كانت أمها ربة بيت تعيش فى نبراسكا وأم لأربعة أطفال. أما الجدة فقد قامت بتربية أطفالها الخمسة فى مزرعة للقمح . نفس الشىء ينطبق على امرأة أخرى مثل « نينا تاناجاوا » فهى موظفة وأم لطفلين، أما أمها فكانت ترعى شئون المنزل وشئون أطفالها الثلاثة، وتساعد زوجها فى حفظ دفاتر متجره، بينما كانت الجدة تربى الدواجن والأبقار فى إحدى المزارع . وهكذا بعقد المقارنة.. نجد أن نساء هذه الأيام عاملات، على حين أن أمهاتهن منذ ثلاثين سنة كن ربات بيوت، يعشن فى المدينة، وجداتهن منذ خمسين سنة كن يعشن فى القرية. وأحياناً نجد جيلين من ربات بيوت المدينة، يتبعن جدتهن الريفية وأحيانا لايحدث هذا . وكل هؤلاء النساء يعملن ولكن ما يعتبر جديداً/ هو أن خروج المرأة لمجال العمل خارج بيتها؛ للحصول على الأجر جعل حياتها مقسمة وموزعة بين نمطين متعارضين من المعيشة وهما مقر العمل والأسرة ، وبناء عليه.. ظهر الصراع داخل الاسرة بين الزوجين من أجل تحمل المسئولية سوياً ... والجديد أيضاً هو التأثير السلبى لهذا الصراع على باقى أفراد الأسرة، كما أوحت بذلك مشكلة چوى لدى آل هولت .

إن هذا التغيير الحديث يعتبر امتداداً للثورة الصناعية فى أمريكا . فقبل تلك الثورة كانت حياة الرجال والنساء مرتبطة بالعمل فى مزارع الأسرة. حيث كانت المحاصيل والعمل ككل من أجل الاستهلاك المنزلى. ولكن .. مع بدء عصر الصناعة زاد إنتاج المحاصيل والسلع لتوزع على نطاق أوسع مقابل المال . ولكن التصنيع لم يؤثر فى الرجال والنساء فى نفس الوقت أو بنفس الطريقة، فقد أثر فيهم فى أوقات مختلفة وبطرق مختلفة .

فمع الثورة الصناعية.. بدأت المدن الامريكية الجديدة فى جذب أعداد من الرجال والنساء بعيداً عن حياة القرى فى عام 1830 وما تلاه فى مصانع النسيج. وكانت نسبة النساء اللائى يعملن بأجر 10٪ من مجموع العاملين ككل[1] . وفى عام 1860.. كان لايزال معظم العاملين من الرجال ، ولكن أصبحت نسبة النساء العاملات 15٪، ومعظمهن كن شغالات بالمنازل . وبدخول الرجال مجال العمل الصناعى.. تغيرت طريقة حياتهم شيئاً فشيئاً : من العيش فى أماكن مفتوحة إلى حجرات مقفلة ، ومن وقت ليس له حساب إلى الالتزام بمواعيد محددة ، ومن العيش داخل دائرة محصورة بين الأهل والجيران إلى التعامل مع مجموعات متنوعة من البشر. وفى البداية.. حاول الرجال « الجمع بين الكل » بمعنى أن يخرجوا للعمل فى المصانع الريفية الجديدة التى أقيمت فى نيوإنجلاند فى الصباح، ثم يعودوا فى المساء ليعملوا فى حقولهم. أو أن يتبادلوا العمل بين المصانع والمزارع وفقاً لأوقات الزراعة والحصاد. ولكن بمرور الوقت.. أصبح الفلاح عاملاً متمديناً .

وعموماً.. إن التأثيرات المبكرة للعمل الصناعى ربما أثرت على حياة الرجال بصورة مباشرة أكثر من النساء – اللائى مكث معظمهن فى المنازل – فى بادىء الأمر. إلا أنه بالتدريج أيضاً وصلت إليهن يد التغير ، وتحولت حياة المرأة من صناعة الزبد وتربية الدواجن بالمنزل إلى العيش فى المدن وشراء الخبز والبيض من المتاجر . وخلال

تلك الفترة.. أسست معظم النساء أدوارهن وشخصياتهن فى المنزل . وتقول المؤرخة نانسى كوت، Nancy Cott، فى كتابها «روابط الأنوثة»، Bonds of Womanhood، أنه بمقارنة الأزواج والزوجات فى القرن التاسع عشر ، والتغيرات التى لحقت بهم لوجدنا أن الرجال تغيروا أكثر .

أما الآن.. فإن الإيقاع السريع للحياة ، جعل حياة النساء أكثر سرعة فى التغيير. وهيأ اتساع نطاق وظائف الخدمات فرص عمل للمرأة التى أصبح عليها الدور للتحرك داخل الاقتصاد الصناعى . ففى البداية كان على الرجل الجمع بين نمط الحياة القديمة والجديدة ، والآن أتى دور المرأة فى محاولة الجمع بين واجبات العمل- الذى يستمر نحو ثمانى ساعات يومياً – وواجبات المنزل والأمومة. ومما ترتب على هذه الظروف هو تجنب انجاب عدد كثير من الأطفال ؛ ففى سنة 1880.. كانت تنجب نحو ثمانية أطفال وتربى خمسة أو ستة حتى سن النضج. وفى عام 1980 .. أصبح معدل الإنجاب يتراوح بين واحد أو اثنين فقط من الأبناء. واضافة إلى ذلك.. نجد أن متطلبات المنزل تبتلع بصورة متزايدة أجرها فى العمل .

وفى بداية القرن التاسع عشر.. كان الرجال هم أول من بدأوا فى استبدال مصدر القوة لديهم والمتمثل فى الأرض ببديل جديد وهو المال. كما أنهم أول من بدأوا فى الربط بين « رجولتهم » وقدرتهم على الحصول على المال بصورة لم يفعلوها من قبل، وأصبحت القوة الشرائية هى محك الرجولة .

والآن.. نجد أن النساء قد أسسن قوتهن أيضاً على أجورهن وسلطاتهن فى العمل، على حين كان مصدر قوتهن فى الماضى جاذبيتهن وتأثيرهن على الأبناء. ونجد أنيتا قد علقت على ذلك قائلة : « بعدما بدأت أكسب نقوداً.. أصبح زوجى يظهر لى مزيداً من الاحترام.» وعلى ضوء الفجوة القائمة بين أجر المرأة وأجر الرجل والتأثير القوى للطلاق على المرأة.. فإننا قد لانرى أن قوة وسلطة المرأة الحديثة تفوق قوة أمها

أو جدتها ، ولكن الاختلاف هنا هو فى الأساس الذى تقوم عليه هذه القوة.

إن الحصول على دخل أعطى أساساً جديداً للشخصية؛ فكارول ألستون التى تعمل محللة للنظم تصف حالها بعد إنجابها للطفل الأول ومكوثها فى البيت : « لقد اكتشفت حقيقة كيف كان كسب المال مهماً لشخصيتى » . وبينما الحصول على المال لم يمنح كارول الشعور بذاتها أكثر كامرأة بنفس الدرجة ،التى منحها لراى چادسون فى الشعور بذاته كرجل، إلا أنه كان أكثر أهمية لشخصيتها عما كان عليه بالنسبة لأمها . والأكثر من هذا أن الاستقلالية الأرحب التى تقترن بالخروج إلى العمل، ربما كان لها الأثر فى حدوث التغيير الذى طرأ على شخصية المرأة ، مثل كارول بنفس القدر الذى أحدثه فى شخصية الرجل من قبل .

إن هناك تشابهاً بين ربات البيوت اللاتى خرجن للعمل، وملاك الأراضى الزراعية - فى الماضى - الذين تركوا قراهم ونزحوا إلى المدن . واذا كان هؤلاء الرجال قد غيروا من الأنماط الاجتماعية لآبائهم بسرعة أكبر مما فعلت النساء .. إلا أن النساء هن اللائى يسبقن الرجال هذه الأيام فى إحداث هذا التغيير .

إن العمل مقابل أجر أضحى مثيراً له بريقه؛ على حين اتسمت الحياة بالمنزل بأنها كئيبة تبعث على السأم . وبالرغم من ان الدافع المقبول لدى معظم النساء للإقبال على العمل مازال « لأنى يجب أن أعمل » ، إلا أن معظم الأمهات العاملات اللائى تحدثت إليهن لم يعملن من أجل المال فقط. ومن ثم تطورت الدوافع لديهن مثل الرجال، وقد أعرب عدد من النساء عن رفضهن المكوث الممل بالمنزل، واستنكرن تحت أى ظرف من الظروف أن يمثلن « النمط المنزلى» وهذا الشعور حقيقى حتى بين النساء اللائى يعملن أعمالاً منخفضة المستوى . وفى استطلاع للرأى تم سنة 1980 .. تم توجيه السؤال الآتى إلى المرأة « إذا كان لديك قدر كاف من المال يتيح لك معيشة مريحة ، فهل تفضلين العمل لكل الوقت ، أم لبعض الوقت ، أم القيام بالاعمال التطوعية ، أم

المكوث فى المنزل لرعاية الأسرة ؟ » ومن بين النساء العاملات أرادت 28٪ منهن البقاء بالمنزل، بينما أرادت 39٪ من مجموع النساء التى شملتهن الدراسة ـ بما فيهن ربات البيوت – البقاء فى المنزل إن كان لديهن مال كاف . وعندما تم سؤالهن عن دوافعهن للعمل.. كان السبب « الشعور بالإيجابية والرضا الشخصى عن الذات » بالنسبة لـــ87٪ من مجموع النساء العاملات، على حين كان « معاونة الزوج لمواجهة المطالب المادية » هو الدافع لـ 84٪ منهن، بينما كان « تحسين مستوى معيشة الأسرة[2]» هو الدافع لـ 81٪ منهن . وسواء خرجت المرأة للعمل لبعض الوقت أو لكل الوقت.. فهى ترغب فى العمل ذاته، ولديها نفس مجموعة الأسباب المعقدة التى دفعت بالمزارعين فى الدول الاقتصادية المتقدمة إلى النزوح إلى المدن .

وأريد هنا أن أميز بين لفظى: مالك الأرض ، والمزارع. فنحن هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية توحى لدينا كلمة مالك الارض بالفخر والعزة، على حين توحى كلمة مزارع بالمهانة والذلة عند الإقطاع . وأنا هنا أعقد تشابهاً جزئياً أو تمثيلياً بين النساء الأمريكيات المعاصرات والمزارعين المتمدينين ، لأن حال المرأة الاجتماعى والقانونى والتعليمى والاقتصادى، ظل حتى وقت قريب منتقص القيمة كحال المزارعين .

ولكننا نرى أن تدفق النساء المتزوجات إلى ساحة العمل فى الاقتصاد الصناعى فى القرن العشرين اختلف فى نواح عديدة عن التدفق المبكر للرجال. فنجد مثلاً فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر.. أن مهام المرأة فى البيت قلت حيث انتشرت المحلات التى تبيع السلع المتنوعة من أقمشة وصابون وشمع وخبز ، وكلها أشياء كانت تصنعها المرأة فى البيت . والآن ونحن فى القرن العشرين.. أصبح فى متناول المرأة شراء عدد كبير من الوجبات الجاهزة أو تناولها خارج المنزل ، أو إرسال الملابس المتسخة للمغسلة لتنظيفها وكيها. كما أصبح بإمكانها إصلاح الأجهزة المعطلة والقيام بالتغيير والتبديل . كذلك انتقلت مهام كانت تقوم بها المرأة داخل جدران البيت إلى

أماكن أخرى يتم إنجازها فيه كروضات العناية بالأطفال ودور المسنين ومؤسسات رعاية الأحداث والمستشفيات العقلية والمصحات النفسية ، وكلها بدائل لأعمال كانت تقوم بها المرأة فى يوم من الأيام من داخل بيتها .

ولحدٍ ما .. أصبحت السلع والخدمات الجديدة تحظى بالأفضلية عن مثيلاتها المنزلية القديمة. بالإضافة إلى الشعور بأنها أجود منها. ويظهر هذا الاتجاه بشكل أوضح عند الأسر التى يعمل طرفاها، فهم يعتمدون بشكل أكبر على السلع والخدمات الخارجية . وبالتالى تقلص حجم التقدير الذى كان يمنح لمهارات المرأة فى منزلها، وقد علقت إحدى الأمهات العاملات على هذه النقطة قائلة : « أحياناً أرفض أن أطهو الطعام، عندما أشعر بالضيق أو التعب ، ولكن هذا لايؤثر على زوجى فى شىء حيث يخرج ويتناول وجبة الدجاج المقلى والاولاد يحبونها أيضاً.» وزوجة أخرى طلبت من زوجها مشاركتها فى غسيل الملابس، فأجاب بهدوء : « ولم التعب دعينا نأخذها إلى المغسلة.» ومن هنا نرى أن الطرق والمنتجات والثقافات « الحديثة » جاءت لتحل محل مثيلاتها « البدائية » القديمة . وقد بسطت الثقافات الاستعمارية تأثيرها على الدول التى تقع تحت سطوتها، مثلما وجدنا من تأثير الحرب العالمية الأولى على دول العالم الثالث .

المفهومان : ربة البيت والمرأة العاملة

وبانتشار عديد من المنتجات، وكثير من الخدمات الرخيصة والمتاحة فى كل مكان ، تقلصت مساحة دور ربة البيت المتفرغة وفقد بريقه، مما جعل ربات البيوت يشعرن بالحاجة للدفاع عن مكانتهن المتدهورة يوماً بعد يوم . وعندما واجهت آن مايرسون احتمال كونها ربة بيت بعد استقالتها من عملها قالت : « إذا أردت أن تعرفى كنه الرغبة فى تجنب الناس، اذهبى إلى إحدى الحفلات، وعندما يسألونك عن عملك وتقولين : « إنى ربة بيت.» فستدركين معنى ما أقول .

وقد نشرت مجلة عام 1970 مثالاً توضيحياً يلخص معاناة ربة البيت : « ففى أحد القطارات التى تمر بين الضواحى، اكتظ عدد من رجال الأعمال يقرأون صحف الصباح ويطلعون على مذكرات مكاتبهم، على حين كانت هناك ربة بيت متوسطة العمر تبدو فى حيرة، وقد ارتدت ثوب الحمام وخفين من الفراء، وأرسلت شعرها المجعد وقد أخذت تبحث فى الممرات عن زوجها لتناوله حقيبة أوراقه التى نسيها . وما إن رأى الرجل زوجته فى منظرها المثير للسخرية، حتى أصابه الحرج واختبأ خلف مقعده؛ وخصوصاً أنها لفتت انتباه رجال الأعمال». إن ربة البيت تلك لتمثل اسلوب حياة الفلاحين، على حين أن رجال الأعمال يمثلون أسلوب حياة أهل المدن .

إن المرأة العاملة تشعر غالباً أنها فى وضع وسط بين مفهوم ربة البيت ومفهوم الرجل العامل ، فمن ناحية . . تتعرض العاملات من الطبقة الوسطى للنقد الشديد من قريباتهن أو جاراتهن ، اللاتى لايعملن، ويشعرن بتهديد متزايد وصراع إزاء وضعهن المتقهقر، ولذلك فهن يرمقن المرأة العاملة بنظرة لاتخلو من النقد والغضب . وقد شعرت نينا تاناجاوا بنظرة النقد إلى المرأة العاملة فى عيون أمهات صديقات ابنتها (وهن من غير العاملات) ، وشعرت چسيكا ستاين بذلك من الجارات الأكثر ثراء. أما « نانسى هولت » و« أدريان شيرمان ».. فقد تعرضتا لنقد حمواتهن. وبعض هولاء القريبات والجارات قد يمررن أنفسهن بتجربة التحول من ربات بيوت إلى عاملات. فعندما كانت والدة « آن مايرسون » ربة بيت ، كانت دائمة النقد لاهتمام « آن » الشديد بعملها ، ولكن عندما حصلت الأم على وظيفة هى الأخرى، لم يعجبها قرار « آن » بترك العمل .

وفى نفس الوقت.. كانت عديدات من السيدات العاملات يشعرن بتفوقهن على ربات البيوت، إلا أنهن فى الوقت ذاته يحسدنهن. فواحدة مثل كارول ألستون التى جاهدت لتحقيق مركزها المرموق كمحللة نظم، لاتريد أن ينظر إليها على أنها امرأة عادية». وكلما صادفت ربة منزل تسير مع طفلها حدثت نفسها قائلة: « لماذا لاتفعل

هذه شيئاً نافعاً ؟ » ولكنها أحياناً عندما ترى ربة البيت تسير فى هدوء وتؤدة، تشعر بأنها تنعم بميزة تفتقدها هى نفسها، وهى التى تعيش حياة يسودها التوتر المحموم . وعندما تخلت عن عملها الحقيقى لتعمل فى وظيفة استشارية لبعض الوقت، وعبرت الفجوة بين السيدات العاملات وربات البيوت ، بدأت تتعاطف مع الاخيرات .

أما النساء الريفيات فقد أثقلت كواهلهن كربات بيوت أعباء إضافية كتجميع الطرود، أو قضاء فترة بعد الظهيرة فى استضافة أطفال الجيران، الذين تعمل أمهاتهم عقب عودتهم من مدارسهم، كما أن جاراتهن العاملات نادراً مايجدن وقتاً للتوقف والحديث معهن .

إن معيار الشرف فى الماضى كان متصلاً أساساً بعلاقة المرأة بزوجها وأطفالها بالمنزل، إلا أنه الآن تعرض للتهديد. إذ إن المال أصبح فى ظل الاقتصاد المزدهر هو الرمز المسيطر والمتسيد على معيار الشرف والجدارة، وأصبح ما تقوم به ربة البيت من أعمال، لا ينظر إليها على أنه عمل حقيقى كما كان ينظر إلى ربة البيت على أنها «مجرد ربة بيت» ، وأن عملها مجرد «عمل منزلي» وفى كتابهما المعنون بـ «من أجل مصلحتها الخاصة» For Her Own Goods، وصفت كل من باربارا إرينريتش، Barbara Ehrenreich، وديردر إنجلش، Deirdre English، كيف أنه مع بداية هذا القرن.. كافحت حركة الاقتصاد المنزلى ضد تقهقر دور ربة البيت، بمحاولة إظهاره على أنه «مهنة» وأن النساء يقمن بدور «المتخصصات» فى شئون المنزل. وللمفارقة - إن قائدات حركة الاقتصاد المنزلى يعتقدن أن عمل المنزل شرف - ليس لقيمته ولكنه على اعتبار أنه حقيقى كالعمل المدفوع الأجر، وهو امتياز وإن دل على شئ.. فإنما يدل على افتقاد القاعدة الأخلاقية.

الفـروق الطبقيـة

إذا كان لنا ننظر إلى الزوجات العاملات على أنهن مثل الفلاح الذى تحول لحياة

المدينة، إلا أن هناك ثمة فروق مهمة بين «الفلاحين» وبعضهم البعض. وبالإضافة إلى الفيصل القائم بين ربات البيوت والنساء العاملات.. وسَّعت الثورة الاجتماعية الفجوة الثانية بين هؤلاء اللاتى يحصلن على دخل كبير يمكنهن من استئجار جليسة أطفال، وبين اللواتى يحصلن على دخل زهيد، مقابل قيامهن هن بعمل «جليسة الأطفال». إن كارمن ديلاكورت التى كانت تجالس طفلين، وكونسيولا سانتشيز المرأة السلفادورية التى كانت تجالس ابنة أسرة ليفينجستون، بينما كانت أمها ترعى طفلتها هى فى السلفادور، وجليسة الأطفال الفليپينية لدى أسرة مايرسون التى تركت طفلتها فى الفليپين، ومديرة المنزل ومساعدتها لدى أسرة... كل هؤلاء النسوة يمثلن جزءاً من أعداد متنامية من العاملات، اللواتى يقدمن خدمات صغيرة متخصصة لربة البيت مقابل أجر. وإذا أمعنا النظر.. نجد أن منذ ثلاث أجيال ماضية، كانت جدات هؤلاء النساء ربات بيوت. وبما أن للطبقة الاجتماعية قوتها، فربما نجد حفيدات ربات بيوت الطبقة العاملة يدخلن المجال الاقتصادى، كخادمات أو عاملات رعاية أو أى عمل «نسائى» يدر عليهن دخلاً زهيداً. بينما نجد حفيدات ربات بيوت الطبقة العليا والطبقة المتوسطة العليا يتجهن إلى أن يصبحن محاميات وطبيبات وأستاذات، أو أى عمل يحقق لهم المكانة الاجتماعية المرموقة (التى عادة ما يتقلدها الرجال وبعض النساء) أما حفيدات الطبقة المتوسطة فيملن إلى الوظائف «المتوسطة»؛ لذلك نرى اختلافاً طبقياً مهماً بين كارمن ديلاكورت وآن مايرسون: فهما وإن كانا يمثلان جزءاً من «الريفية» الحديثة.. إلا أن تكيفهما قد اختلف.

المحافظة على التقاليد المنزلية

بالتجربة وجدت أن العاملات فى كل الطبقات الاجتماعية واجهن نفس المشكلة وهى: المحافظة على التراث العائلى للأم والجدة فى زمن يستلزم المكوث نحو 9 أو 10 ساعات خارج المنزل. ولحد ما نجد تجربة نساء الشيكانا، كما أوردتها عالمة الاجتماع

بيـاتريس پيـسكويرا، Beatrice Pesquera تلخص تجربة النسـاء العـامـلات ككل: فعديدات منهن واجهن صعوبات الانتقالات الثلاثة، وهم: الانتقال من الحياة الريفية إلى الحيـاة المدنية، ومن الحـياة المكسـيكية إلى الحـياة الأمريكيـة، ومن العـمل المنزلى إلى العمل بأجر. إن امرأة الشيكانا العاملة اعتبرت أن وظيفتها الأصلية هى الحفاظ على التراث، عن طريق تعليم الأبناء الأغانى والقـصص الإسـبانية وتعليم الفـتيـات طهى الأطباق المحلية. فمهمتها إذن تنحصر فى الحفاظ على هذا التراث من الضياع أمام تجـاهل التـعليم والتليـفـزيون الأمـريكى له. وفى نفس الوقت الجـمع بين هذا المـاضى والحاضـر؛ مما فرض عليـها مـهمـة أخرى فى الوردية الثـانيـة. وعندمـا لا تجـد امرأة الشيكانا العاملة الوقت للقيام بهذا الدور بنفسها، فقد تلجأ إلى إحدى الجدات لتجالس أطفالها، وتعلمهم هذا التراث.

نفس المعركة الخـاسرة فى معظم الأحيان ـ خاضتها معظم السيدات العاملات من البـيض، فى مـحاولتـهن الحفـاظ على التـراث الأسرى ـ حـيث كان كل شـئ يصنع بالمنزل، بدءاً من خبز فطيرة التفاح إلى حياكة ملابس الأعياد أو كى القمصان؛ فنجد أن مـعظم هـؤلاء العـامـلات يتـحـولن أثنـاء عطلاتهن السنوية أو الأسـبـوعـيـة إلى ربات البيوت.

ونجد سيدات تقليديات على شاكلة نينا تاناجاوا وكارمن ديلاكورت يشعرن أن عليهن القيام بكل التقاليد المنزلية. ففى رأيهن أن دور المرأة ليس فقط دوراً نسائياً، بل هو جزء لا يتجزأ من تراث ثقافى متكامل، ولن يستطيع أحد سـوى المرأة أن يحـافظ عـلى هذا التراث وهذه التقاليد، فقد انشغل الرجل بتـأمين وضعه فى ظل الاقتصاد الصناعى الجـديد، وحدد مكانتـه كرجل من خـلال وضـعـه فى هذا النظام، وترك للمرأة مـهمـة ربطه وتذكيره بتراثه القـديم. وتوضح باربارا بيرج، Barbara Berg، فـى كتـابها:«البوابة غير المنسـية» ، The Remembered Gate، أنـه بـالـرغـم مـن تـرك الأمـريكيين العـمل فى أراضـيـهم، إلا أن قـيـم القـرية انتقلت إلى منازلهم حيث تحـولت

المرأة إلى فلاحة متمدينة، تحافظ على مبادئ ريفية ولت أيامها بينما تعيش هى ذاتها فى المدينة، وهى بذلك تسهل عملية التحول إلى المدينة بالنسبة للرجل، ولكن من يسهل لها عملية تحولها هى الآن؟

ومن منطلق رغبة النساء فى المحافظة على «التراث المنزلى».. يشعرن بعدم الارتياح عند اختصارهن لبعض المهام المنزلية، أو بالتقصير لعدم مضاهاتهن لأمهاتهن فى العناية بالمنزل والطفل. وقد لخصت إحداهن مشاعر عديدات بقولها: «إننى لست من هؤلاء اللواتى، يحرصن على النظافة لدرجة أن يرين وجوههن فى أرضية المطبخ. فأنا بمقدورى أن أدع جزءاً من روتين والدتى فى النظافة جانباً، ولكن الذى يؤرقنى حقاً، هو أننى لا أعطى لطفلى مثلما أعطتنى أمي، ولهذا أريد من زوجى أن يساعدنى ويهتم ببيته وأسرته.»

ويستجيب بعض الرجال تجاه التقاليد المنزلية المتقهقرة، كاستجابة المستعمرين للحفاظ على تقاليد الحياة الريفية التقليدية. فقد أتاح لهم شعورهم بالأمان تجاه ثقافتهم الحديثة أن يعملوا فى جمع أبسطة الفلاحين ومجوهراتهم وأغانيهم، والحفاظ عليها، أو تنمية الذوق العام للمطبخ الريفي. وبالمثل.. فإننا نجد بعض الرجال الناجحين، الذين يكتنفهم الأمان فى مواقع عملهم ورسخوا من أقدامهم فيه، يقومون ببعض الأعمال التقليدية للمرأة. فقد يقوم الواحد منهم بخبز الخبز أو الفطائر أيام السبت، أو يعد وجبة مرة فى الشهر. ولكن القليل منهم جداً هم الذين يقبلون العمل شهراً إضافياً فى العام.

الأجور غير المتكافئة وحالات الزواج الهش - الاتجاه المعاكس

إن تحول المرأة إلى الاقتصاد الصناعى كفلاحة متمدينة يعتبر الثورة

الاجتماعية الأساسية لزماننا هذا، مما زاد من قوة المرأة. إلا أن هناك فى نفس الوقت حقائق أخرى خفضت من تلك القوة،. فإذا ما استتبع عمل المرأة خارج المنزل احتياجها لمساعدة الرجل داخله، فهناك عاملان مهمان يمنعانها من الضغط على زوجها طلباً لهذه المساعدة: العامل الأول أنها تكسب أقل منه، والعامل الثانى أن زواجها أصبح أقل استقراراً عن ذى قبل.

وبالرغم من تزايد مرتبات النساء عن ذى قبل؛ حيث أصبحن يحصلن على 70٪ مما يحصلن عليه الرجال، بعد أن كن يحصلن على 60٪ فقط منذ مائة عام، إلا أن لديهن احتياجاً اقتصادياً للزواج أكثر من الرجال.

ولكن ما تغير بالفعل فى هذه الأثناء هو مدى اعتماد المرأة وركونها إلى هذا الزواج. فقد ارتفعت معدلات الطلاق، وتضاعفت حقيقته فيما بين سنة 1970 و سنة 1980. وتنبأ الخبراء أن نحو 49٪ من حالات الزواج الحالية سيصيبها الفشل قبل وفاة الزوجين. ومهما كانت أسباب الطلاق، كما أشارت عالمة الاجتماع تيرى آرنديل، Terry Arendell، فى كتابها «الطلاق: النساء والأطفال» Divorce: Women and Children Last، إلا أنه أكثر إيلاماً للمرأة، وهو عادة ما يدفع بها إلى أسفل السلم الاجتماعى. وفى إحصائية بهذا الشأن قام بها لينور ويتزمان، Lenore Witzman، فى كتابه «ثورة الطلاق»، The Divorce Revolution، ظهر أنه فى العام الأول بعد الطلاق تفقد المرأة 73٪ من مستواها الاجتماعى، بينما يكسب الرجل 42٪ فى مستواه بعد الطلاق. ومن المثير للدهشة أنه تبين أن معظم الرجال المطلقين لا يمنحون دعماً مادياً يذكر لأطفالهم. وطبقاً لتقرير مكتب الإحصاء عام 1985.. تبين أن 81٪ من الرجال المطلقين و66٪ من المنفصلين لديهم أحكام قضائية، بخصوص استحقاق أبنائهم لنفقة رعاية منهم. وتبين أن نحو 20٪ من هؤلاء الآباء يمتثلون لأوامر المحكمة، على حين أن 15٪ يدفعون النفقة بصورة غير منتظمة. (ولا يرتبط مقدار هذه النفقة

بمقدرة الأب على الدفع[3]).

كما أن الرعاية العاطفية التى يمنحها الأب المطلق لأبنائه، هى أيضاً ضئيلة للغاية. ففى مسح قام به عالم الاجتماع فرانك فرستنبرج، Frank Furstenberg، بين عامى 1976 و1981.. تبين أن نحو 23٪ من الآباء المطلقين لم يجرين أى اتصال مع أطفالهم خلال الخمس سنوات الأخيرة. وأن نحو 20٪ منهم لم يكن لهم اتصال بهم فى السنة الأخيرة. على حين أن 26٪ فقط كانوا يرون أطفالهم بما يوازى ثلاثة أسابيع فقط فى العام الأخير. كذلك وجدت أن نحو ثلثين ممن مضى على طلاقهم ما يربو على العشر سنوات.. لم تكن لهم علاقة بأطفالهم منذ أكثر من عام. وفى بحث لعالمة الاجتماع تيرى أرنديل عن المرأة المطلقة.. أظهر أن نحو نصف أطفال الأزواج المطلقين لم يحظوا بأى زيارة أو مكالمة من آبائهم فى العام الأخير، وأن نحو 30٪ من هؤلاء الأطفال لم يروا آباءهم فى الخمس سنوات الأخيرة. ومهما كان العمل الذى تتقلده المرأة.. فإنها يجب عليها أن تكون الشخص المحورى فى حياة أطفالها.

وأوضحت تيرى أرنديل فى بحثها أن عديدات من المطلقات فى الطبقة المتوسطة افتقدن إثر طلاقهن المساندة العاطفية والدعم الاجتماعى ممن حولهم، كما عانين من شظف العيش، وأصبح يقع على أكتافهن وحدهن مسئولية الأطفال، والحقيقة المؤلمة هنا أنه بمجرد أن تفقد المرأة المطلقة مكانها فى السلم الاجتماعى.. فإنه من الصعب عليها بعد ذلك استعادته مهما حاولت. ومما يزيد من كربهن صعوبة حصولهن على عمل بأجر مناسب، كما أن القليلات منهن يتزوجن للمرة الثانية؛ لأن معظمهن يتحملن مسئولية أطفالهن بعد الطلاق.

وبينما زاد دخول المرأة ساحة العمل من قوتها.. إلا أن عدم الاستقرار المتزايد، الذى يصيب الزواج يخلق نمطاً فردياً جديداً «مجهول الهوية من الظلم الاجتماعى». وفى القرن التاسع عشر، قبل حصول المرأة على كثير من الحقوق، مثل التعليم والعمل

والتصويت وحق الملكية.. كان من الممكن أن تقع المرأة فى مصيدة الزواج برجل مستبد، وليس لها من مخرج آخر تلوذ به. والان نسمى مثل هذه المرأة «مظلومة»، وبعد أن حصلت المرأة على حق التصويت، وخرجت لتتلقى العلم وتشارك فى الحياة العملية، وتطالب بالطلاق.. تجدها عندما يبوء زواجها بالفشل، تعيش نمطاً من الحياة، يتسم بأنه يفتقد إلى المساواة فى «الاستقلالية» و«الحرية».

ولنا أن نعتبر الطلاق هو انفصام عرى الاتفاقية الاقتصادية المبرمة بين الرجل والمرأة. لقد أطلقت عالمة الاقتصاد هيدى هارتمان، Heidi Hartmann، على حالة الزواج التقليدى، اسم «تقنية إعادة التوزيع»؛ بمعنى أن الرجل «يدفع» مالاً للمرأة مقابل تربيتها لأطفالهما وعنايتها بالمنزل.

وفى نهاية القرن التاسع عشر.. ناضلت الاتحادات العمالية، وكسبت من أجل «رفع دخل العامل» لصالح رخاء الأسرة، بدعوى أن الرجل يتكفل بأطفاله وزوجته، وكان هذا فى ذلك الوقت يبدو معقولاً لأن يحصل الرجل على الوظائف الأعلى أجراً، أو حتى يزيد أجره عن المرأة التى تمارس نفس العمل من منطلق أن المرأة «لا تعول أسرتها». وبما أن هذا النظام لم يكن يحقق المساواة المادية بين الرجال والنساء.. لجأت معظمهن إلى الزواج لرفع مستوى معيشتهن ولتحقيق «التوازن» الاقتصادي. وكانت العلاقة بين الرجل والمرأة فى سوق العمل تشبه علاقة الطبقات العليا بالطبقات الدنيا فى المجتمع ككل، وكان الزواج يحقق المساواة.

ولكن عندما أصبح الزواج - ذلك النمط من «تقنية إعادة التوزيع» - هشاً، ويتهشم على صخرة الطلاق.. ظل الرجل يحصل على «أجر إعالة الأسرة»، ولكنه لم يعد «يعيد توزيعه» على أولاده وزوجته السابقة التى تتولى وحدها الآن تربية أطفاله. وتؤكد وسائل الإعلام على حق كل من الرجل والمرأة فى طلب الطلاق، وهذا فى حد ذاته يعتبر تقدماً كبيراً. ولكن تظل الحقيقة بأنه عند الطلاق .. ينقسم الزوجان إلى

طبقتين مختلفتين، وهناك ثلاثة عوامل تسحب البساط من تحت أقدام نصف النساء المطلقات، وهى: الاعتقاد بأن مهمة رعاية الأطفال من صميم عمل المرأة فى كل الأحوال وفشل الأزواج السابقين أو بالأحرى تقاعسهم عن دعم أطفالهم مادياً، ثم حصول الرجل على أجر مرتفع من عمله على حين ينخفض مستوى معيشة المطلقة.

ومن هنا.. نجد أن الرجل فى الماضى كان يسيطر على المرأة من داخل مظلة الزواج. والآن وبالرغم من خروج المرأة إلى العمل.. إلا أن الرجل لا يزال يسيطر عليها خارج مظلة الزواج. فالمرأة فى النظام القديم كانت مرغمة على طاعة الزوج المستبد، أما فى النظام الحديث.. فإن المرأة المطلقة تعانى من إهمال الزوج السابق لها اقتصادياً، ومن إهمال المجتمع لها ككل. كانت المرأة فى الماضى ملازمة للمنزل، ولكنها كانت اقتصادياً تتمتع بالاكتفاء وبالإنفاق عليها، على حين أن المرأة المطلقة فى الوقت الحاضر تقوم بعمل البيت بلا مقابل مادي.

إن الاضطهاد «الحديث» للمرأة «خارج» نطاق الزواج، خفَّض أيضاً من قوتها «داخله»، وأصبحت المتزوجات أكثر حذراً مثل نينا تاناجاوا ونانسى هولت التى كانت ترنو الواحدة منهما إلى صديقاتها المطلقات، وتقول فى نفسها: «فلأصبر على عمل شهر إضافى، أفضل من الطلاق.»

إن تدفق النساء إلى مجال العمل وزيادة سلطاتهن فيه ، رفع من طموحاتهن وآمالهن بأن يحظين بمعاملة تتسم بالمساواة فى منازلهن، ولكن تدخلت عدة عوامل لتقلل وتحد من تطلعاتهن تلك، وهى: انخفاض أجورهن وظروف العمل غير الملائمة، وتهديد الطلاق لهن.

ومن هنا نرى أن الاضطهاد «الحديث» الذى ينتظر المرأة خارج دائرة الزواج خلق لها تهديداً محكماً داخله، لذلك نرى المرأة المتزوجة تقول لنفسها: «لا أريد ما حدث

لها يحدث لى». وقد لاحظت خلال دراستى تلك أن كلاً من النساء والرجال على حد سواء كانوا يشعرون بالشفقة والرثاء للألم العاطفى، الذى يصيب أصدقاءهم المطلقين. ولكن النساء يرددن قصص الطلاق باهتمام متوتر، ويبدين تعاطفاً أكبر مع أزمة المرأة المطلقة؛ مثال لذلك أخبرتنى إحدى الأمهات ـ التى تعمل فى مجال الطباعة، وهى زوجة لمدير مخزن، كان سالفاً رئيسها فى العمل ـ بحديث تبادلته مع زوجها حول قصة طلاق إحدى صديقاتها؛ حيث قالت:

«لدى صديقة طيبة عملت كسكرتيرة طوال ست سنوات، وشجعت زوجها على الالتحاق بمدرسة طب الأسنان. وكانت تعمل بكل طاقتها وتعود للمنزل لتقوم بكل شئونه، وتعتنى بطفلها أيضاً، ولم يقلقها أن تتقدم فى عملها لأنها قد وضعت فى الاعتبار الاعتماد على عمل زوجها وأن تتوقف عن العمل عندما يجهز لممارسة مهنته. ثم حدث أن أحب زوجها سيدة أخرى وطلق زوجته، وهى الآن لا تزال تعمل وتربى طفلها، على حين أنه أنجب طفلين من السيدة الأخرى.

وهنا علق زوجها قائلاً: «هذا حقيقي، ولكنها كانت صعبة المراس وأدمنت الشراب. كما كانت تشكو كثيراً. أنا لا أقل إن الأمر كان يسيراً عليها، ولكن للقصة جانباً آخر.» فصاحت الزوجة فى دهشة: «ياه لقد كانت ضحية؟ ألا تعتقد ذلك؟». فرد زوجها قائلاً: «أوه، لا أدرى ولكن كليهما لديه حجة مقنعة».

ومن الملاحظ أن معظم قصص العظات المهمة فى بداية قرننا هذا، كانت عن نساء «سقطن» أخلاقياً قبل الزواج، وكانت النتيجة مؤسفة لهن لعدم تقبل أى رجل للزواج من أى منهن. ولنا أن نقول الآن إن «النسخة الحديثة» للمرأة الساقطة هى المرأة المطلقة التقليدية المسئولة عن أطفالها الصغار. ولايتملك كل النساء شعور الخوف من الطلاق. ومثال على ذلك امرأة مثل أنيتا چادسون. أما فى حالة نينا تاناچاوا ونانسى هولت فقد سيطر عليهما الخوف من احتمال حدوث الطلاق، مما دفعهما إلى

الكف عن مطالبة زوجيهما بالمشاركة فى الوردية الثانية. وعندما تبدو الحياة باردة جداً بلا زواج.. فربما تسعى المرأة إلى الزواج وإن لم يكن متكافئاً.

وإجمالاً للقول.. نجد أن هناك قوتين تتصارعان، وهما: الفرص الاقتصادية، والاحتياجات التى تجذب المرأة إلى الحصول على عمل، والتى فى نفس الوقت تضغط على الزوج ليقوم بالمشاركة فى أعمال الوردية الثانية. إن هاتين القوتين تدعمان المفهوم المساواتى للنوع ولاستراتيجية التفاوض بشأن إعادة توزيع العمل فى المنزل. إلا أن هناك قوى أخرى تعمل فى الاتجاه المضاد، وهى فجوة الأجور بين النساء والرجال، وتأثير نسبة الطلاق المتزايدة على النساء، فهذه القوى تدعم المفهوم التقليدى للنوع والاستراتيجية النسائية الخاصة بالأم الخارقة، وتلك المظاهر المتعلقة بالرجولة الخاصة بمقاومة الرجل للمشاركة. وجميع الأزواج والزوجات الذين شملتهم دراستى، كانوا معرضين لكلتا المجموعتين من القوى وإن اختلفوا فى درجة التعرض لها: فبعض النساء كن أكثر اعتماداً على أزواجهن اقتصادياً من الأخريات، وبعضهن الآخر كان زواجهن محفوفاً بالقلاقل. إنها خلفية الاضطهاد «الحديث» التى جعلت بعض الزوجات مثل كارول ألستون أو آن ميرسون يشعران بالامتنان الشديد لزوجيهماحتى وإن لم ينجزا المطلوب منهما فى الوردية الثانية.

منح ومنع دعم العمل من وراء الستار

إن الاتجاهات التى وصفتها تشكل الإعاقة فى الثورة الاجتماعية، وتكدس النقاط لصالح الأزواج الذين لا يشاركون زوجاتهم فى الوردية الثانية. حيث تفتقد النساء «مساندة ما وراء الكواليس» لوظائفهن خارج المنزل.

وتشير إلى أن الدائرة بالنسبة للرجال تسير على هذا النحو: إن الرجل يضع كثيراً من «شخصيته كرجل» فى عمله، ومن ثم فوقته فى العمل يعد ثميناً وله وزنه عن وقت المرأة فى عملها، وذلك بالنسبة له ولأسرته. وكلما زاد استحقاق وجدارة وقت

الرجل، زادت قيمة وقت الفراغ بالنسبة له، لأن هذا هو الوقت الذى يمكثه فى المنزل؛ ليشحذ طاقته ويقوى طموحه مما يدفع به للأمام فى عمله. وهو يرى من وجهة نظره أنه كلما قل حجم إسهامه فى أعمال المنزل، استطاع تكريس وقتاً أطول لعمله وإثبات ولائه لشركته وارتقائه بسرعة، واتساع دائرة تطلعاته، وما يحصل عليه من أجر. وهذه الأهداف كلها تشفع له بمطالبته بإعفائه من الوردية الثانية ومهامها الكثيرة.

وتسير الدائرة بالنسبة للمرأة بصورة موازية لدائرة الرجل. فشخصية المرأة أقل فى عملها، وبما أن عملها يأتى فى المرتبة الثانية.. فهى تقوم بأعمال أكثر بالتالى فى الوردية الثانية. ولأنها تدعم زوجها فى عمله أكثر من دعمه هو لها.. فإن طموحاتها تتضاءل وأجرها - الذى هو «أصلاً» أقل من أجره - يرتفع ببطء. كما أن عمل الشهر الإضافى فى العام يجعلها تساهم ليس فقط فى نجاح زوجها، بل إلى توسيع الهوة بينهما.

إن هناك عاملاً آخر يؤثر على مدى مساهمة الرجل فى البيت، أكثر من عامل الراتب، ألا وهو القيمة التى يعقدها كلا الزوجين على عمل الآخر. ومثل هذا الحكم يعتمد على مدى الاستثمار العلمى وظروف العمل وتوقعات المستقبل التى يراها كل واحد فى شريك حياته. وإجمالاً.. كلما زادت أهمية عمل الرجل، حاز على مساندة أكبر من زوجته. على حين أنه كلما قل تأييد الرجل لعمل لزوجته، انتقص هذا من قيمة عملها.

إن عدم المساواة فى الدعم المستتر يلقى اهتماماً ضئيلاً لأن معظمه محتجباً عن الأنظار. فلا أحد يستطيع أن يخمن من المظهر الخارجى الخالص فى موقع العمل أى الزوجين يطهو الطعام وأيهما ينتظر لتناوله فقط، بالضبط كما يصعب التمييز بين الغنى والفقير هذه الأيام فقط من خلال إلقاء نظرة على ملابس كل منهما. وعندما يحضر كل من الرجل والمرأة إلى مقر العمل يبدوان متساويين، إلا أن واقع الأمر مختلف فأحدهما

«فقير» فى الحصول على دعم ما وراء الستار عن الآخر. فهناك طرف يغسل ويكوى الملابس ويجهز الطعام ويكتب مذكرات العمل ويتلقى مكالمات الهاتف، وطرف يتلقى كل تلك الخدمات من شريك حياته.

وتعتقد النساء «التقليديات» و«الانتقاليات» أنه لزاماً عليهن إعطاء أزواجهن مساعدة ما وراء الستار أكثر مما يأخذن منهم. أما النساء المتساويات اللائى يتقلدن مناصب مرموقة، ويكافحن من أجل التقدم فى أعمالهن.. يشعرن باستحقاقهن فى تلقى المساعدة من أزواجهن بقدر ما يعطين هن لهم. ولكن نجد أن الأشخاص المتمسكين بالأسرة والمؤمنين بالمساواة - سواء أكانوا رجالاً أم نساءً - لا يسعون لتقليل الوقت الذى يمضونه فى منازلهم فى سبيل أعمالهم؛ فهم ينظرون إلى المنزل على أنه فى المقام الأول. إن ازدياد معدلات الأسر التى يعمل طرفاها أدى إلى انخفاض معدل «العرض» فى ربات البيوت، وبالتالى إلى زيادة «الطلب» والحاجة للدعم المستتر، وهذا أدى بدوره إلى إعادة توزيع «المعروض» من هذا الدعم.

إن تلقى مساعدة ما وراء الكواليس يعد «ثروة»، لها توزيعها الهرمى الخاص؛ ففى قمة الهرم يأتى كبار الإداريين المتزوجين من ربات بيوت، تستقبل عملاءهم وتدير منازلهم، كما أن لديهم سكرتيرات تنظم لهم المواعيد والزيارات والأسفار، وتقوم حتى بإرسال زهور أعياد الميلاد إلى زوجاتهم. وفى سفح الهرم.. تعتبر الأم التى دون زوج، وتعمل طول الوقت وتقوم على تربية أبنائها وحدها - تعتبر أفقر الناس فى هذه «الثروة» من الدعم. وبين هذين النقيضين نرى فى الوسط الزوجين العاملين، اللذين تتباين أحوالهما طبقاً لحجم العمل الذى تنجزه الزوجة فى الوردية الثانية. وبوجه عام.. نجد أن الرجال ينعمون بمساعدة أكبر من التى تتلقاها النساء والأغنياء، أكثر مما يحصل عليه الفقراء.

وفى دراستى للحياة الأسرية للعاملين بإحدى المؤسسات الكبرى.. اكتشفت أنه

كلما ارتفع السلم الوظيفى، زاد تلقى المساعدة فى المنزل. فالذين يتقلدون الوظائف القيادية عادة ما يكونون متزوجين من ربات بيوت. أما الذين يشغلون المناصب الإدارية المتوسطة فهم عادة مقترنين بزوج أو زوجة، يقومون ببعض أو بمعظم أعمال الوردية الثانية. وفى حالة صغار الموظفين، إذا كانت امرأة، فهى عادة ما تكون غير متزوجة أو أم دون زوج تقوم بكل العمل بالمنزل وحدها[4]. وفى كل من هذه المستويات الثلاثة فى الشركة.. تختلف ظروف الرجل عن المرأة. فبينما كانت حوالى 95٪ من النساء اللاتى يتقلدن الوظائف القيادية بالشركة متزوجات من رجال عاملين كانت الـ 5٪ الباقية إما غير متزوجات، أو أمهات بلا أزواج. وبالنسبة للرجال فى هذه المناصب القيادية.. فإن نسبة 64٪ منهم متزوجين من ربات بيوت، و23٪ متزوجين من زوجات عاملات، و5٪ غير متزوجين أو لديهم أطفال بلا زوجة. ومن ثم نجد أنه بالمقارنة إلى الرجال.. تفتقد النساء المرموقات فى أعمالهن دعم ما وراء الستار فى بيئة تسلبهن تلك الميزة. وقد علقت إحدى المديرات قائلة: «إن زملائى فى نفس الوظيفة كلهم من الرجال، ومعظمهم متزوجون بربات بيوت. وحتى هؤلاء الذين تعمل زوجاتهم يبدو أن لديهم وقتاً أكبر فى العمل عما يتوفر لدى.» ولذلك.. فإن أحد التعليقات الساخرة التى ترددها مثل تلك المديرة هى «ما أحتاجه هو زوجة».

أما فى المناصب المتوسطة.. فإننا نجد أن ربع عدد الرجال مقترنون بربات بيوت، وأن نصفهم تقريباً متزوجون بسيدات عاملات، أما ثلثهم فليسوا مرتبطين. أما النساء اللاتى يشغلن وظائف متوسطة المستوى.. فإن نصفهن يشاركن أزواجهن كعاملات، ويتحملن معظم الوردية الثانية. أما النصف الآخر.. فإنهن إما غير متزوجات أو أمهات يعشن بلا زوج، وقد تبين أن معظم النساء اللاتى يعملن فى وظائف دنيا غير متزوجات، أو أمهات يعشن بمفردهن.

إن الحصول على دعم «شحيح» أو «سخى» من وراء الستار ليؤثر على السمات

الشخصية للفرد، فعلى حين نجد الرجال ذوى المناصب الكبرى الذين يحظون بمساندة زوجاتهم عادة ما يتصفون بالطموح وبالالتزام فى العمل، وبينما نجد النساء اللائى يحصلن على دعم أقل، يفتر التزامهن تجاه العمل: «فنانسى هولت ونينا تاناجاوا سحبا انتباههما فى العمل من أجل العناية بكل شئ آخر.» إن مثل هاتين المرأتين لم تفقدا طموحهما، وهما على عكس آن مايرسون كانتا تشعران أن عملهما حقيقى بالنسبة لهما، ولم تعانيا مما أسمته عالمة النفس ماتينا هورنر، Matina Horner، «بالخوف من النجاح» وذلك فى كتابها: «رغبة المرأة فى الفشل»، Women's Will to Fail. ولكن بالأحرى نجد أن «فقر دعم ما وراء الستار» رفع من الثمن العاطفى لنجاحهما إلى درجة كبيرة.

عندما دخل الرجال الحياة الصناعية فى بداية الحقبة الاقتصادية من القرن التاسع عشر.. عملت زوجاتهم - من خلال البيت - على الحفاظ على ارتباطهم بالحياة التى ألفوها من قبل. فقد يسَّرن لأزواجهن التحول الصعب إلى عصر الصناعة، من خلال «وجودهن خلفهم بالبيت». أما فى القرن العشرين.. لم يقم أحد من الرجال بتيسير هذا التحول لزوجاتهم مثل نانسى هولت، التى كانت تشبه فلاحاً حديث العهد بالعمل بمصنع فى المدينة، وأصبحت جزءاً من قاعدة عمالية كبيرة وتقوم بما يقوم به الآخرون.

الفصل السابع عشر

الغوص فى أعماق السير الذاتية القديمة أو تكرار أحداث التاريخ من جديد

17

الفصل السابع عشر

الغوص فى أعماق السير الذاتية القديمة
أو تكرار أحداث التاريخ من جديد

إن المرأة ذات الشعر المتطاير لتعطى صورة عما يجب أن تكون عليه المرأة فى العمل وفى القيام بشئون الأسرة من حيث أن تتسم بالاهتمام والنشاط والمرح. أما صورة تمثال عرض الأزياء (المانيكان) التى ترتدى مريلة المطبخ، وتقف فى نافذة أحد جيرانى تنظر فى صمت إلى الشارع، وقد ضمت ذراعيها لهى صورة للأم الحالية الحاضرة - الغائبة، وهى صورة أكثر واقعية للحياة داخل المنزل، الذى يعمل فيه كلا الزوجين حيث تم «اختصار»، بل واختفاء فكرة احتياجات الطفل والزواج بين جدرانه. إن هذا التمثال، وإن كان يمثل نوعاً من السخرية من جانب جارى، إلا أنه يرمز إلى حقيقة عاطفية معينة تسود عندما لا يقوم الرجال بالمشاركة فى الوردية الثانية.

إن المرأة ذات الشعر المتطاير وتمثال عرض الأزياء، ليذكروننا بجانبى الثورة الرئيسية المستمرة فى دور المرأة، ومع تزايد دخول المرأة فى المجال الاقتصادى.. فإن دخلها واحترامها لنفسها ومفهومها عن الأنوثة، وحياتها اليومية، وقد أصابه التحول والتغيير. إن «المحرك» لهذه الثورة لهو الاقتصاد المتغير ، الذى يتمثل فى انحسار القوة الشرائية لدخل «الرجل» وانحسار وظائف ذوى الياقات الزرقاء للرجال ، بينما تشهد وظائف «المرأة» فى قطاع الخدمات المتنامى ارتفاعاً ملحوظاً. ونتيجة لذلك.. ظهر

الفكر المساواتى لمعانى الشرف والشخصية سواء للرجال أو للنساء، يتفق والظروف المحيطة، ويمثل مذهباً جديداً للنوع.

ولكن هذه الثورة الاجتماعية أثرت على النساء بصورة أسرع من الرجال، كما ساهم تعثر خط سيرها فى خلق حواجز بين أزواج وزوجات على شاكلة إيڤان ونانسى، ونينا وبيتر تاناجاوا، وراى وأنيتا چادسون. ولم يعد المنزل «مرفأ فى عالم بلا قلب» كما أشار كريستوفر لاتش، Christopher Lasch، حيث إنه أصبح مستودعاً لتلقى صدمات الضغوط المتناقضة من العالم الخارجى.

إن التغيرات التى حدثت فى المجال الاقتصادى «سببت» بصورة مباشرة ثورة فى النوع، ولكن لم «يشعر» بها الناس سوى فى الزواج. وفى الاتجاه الموازى.. نجد أن التحولات الاقتصادية كانت هى «المحرك» للعلاقات المتغيرة بين البيض والسود. ونظراً لأن أعداداً من الوظائف التى تفتقد إلى المهارة تتناقص، وتحرك رأس المال من المدن المركزية إلى الضواحى أو إلى العالم الثالث، حيث الأيدى العاملة الرخيصة، إذ دخل البيض والسود فى منافسة على الأعمال المتبقية. وإذا أمكننا القول إن الصراع العنصرى بدأ فى الحجرات الخلفية للبنوك الاستثمارية أو مكاتب شئون الموظفين.. فإن هذا الصراع لا يبدو واضحاً بالفعل إلا فى فناء المدرسة والسجن والشارع وتماماً. ومثلما «استوعب» الأمريكيون السود معدل البطالة المرتفع «لدى البيض» ..نجد استيعاب الأعداد المطردة من النساء العاملات للمطالب المتناقضة للأسرة والعمل «لدى الرجال» ، بالعمل شهر إضافى فى العام. وإذا كان السود قد خفضوا من معدل البطالة لدى البيض.. فإن النساء خففن من حدة الصراع لدى الرجال بين البيت والعمل، بيد أن خلافاً لمعظم البيض والسود.. نجد أن الرجال والنساء «يعيشون» مع بعضهم البعض، ومن ثم يصبح امتصاص المرأة لمشكلة الرجل جزءاً من الزواج ويصيبه بالتوتر.

وبالرغم من أن معظم الأمهات العاملات اللائى تحدثت إليهن، ينجزن معظم مهام البيت.. إلا أنهن كن يشعرن أن لديهن الحق فى الشكوى من ذلك، أكثر مما كانت تشعر النساء العاملات منذ خمسين عاماً؛ فعديدات يردن المشاركة أو الاعتقاد فى أنهن بالفعل قد حققنها. ومنذ مائة عام.. كانت المرأة الأمريكية تفتقد سماح المجتمع لها بأن تطلب مساعدة الرجل فى عمل من «صميم عملها كامرأة»، وكما أشارت ويندولين هوغس، Gwendolyn Hughes ، فى كتابها «أمهات فى الصناعة»، Mothers in Industry، الذى صدر عام 1925 أن الأمومة الخارقة فى بدايات هذا القرن لم تكن «سياسة» أكثر منها أسلوب عادى للحياة. واليوم.. تشعر النساء أن الفرصة قد أتيحت لهن بطلب المساعدة فى البيت، ولكن من ناحية أخرى عليهن الاستمرار فى الإصرار عليها. فربما بعد مائة عام قادمة يسلم الرجال بأن دورهم هو المشاركة. إننا فى منتصف الثورة الاجتماعية.

إن النساء اللائى كن محل دراستى اقتفين عادة عدة سياسات بمرور الوقت ؛ فالمرأة قد تكون أما خارقة، ثم تختصر ساعات عملها بالمنزل الأمر الذى ربما يتسبب فى حدوث أزمة، فلا تجد أمامها مناصاً سوى الاختيار بين اختصار ساعات عملها فى وظيفتها أو تحديد عملها بالمنزل. وفى بداية دراستى التى أودعتها هذا الكتاب.. وجدت أن نحـو 18٪ من المتزوجات يحصلن على المساعدة من أزواجهن فى الوردية الثانية، على حين أن 52٪ منهن لم يحاولن تغيير تقسيم العمل. فهن إما أمهات خارقات أو نجحن فى اختصار وقتهن فى العمل خارج المنزل، أو اختصرن من وقتهن داخل البيت.. إنهن يبحن بشكواهن أو يسخرن من وضعهن أو يتنهدن بحسرة، ولكنهن أحجمن عن طلب المشاركة من أزواجهم لإيمان بعضهن بأن هذا عيب وغير لائق (وهن تقليديات مثل كارمن ديلاكورت)، أو لأنهن يحاولن تعويض أزواجهن عن تخطيهن الحد المعقول للتفوق. فقد سعت امرأة مثل نينا تاناجاوا إلى «تحقيق التوازن» فى البيت بالقيام بالمزيد من المهام. كما وجدت أن نحو نصف نساء هذه الدراسة مساواتيات،

ويردن المشاركة من أزواجهن بيد أنهن لم يقمن بأى نوع من الضغط عليهم فى هذا الشأن.

وعمدت عديدات إلى اختصار ما يجب عمله بالمنزل بإعادة صياغة احتياجات البيت والزواج وأحياناً احتياجات الطفل أيضاً، وقد وصفت إحداهن حالها بعبارة شائعة تماماً وهى: «إننى أنجز نصف العمل، ثم أقوم بإنجاز النصف الآخر، الذى يجب عليه القيام به، أما الباقى فيطرح جانباً.» كما سعت بعضهن إلى الحصول على المساعدة من الأقارب والأصدقاء، أو حتى أكبر أبنائهن. وهن لا يحاولن الضغط على أزواجهن من أجل المزيد من العون. واكتشفت أن طلب هذه المساعدة يأتى فى «المرتبة الثانية» فى «قائمة رغباتهن»، بعد الرغبة فى تجنب التوترات الزوجية. وقد وجدت أن أخريات كانت لديهن دوافع أخرى لعدم حث أزواجهن على تقديم المزيد من المشاركة مثل أن مايرسون، التى وضعت عمل زوجها فى المقدمة؛ لاعتقادها بأنه أكثر ذكاء منها، وأن عمله أكثر أهمية. على حين لم تطلب چسيكا ستاين من زوجها المساعدة؛ لأن هذا سيقربهما من بعضهما البعض؛ مما سيجعلهما يواجهان حقيقة النفور الذى يتبادلانه، ويحاولان التهرب من الاعتراف به صراحة.

ثم نجد فئة أخرى من النساء، ممن لا يشجعن أزواجهن على المشاركة يستأثرن بالسيطرة على كل شئ فى المنزل، ولا يطلقن «يد الزوج» فى شئ، ويقمن بدور الخبير فى شئون الطفل وفى إعداد الطعام...إلخ. كما تبدو نبرة ما فى أصواتهن تقول: «هذه سلطتي» وحدى؛ فهن يستبعدن أزواجهن ويستحوذن على كل الفضل للقيام بجميع الأعمال.

وفى أول مقابلة لى مع عديدات من السيدات العاملات.. وجدت أن ثلثهن كن يقمن بمحاولات للضغط على أزواجهن؛ لدفعهن إلى المشاركة ولكن بشكل محدود. دخلت بعضهن مثل نانسى هولت و«أدريان شيرمان» فى مفاوضات إيجابية مع

أزواجهن، بدءاً من المناقشات الطويلة حتى عمل القوائم والجداول..إلخ. بينما حاول البعض الآخر نوعاً مختلفاً من المفاوضات السلبية، عن طريق التظاهر بالغباء أو المرض حتى يدفعن بأزواجهن بشكل غير مباشر إلى تقديم المزيد.

وبالنسبة للرجال.. وجدت أن نحو 20٪ منهم شعروا بأن عليهم مسئولية مشاركة زوجاتهم فى أعمال البيت (وهم من المساواتيين) على حين أن 80٪ (وهم ذوو المذهب التقليدى أو الانتقالى) لم يفعلوا. وقد لجأ بعض الأزواج إلى سياسة «خفض الاحتياجات»، أى إنهم يعبرون عن استغنائهم عن عديد من الأشياء مثل الفراش المنسق والوجبة المطهية والإجازة المخططة. بل وصل الأمر ببعضهم إلى التنافس العلنى مع زوجاتهم حول أى منهم، يمكنه أن يظهر اهتماماً أقل بمظهر البيت أو بمذاق الطعام أو برأى الضيوف. وأزواج آخرون استنكروا حقيقة أنهم لا يشاركون بعدم اعترافهم بأهمية بعض الأعمال الإضافية التى تقوم بها زوجاتهم، على حين قدم البعض عروضاً «بديلة» مثل بيتر تاناجاوا الذى منح زوجته نينا دعماً عاطفياً كبيراً لمستقبلها الوظيفى بدلاً من تقديمه مساعدة مباشرة أكبر فى المنزل. وكذلك سيث ستاين الذى منح زوجته المال والمركز الاجتماعى بدلاً من المساعدة المنزلية. على حين قام آخرون بصناعة أثاث أو إضافات جمالية جديدة فى المنزل لا تستغنى عنها زوجاتهم. وكل ما سبق من محاولات تندرج تحت سياسة «البديل».

كذلك عمد بعض الرجال إلى إظهار «مدى التضحيات» التى يقدمونها لزوجاتهم، ويعانون بسببها بالمقارنة إلى رجال الماضى والحاضر، هادفين إلى إشعار زوجاتهم بأنهن «محظوظات عن الأخريات» ،كما أنهم لا شعورياً يقدمون لهم «منحة» عدم سيطرتهم كرجال على الأسرة، كما أظهر البعض الآخر بأنه لم يربَّى على العمل فى المنزل.

وإذا كانت هناك من حقيقة تتصدر كل الحقائق هنا نجدها فى أن الأذى الذى

يصيب المرأة من جراء عملها المضاعف يومياً، ليس بسبب العمل المتواصل والإرهاق الشديد (فهذا هو مجرد الثمن الظاهرى الملموس) بقدر ما يكمن فى مشكلة أعمق جذوراً، وهو عدم استطاعتها التجاوب عاطفياً مع زوجها.

ومثالاً لذلك نانسى هولت التى كظمت غيظها، فدفعت الثمن من عدم فهمها لنفسها. والحيل العقلية التى لجأت إليها سواءً حفظتها من تفجير غضبها فى إيفان، أو الوقوع فريسة للاكتئاب، هى نفسها الحيل التى حالت بينها وبين الاعتراف بمشاعرها الحقيقية، أو محاولة فهم أسباب هذه المشاعر. كما ساعد برنامج «الصيانة» النفسى الذى وضعته على مقارنة نفسها بالأخريات، بدلاً من عقد تلك المقارنة مع إيفان. كما سعت إلى تكييف الارتباط بين مشاعر الحب والاحترام من ناحية، والاحترام والأفعال من ناحية أخرى، وعملت على تذكرة نفسها بأنها «محظوظة» ومتساوية معه على كل حال. كل تلك العادات فى التفكير خففت من التناقض القوى بداخلها بين رغبتها المتقدة فى الوصول إلى زواج متكافئ، وبين العوائق التى وقفت حائلاً فى طريق تحقيقها لذلك. فقد جعلت تلك العادات من نانسى عمياء تجاه كنه مشاعرها الحقيقية تجاه حياتها.

وبعض النساء لم يردن من أزواجهن المشاركة فى الوردية الثانية، ولم يشعرن بالاستياء تجاه قيامهن بكل المسئولية، ولكن بدا أنهن يدفعن ثمناً عاطفياً آخر، وهو: تحقيرهن من قدر أنفسهن، ومن قدر بناتهن «كإناث». فآن مايرسون أدارت منزلها بنفسها؛ لأنها أرادت حماية وقت زوجها ليتمكن من تحقيق «إنجازاته الكبيرة» فى العمل. وفى نفس الوقت أحست بأن ما تقوم به من وظيفة «أقل أهمية»، ولكن دون وعى منها أشفقت على نفسها؛ لأن لديها بنات، سيفعلن مع أزواجهن مستقبلاً ما تفعله هى الآن مع زوجها؛ مما سيعوق مسيرتهن وقدرتهن على الحصول على العمل المربح، مهما كانت درجة ذكائهن أو طموحهن. ومن ثم حزنت لعدم إنجابها ولداً يستطيع أن يعمل ويكسب بلا معوقات. وبهذا.. فإن «آن» عبرت عن التناقض الذى - فى اعتقادى الخاص

- يواجه جميع النساء: ففى النهاية.. تقوم كل النساء بأعمال الوردية الثانية، بينما هذه الأعمال كلها ذات أهمية ثانوية فى نظر الآخرين. ففى رأيى أن أهم ثمن تدفعه المرأة العاملة، ليس هو قيامها بعمل شهر إضافى فى السنة، ولكن تحقير المجتمع لعملها داخل البيت. وبالتالى النظر إليها على أنها كائن أدنى لأنها تقوم بعمل عديم القيمة.

وبالرغم من أن بعض الناس يقللون من أهمية عمل مثل تربية الأطفال، ففى رأيى أنه من أكثر الأعمال المجزية إنسانياً. فعند تقديرنا لثمن حياتنا فى هذا العصر - عصر الثورة المتوقفة - علينا أن نأخذ فى الاعتبار أن جزءاً من هذا الثمن هو افتقاد العلاقات الأسرية بين الآباء من أمثال «سيث ستاين» و«إيفان هولت» وأبنائهم. وقد عبَّر الابن الأكبر لسيث عن استيائه لغياب والده فترات طويلة، بانسحابه متجهاً من أمامه، على حين أن الصغير عندما يحين موعد نومه.. يندفع فى جلبة وضوضاء هنا وهناك. وينتهى يوم سيث الطويل كما لو أنه فى معركة فى محاولة التقرب مع الأول وتهدئة الثانى. وهو هنا لا يستشعر أحاسيس أطفاله تجاه غيابه عنهم، ويفتقد إلى لغة الحوار الذى يربط بينه وبينهم.

وإذا كان الآباء يدفعون معظم الثمن العاطفى فإن الأمهات أيضاً يدفعن الثمن بطريقة ما. فباعتبارها المديرة المسئولة عن الوردية الثانية، فإنها تتصرف كما لو أنها «ملاكم» يصارع «الوقت والحركة»؛ حيث تحث أولادها على الإسراع فى إنجاز المطلوب منهم معظم الوقت، كأن تقول: «أسرع وتناول طعامك» أو «أسرع وارتد ملابسك» ومن هنا تكون هدفاً لعدوانية أطفالها.

ما مستقبل النساء أمثال نانسى هولت ؟

غالباً ما أفكر وأنا فى طريق عودتى إلى منزلى بعد انتهاء عملى فى جامعة كاليفورنيا بيركلى مَنْ مِنْ طلابى سيكون مثل أرت وينفيلد أو چون ليڤينجستون مثلاً؟

ومَنْ مِنْ طالباتى ستكون مثل نانسى هولت، أو آن مايرسون، أو چسيكا ستاين؟ وهل التوترات التى سادت الحياة الأسرية ما بين السبعينيات وأوائل الثمانينيات تعتبر فترة مؤقتة تمهد لنمط جديد فى المستقبل؟ أم أن تلاميذى سيعيشون مرحلة الثورة المؤجلة أيضاً؟

كل هذه التساؤلات كانت تزدحم فى رأسى واستحضرتها عند مقابلاتى لطلابى بمكتبى. واكتشفت أن كل طالباتى تقريباً يَتُقْنَ إلى حياة مديدة حافلة بالعمل، وهن فى هذا يتساوين مع زملائهم من الطلاب. وفى استطلاع للرأى أجراه المجلس الأمريكى على نحوه 20,000 طالب مبتدئ، فى أكثر من 400 كلية فى مارس 1988، حول العمل الذى يرنو إليه مستقبلاً . تبين أن أقل من 1٪ من الطالبات يردن أن يتفرغن للعمل «كربات بيوت».[1] أما خلال لقائى بهن فى مكتبى.. فقد ساقت قلة قليلة منهن سبب رغبتهن فى أن يصبحن ربات بيوت فقط مستقبلاً، فى تبريرات، اتسمت بالطول والتردد، وكأنهن يحتجن لعذر طبى لتبرير هذا الاختيار.

وفى عام 1985 ـ 1986.. اكتشفت أن ماشنج فى مسح، قامت به جامعة كاليفورنيا، أن 80٪ من الطالبات اللائى أوشكن على التخرج يعتقدن «فى أهمية» أن تكون لهن وظيفة. وفى نفس الوقت خططت 80٪ منهن للزواج وإنجاب طفلين أو ثلاثة على أكثر تقدير، بينما رغبت 17٪ منهن فى الاكتفاء بإنجاب طفل واحد فقط. إلا أنهن يحبذن الإنجاب بعد فترة أطول، بالمقارنة لما كانت تصنع أمهاتهن. كما أنهن وضعن فى الاعتبار أن الإنجاب سيعوق مسيرة عملهن من سنة إلى خمس سنوات[2].. إلا أن هذا لن يسلبهن أى ميزة فى عملهم، وقد اتفق الطلاب من الذكور على هذه الصورة أيضاً.

حتى عندما أطلعتهم على صورة المرأة ذات الشعر المتطاير، وهى تحمل حقيبتها بيد، وتمسك طفلها الصغير باليد الأخرى.. قالت الطالبات: «تلك المرأة لا تعطى صورة

حقيقية»، ولكنهن يرغبن فى أن يكن مثلها. إن طالباتى يدركن جيداً التناقض بين العمل والأسرة الذى تعانى منه حتى صفوة النساء، وهن يلمسن هذا من خلال معايشتهن لصراعات أمهاتهن العاملات التى انتهت حياة بعضهن الزوجية بالطلاق. إنهن يرحبن بفرص العمل الجديدة المتاحة لهن، ويعبرن عن استيائهن من بعض مظاهر التفرقة بينهن وبين الرجال. ولكن عندما تطرقت معهن إلى موضوع البيت، لمحت فى عيونهن نظرات شاردة غامضة بعيدة، وأصبحن فجأة مترددات فى قراراتهن. واستنتجت منهن أنهن مؤجلات لفكرة الزواج، ويخططن لها ببطء؛ فهن لا يناقشن مشكلة المشاركة فى أعمال المنزل مع أصدقائهم من الذكور ؛ فهى ما زالت بعيدة. وعند مناقشة المشاكل الحقيقية من كيفية الجمع بين العمل والبيت وتربية الأطفال، فلا أعتقد أنهن كن يجهلنها وهن الذكيات، وإنما كن يتحاشين إلقاء نظرة قريبة على هذا الموضوع لأنها تفزعهم، ولم يكن هذا اتجاه واحدة أو اثنتين، وإنما بدا كما لو أنه قرار جماعى للابتعاد عن هذا الموضوع.

فإذا كانت نانسى هولت وعديدات من النساء فى هذا الكتاب، كن يقاومن الإحباطات التى واجهت حياة أمهاتهن كربات بيوت، فإن طالباتى - وهن بين سن الثامنة عشر واثنين وعشرين عاماً - كن يقاومن إحباطات أمهاتهن «كأمهات عاملات مضطهدات». والأم العاملة بالنسبة لكثير من الفتيات هى المثل الأعلى الجديد، ولكنها تمثل فى الوقت نفسه قصة للعظة.

وباستطلاعى لرأى طلابى وطالباتى، على حد سواء، حول مميزات نشأتهم فى أسر يعمل فيها كلا الوالدين.. قال أحدهم: «التعليم، والإجازات الأسرية، وتوفير الاحتياجات المادية، وتربيته هو وأشقائه على الاعتماد على النفس». وعندما سألتهم عن مساوئ عمل كلا الوالدين، قال أحدهم، وهو يسترجع بعض الذكريات المؤلمة بالنسبة له: «عندما كنت أعود من المدرسة، كنت أؤدى واجباتى المدرسية بمفردى، وأفرغ

الطفايات وأجهز السَّلاطة للعشاء. حقيقة كنت أعيش ولكنى كنت كارهاً هذا النوع من الحياة». وعندما طلبت منهم ترجيح أى من الكفتين (المميزات أم المساوئ) بالنسبة لعمل الأبوين معاً، رجحت كفة المميزات. فهم يريدون نفس نوع الزواج ذى الطرفين العاملين، ولكن يريدونه بشكل مختلف نوعاً.

إن النساء الصغيرات لم يخشين فقط أن يصبحن أمهات مضطهدات، بل كان يكمن تحت هذا الخوف توترهن إزاء الثورة المعاقة ككل. فإذا كان النظام الأسرى القديم «أبوياً» - بمعنى سيطرة الأب على شئون الأسرة - قد أخذ فى الزوال (وجدت حوالى نصف آباء وأمهات طلابى مطلقين)، إلا أننا لم نصل بعد إلى علاقة متساوية حديثة مع الرجال بالبيت والعمل.

كما وجدت أن معظم طالباتى يتجنبن نموذج كارمن ديلاكورت كمثال للأنوثة، إلا إنهن لم يصلن بعد بكل ثقة إلى صورة أدريان شيرمان . إن معظم طالباتى يطمحن إلى تحقيق زواج يقوم على المشاركة النصف بالنصف. ولكنهن يدركن أن هذا ليس بالأمر السهل؛ حيث نشأن فى أسر يسودها الصرا ع بين الأبوين حول الوردية الثانية، وهن قد مللن تلك الحرب الزوجية.

وبجانب ما لمسته عن قرب من معاناة أمهاتهن العاملات، فإن أشد ما يؤثر على نظرتهن للزواج هو تعرض أمهاتهن للطلاق، مما جعل البعض منهن تقليديات. وقد قالت إحدى طالباتى فى هذا الشأن: «حاولت أمى خلال زواجها بأبى أن تدفعه إلى المشاركة، إلا أن الخلافات احتدمت بينهما، ووصل الأمر إلى الطلاق. وعندما تزوجت أمى للمرة الثانية مكثت بالمنزل وأصبحت دوماً تنطق بـ «نعم يا عزيزي» «كما ترى» وأصبحت حياتها أهدأ عن ذى قبل. وأنا الآن لا أدرى ماذا سأفعل، ولكن ما أنا واثقة منه هو أنى لا أريد لنفسى زواجاً مثل زواجها الأول. كما أنى لا أتخيل نفسى مثلها فى الزواج الثانى». إن معظم بنات المطلقات لا يردن أن يواجهن نفس مصير آبائهن

وأمهاتهن، كما شرحت إحداهن، وهى تبلغ من العمر تسع عشرة سنة قائلة: «إن أمى تعمل مصممة إعلانات حرة، وتقوم على رعايتى أنا وأخى وهى لا تكسب كثيراً من عملها، لذلك أصابها الإحباط بعد الطلاق لانخفاض دخلنا. وفى هذه الأثناء.. تزوج والدى، وعندما أخبرته بحال أمى كل ما استطاع قوله إنها يجب أن تحصل على «وظيفة». فإذا تخلت المرأة عن وظيفتها لرعاية أسرتها؛ فقد تقع فى الفخ. ومن هنا نجد بعض النساء يرمقن بعين الحذر سيرة حياة أنيتا چادسون، ويستخلصن العبرة من تمسكها بعملها لمواجهة أى طارئ فى حياتها وهو ما حدث بالفعل.

وما يسرى على طلاب وطالبات الجامعة، يسرى على أولئك الحاصلين على الشهادة الثانوية. وإذا ما كانت النساء المتميزات يتمسكن بصورة الأم الخارقة بإرادتهن، فإن أخريات تدفعهن الضرورة إليها دفعاً كما كان حال أمهاتهن من قبل. وما تواجهه نساء الطبقة المتوسطة يتضاعف حجمه لدى الطبقة العاملة. وعادة ماتتزوج نساء الطبقة الدنيا رجالاً من نفس الطبقة، الذين يتعرض معظمهم للتقلبات الاقتصادية بسبب الأزمة الحالية فى الصناعة الأمريكية. إن النساء الأقل تعليماً عادة ما يبدون احتراماً وتفضيلاً أكبر لوظائف أزواجهن، كما أظهرت دراسة قومية أجريت سنة 1986. فبينما تؤمن نسبة 53٪ من السيدات ذوات التعليم المتوسط بأنه من المهم أن تدعم الزوجة عمل زوجها، أكثر من أن يكون لها هى عملها الخاص، فهذه النسبة تنخفض إلى 25٪ لدى خريجات الجامعات.[3] وبالرغم من ذلك.. فإن ذوات التعليم المتوسط ،هن اللاتى يضطررن للعمل أكثر من الجامعيات، وليس بإمكانهن تجنيب أنفسهن ضغوط الوردية الثانية.

وماذا الآن عن الطلاب؟ هل فى تخطيطهم المشاركة فى عمل البيت مع زوجاتهم العاملات مستقبلاً؟ وفى استطلاع للرأى قامت به الجامعة عام 1986، وجد أن 54٪ من النساء مقابل 13٪ من الرجال، وضعوا فى الاعتبار أنه من الممكن مستقبلاً أن

يتركوا مقابلة مهمة فى العمل لأجل رعاية طفلهم المريض، على حين أن 68٪ من النساء مقابل 38٪ من الرجال توقعوا المشاركة فى غسيل الملابس بقدر متساو، و50٪ من النساء مقابل 31٪ من الرجال توقعوا المشاركة فى الطهى[4]. وقد اكتشفت أن حوالى نصف النساء اللاتى قابلتهن كن يخططن لجعل عمل أزواجهن فى الصدارة، مقابل ثلثين من الرجال خططوا لذلك.

وفى عام 1985 قامت آن ماشنج بدراسة مستفيضة، وسألت الطلاب إذا ماكانوا يرغبون فى الزواج بسيدات عاملات، أجاب معظمهم بإجابة واحدة وهى: «تستطيع أن تعمل إذا أرادت ذلك»، وعندما سألتهم عن مدى استعداداهم فى مشاركة زوجاتهم مستقبلاً فى نصف عمل البيت، وفى تربية الأطفال.. قال أحدهم: «أنا أستطيع أن أؤجر من يساعدها فى ذلك.»، على حين قال آخر: «هذا يتوقف على مدى حبى لها، وطريقة طلبها منى إنجاز هذا العمل.»، على حين أعرب عدد منهم عن رفضهم «للقوائم»، وهكذا.. فإن التغيير فى الشباب أيضاً، يحدث بشكل أسرع لدى النساء عنه لدى الرجال.

استراتيچية النوع بالنسبة للأمة

إن الحياة الأمريكية ناسبتها بسهولة الاستنارة الأوروبية بما حملتها من الإيمان بالتقدم الإنسانى والتوسع الاقتصادى محلياً ودولياً. وقام عديد من الحركات التى دعت إلى المساواة الجنسية والعنصرية. وأعتقد معظم الرجال والنساء الذين قابلتهم لإجراء دراستى «أن الأمور تسير إلى الأفضل.» وأن الرجل «أصبح يساعد فى البيت عن ذى قبل.» وأنا أرى أن هذا صحيح إلى حد ما.

ولكن لم يحن الوقت بعد بزوغ حقبة جديدة. فالهيئات لم تفعل كثيراً لمواجهة

احتياجات الأسرة، والحكومة تصنع القليل أيضاً، والخطر يكمن فى ركود الثورة الاجتماعية ، على النحو الذى هى عليه الآن لفترة أطول.

وهذا هو بالتأكيد ما حدث فى الاتحاد السوفيتى ، وهو القوة الرئيسية الثانية - فى المجال الصناعى - التى جذبت غالبية نسائها من الأمهات إلى ميدان العمل. فمنذ بدء عصر التصنيع.. تقوم المرأة السوفيتية بالعمل خارج المنزل، وفى نفس الوقت تضطلع بنصيب الأسد من أعمال الوردية الثانية. فالنكتة الروسية تقول: «أنتِ تعملين؟ إذن أنت متحررة.» فقد أسيئ فهم الثورة المؤجلة على أنها ثورة كاملة. وقد اتفق المحللون السوفيت أيضاً على أن السبب الرئيسى فى ارتفاع معدلات الطلاق[5] هناك، هو العبء الإضافى الذى تتحمله الأم العاملة.

ولكن هل يعنى هذا أن معدل الطلاق سيرتفع أيضاً فى بلدان، مثل: الصين واليابان، والهند، وأستراليا، مع زيادة معدلات عمل المرأة؟ قد تختلف الحضارات، ولكن يشترك الجميع فى هذه المشكلة الأساسية.

والسؤال الآن: هل بمقدورنا أن نصنع ماهو أفضل من هذا؟ والإجابة تعتمد على كيفية توجيهنا لدفة التاريخ. وكما للأفراد استراتيجياتهم فكذلك الحكومات والمؤسسات والمدارس والمصانع. وعلى الأمة تنظيم قوة العمل لديها، وأن تدرب المدارس النشء، وتعرفهم بدور الفرد لخدمة الأسرة والعمل سواء كان رجلاً أم امرأة.

ونحن فى زمن خرجت فيه نحو 70٪ من الزوجات والأمهات للعمل ، والنسبة فى تزايد مستمر، ونجد أن كل ما تقدمه إدارة الرئيس ريجان فى خططها «من أجل الأسرة» هو بعض الإجراءات ضد الجريمة والمخدرات. على حين لم تفعل شيئاً إيجابياً من أجل دمج ظروف العمل والأسرة سوياً. ولذلك.. فعندما تنتهى بعض الزيجات نتيجة للضغوط التى يتعرض لها الزوجان العاملان، يقفز إلى أذهاننا هذا التساؤل: هل ما تقوم به الحكومة من أعمال، هو الذى أدى إلى زيادة الصعوبات التى تواجه هذه

الأسر؟ هل تعتبر هذه الأعمال «مع الأسرة» أو «ضد الأسرة»؟ والآن.. بعد أن أصبحت النساء العاملات قوة سياسية، لا يستهان بها فى الانتخابات، فمن المتوقع أن تزداد أهمية محاولات تسهيل ظروف الحياة للأسر العاملة.

إن ما نحتاجه حقاً هو ما أطلق عليه فرانك فيرستنبرج «بالخطة الرائدة للأسرة» وهى تدعو إلى الاقتداء بالأمم الصناعية الأخرى، واستقاء خبراتها ففى السويد مثلاً: إثر مولد أى طفل يمنح كلا الأبوين إجازة مدفوعة الأجر لمدة عام. بالإضافة إلى الحصول على راتب 9 أشهر يوازى 90٪ من دخل الفرد، ومبلغ 300 دولار شهرياً لمدة ثلاث شهور. وأى زوجان لديهما طفل دون الثامنة من عمره، لديهما الحق فى أن يعملا بما لا يزيد عن ست ساعات فى اليوم. أما التأمينات الاجتماعية.. فتقدم للوالدين تعويضاً عن الوقت الذى يقضيه أحدهما فى مدرسة طفله للاطمئنان عليه، أو رعايته إن كان مريضاً. إن هذا هو ما يمكن بالفعل أن نسميه التخطيط «من أجل الأسرة».

إن الخطط «من أجل الأسرة» فى الولايات المتحدة الأمريكية يجب أن تخفض الضرائب عن الشركات، التى تشجع على منح «إجازات لرعاية الطفولة» للأزواج الجدد على وجه الخصوص، وتتيح المشاركة فى إدارة الأعمال المختلفة والعمل لبعض الوقت ويتسم وقت العمل فيها بالمرونة.

كما أن الحكومة بوسعها منح تسهيلات ضريبية للمستثمرين، الذين يسعون إلى بناء وحدات سكنية قريبة من مواقع العمل، وتشمل مطاعم ومراكز للتسوق ومراكز لرعاية الأطفال يومياً، يعمل بها الطلبة والجدات، ويستقطبون من المناطق المجاورة. كما تصف ذلك دولوريس هايدن فى كتابها «إعادة تصميم الحلم الأمريكى.»

وبهذه الطرق.. تستطيع الحكومة الأمريكية خلق بيئة أكثر أماناً للأسر العاملة؛ مما سيجذب الرجال إلى رعاية أطفالهم، ويقلل من «رعاية الطفل لنفسه»، ويجعل حياة

الزوجين أكثر سعادة. كما أن من شأن تلك الإصلاحات تحسين أحوال أطفال المطلقين؛ حيث أظهرت الدراسات أنه كلما كان الأب مستغرقاً - قبل الطلاق - فى الاهتمام بأطفاله، استمر على هذا النحو بعد الطلاق. كما أن على الحكومة تشجيع الهيئات فى إعطاء علاوات طويلة الأمد للعاملين وأسرهم، لمواجهة ما يترتب على الغياب الطويل لبعضهم بسبب الظروف المرضية مثلا. كما يتعين على الحكومة تدعيم الأمهات اللاتى يحملن بمفردهن مسئولية أسرهن.

هذه هى الإصلاحات الحقيقية من أجل الأسرة، وإن كانت تبدو أحلاماً فى المدينة الفاضلة «اليوتوبيا».. إلا أننا يجب أن نتذكر أن ما حققناه اليوم من عمل لثمانى ساعات فقط وإلغاء عمل الأطفال، وإعطاء المرأة حق التصويت، كان كل هذا فى يوم من الأيام حلماً من أحلام المدينة الفاضلة. وقد وجدت أن من بين أصحاب أحسن الشركات المائة بأمريكا من يقدم عضوية النوادى للعاملين به، وتذاكر سفر بالدرجة الأولى بالطائرات، كما يتبرعون بالملايين لمراكز الرعاية الصحية، بينما حفنة قليلة منهم من يمنحون فرصة المشاركة فى العمل، أو وقتاً مرناً ، أو عملاً لبعض الوقت. ولا يوجد من ضمنهم من يوفر مراكز رعاية للطفل داخل مكان العمل، كما أن هناك ثلاث شركات فقط تقدم منحاً لرعاية الطفل، وهى: كونترول داتا ، وبولارويد ، وهانى ويل . وفى كتابه «اتجاهات ضخمة»، Megatrends، يقول چون نيس بيت، John Naisbitt، أن 83٪ من العاملين يعتقدون أن رجالاً كثيرين يشعرون بالحاجة إلى مشاركة زوجاتهم فى رعاية الأطفال، إلا أن 9٪ فقط من الشركات تمنح إجازة لرعاية الطفل.

إن السياسات العامة مرتبطة بمثيلاتها الخاصة، والاتجاهات الاقتصادية والثقافية تحمل فى طياتها التوترات الزوجية، التى من الأجدى والمفيد أن تفهم الأسر حقيقتها وتحاول إزالة أسبابها. كذلك نحن فى حاجة لتطبيق مفهوم الزواج المثالى، الذى يجعل رباط الزوجية يبدو قوياً ساطعاً. وعندما تحدثت مع نانسى هولت عن عمل

الزوجين ورعاية الطفل فى هذه الفترة من التاريخ.. إنما كنت أتحدث عن «المعدل غير المتساوى للتغيير»، وعن الاختلاف بين حياتها وحياة أمها الذى بدا أكبر من اختلاف حياة إيفان عن حياة والده. كما ناقشنا الاختلاف بين مفهومى النوع لديها، ولدى إيفان. وكذلك اكتشفنا القصص التحذيرية التى تسيطر على مفهومهما للرجولة والأنوثة. بالإضافة إلى أنى أشرت إلى أن سياستها فى تناول مشاكل حياتها هى حسم موضوع المشاركة واختصار عملها، على حين أطلقت على سياسة إيفان لفظ «المقاومة». كذلك ناقشنا كيف أن استياء نانسى إزاء رفض إيفان فى مشاركتها الوردية الثانية قد انعكس على طريقة تعاملها مع ولديهما جوى، Joey. كما أن مدى تبادل الأخذ والعطاء بين الزوجين فى الوردية الثانية له الأثر فى الشعور بالامتنان من عدمه. إن الأسئلة التى وجهتها لأسرة الهولتز كانت بداية اكتشاف أهمية حياة الأسرة فى التأثير عما حولها.

إن أسعد حالات الزواج التى صادفتنى، كانت لأناس لم يلقوا بعبء الدور السالف لربة البيت الأم على كاهل المرأة وحدها، ولم يقللوا من شأنه وإنما اقتسموه سوياً. كما أن لدى هؤلاء الأزواج والزوجات نوعاً من «الاتصال الجيد» بين بعضهم البعض، بمعنى أن لديهم مقدرة التعبير عن الامتنان والشكر، وتبادله معاً فى كل وقت ومكان بالقول والفعل بداية من تعليم الطفل القراءة، وطهى طعام العشاء بروح تسودها المودة، إلى تذكر قائمة البقالة والمشاركة فى أعمال الطابق العلوي. وهذه هى ذهب وفضة التعاون الزوجى الإيجابى. وعندما تعمل الحكومة على خلق استراتيجية جديدة للنوع، وعندما يتعلم الجيل الجديد من الشباب ممن هم قدوة لهم.. فإن كثيراً من الرجال والنساء سيكون بإمكانهم الاستمتاع بحياتهم، وستنطلق ضحكاتهم بسعادة، عندما يعيشون معاً حياة الأسرة «كحياة الأسرة»، وليست كوردية ثانية.

... تعقيب

عقب صدور هذا الكتاب لأول مرة أحيانا ماكان ينتابنى الضحك ففى مرة كنت بردهة أحد الفنادق لحضور مؤتمر فى علم الاجتماع وحينما فتح باب المصعد، وأطل رجل من داخله ممعناً النظر فى، ثم هتف بغير تفكير : « إننى أطهو الطعام !!! ولكن زوجتى لاتقدر هذا، مظنة منها أننى أفعل ذلك للتحكم فيما نأكله؛ فأنا أحب السمك ولكنها لاتحبه ... » وفجأة انغلق باب المصعد، وكان هذا كل ما عرفته عن هذا الرجل وزوجته، وتفضيلهما المختلف للسمك .

وحينما كنت فى مرحلة البحث والكتابة للوردية الثانية، كنت أشعر كما لو أننى فأر يتوارى فى جحره منعزلاً ، ومرهفاً السمع للأصوات المتناهية الدقة تحت الأرض . وعندما ظهر الكتاب.. وجدت نفسى فجأة أتحدث مع قطاعات عديدة من الناس على شاكلة الرجل الذى تحدث إلىَّ فى المصعد. وأنا فى طريقى لأستوديوهات التسجيل بالإذاعة والتليفزيون – خلال جولتى للتعريف بالكتاب عبر البلاد ـ وغالباً ما كانت التى ترافقنى تتحدث إلىَّ فى صوت هامس عن الغسيل، الذى لم تلمسه يد زوجها السابق ، وعند انصرافى من الأستوديوهات أحياناً ما أجد القصة المناقضة على لسان المصور: ألم تجدى أن بعض النساء كن يملن إلى الكسل والراحة ؟

وبعد سماع تلك القصص وأثناء تسجيل عرض «فيل دونهاو» الخاص بتناول مسألة أن الأمهات العاملات يعملن «شهراً إضافياً فى العام هبت إحدى السيدات الجالسات فى الصف الأول من جمهور الحاضرين واقفة ورفعت ذراعيها لأعلى وهتفت بحدة قائلة « هذا صحيح.»

وقد قامت إحدى الزوجات بتصوير بضع صفحات من الكتاب – بالتحديد من الفصل الذى يتناول قصة نانسى وإيفان هولت – ووضعها فوق الثلاجة، وبعد ذلك على

وسادة حجرة النوم. وبعد قراءة الكتاب أصبحت عائلتان من العائلات التى تسكن بجوارى حساستين للغاية بالنسبة لذلك الإحساس الدائم بالامتعاض فيما يتصل بزواجهم. على حين رأت زوجة أخرى زوجها فى شخصية سيث ستاين، وحاولت اللجوء إلى مستشار بشئون الزواج . كما أن هناك ممرضة تعمل لدى طبيبى الخاص وكذلك مجموعة ممن يمارسن تدريبات تتعلق باللياقة التنفسية قد سردوا قصصهم ومواقفهم المتعلقة بالوردية الثانية وكانت معظمها تخلو تقريباً من نبرة الحياد. إن الكتاب ضرب على الوتر الحساس لدى كثيرين، بطريقة لم أتخيلها أثناء عكوفى على كتابته.

فأثناء قيامى بجولتى عبر البلاد تحدثت مع سائق شاب أسود، قال لى : « إننى أعمل من الثامنة مساءً حتى الثامنة صباحاً، أما زوجتى فتعمل موظفة حسابات من التاسعة صباحاً حتى الخامسة مساءً. لقد كانت تحصل على منافع طبية بحكم طبيعة عملها الحكومى النمطى المستقر. ولذلك فإننى أقوم برعاية طفلتنا ذات الأربعة أشهر، وأنام عندما تنعس هى، وأحياناً عندما تعود زوجتى من عملها أى أنام من الساعة الخامسة مساءً حتى الساعة الثامنة صباحاً ، فأنا لا أستطيع القيادة إن لم أحظ بقدر كاف من النوم . ولذلك فنحن لانجتمع إلا فى عطلات نهاية الأسبوع ، أعرف تماماً أنها حياة جافة ولكننا نجحنا فيها حتى الآن . »

وهناك قصص أخرى أثرت فىَّ أيضاً . ففى صباح أحد الأيام.. رأيت من نافذة السيارة أسرة : زوج وزوجته (ربما من العاملين بأحد المصانع) يصطحبان أطفالهما لمركز رعاية الأطفال فى طريقهما لعملهما ، وقد جلست السيدة فى المقعد الأمامى للسيارة وقد غلب عليها النعاس من الإرهاق، بينما كان الزوج يقود السيارة وهو يقدم إفطاراً سريعاً لأطفاله الجالسين فى المقعد الخلفى . كما أنى التقيت مرة مع شابة، فى الثانية والعشرين، وهى فى الشهر السابع من الحمل، وقالت لى : « لقد سألت

رئيستى فى العمل عن إمكانية اصطحابى لطفلى لمكان العمل ؟ فكان ردها بالنفى. فسألتها إن كان باستطاعتى العمل لنصف الوقت . ومرة أخرى كان الرد بالنفى فسألت إن كان من الممكن الحصول على إجازة لرعاية الطفل دون أجر، ومرة ثالثة قالت : «لا . لاأدرى ماذا أفعل عندما يصل هذا الطفل ؛ فأنا لا أستطيع التخلى عن العمل.» إن مثل هؤلاء الزوجات والأزواج، يحاولون بشكل بطولى التكيف مع ساعات العمل الطويلة المرهقة، ومع الأجور المنخفضة، وهم بذلك يظهرون قدرتهم على تحمل ظروف الثورة المؤجلة .

وأحياناً ما ييأس زواج الطبقة الوسطى لأسباب أخرى ؛ فكما شرح لى أب معذب : « إنى وزوجتى نعمل فى وظائف نؤمن بها، ونحبها، ولكن مقابل أجور منخفضة. ولذلك فليس باستطاعتنا أن تكون لدينا خادمة. فنحن لدينا طفل فى الثانية، وأقوم برعايته أحياناً كثيرة، وهذا شىء أحبه ولكنه أمر شاق فليس لدينا وقت لزواجنا. ولذلك فأنا أحياناً أفكر : هل كان من الصواب أن ننجب أطفالاً ؟ » .

وبعد انتهاء برنامج عن كتابى هذا.. تعقبتنى سيدة جذابة فى الثلاثين من عمرها، وتحدثت إلىَّ مسترجعة ماضى زواجها، الذى انتهى متأملة فيه بقولها : « إن الناس تشفق على لأننى أم وحيدة . ولكن بالتأكيد إن هذا أسهل علىَّ من حال الأمهات المتزوجات؛ لأنى على الأقل لست مسئولة عن رعاية زوج أيضاً ! » (قالت هذا بسهولة كما لو أنها قالته من قبل، ثم استطردت وهى أكثر تردداً) : « حقيقة.. أشعر بالأسف لأننى ساخرة بهذه الصورة . كنت متزوجة من منتج بالتليفزيون مدمن لعمله ، كان لايصنع شيئاً فى المنزل ويشعر بالضجر عندما أخرج. والآن عندما ألقى نظرة على حياتى الماضية معه أقول لنفسى لو أنه كلف خاطره فقط فى أن يساعدنى فى إعداد رضعات طفلنا الصغير ليلاً . مجرد مساعدة لا أكثر ، لو أدرك زوجى أهمية تلك المعاونة فى حينها ، لأنقذ زواجنا لخمس عشرة سنة قادمة .»

وأحيانا كانت الحلول التى أسمعها من بعض الأزواج لصراع الوردية الثانية تصيبنى بالاكتئاب . فقد قالت لى إحدى الزوجات إن الحل بالنسبة لها كان أن تقوم بإعداد طعامها، وليس طعام زوجها . بينما قالت أخرى، وهى تهز أكتافها بلامبالاة: «إن الحل لدى هو أن أترك البيت فى حالة من الفوضى والقذارة . ليس لدى حل آخر». وبالرغم من ثقتى بأن هناك من الأزواج، من توصلوا لحلول فعلية لهذه المشكلة، وتمضى حياتهم بشكل رائع ، وأن هذه الأمثلة مجرد لقاءات عابرة بالصدفة، ولايصح اعتبارها عينة فعلية للأوضاع بوجه عام .. إلا أن هذه النماذج هى مجرد مؤشر إلى وجود هذه « الثورة المؤجلة »، التى قد تسبب خسائر إنسانية فادحة .

وأثناء تفكيرى فى هذا الثمن الفادح .. فطنت لحقيقة ساخرة . فجولاتى عبر البلاد، أتاحت لى أن أرى كيف أن هذه المشكلة مشكلة قومية . ولكن - دون قصد - فإن برامج التليفزيون التى تتناول موضوع الوردية الثانية، تؤدى إلى انتشار الغطاء الثقافى لتلك المشكلة بدلاً من التخلص منه . فقد تحولت الصراعات الزوجية التى استمعت إليها، قبل وأثناء البرامج إلى أحاديث ساخرة . وفى عديد من برامج التليفزيون، التى استضافتنى.. كنت أظهر «كخبيرة»، ويدلى أمامى اثنان أو ثلاثة من الآباء « بشهادتهم » حول موضوع الوردية الثانية ومايرونه من صعوبات بشأن المشاركة فيها . ولكن شد ما أثار دهشتى، هو ضحك جمهور المستمعين، ولكنه ليس بضحك سلس ينم عن سعادة تقول: « هذا مسل »، ولكنه ضحك متماسك عصبى يقول: « هذا ليس بجاد.» إن مخرجى البرامج التليفزيونية عند تعرضهم لاى مشكلة جادة، يحاولون دائماً التخفيف من تأثيرها على الجمهور حتى ينتهى البرنامج، وتظهر الإعلانات لتنسيهم المشكلة برمتها . وإنى لأذكر أحد تلك البرامج، عندما قال لى الزوج محتجاً : « إنها لم تقل لك عن تلك الليلة التى أوقدت فيها الشموع بنفسى ونظفت الحمام .» فأجابت الزوجة محتدة: « وهو لم يقل لك كم من الوقت مضى على تلك القصة.» فأضاف الزوج: «أنا الذى أعددت العشاء.» فاستطردت هى : « ولكننا لم

نستطع أن نأكله » . وتحول الحديث بين ضيفى البرنامج إلى الصراع الأبدى بين الرجل والمرأة ، وتبادلا أثناءه إلقاء النكات، وانتهى الأمر بظهور الإعلانات على الشاشة.

وبعيداً عن تأكيد انطباعاتى السابقة حول الوردية الثانية .. فإن أحاديثى مع الناس بعد صدور هذا الكتاب، نبهتنى إلى عديد من الأفكار . فقد ناقشت فى كتابى استياء المرأة غالباً من القيام بعبء مضاعف . ولكن ربما أكثر مما أشرت تكون المرأة غاضبة لشىء آخر يضاف أو يتعارض مع كفاحها فى الوردية الثانية . فمثلاً قالت لى سكرتيرة فى الثامنة والعشرين من عمرها، وهى أم مطلقة :

« لقد حصلت على الطلاق بسبب الوردية الثانية. وبالنسبة لرجل من جواتيمالا - موطن زوجى السابق - فقد كان زوجى يشارك كثيراً فى أعمال المنزل. ولكنى أدرك الآن أنه كان يذكّرنى بأبى. لقد كان والدىَّ يعملان طوال الوقت فى مصنع، وكانت أمى مع هذا تقوم بعمل البيت بينما أطهو طعام العشاء ، أما أبى فكان يعمل على إصلاح السيارات القديمة كنوع من الهواية . وحتى عندما كنت طفلة صغيرة.. كنت أنفجر أحياناً غاضبة فى وجه أبى لإهماله لى «أنا وأمى». وكنت أستدعيه عندما يجهز طعام العشاء ليتناوله ساخناً، و حينما لايستجيب بسرعة، كنت أقول له : « إن لم تأت لتناول الطعام ساخناً، فعليك أن تضعه على النار بنفسك.» وبعد ذلك عندما تزوجت وأنجبت طفلتى.. كنت أطلب من زوجى أن يسخن الطعام المثلج عند عودته للمنزل ولكنه كان يرفض ، ولم يكن لديه مانع فى أن تتناول طفلتنا قطعة من الحلوى بدلاً من الطعام . فرأيت صورة والدى منطبقة على زوجى، واستشاط غضبى لرؤيتى جيلين يحجمان عن القيام بشىء من الوردية الثانية ، وحينما تم الطلاق اعتقد والدىَّ أننى جننت للإقدام على الانفصال ثقة منهما بأن زوجى إنسان طيب.»

وحينما تحدثت مع عديد من الرجال شعرت بإحباطاتهم - ولأسباب مختلفة -

بخصوص الوردية الثانية . لقد اتفق عديد من الرجال على حاجة المرأة للعمل خارج المنزل. وشعر البعض أن زوجاتهم يحاولن التوفيق بين العمل والبيت ؛ فمثلاً اشتكى لى أحدهم قائلاً : « إننى أعمل من 40 – 45 ساعة أسبوعياً، على حين تعمل زوجتى من 30 – 35 ساعة فقط ، وهى تحتفظ بمرتبها لنفسها. أما مرتبى فيدخل فى ميزانية الأسرة ، لذلك أستاء عندما تطلب منى المزيد بمساعدتها فى عمل المنزل.» على حين اشتكى آخرون أن زوجاتهم يضغطن عليهم؛ لإنجاز أعمال المنزل، دون مراعاة لنوعيتها وملاءمتها لهم .

وقد طلب منى أحدهم رأيى بشأن مشكلته، فقال : « أنا أدفع نصف فاتورة الغاز وهى تدفع النصف الآخر . ونحن دائماً نفعل ذلك فى كل مصاريفنا . ليست لدينا حسابات مشتركة فى البنوك ونحن نقسم عمل المنزل بالتساوى بيننا. ولكنى - بحكم أن مرتبى يفوق مرتبها - أعتقد أن من حقى أن تقوم هى بإعداد طعامى كل مساء . مارأيك فى ذلك ؟ » بالطبع يشعر الإنسان بالصدمة أمام هذا الوضع المؤسف، الذى قد تصل إليه الاتجاهات المساواتية . ولم أجد من الكلمات ما أستطيع أن أعلق به على هذه القصة .

إن كتابى هذا «الوردية الثانية» ليترجم الآن إلى اليابانية والدنماركية والألمانية ؛ فالمشاكل التى يتناولها الكتاب ليس مجرد مشاكل« أمريكية » . ونحن إذا ما تناولنا موضوع الوردية الثانية فى المجتمع اليابانى.. نجد أن القارىء اليابانى - على وجه الخصوص - ربما يصدم حينما يعلم أن أستاذة بالجامعة مثلى، كانت تصطحب رضيعها إلى مكتبها ، بالرغم من أن واقعة مشابهة فى أحد أستوديوهات تليفزيون اليابان، كانت موضوع مناقشة الرأى العام . وفى نفس الوقت.. نجد أن نصف السيدات اليابانيات يعملن كما تفعل ثلث سيدات هولندا وألمانيا ، إلا أن الاستجابة الثقافية والسياسية للثورة التىَ حدثت فى دوائر المرأة، تختلف من مجتمع إلى آخر

بدرجات متفاوتة ، ولكنها تتفق في أن تلك الثورة متوقفة فيهم جميعاً .

والآن أسأل ما العمل ؟ إن هناك شيئاً خاصاً، وآخر عاماً يجب تنفيذه . أما الخاص.. فيتمثل في سعي الأزواج الدؤوب بأنفسهم أو بمساعدة ذوي المشورة إلى تصفية حياتهم من الشوائب والتوترات المتعلقة بالوردية الثانية ومحاولتهم أن يجعلوا منها بالأحرى « الوردية الأولى». وفي الوقت نفسه نحن بحاجة إلى برنامج فيدرالي قومي، عاجل لدعم الأسرة التي يعمل فيها كلا الزوجين، وليس لرئيس يعرض مساعدته للأسرة الأمريكية بالتلويح الغامض « بالوعود البراقة »، وبينما كنت أكتب هذا الكتاب.. أصدر الرئيس بوش بياناً بالأسباب الداعية إلى رفض مشروع قانون خاص بالأسرة والإجازات الذي يستلزم من الشركات أن تمنح عامليها حتى ثلاثة شهور أجازة غير مدفوعة الأجر للرضع ، أو لرعاية الطفل أو للعناية بأي فرد مريض بالأسرة. ونظراً لأن الأزواج بدأوا يعقدون ارتباطاً بين متاعبهم الشخصية وغياب السياسة العامة للأسرة.. فربما يدفعون بموضوع الدعم الفيدرالي، والرعاية اليومية للأطفال كموضوعات للحملات السياسية ؛ ففي غياب الإصلاحات على مستوى الرياسة (كما حدث من جانب الرئيس السوفيتي جورباتشوف) على العاملين أنفسهم أن يسعوا للضغط على إداراتهم، حتى تمنحهم المزيد من الامتيازات، مثل.. إجازات رعاية الطفل والمرونة في ساعات العمل، والمشاركة في الوظائف ... وغير ذلك . وفي الوقت الحالي.. تقوم بعض الشركات بالفعل بالاستجابة لتلك المطالب، بينما بدأ البعض الآخر في مناقشتها . وقد تنبأ عدد من الشركات أن القوة العاملة سنة 2000 ستكون تعييناتها الجديدة من النساء . وبالفعل هناك عدد من الشركات الرائدة تقدم تيسيرات عظيمة في العمل لجذب تلك القوة الجديدة ، وفي الوقت نفسه تريد أن تمنع الآباء المثقلين بالأعباء من ترك أعمالهم فتوفر لهم من المميزات ما يمنعهم من الذهاب إلى شركات أكثر تقدماً، وبذلك توفر تلك الشركات على نفسها ثمن تدريب بدائل أقل خبرة . وكلما أسرعنا إلى تحقيق الإصلاحات المختلفة كان أفضل لأن عجلة الزمن لا تتوقف . ومنذ ظهور الطبعة

الأولى لهذا الكتاب.. جدت بعض التغيرات فى حياة الأزواج الذين تناولتهم الدراسة ، فقد كف « جريج ألستون » عن مزاحه المرعب مع ابنه « داريل » بغرض تخشينه. أما آل «ليڤينجستون» فقد انفصلا و آل « چادسون » حصلا على الطلاق ، وتعيش « كارى ليڤينجستون » – وهى فى الثالثة من عمرها الآن - مع امها ، رغم أن أباها حريص جداً على المشاركة فى رعايتها . أما « راى چادسون » فهو لايرى أطفاله إلا كل أسبوعين .

أرلى راسل هوكستشايلد

سان فرانسيسكو ، كاليفورنيا

ملحق

الأبحاث التى تمت عمن يقوم بالأعمال المنزلية ورعاية الطفل

عندما قرأت الوصف الذى كتبته جويندولين ساليسبرى هوغز، Gwendolyn Salisbury Hughes، لعاملات المصانع فى ولاية فيلادلفيا بعد الحرب العالمية الأولى، اللاتى كن يقمن بالغسيل وتنظيف الأرضيات صباح كل يوم سبت. تذكرت تلك القصص التى كنت أسمعها من بعض السيدات المسنات فوق الستين. ولكن فى تلك الأيام - عام 1918 - فى الفترة التى كانت جويندولين تجمع فيها معلوماتها لم يكن قد خطر على بال أحد القيام بمسح شامل لمقارنة العمل الذى يقوم به الرجل فى المنزل، بذلك الذى تقوم به المرأة فتلك المقارنة كانت بعيدة عن خيال غالبية الناس فى تلك الأيام.

ولكن، فى منتصف الستينيات والسبعينيات والثمانينيات تدفقت الأبحاث التى تقارن بين مساهمة كل من الرجل والمرأة العاملة فى الأعمال المنزلية. وكانت إحدى هذه الدراسات تلك التى قام بها چون روبنسون، John Robinson، من مركز الأبحاث بجامعة ميتشيجان، فى عام 1965، وإن لم ينشره قبل عام 1977. قام روبنسون فى دراسته التى أجراها على عدد 1,244 من الرجال والنساء بتوجيه بعض الأسئلة لهم عن الأعمال التى قاموا بها فى اليوم السابق. وقد ركزت هذه الدراسة بشكل أكبر على المثقفين من سكان المدن. وتم توجيه نفس الأسئلة فى دراسة أخرى قام بها ألكسندر زالى، Alexander Szalai، بين عامى 1965-1966 فى اثنى عشر بلداً آخر فى شرق وغرب أوروبا مثل ألمانيا الغربية وبلچيكا وفرنسا وألمانيا الشرقية والمجر وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ويوغسلافيا والاتحاد السوفيتى.

وهناك دراسة أخرى مهمة قامت بها كاثرين ووكر، Kathryn Walker، ومارجريت وودز، Margaret Woods، على عدد 1,296 من الرجال والنساء المتزوجين من سكان سيراكوز، Syracuse، بمدينة نيويورك عام 1967 وتم نشر هذه الدراسة عام 1976. وقد استخدمتا فى بحثهما طرقاً مختلفة عن تلك التى استخدمها روبنسون رغم أن كلا البحثين وصل إلى نفس النتيجة، وهى وجود فارق كبير بين وقت فراغ الرجل العامل والمرأة العاملة. كما توصلتا إلى أن أزواج الزوجات العاملات لا يختلفون كثيراً فى حجم مساهمتهم فى الأعمال المنزلية عن أزواج ربات البيوت. كما أن عدد ساعات العمل التى يقوم بها أزواج العاملات (سواء عمل بالأجر خارج المنزل أو عمل منزلى) تقل عن ساعات عمل أزواج ربات البيوت - حيث إن أزواج العاملات يستطيعون بفضل عمل زوجاتهم أن يختصروا من ساعات عملهم بالأجر. ونسبياً يبدو لنا أن أزواج العاملات يقمن بحجم أكبر من الأعباء المنزلية عن أزواج غير العاملات (25٪ مقابل 15٪)، ولكن السبب الحقيقى فى ذلك هو أن كلا الزوجين - فى حالة الزوجة العاملة - يقوم بحجم أقل من الأعمال المنزلية.

ولكن : هل يقوم الرجال بحجم أكبر من العمل الآن؟ فى واقع الأمر إن الدراسات التى أجريت فى أواخر السبعينيات وفى الثمانينيات أسفرت عن نتائج مختلفة. فبعضها لم يجد أى زيادة تذكر. ففى المسح الشامل على مستوى البلد ككل الذى قامت به جامعة ميتشيجان ، عام 1977 تحت اسم «نوعية التوظيف».. تم جمع ساعات العمل ، سواء بأجر أو بغير أجر ، التى يقوم بها كل من الرجل والمرأة، وكانت النتيجة وجود فارق فى وقت الفراغ مقداره 2,2 ساعة - وهى نفس النسبة التى وصل إليها الدارسون فى الستينيات تقريباً. ولكن فى دراسة أخرى عام 1985، فى كلية الخدمة الاجتماعية بجامعة بوسطن ، أجراها برادلى جوجينز، Bradly Googins، على عدد 651 من موظفى مؤسسة فى بوسطن، وجد أن الأم العاملة تؤدى حوالى 85 ساعة من العمل أسبوعياً سواء فى وظيفتها أو فى الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال.

بينما يعمل الرجل حوالى 66 ساعة فقط ـ أى إن الفارق فى وقت الفراغ فى هذه الحالة يصل إلى 19 ساعة أسبوعياً. وفى دراسة أخرى أجرتها كل من جريس باروش وروزاليند بارنت عام 1983 على 160 أسرة من الطبقة المتوسطة بمدينة بوسطن، توصلا إلى عدم وجود أى فارق فى حجم المساعدة الذى يقدمه أزواج العاملات فى الأعمال المنزلية عن ذلك الذى يقدمه أزواج غير العاملات. أما البحث الذى قامت به شيلى كوفرمان عام 1983 على 1,500 من الأزواج العاملين من البيض فقد توصلت فيه إلى أن المرأة تعمل حوالى 87 ساعة أسبوعياً (ما بين عمل بأجر أو دون أجر) بينما يعمل الرجل حوالى 76 ساعة ـ بفارق حوالى 11 ساعة أسبوعياً فى وقت الفراغ. على حين أن هذا الفارق يصل إلى حوالى 30 ساعة فى دراسة أخرى قامت بها سارة يوجف، Sara Yogev، عام 1981 على النساء العاملات من الأمهات.

وقد قامت هارييت پرسر، Harriet Persser، فى دراستها عام 1977 بسؤال الأزواج عن مدى زيادة حجم تعاونهم فى أعمال المنزل بعد خروج زوجاتهم للعمل فوجدت أن نسبة 44٪ من الأزواج زادوا من حجم تعاونهم فى أعمال المنزل ، وأن حوالى 45٪ استمروا فى أداء نفس النسبة من الأعمال، بينما قام 11٪ بتخفيض حجم عملهم.

وقد قدمت إحدى الدراسات التى قام بها كل من جريج دنكان وچيمس مورجان عام 1978 بعض الإحصائيات عن عدد ساعات العمل الإضافى التى يفرضها الزواج على النساء، بينما يوفرها على الرجال. وكانت النتيجة كالتالى: العاملات من الزوجات يقمن بـ 1473 ساعة من الأعمال المنزلية فى السنة، مقابل 886 ساعة تقوم بها العاملات من غير المتزوجات، و301 ساعة يقوم بها العاملون من المتزوجين مقابل 468 يقوم بها العاملون من غير المتزوجين. وكل هذه مؤشرات تدل على عدم حدوث أى تغيير يذكر.

ولكن توصلت بعض الدراسات الأخرى الحديثة إلى تقلص الفرق بين وقت فراغ الزوج ووقت فراغ الزوجة. ففى إحدى هذه الدراسات وهى تعتبر امتداداً للدراسة السابقة التى قام بها روبنسون لجامعة ميتشيجان، وجد أن حجم عمل المرأة يزيد بنسبة ضئيلة عن حجم العمل اليومى للرجل، فقد وجد روبنسون ومعاونوه أن هذا الفارق قد اختفى تقريباً فيما بين 1965-1975. ولا يعنى هذا أن الرجال كانوا يقومون بالعمل لساعات أطول فى المنزل ورعاية الأطفال، ولكنه يعنى ببساطة أن النساء كن يقمن بالعمل لساعات أقل فى المنزل والوظيفة على حد سواء. فبدلاً من محاولة إعادة توزيع الأدوار مع الأزواج، فضلت هذه الزوجات اتباع استراتيچية أخرى وهى اختصار ساعات العمل فى المنزل والوظيفة.

وإذا كانت هذه الدراسة تمثل النساء والرجال على المستوى العام فقد يعنى ذلك أن الاتجاه الحديث لمواجهة الضغوط المفروضة على الأم الخارقة، يكمن فى اختصار ساعات العمل وليس فى مشاركة الرجال بنسبة أكبر. ولكنى شخصياً لا أعتقد أن هذه الدراسة تمثل المجتمع ككل. وحتى الباحثين أنفسهم فقد انتابتهم الحيرة، ففى الفترة ما بين 1965-1975، أثناء إجراء هذا البحث ، لم تنخفض ساعات العمل بأجر التى تقوم بها النساء، كما لم ترتفع نسبة النساء العاملات لبعض الوقت فى الولايات المتحدة. فطبقاً لتقارير مكتب إحصائيات العمل (جدول 677) كانت نسبة النساء العاملات لبعض الوقت عام 1965 حوالى 19٪، وفى عام 1970 كانت النسبة 22٪، وفى عام 1975 كان النسبة 21٪ وهى نفس النسبة فى عام 1980، ولكنها انخفضت إلى 20٪ عام 1982؛ أى باختصار استمرت معظم النساء فى وظائفها لطول الوقت، ولم تتغير نسبة العاملات لبعض الوقت بين عام 1965 وعام 1982.

ولكن، طبقاً لهذه الدراسة، فقد انخفضت الساعات التى تقضيها المرأة فى العمل. فعلى أمل زيادة دقة الدراسة، كان الباحثون يعيدون سؤال نفس الأشخاص

بشكل دورى فى أوقات مختلفة من اليوم. وقد كانت أسئلة هذه الدراسة من التفصيل والتكرار بشكل جعل حوالى 25٪ من الأفراد التى أجريت عليهم يتراجعون، خاصة المشغولين منهم. ومن دواعى السخرية أن النساء ـ وهن الأكثر تحملاً للأعباء التى كان البحث يتناولها ـ لم يجدن لديهن الوقت الكافى لملء استطلاع الرأى الطويل الذى طلب منهم.

وعلى ضوء نتائج هذه الدراسة فقد تنبأ جوزيف پليك بشئ من الحذر باليوم الذى ستختفى فيه تماماً مشكلة الفارق بين وقت فراغ الرجل والمرأة. ولكن فى واقع الأمر.. فإن هذا اليوم لم يتحقق بعد لمعظم النساء، حتى إذا استطاعت كل النساء حل هذه المشكلة بالعمل لبعض الوقت، فهل هذا هو الحل لو كان يسرى فقط على المرأة؟ ففى ظل الخطر المتزايد لتهميش وتقليص حجم وأهمية الحياة الأسرية، فإنى أؤمن بأهمية توفير وتشريع وظائف بعض الوقت ذات العائد المجزى (انظر الفصل السابع عشر) ولكن ليس للمرأة فقط بل وللرجل أيضاً. فمن الخطأ قصر هذه الوظائف على المرأة. فقد يؤدى مثل هذا التقسيم والتفرقة فى العمل إلى تفرقة اقتصادية بين الرجل والمرأة بشكل يجعل المرأة مهددة اقتصادياً فى عصر تفشل فيه نصف الزيجات. فالحل الأفضل هو المشاركة فى وظائف بعض الوقت، أو تبادل مثل هذه الوظائف بين الزوج والزوجة فى فترات مختلفة.

دراستى وأسلوبى الواقعى

قمت أنا وآن ماشنج بمقابلة 145 شخصاً فى وقت واحد. وتعددت لقاءاتنا مع اثنين منهم. ولأكن أكثر تحديداً يتضمن العدد الذى ذكرته آنفاً مائة زوج وزوجة (نصفهم يعملون)، والخمس والأربعين الباقين يشملون جليسات الأطفال، وعاملات الرعاية اليومية، ومدرسات، وأزواج تقليديين، ومطلقين، ومطلقات كانوا يعملون أثناء حياتهم الزوجية . وقد قمت بتدوين ملاحظاتى العميقة على نحو 12 أسرة، أخترتها من بين 50 حالة فى دراستنا كأحسن أمثلة للأنماط المشتركة التى وجدناها. وقد ضمَّنت كتابى أمثلة من هذه الحالات الخمسين كلها .

خصائص المتزوجين

كان متوسط عمر الرجال محل الدراسة 33 عاماً ، على حين كان المتوسط بالنسبة للنساء 31 عاماً. وكان 47٪ منهم لديهم طفل واحد، وكان 38٪ منهم لديهم طفلان، ولدى 15٪ منهم ثلاثة. ولم تكن هناك حالة لديها أكثر من ثلاثة أطفال. كما كان نحو 12٪ من أصحاب الحرف والخدمات، و17٪ من الموظفين ومندوبى المبيعات، و25٪ مدراء وإداريين، و 46٪ متخصصين وفنيين . (وطبقاً لإحصائية لمكتب العمل فى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1982 بلغت نسبة الذين يشغلون وظائف ذوى ياقات زرقاء 44٪، ونسبة الموظفين 25٪، والمدراء والإداريين 12٪، والمتخصصين والفنيين 17٪، والفلاحين 3٪ .)

وبالنسبة للتعليم.. بلغت نسبة من لديهم تعليم ثانوى 6٪، ومن لديهم بعض التعليم الجامعى 31٪، ومن لديهم الليسانس أو البكالوريوس 19٪، أما نسبة من لديهم بعض من التعليم العالى بعد التخرج فبلغت 12٪، ومن لديهم درجات علمية من ماجستير أو دكتوراه 32 ٪، وبالنسبة للملكية.. وجدت أن نحو 2٪ فقط يمتلكون

منزلاً، على حين أن 55٪ في طريقهم لشراء منزل والباقين مستأجرين ، كما وجدت في هذه الدراسة أن نحو 8٪ من الأسر يحصلون على مساعدة خارجية منتظمة في أعمال المنزل، وأن 13٪ كانوا يحصلون على مساعدة من وقت لآخر، وأن 79٪ لايتلقون أي مساعدة على الإطلاق. (وعلى نطاق الدولة.. تبين لي أن 85٪ من كل الأسر ليس لديهم أي صورة من صور الإعانة الخارجية.)

كما كان حوالي 70٪ من الأزواج موضوع الدراسة من البيض، و 24٪ من السود، و 3٪ من الشيكانو واللاتينين و3٪ آسيويين . وبالرغم من أني لاحظت أن الشيكانو أكثر محافظة وتقليدية من غيرهم ؛ فليس هناك فارق يذكر بين الرجل الشيكانو والرجل الأبيض من حيث المساعدة في أعمال المنزل. كما أنه ليس هناك فارق يذكر بين البيض والسود .

طرق تناول هذا البحث

في البداية.. قمنا بتوزيع استطلاع للرأي - لنحقق الاتصال بالمتزوجين - حول حياة الأسرة، وذلك لواحد من كل ثلاثة عشر اسماً من قائمة أسماء العاملين بمؤسسة كبرى. وقد أعاد لنا ورقة الاستطلاع نحو53٪ فقط منهم. وفي نهاية هذا الاستطلاع شرحنا هدفنا من هذا الأمر، وسألناهم إذا ما كانوا على استعداد للقاء بناء بطريقة تتسم بالعمق والاستمرارية لحد ما . وبعد فترة طلبنا منهم أسماء الجيران والأصدقاء المتزوجين ولديهم أطفال دون السادسة .

وسألنا الرجال والنساء على حد سواء : « هل باستطاعتكم أن تسردوا علينا يوماً عادياً من أيام حياتكم ؟ » ؛ فوجدنا أن الزوجات كن أكثر تلقائية للحديث عن شيء ما يخص المنزل. وبلغت نسبتهم 3٪، على حين أن 46٪ من الأزواج لم يذكروا شيئاً عن المنزل على الإطلاق في ردهم التلقائي على هذا السؤال . ومن ناحية أخرى..

وجدت أن 3٪ من النساء مقابل 31٪ من الرجال، لم يتحدثوا بتلقائية عن أى شىء يفعلونه لطفلهم، مثل تسريح شعره أو تقديم وجبة مثلاً .

وغالباً ماذكرت السيدات العاملات اعتنائهن بالناس من حولهن، داخل إطار العائلة : مثل والديهم ووالدى أزواجهن والأقارب والأصدقاء وجليسات الأطفال. وتقول إحدى هؤلاء الزوجات بأنها تقوم بعمل ساندويتشات كل سبت للأطفال، الذين يعانون من إهمال والديهم العاملين لهم. وأخرى تحاول مساعدة جليسة أطفالها فى حل مشكلة زواجها . أما الرجال خصوصاً : ممن ينتمون إلى الطبقة العاملة، نجدهم فى الغالب كرماء فى تكريس بعض أوقاتهم فى تحريك الأثاث وتغيير وضعه ، أو إصلاح السيارات أو بناء أى إضافات للمنزل .

وقد لاحظنا أيضاً أن الرجال تحدثوا عن أعمال المنزل، على طريقة « نحب ولانحب » على حين كان حديث النساء عن « ماذا يحتجن أن يفعلن » .

كما عمد الرجال والنساء إلى سرد قصص مختلفة نوعاً ما، حول مدى الإسهامات التى يقدمها كل منهم فى المنزل. ومن ناحيتنا قسمنا فى استطلاعنا مهام الأسرة إلى ثلاثة أنواع :

1 - أعمال المنزل ، 2 - رعاية الأطفال ، 3 - إدارة الحياة المنزلية . وتحت بند أعمال المنزل.. أدرجنا أشياء على غرار إخراج القمامة والكنس، وترتيب الفراش، وتنظيف الحمامات والغسيل، والتجهيز الروتينى للوجبات، وشراء مستلزمات البقالة والحياكة، وإصلاح السيارة وتشذيب الحشائش، والإصلاحات المنزلية، والعناية بالنباتات. أما بند العناية بالأطفال.. فاشتمل على العناية الجسمانية بالطفل (من رعاية الطفل أثناء مرضه إلى إطعامه، واستحمامه، والعناية اليومية به، واصطحابه للطبيب وقت اللزوم)، وتعليمه (مثال النظام اليومى والقراءة). أما الإدارة المنزلية.. فتشتمل

على تذكر وتخطيط وجدولة أعمال وأحداث البيت، وإعداد قائمة البقالة، ودفع الفواتير، وإرسال بطاقات أعياد الميلاد، وتنظيم مجالسة الأطفال وأعياد ميلادهم .

واكتشفنا أن 18٪ من الرجال يشاركون بعمل نصف أعمال الأنواع الثلاثة، فى الوردية الثانية من كل المهام الأسرية، وليس معنى ذلك أنهم يقومون بنصف كل مهمة من مهام الأنواع الثلاثة للأعمال المنزلية ، ولكنهم قاموا بنصف حجم العمل المطلوب لكل نوع ككل. (وهم بهذا الشكل ينجزون فيما بين 45٪ إلى 55٪ منها) على حين أن21٪ منهم ينجزون فيما بين 30٪ إلى 45٪ من حجم العمل، وأن61٪ منهم يقومون بأعمال طفيفة (فيما بين 30٪ ولا شيء)

العلاقة بين المذهب

ومشاركة الرجل فى المنزل

لقد قسمت الخمسين رجلاً الذين شملتهم دراستى إلى ثلاث مجموعات : المجموعة الأولى تتضمن هؤلاء الذين يشاركون فى أعمال البيت ورعاية الأطفال (بنسبة 45 – 55٪)، والمجموعة الثانية تشمل هؤلاء الذين يساهمون بنسبة معقولة (تتراوح بين 30 – 45٪) ، والمجموعة الثالثة هؤلاء الذين لايساهمون بشكل كبير (أقل من 30٪) . ومن بين كل الرجال التقليديين.. وجدت أن 22٪ يقومون بالمشاركة الفعلية، و 44٪ ينجزون كماً معتدلاً من الاعمال، و 33٪ يشاركون بالقليل، (والمجموع الكلى هنا 99٪ بدلاً من 100٪ لأن النسب تقريبية). ومن بين الانتقاليين.. وجدت أن 3٪ يقومون بالمشاركة الفعلية، وأن 10٪ ينجزون كماً معتدلاً من الأعمال، و87٪ يقومون بالقليل. أما بالنسبة للمساواتيين.. فوجدت أن 70٪ منهم يشاركون مشاركة كبيرة، وأن 30٪ ينجزون كماً معتدلاً .

العلاقة بين فجوة المرتب وفجوة الفراغ

مازال الجدال قائماً فى مجال العلوم الاجتماعية بين فريقين : الأول ممثل فى «جارى بيكر»، Gary Becker، فى كتابه « الاتجاه الاقتصادى للسلوك الإنسانى »، Economic Approach to Human Behaviro، الذى يدعى فيه أن الزوجات يقمن بنصيب أكبر فى أعمال المنزل لأن الزوجين يشعران أن ذلك « لمصلحة الجميع » لأن الزوج يركز على عمله؛ حيث أنه يكسب أكثر . ولذلك فالكاتب يقترح ضمنياً أن تلك الاستراتيجية الجماعية تخلو تقريباً من الصراع، وليس لها أى دخل بأيديولوجية الرجل أو امتيازاته . أما الفريق الثانى ، والذى يمثله أناس من أمثال « چوان هوبر »، Joan Huber، و « جلينّا سپايتز »، Gleanna Spitze، فهم يعتقدون أن مثل هذه الاتفاقيات ليست ثقافية فقط بل هى اقتصادية . وبناء عليه فالعامل الأساسى فى نظرهم، هو الذى يحدد حجم العمل الذى يقوم به الرجل فى المنزل، وليس الفارق فى الدخل بينه وبين زوجته، بقدر ما هو حجم دخل الزوجة.

وفى تنقيبى عن « اليد الاقتصادية الخفية »، التى تكمن وراء قيام بعض الأزواج بالمشاركة فى المنزل وعزوف البعض الآخر عنها .. قمت بتقسيم المتزوجين الخمسين موضع البحث إلى ثلاث مجموعات؛ طبقاً لمدى اتساع فجوة المرتب بين الأزواج والزوجات إلى : فجوة متسعة من المرتب (وفيها يحصل الأزواج على مرتب أكبر بكثير من زوجاتهم)، وفجوة متوسطة الاتساع، وفجوة قليلة الاتساع. فلم أجد علاقة إحصائية واضحة بين فجوة المرتب بين الأزواج والزوجات وفجوة الفراغ .

إلا أننى أعدت تحليل عينة أخرى من مجموعة من الزوجات والأزواج بلغ عددها 65 (وفيها يعمل كلا الزوجين طوال الوقت، ولديهما أطفال دون الخامسة عشر)، حصلت عليها من دراسة أخرى أكثر اتساعاً، قام بها مركز البحوث الاجتماعية بجامعة ميتشيجان عام 1981. وهى أيضاً ذات العينة التى قام عليها بحث عام 1977،

وأظهرت اختفاء فجوة الفراغ . وقد قمت بتقسيم هؤلاء المتزوجين إلى أربع مجموعات: الأزواج الذين يحصلون على نسبة 75٪ أو أكثر من دخل الأسرة ، والذين يحصلون على ما بين 55٪ و75٪. والمجموعة الثالثة أولئك ، وهؤلاء الأزواج الذين يحصلون على دخل يتراوح فيما بين 45٪ ، و55٪ من دخل الأسرة . أما المجموعة الأخيرة.. فتحصل فيها المرأة على دخل أكبر من دخل زوجها . وبناء عليه.. اكتشفت أنه كلما قل دخل الزوجة (بالقياس لزوجها) أنجزت أعمالاً أكثر فى المنزل. ومن ثم تبين لى أن نساء المجموعة الأولى يساهمن بـ 72٪ من أعمال المنزل، على حين تشارك نساء المجموعة الثانية بـ 66٪. وفى المجموعة الثالثة يساهمن بنحو 55٪، أما فى الرابعة فإنهن يساهمن بـ 49٪. وأن النساء اللائى يحصلن على دخل أكبر من أزواجهن يقمن بأعمال أقل، إلا أنهن ليس لديهن وقت أكبر من الفراغ. وذلك نتيجة أن المرأة العاملة ذات الدخل المحدود تمكث فى مقر عملها لساعات أقل، وبالتالى يكون لديها متسع من الوقت ووقت للفراغ للقيام بأعمال المنزل. وبإعادة النظر فى الخمسين حالة، موضع بحثى، وجدت أن ـ على عكس أزواج دراسة جامعة ميتشيجان ـ النساء اللاتى يتفوقن على أزواجهن فى المرتب، إنما نتيجة عدم قيام أزواجهن بالأعمال الموكولة إليهم كما يجب (وهذا ليس الحال بالنسبة للنساء ذوات الدخل المرتفع بدراسة جامعة ميتشيجان). وبالنظر مرة أخرى للأمر عن قرب.. اكتشفت مبدأ «التوازن» ، وهو محاولة الزوجات «تعويض أزواجهن» عن «تفوقهن» فى العمل، عن طريق القيام بمجهود أكبر فى المنزل.

فانطلاقاً من دراسة «هوبر وسپايتز» .. يمكننى الوصول إلى نتيجة، ألا وهى أن فجوة الفراغ بين الزوجين تعكس أمراً أكبر أهمية من مجرد تكيف الزوجين مع الدخل الأكبر للرجل فى أمريكا ، وهو التفاعل بين مفاهيم الرجل والمرأة للنوع.

ملاحظات

الفصل الأول:

1 ـ مكتب إحصائيات العمل بالولايات المتحدة، *التوظيف والكسب، خصائص العائلات: الربع الأول* (واشنطن: وزارة العمل الأمريكية، 1988).

2 ـ ألكسندر زالى: *استخدام الوقت: الأنشطة اليومية لسكان المدن والضواحى فى اثنتى عشرة دولة* (The Hague: Mouton, 1972) ص 668، جدول ب. وفى دراسة لشيلى كوفرمان، Shelley Coverman، أودعها كتاب بعنوان: «عدم المساواة بالنسبة للنوع فى الأعمال المنزلية والأجر»، Gender, Domestic Labor Time and Wage Inequality، تبين أن الرجال يقضون وقتاً أطول فى تناول الطعام. كما أنه كلما ارتفع مستواهم الاجتماعى زادت ساعات نومهم عن النساء. على حين نجد العكس بالنسبة للنساء، فكلما ارتفع مستوى الرجال الاجتماعى قلت ساعات نومهن. كما أن المرأة العاملة يبدو أنها تواجه متطلبات الضغوط اليومية بتقليل ساعات نومها، على حين لا يفعل الأزواج هذا. ولمعرفة المزيد عن تفاصيل هذه النقطة، يمكنك الرجوع إلى ملحق الكتاب.

3 ـ جريس ك. باروش، Grace k. Baruch، وروزاليند بارنت، Rosalind Barnett، «نتائج مشاركة الأب فى الأعمال الأسرية: تقرير فنى «ورقة عمل رقم 106، (Wellesley, Mass.: Wellesley College Center for Research on Women, 1983)، ص 80-81.

وانظر أيضاً كتاب كاثرين ى. ووكر، Kathryn E. Walker، ومارجريت ى. وودز، Margaret E. Woods، بعنوان: *استخدام الوقت:*

مقياس لإنتاج السلع والخدمات المنزلية (Washington, D.C.: American Home Economic Association, 1976).

الفصل الثانى:

1 ـ فى عام 1978 قامت كل من چوان هيوبر وجلينا سپايتز بدراسة، وجدتا فيها أن 78٪ من الأزواج يؤمنون بمبدأ اقتسام العمل مناصفة بين الأزواج والزوجات، طالما أنهم يعملون سوياً طوال الوقت، والحقيقة أن أزواج السيدات العاملات لا ينجزون على أعلى تقدير سوى ثلث عمل المنزل.

2 ـ أما مفهوم «استراتيجية النوع».. فقد اقتبسته من آن سويدلر، Ann Swidler ، عن كتابها المعنون «مذاهب السلوكيات ـ رموز واستراتيجيات»، Culture in Action - Symbols and Strategies، حيث تركز على كيف أن الفرد يستخدم مظاهر الثقافة المختلفة من (رموز وطقوس وقصص) كأدوات لتشكيل خط سلوكه. وأنا هنا فى هذا المقام أركز على مظاهر الثقافة، التى تتمثل فى أفكارنا عن الرجولة والأنوثة، وعلى استعدادنا العاطفى تجاه استراتيجيتنا، والنتائج العاطفية المترتبة على ذلك.

3 ـ وبالنسبة لمصطلح «أسطورة الأسرة» فأنا مدينة به لأنطونيو ج. فريرا، Antonio J. Ferreira، فى كتابه : «الاختيارات الطبيعية وأسطورة الأسرة»، Psychosis and Family Myth.

4 ـ انظر: ف. تى. چوستر، F. T. Juster، 1986.

الفصل الثالث:

1 ـ لى رينووتر، Lee Rainwater، و.ل. يانسى، W. L. Yancey، تقرير

موينيهان وسياسة التعارض، (Cambridge, Mass.: M.I.T. Press, 1967)، ص 32.

2 ـ وفى كتاب ديلورس هايدن المعنون بـ «إعادة تشكيل الحلم الأمريكى».. وصف الكاتب كيف أن شركة جنرال إليكتريك تكفلت عام 1935، تضامناً مع برنامج بالإذاعة بتقديم مسابقة عن أحسن تصميم لمنزل مستر ومسز بليس، Bliss، اللذين يمثلان نموذجاً للأزواج فى هذ الوقت (فمستر بليس يعمل مهندساً، بينما مسز بليس ربة بيت بدرجة جامعية فى الاقتصاد المنزلى، ولديهما ولد واحد وبنت واحدة). وقد اقترح الفائز نموذجاً لمنزل تستخدم فيه مسز بليس 322 جهازاً كهربائياً كخدم لها.

3 ـ هيلين جيرلى براون، Helen Gurley Brown، الحصول على كل شئ، (New York: Simon and Schuster, 1982)، ص 67.

4 ـ مارچورى هـ . شافيتز، Shaevitz, Marjorie H.، أعراض المرأة الخارقة، (New York: Warner, 1984)، ص xvii.

5 ـ نفس المصدر، ص 112. وأخذت منه كل الفقرات المنقولة فى هذا الجزء.

6 ـ نفس المصدر ، ص 53.

7 ـ نفس المصدر، ص 206 - 205.

8 ـ نفس المصدر، ص 101 - 100.

9 ـ هيلارى كوسيل، Hilary Cosell، «المرأة... بين الحاضر والماضى» «فترات ازدهار واندحار الأداء»، Woman on a Seesaw، The Ups and Downs of Making It (New York: G. P. Putnam's Sons, 1985)، ص 30.

10 ـ بوب جريني، «محاولة اللحاق بأماندا» Trying to Keep Up with Amanda, (San Francisco Chornicle)، 16 يونيو، 1984.

الفصل التاسع:

1 ـ اكتشفت أن الجمع بين مطالب العمل الكثيرة، مع تحكم قليل فى السيطرة على خطوات إنجاز هذه المطالب، يخلق توتراً أكبر فى وظيفة المرأة، وهذا يفسر المعدلات المرتفعة الملحوظة للتوتر الذهنى بين السيدات العاملات؛ حيث تتسم المرأة «برهافة الحس» أو «سرعة الغضب»، انظر: كارنور وآخرون 1981.

* ونجد دراسة مشابهة لما نقول لسوزان ج. هاينز، Suzanne G. Haynes، ومانينج فينليب، Manning Feinleib، فى كتاب بعنوان «النساء، والعمل وأمراض القلب» Women, Work and Coronary Heart Disease، يوضحان فيها أن العاملات فى أعمال الخدمة (خاصة هؤلاء المتزوجات بأصحاب الحرف، ولديهن ثلاثة أطفال أو أكثر) يعانين حقيقة من الأمراض القلبية، أكثر من الرجال الذين يتقلدون وظائف قيادية. وهؤلاء النسوة يعانين من محدودية شعورهن بالاستقلالية فى أعمالهن الوظيفية، ومن نفس الشئ فى سرعة إنجازهن أعمال المنزل، وأنهن مكبلات بالقيود. وإذا أردنا بحثاً مستفيضاً عن تأثير الزواج والعمل على الإرهاق الذهنى.. فهناك عدة كتب فى هذا المجال ككتاب: «أثر الأطفال والعمل على الصحة الذهنية للرجال والنساء المتزوجين» The Effect of Children and Employment on the Mental Health of Married Men and Women، لـ والتر. جوفر، Walter Gover، وميشيل جيركن، Michael Geerken .

2 ـ كما أثبتت دراسة أخرى أن الرجال يستمتعون بفترات راحة أثناء عملهم

أطول مما يتسنى للنساء، يمكثون خلالها لاحتساء القهوة وتناول الغذاء. وطبقاً لـ فرانك ستافورد، Frank Stafford، وجريج دانكان، Greg Duncan، فإن معدل ما يحصل عليه الرجل من راحة أثناء العمل يصل إلى ساعة و40 دقيقة، أكثر مما تحصل عليه المرأة فى أسبوع، وهذا ضمن ما شرحاه فى كتاب: «ساعات التسوق، والساعات الفعلية وإنتاجية العمل»، Market Hours, Real Hours and Labor Productivity.

الفصل العاشر:

1 ـ انظر كتاب : «إنتاج الأمومة» لنانسى كودورو .

الفصل الثالث عشر:

1 ـ وجدت فى دراستى لمائة رجل وامرأة، وهم الذين يمثلون خمسين حالة الزواج موضوع البحث، أن 18٪ من الأزواج تقليديون، و62٪ انتقاليون، و20٪ مساواتيون. وبالنسبة للزوجات وجدت أن 12٪ منهن تقليديات، و40٪ انتقاليات، و48٪ مساواتيات. ويلى هذه الفقرة جدول يوضح ما أقول بالنسبة لأيديولوجيات النوع عند المرأة. وهذه النسب تشمل كل الحالات الخمسين التى تمت دراستها، ووجدت أنه فى 60٪.. منها اقتسم كلا الزوجين نفس الأفكار، على حين أن الـ 40٪ الباقية تشمل الأزواج والزوجات، الذين اختلفوا فى وجهات النظر، وكان النمط الأكثر شيوعاً فى هذه الدراسة بين المرأة المساواتية والرجل الانتقالى.

أيديولوجية النوع لدى الزوجة	تقليدية	انتقالية	مساواتية	المجموع الكلى للزوجات
تقليدية	(5) ٪10	(1) ٪2	—	6
انتقالية	(3) ٪6	(16) ٪32	(1) ٪2	20
مساواتية	(1) ٪2	(14) ٪28	(9) ٪18	24
الإجمالى	**9**	**31**	**10**	**50**

الفصل الرابع عشر:

1 ـ ثبت فى جميع الأبحاث التى تناولت عمل المرأة أن المرأة العاملة أكثر سعادة وتقديراً لذاتها. وأنها أفضل فى صحتها العقلية والبدنية من ربة البيت. وهذا المعنى تضمنه كتاب لوى هوفمان، Lois Hoffman، وف.آى. نـاى، F.I.Nye، بعنوان: «الأمهات العاملات» ، Working Mothers، كما أن عمل المرأة ساهم فى زيادة دخل الأسرة، وربما حماها من دواعى الفقر المقترنة بالتمزق الزوجى.

2 ـ رونالد سى. كيسلر، Ronald C. Kessler، وجيمس ماكراى، James Mcrae، معهد الأبحاث الاجتماعية، (University of Michigan, 1978).

وانظر أيضاً: كتاب س. س. فيلدمان، S. S. Feldman، وس. سى. ناش، S. C. Nash، و ب. ج. أشنبرنر، B. G. Ashenbrenner، بعنوان مقدمات الأبوة، Antecedents of Fathering، فى مجلة «تطور الطفل» Child Development، العدد 54، 1983.

وانظر أيضاً مقالة: م. و. يوجمان، M. W. Yogman، بعنوان

«المهارة والأداء عند الآباء والأبناء» Competence and Performance of Fathers and Infants، فى كتاب «التقدم فى صحة الطفل» Progress in Child Health (London: Churchill Livingston, 1983).

3 - انظر: چوان هوبر وجلينا سبايتز فى كتاب «التوزيع النوعى: الأطفال والأعمال المنزلية والوظائف» Sex Stratification: Children, Housework and Jobs (New York: Academic Press, 1983).

4 - وفى دراسة لچورچ ليڤينجر، George Levinger، ظهر أن الرجال أقل شكوى من النساء. وإن كانت لديهم شكوى .. فإنها تتمثل فى أربع قمم: القسوة العقلية (30٪)، وإهمال البيت أو الأطفال (26٪)، والتنافر الجنسى، (20٪) والخيانة الزوجية (20٪). وبالنسبة للمرأة.. فإن قمم الشكوى لديها هى القسوة العقلية (40٪)، وإهمال البيت والأطفال (39٪)، والمشاكل المالية (37٪)، والإيذاء الجسدى (37٪).

الفصل الخامس عشر :

1 - هناك دراسات أخرى اكتشفت أن تنشئة الرجل لها علاقة طفيفة بكم العمل الذى ينجزه فى المنزل عندما يكبر، وهذا ما نجده ضمن كتاب لوى هوفمان، و ف. آى. ناى، بعنوان: «قوة العلاقات بين الوالدين وتقسيم المهام المنزلية» Parental Power Relations and the Division of Household Tasks، ضمن كتاب الأم العاملة فى أمريكا، The Employed Mother in America (Chicago: Rand McNally, 1963)، ص 215-230.
وأيضاً فى بحث بعنوان: «مواقف الذكر والأنثى من توزيع الأدوات وتقسيم الأعمال المنزلية» Sex Role Attitudes and the Division of Household Labor، قُدم للجمعية الاجتماعية الأمريكية بشيكاغو فى عام

1975. وأيضاً فى مقال لربيكا ستافورد وإيلين باكمان وپاميلا داى بونا بعنوان: «توزيع العمل لدى الزوجين أو شريكى السكن» The Division of Labor among Cohabiting and Married Couples" (Journal of Marriage and the Family, 1977)، العدد 39، ص 57-43. وأيضاً فى مقال سى. پيروسى، C. Perucci، وهـ . پوتر، H. Potter، و د. رودز، D. Rhoads، بعنوان: «العوامل المحددة لأداء الرجل فى الأسرة»، Determinants of Male Family Role Performance، فى مجلة (Psychology of Women Quarterly)، العدد الثالث، 1978، ص 53-66. وأيضاً فى بحث لم ينشر قدمه كل من م. روبرتس، M. Roberts، و ل. ورتزل، L. Wortzel، بعنوان: «الأزواج الذين يعدون طعام العشاء: اختبار للنظريات المختلفة عن توزيع الأدوار بين الزوجين» Husbands Who Prepare Dinner: A Test of Competing Theories of Marital Role Allocations, (Boston University, 1979). وفى بحث آخر قدمه س. هيسلبارت، S. Hesselbart، بعنوان: «هل تبدأ الصدقة بالأهل؟ المواقف نحو المرأة والمهام المنزلية والقرارات العائلية»، Does Charity Begin at Home? Attitudes Toward Women, Household Tasks, and Household Decision-Making, (The American Sociological Association, 1976)، وكتاب «الزواج بالمناصفة»، So-So Marriage، لجايل كيمبول، Gayl Kimball.

2 - ومن المثير للدهشة أن معظم الباحثين وجدوا علاقة ضئيلة أو معدومة بين الوقت الذى يمكثه الزوج فى عمله، وكم العمل الذى يقوم به فى المنزل، مثلما جاء فى كتاب: « مساهمة عمل الأزواج ودوره فى الأداء الأسرى (الزوجى)»، Husbands' Work Involvement and Marital Role

Performance، من تأليف: روبرت كلارك، Robert Clark، وإيفان ناى، Evan Nye، وفيكتور جيكاس، Victor Gecas.

3 ـ لقد اكتشف اختلافاً بسيطاً ـ وإن لم يكن ذا دلالة إحصائية ـ أنه بالرغم من وجود عدد كبير من الأبحاث التى تناولت احتمال وجود علاقة بين فرق أجر الزوج وأجر الزوجة وبين الفارق فى حجم وقت فراغيهما فإن أقصى مدى وصلت إليه معلوماتى بهذا الشأن، هو أنه لم يتوصل سوى باحث واحد لوجود مثل تلك العلاقة بالفعل، وهو عالم الاقتصاد جارى بيكر فى بحثه بعنوان «نبذة عن الأسرة»، A Treatise on the Family (Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1981). ويمكن تعرف مزيداً من الأبحاث التى تناولت تلك العلاقة بالإطلاع على التعقيب.

4 ـ بليك (1985)، ص 151.

5 ـ بوب كاتنر، Bob Kuttner، «الوسط المتراجع» The Declining Middle(Atlantic Monthly)، يوليو 1983. وبول بلومبرج، Paul Blumberg، «عدم المساواة فى زمن التراجع» Inequality in an Age of Decline (New York: Oxford University Press, 1980)، ومقال كل من مايكل هارينجتون، Micheal Harrington، ومارك ليفينسون، Mark Levinson، بعنوان: «أخطار الاقتصاد المزدوج» The Perils of a Dual Economy، المنشور فى العدد 32 من مجلة Dissent، ص 417-426. وأيضاً فى مقال «المرأة مقابل الرجل فى القوة العاملة» Women Versus Men in the Work Force، لأندرو هاكر، Andrew Hacker، المنشور فى New York Times Magazine، العدد الصادر فى 9 ديسمبر 1984. وللإطلاع على الرأي القائل بأن سوق العمالة لا ينقسم إلى نصفين يمكنك قراءة مقال نيل هـ . روزينثال، Neal H. Rosenthal،

بعنوان «انكماش الطبقة المتوسطة : أسطورة أم حقيقة؟». The Shrinking Middle Class: Myth or Reality?، المنشور فى العدد 108 لسنة 1985 من Mothly Labor Review، ص 3-10.

6 ـ شيلا ب. كامرمان، Sheila B. Kamerman، وشيريل د. هاين، Cheryl D. Hayes، «أطفال الآباء العاملين: التجربة والنتائج» Children of Working Parents: Experience and Outcomes (Whashington, D.C.: National Academy Press, 1983)، ص 238.

7 ـ انظر مقال نورما رادين، Norma Radin بعنوان «الرعاية الأولية والآباء المشاركين فى الأدوار» Primary Caregiving and Role Sharing، Fathers of Preschoolers ، المنشور فى كتاب لـ مايكل ى . لامب ، Michael E . Lamb ، بعنوان : « أسر غير تقليدية الأبوة ورعاية الطفل» Nontraditional the Families: Parenting and Child Development (Hillsdale, N.J.: Erlbaum, 1982). وفى مقال آخر لنفس الكاتبة بعنوان «دور الأب فى التنمية العقلية والإدراكية والأكاديمية للطفل» The Role of Father in Congnitive/Academic Intellectual Development، فى كتاب «دور الأب فى تنمية الطفل» The Role of the Father in Child Development، لـ م. لامب، M.E.Lamb، الطبعة الثانية، (New York: Wiley, 1981). وأيضاً فى مقال نورما رادين، وجرايم راسّل، Graeme Russel، بعنوان: «المشاركة المتزايدة للأب وأثرها على تنميـة الطفل» Increased Father Participation and Child Development Outcomes، فى كتاب Nontradtional Families، لـ Lamb، ص 191-218. وأيضاً مقال هـ . ب. بيلر، H. B. Biller، بعنوان «الأب وتنمية الشخصية» The Father

and Personality Development: Paternal Deprivation and Sex-Role Developmet، المنشور أيضاً فى كتاب لامب، The Role of the Father in Child Development، الطبعة الأولى، (New York: wiley, 1976). وأيضاً فى «مقدمات ونتائج الدرجات المختلفة لاشتراك الأب فى تربية الطفل: «المشروع الإسرائيلى»، Antecedents and Consequences of Various Degrees of Paternal Involvement in Child-Rearing: The Israeli Project، المنشور أيضاً فى كتاب م. لامب، ص 232-205. وأيضاً كتاب مايكل ى. لامب، Michael E. Lamb، «دور الأب: رؤية تطبيقية»، The Father's Role: Applied Prespectives (New York: Wiley-Interscience, 1986).

وفى دراسة لكل من هنرى بيللر، Henry Biller، وروبرت بلانكارد، Robert Blanckard، على 44 طفلاً بالصف الثالث الابتدائى، قاما بعقد مقارنة بين الأطفال الذين تغيب عنهم والدهم قبل بلوغهم سن الخامسة، وبين هؤلاء الذين يرون والدهم بما يقل عن ست ساعات أسبوعياً ، وأولئك الذين يرون والدهم لأكثر من ساعتين يومياً. مع ملاحظة أن هؤلاء الأطفال متماثلون فى أعمارهم ومستواهم الاجتماعى، وكانت النتيجة لصالح الأطفال الذين يرون أباءهم لأكبر وقت ممكن.

8 ـ كما وجد كل من كارولين وفيليب كوان أن معايشة الأب لأبنائه تزيد من ثقة الابنة ـ على وجه الخصوص ـ فى نفسها وتحسن نتائجها فى مادة الرياضيات.

9 ـ انظر مقال مارك. و. روتر، Mark W. Routter، وهنرى ب. بيلر، بعنوان «تكيف الشخصية الملحوظ عند طلبة الجامعة الذكور»، Perceived Personality Adjustment Among College Males، المنشـور فى

العــدد ، من Journal of Consulting and Clinical Psychology،
لسنة 1977، ص 339-342.

الفصل السادس عشر :

1 ـ آليس كيسلر ـ هاريس، Alice Kessler-Harris، الخروج إلى العمل، Out to Work (New York: Oxford University Press, 1982). أيضـاً كتـاب چولى أ. مـاتاى برادباى، Julie A. Mattaie Bradby، التـاريخ الاقتـصادى للمـرأة فى أمـريكا، An Economic History of Women in America (New York: Schocken Books, 1982).

2 ـ لويس هاريس ومعـاونوه، Louis Harris، «الأسـر العـاملة»، Families at Work, (General Mills American Family Report, 1980-81)، وتظهر أبحاث أخرى كذلك أنه حتى بالنسبة لنساء الطبقة العاملة اللاتى لاسبيل لديهن للحصول على وظائف مجزية.. فإنهن يفضلن العمل عن المكوث بالبيت. انظر مقال مايرا فيرى، Myra Ferree، بعنوان «التضحية والقناعـة والتـغـيـيـر الاجـتـمـاعى: التـوظيف والأسـرة»، Sacrifice, Satisfaction and Social Change: Employment and the Family، المنشـور فى كتـاب «متـاعبى سـوف تواجـه متـاعب مـعى»، My Troubles Are Going to Have Trouble with Me، لكارن سـاكس، Karen Sacks، ودوروثى ريمى، Dorothy Remy، ص 61-79، (New Brunswick, N.J.: Rutgers University Press, 1984). إن عـمـل المرأة المدفوع الأجر يخلق لديها شعوراً بالرضا الذاتى (كما ظهر فى مقال كل من تشـارلز ويفـر، Charles Weaver، وسـانـدرا هولمز، Sandra Holmes بعنوان «دراسـة مقارنة عن الرضا عن العمل لدى الإناث اللاتى

تشـغلن وظائف لطول الوقت والإناث المتـفـرغـات للأعـمـال المنزليـة»، A Comparative Study of the Work Satisfaction of Females with Full-Time Empolyment and Full-Time Housekeeping، المنشور فى Journal of Applies Psychology، العدد 60 لسنة 1975، ص 128-117. لو كان لدى المرأة حرية الاختيار بين العمل أو البقاء بالمنزل، فـذلك سـيؤدى إلى السعـادة الزوجيـة. انظر أيضـاً مـقـال كل من سـوزان أوردن، Susan Orden، و ن. برادبرن، N. Bradburn، بعنوان «الزوجـات العـامـلات والسـعـادة الزوجـيـة»، Working Wives and Marriage Happiness، المنشـور فى ا لعـدد 74، مـــن American Journal of Sociology، لسنة 1969، ص 123-107.

3 ـ انظر التـقـارير الأخيرة للتعداد: العائلات والحالة الاجتماعية وترتيبات الحـيــاة، Current Population Report: Households, Families, Marital Status and Living Arrangements، الصـــادرة عن المكتب الأمـريكى للتـعـداد، العـدد 382 (Washington D.C.: U.S. Government Printing Office, 1985). وانـظر أيـضــــاً: مـلخص الإحصائيات لكتاب البيانات القومية الأمريكية دليل المصادر، Statistical Abstracts of the U.S. National Data Book, Guide to Sources، الصـــادر عن (Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1985). إذا وجـد أنه فى حـوالى 14٪ من حـــالات الطلاق، تمنح المطلقـات دعم من أزواجـهن السـابقين، فـإننا سنجـد أن الحالات التى تحصل فيها المطلقات بالفعل على هذا الدعم لا تزيد عن 7٪. انظر كـتـاب لينور وايتـزمـان، Lenore Weitzman، بـعـنـوان: «ثـورة الـطـلاق»، The Divorce Revolution، الصـــادر عن: (New York:

.Free Press; London: Collier Macmillan, 1985)

4 ـ هذه النتائج توصلت إليها من خلال بعض استطلاعات الرأى التي وزعتها على واحد من كل ثلاثة عشر شخصاً من العاملين بشركة صناعية كبرى، وقد رد على استفساراتى حوالى 53٪ من جملة الأفراد الذين خاطبتهم. وقد أظهرت النتائج أن الشكل النمطى لحياة الأسر العاملة يختلف بتدرج مستويات التعاون. ففى القمة يسود النمط التقليدى للأسرة. وفى وسط الهرم تسود الأسر ذات الطرفين العاملين، بينما تسيطر الأسر ذات الطرف الواحد (الأب أو الأم) على قاعدة الهرم.

*****

CHAPTER 14 : *Tensions in Marriage in an Age of Divorce*

CHAPTER 15 : *Men Who Do and Men Who Don't*

CHAPTER 16 : *The Working Wife as Urbanizing Peasant*

CHAPTER 17 : *Stepping into Old Biographies or Making History Happen?*

AFTERWORD

APPENDIX : *Research on Who Does the Housework and Childcare*

Notes

Selected Reading

Index

Contents

Preface

Acknowledgments

CHAPTER 1 : *Aspeed-up in the Family*

CHAPTER 2 : *Marriage in the Stalled Revolution*

CHAPTER 3 : *The Cultural Cover-up*

CHAPTER 4 : *Joey's Problem: Nancy and Evan Holt*

CHAPTER 5 : *The Family Myth of the Traditional: Frank and Carmen Delacorte*

CHAPTER 6 : *A Notion of Manhood and Giving Thanks: Peter and Nina Tanagawa*

CHAPTER 7 : *Having It All and Giving It Up: Ann and Robert Myerson*

CHAPTER 8 : *A Scarcity of Gratitude: Seth and Jessica Stein*

CHAPTER 9 : *An Unsteady Marriage and a Job She Loves: Anita and Ray Judson*

CHAPTER 10 : *The "His" and "Hers" of Sharing: Greg and Carol Alston*

CHAPTER 11 : *No Time Together: Barbara and John Livingston*

CHAPTER 12 : *Sharing Showdown and Natural Drift: Pathways to the New Man*

CHAPTER 13 : *Beneath the Cover-up: Strategies and Strains*

صـــدر أيضـــاً للناشـــر

- الحرية ونضال المرأة الأمريكية. تأليف / سارة إيفانز
- دور الآباء فى مساعدة أبنائهم على الشفاء من الإدمان. تأليف / باربارا كوتمان
- نحو التآلف والاتفاق. تأليف / فيشر
- استراتيجية الإدارة العليا . تأليف / بنيامين تريجو
- أفكار عظيمة فى الإدارة. تأليف / جاك دانكان
- الالتزام واستراتيجية اتخاذ القرارات الإدارية. تأليف / بنكاج چيماوات
- التميز - الموهبة والقيادة. تأليف / چون جاردنر
- منشآت الأعمال الصغيرة. تأليف / سبنسر هل
- مقدمة إلى الديمقراطية الاقتصادية. تأليف / روبرت دال
- كيف تنجح فى صنع الصفقات العالمية. تأليف / چيوالد لاكيوز
- فن التفاوض. تأليف / وليام أورى
- ماذا يعرف الاقتصاديون عن التسعينيات وما بعدها . تأليف / روبرت كارسون
- الإدارة الحديثة. تأليف / ثيودور ليفيت

ويصدر قريباً:

- الإدارة (٣ أجزاء). تأليف / بيتر دراكر
- الإدارة فى المستقبل. تأليف / بيتر دراكر
- تكنولوچيا بلا حدود . تأليف / إيثيل پوول
- الازدهار على الفوضى. تأليف / توم بيترس
- قصة حياة بيل كلينتون. تأليف / تشارلز ف. آلان
- ثقافة تنظيم العمل. تأليف / بريچيت بيرجر

INTERNATIONAL PUB. & DIST. HOUSE

EGYPT :

8 Ibrahim El-Orabi St., El-Nozha Elgedida - Heliopolis - Cairo
Tel. / Fax : 00(202) 2990970 P.O.Box : 5599 Heliopolis West - Cairo

CANADA :

40, Dundas St. West - Suite 223 - P.O.Box : # 78 Toronto, Ontario
M5G 2C2 - Tel.: (416) 5061569 Fax : (416) 5061570

THE SECOND SHIFT

by : Arlie Hochschild with Anne Machung

هذا الكتاب

هل بمقدور المرأة العاملة الجديدة أن تستوعب تخمة متطلبات عملها وطفلها؟ هل ستكون للعمل الأولوية على طفلها؟ هل سيصبح مألوفاً رؤية الأطفال فى المكاتب ومجال عمل الرجال أيضاً؟ وماذا سيكون شعور كل من الرجل والمرأة؟ وإلى أى مدى سيمتد الطموح فى العمل؟ وإلى أى حد سيعتمد أحد الزوجين على الآخر؟

ولقد حاولت المؤلفة فى دراستها التى أودعتها هذا الكتاب، أن تستكشف خبايا حياة الأسر، التى يعمل فيها كل من الأب والأم، من منطلق الإيمان بأن وضعهم تحت المجهر، من شأنه أن يساعد هؤلاء الشابات فى إيجاد حلول للمستقبل، أكثر رحابة من صندوق نوم الصغير، وانتظار الحظ. لذا.. فإن هذا الكتاب موجه لكافة الشباب، والشابات، المقبلين على الزواج، وكذلك الأسر التى يعمل فيها كل من الأب والأم، ولكافة الباحثين فى هذا المجال.

«الناشر»

International Publishing & Distribution House

Egypt - Canada

ISBN : 977-5107-73-3